المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب





مصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالب
أحمد بن سعد بن أحمد الملدي الغامدي
الرقم الجامعي
٠-١٣-٨٤١٣-٤١٩
إشراف الأستاذ الدكتور
السيد العراقي سعد منصور

١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازةُ أُطروحةٍ علميّةٍ في صيغتها النّهائيّةِ بعدَ إجراء التّعديلات :

الاسمُ الرُّباعيُّ : أحمد سعد أحمد الغامدي الرّقم الجامعيّ : (٤١٩-٨٤١٣٠)

كلّيّة : اللغة العربيّة قسم : الدّراسات العليا العربيّة فرع : الأدب

الأُطروحةُ مقدَّمةٌ لنيلِ درجة : الماجستير في تخصُّص : الأدب

عنوانُ الأُطروحةِ : "مصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم"

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين،والصّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التّصويبات المطلوبة التي أوصتْ بها اللجنةُ التي ناقشتْ هذه الأطروحةَ بتاريخ : ٢٢ / ١ /١٤٢٤ هـ ، توصي اللجنةُ بإجازتها في صيغتها النّهائيّة المرفقة

واللهُ الموفِّق ،،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف : أ.د. بسيوني العراقي سعد منصور المناقش الأوّل : د. حامد صالح الربيعي المناقش الثّاني : د. كمال سعد خليفة

التوقيع : التوقيع : التوقيع :

يعتمد : رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة

أ.د : سليمان بن إبراهيم العايد

التّوقيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين . وبعد :

تتلخص هذه الدراسة الكاشفة لمصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم في النقاط التالية :

١. تتكون الرسالة من مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة.

٢. عرضت في المقدمة : أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث والنهج الذي سار عليه . كما أشرت فيها إلى ما قصدته من مصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم . وألمحت فيها كذلك إلى أنني قد قصرت دراستي هذه على شعره الغنائي دون المسرحي والمتمثل في دواوينه الثلاثة المجموعة في (الأعمال الكاملة) .

٣. أما التمهيد: فقد استعرضت فيه بصفة موجزه حياة الشاعر ، وسيرته الشعرية ، وأهم أعماله الأدبية التي خلفها للمكتبة العربية .

٤. وجاءت فصول البحث الثلاثةكالتالي :

- **الفصل الأول** : " مصادر الإبداع " وقد جعلته في مبحثين :

المبحث الأول: المصادر الذاتية المبحث الثاني: المصادر الخارجية .

وقد تناولت في المبحث الأول " المصادر الذاتية" ما يلي : ١- الاستعداد الفطري . ٢- التكوين النفسي .

أما المبحث الثاني " المصادر الخارجية " فقد ظهر على النحو الآتي :

أولاً : بيئة الطفولة . وتحدثت فيها عن : القرية ، الطبيعة ،في رحاب المدنية الحديثة ، الأسرة

ثانياً التعليم الرسمي : وتحدثت فيه عن مصادر تعليمه وأثرها في شخصيته الثقافية والأدبية ، وهي :

١- الكُتّاب . ٢- الأزهر . ٣- مدرسة القضاء الشرعي . ٤- دار العلوم .

ثالثاً : الثقافة الشخصية : وأرجعتها إلى ثلاثة مصادر : - أدبية . - تاريخية . - دينية.

- **الفصل الثاني** : " مثيرات الإبداع " في هذا الفصل تحدثت عن المناسبات التي شكلت مثيراً لإبداعه ، وهي :

المناسبات الدينية . المناسبات الوطنية . المناسبات القومية. المناسبات الاجتماعية . المناسبات الثقافية

- **الفصل الثالث** : " آليات التشكيل " وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث :

المبحث الأول : البناء الفني للقصيدة : وعنيت به الطريقة التي سلكها الشاعر في بناء قصيدته وتحدثت فيها عن :

- المطلع - الخاتمة . - الوحدة العضوية .

وبينت أن القصيدة جاءت عنده ملتزمة بالوحدة العضوية في الغالب الأعم . فقد تحقق فيها عنصر الوحدة العضوية المشتملة على وحدة الموضوع ووحدة المشاعر . ولكنها تتجلى لنا واضحة في شعره ذي الطابع القصصي . وذلك الشعر الذي يتحدث فيه عن همومه ومعاناته .

المبحث الثاني : المعجم الشعري : وتحدثت فيه عن تنوع المعجم الشعري عند غنيم ، وبينت فيه أبرز الروافد التي شكلت معجمه .

المبحث الثالث : الأسلوب : وتناولت فيه مفهوم الأسلوب ، وتنوع أساليب الشاعر ، و أبرز سماته كالاقتباس ، والتضمين ، والتكرار ...

المبحث الرابع : الموسيقى : وتناولت فيه علاقة الشعر بالموسيقى، ثم قسمت الموسيقى عنده قسمين : موسيقى خارجية تتكون من عنصرين بارزين هما الوزن والقافية ، وموسيقى داخلية نشأت من مقدرته على اختيار الكلمات المناسبة وتعاقبها وانتظامها مع تلاؤم بين حروفها وحركاتها . كما أشرت إلى التزام الشاعر بالقوافي الطيعة، وبينت أنّ التنويع في القوافي كان يظهر بوضوح في قالب الأناشيد .

المبحث الخامس : الصورة : وتناولت فيه مفهومها ، ومقوماتها ، ثم تحدثت عن مصادر الصورة عند غنيم ومنها : الطبيعة ، والإنسان ، والحيوان ، والثقافة ، ثم تناولت أنماط الصورة عند غنيم بالشرح والتعليل ، وجعلتها تدور في أطر ثلاثة هي : التشبيه ، والمجاز ، والرّمز ، وجاء الرمز عنده على ثلاثة أقسام : معجمي ، وتاريخي، وحكاية رمزية .وبهذا فإن الشاعر حينما كان يستخدم التشبيهات والمجازات فكأنه يعلن أنه يستخدم الصورة القديمة مع تفعيلها في شعره ، أما حين كان يستخدم الرمز فكأنه يبرهن على أنه يستخدم الصورة الحديثة .

٥. وفي الخاتمة تحدثت عن أهم النتائج التي وصلت إليها وأشرت إلى بعض الموضوعات الجديرة بالبحث والاستقصاء من قبل الدارسين ، ثم ختمت البحث بالفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات .

٦. وأخيراً فإن هذه الدراسة قد أثبتت ما يلي :

١. إن مصادر الإبداع عند الشاعر لا تعني فقط المصدرين الحسي والذهني ، بل تعني مرجعية المادة الشعرية المخزونة في هذا الذهن والملتقطة من الخارج من مظاهر الكون المعرفية والمادية .

٢. إن مثيرات الإبداع البارزة عنده تمثلت في تلك المناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية والقومية والثقافية .

٣. التأكيد على أن غنيماً كان معتدلاً وهادئاً في تكوينه النفسي فكان لذلك أثره الواضح في شعره .

٤. ظهور ملمح الرومانسية في شعره ويتجلى ذلك واضحاً فيما قاله من شعر في الطبيعة ومناجاتها ، ووصف مظاهر القرية وتذكر أيام الصِّبا ، وتلك القصائد المفعمة بالحب والحنان والعطف التي قالها في أولاده .

٥. ظهر عنده ما يسمى بالقصة على لسان الحيوان والتي تنحو منحى الرمز ليشير بها إلى بعض الصور السلبية الاجتماعية التي لم يستطع أن يُصرِّح بها .

٦. بروز الاتجاه الإسلامي في شعره شكلاً ومضموناً . وهو موضوع بكر صالح للدراسة والبحث .

٧. إضافة إلى كون غنيم شاعراً مبدعاً ، فقد كان ناقداً يملك مقومات الناقد البصير ، وما كتبه من آراء نقدية تجعلنا نضعه من جملة النقاد المرموقين في العصر الحديث . وبهذا أهيب بزملائي من طلاب الدراسات العليا النهوض في الكتابة عن هذا الجانب النقدي عند غنيم .

٨. استخدامه للرمز المعجمي والتاريخي للتعبير عن تجاربه الشعرية .

٩. التأكيد على أن غنيماً كان ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالروح الفكاهية الدعوية .

الإهداء

إلى ...

صاحب الأيادي البيضاء والدي العزيز

صاحبة القلب الكبير والدتي الغالية

رفيقة دربي زوجتي المخلصة

بلسم الحياة أولادي الأعزاء:

هديل . . أصيل . . سهيل

(المقدمة)

الحمـــــــد لله رب العـــالمين ، والصـــلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين ، وبعد :

كانـــت الرغـــبة تشدني إلى أنْ أكتب عن الشاعر محمود غنيم منذ كنت طالباً في المرحلة الثانوية عندما درست أول قصيدة له (وقفة على طلل) التي كانت شهرتها تماثل شهرة معلقة امرئ القيس وسينية البحتري وهمزية شوقي .

ونظـــراً إلى أنَّ هذا الشاعر – صاحب القامة الشعرية الباسقة – لم يحظ بدراسات أدبية ونقدية وافية تكشف أبعاد شخصيته الشعرية وتجليهاّ ، وتضعها في مكانها الطبعي من حـــركة الشـــعر العربي الحديث ، فقد عقدت العزم على دراسة جانب مهم من جوانب شخصـــيته الشـــعرية أتناول فيه ينابيع تجاربه الإبداعية ، وطرائق التشكيل اللغوية عنده . فجـــاء موضوع دراستي المكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث (**مصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم**) .

ولا أقصـــد بمصادر الإبداع المصدرين الحسي والذهني اللذين يعدان مجمع الطبع الإبداعي المنتج . وإنما قصدت بمصادر الإبداع في شعر محمود غنيم مرجعية المادة الشعرية المخزونة في هذا الذهن والملتقطة من الخارج من مظاهر الكون المعرفية والمادية وكيف شكلها هذا الشاعر في بناءاته النصية الشعرية ليقدم لنا شعرا عربياً خالصا .

فظهرت هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

– وقـــد عرضت في المقدمة : أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث ، والنهج الذي سار عليه .

– أما التمهيد ، ففيه نبذة مختصرة عن حياة الشاعر وسيرته الشعرية .

وجاءت فصول البحث الثلاثة كالتالي :

– الفصل الأول : مصادر الإبداع ، وجعلته في مبحثين:

المبحث الأول : المصادر الذاتية ، وتناولت فيه:

– الاستعداد الفطري .

– التكوين النفسي .

المبحث الثاني : المصادر الخارجية ، وجاءَ على النحو التالي :

أولاً : بيئة الطفولة ، وتحدثت فيها عن :

- القرية .
- الطبيعة .
- في رحاب المدنية الحديثة
- الأسرة .

ثانياً : التعليم الرسمي ، وبينت فيه مصادر تعليمه :

- الكُتّاب .
- الأزهر .
- مدرسة القضاء الشرعي .
- دار العلوم .

ثالثاً : الثقافة الشخصية ، وأرجعتها إلى ثلاثة مصادر :

- أدبية .
- تاريخية .
- دينية .

- الفصل الثاني : مثيرات الإبداع :

في هذا الفصل تحدثت عن المناسبات التي شكلت مثيراً لإبداعه وهي :

- مناسبات دينية .
- مناسبات وطنية .
- مناسبات قومية .
- مناسبات اجتماعية .
- مناسبات ثقافية .

- الفصل الثالث : آليات التشكيل :

وعنيت به طرائق التشكيل اللغوية عنده ، وكشفت فيها عن :

- البناء الفني للقصيدة
- المعجم الشعري .
- الأسلوب .
- الموسيقى .
- الصورة .

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم النتائج التي وصلت إليها وأشرت إلى بعض الموضوعات الجديرة بالبحث والاستقصاء من قبل الدارسين ، ثم ختمت البحث بالفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات .

ولقد كنت حريصاً على معرفة الدراسات التي تناولت شعر محمود غنيم قبل دارستي هذه بهذا العنوان الذي اخترته لهذا البحث . فقمت برحلة إلى مصر فحصلت على دراستين علميتين من جامعة الأزهر . الأولى : قدمها الدكتور/ محمد أحمد سلامة لنيل درجة الدكتوراة عام (خمسةٍ وسبعينَ وتسعمائةٍ وألفٍ من الميلاد) تناول فيها حياة الشاعر وشعره بصفة عامة فجاءت بعنوان (محمود غنيم وشعره) ، وقد أفادتني كثيراً في الوقوف على حياة الشاعر وموضوعات شعره .

أما الدراسة الثانية فتناولت (المسرح الشعري عند محمود غنيم) وقد تقدم بها الباحث الأستاذ / علاء فؤاد عبد الفتاح بيومي . لنيل درجة الماجستير عام (سبعةَ عشرَ وأربعمائةٍ وألفٍ من الهجرةِ) . إضافة إلى ما تناوله بعض الدارسين عنه في لمحات سريعة أو شواهد شعرية من شعره في وقفات عابرة ، أو في بحوث مختصرة ، أو في مقالات متنوعة . إلاَّ أنَّ واحداً لم يتجه إلى إفراده بدراسة دقيقة تعنى بملامح الإبداع عنده ، وتكشف جوانب التشكيل في شعره . فجاءت دراستي هذه والتي تعتمد على الطريقة الموضوعية القائمة على التحليل والنقد والمعززة بالشواهد الشعرية الفياضة لتعالج ما نقص وتبين الكثير من مصادر الإبداع وجماليات التشكيل في شعره .

هذا وقد اقتصرت دراستي هذه على شعره الغنائي دون المسرحي ، لأن الشعر المسرحي له تقنيات خاصة تستوجب بحثا مستقلا ولأن المقام لا يتسع لذكر ذلك ، فيكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

واعـــتمـــدت في ذلك على دواوينه الشعرية الثلاثة : صرخة في واد ، في ظلال الثورة ، رجع الصدى . وكلها مجموعة في ديوانه الشامل الأعمال الكاملة .

ولعـــلي بهذا العمل المتواضع أكون قد كشفت النقاب عن كثير من ينابيع إبداعه ، وإبراز ملامح التشكيل عنده . ووضعه في المكان اللائق الذي يستحقه بين شعراء العربية .

و لا يســـعني في الختام إلاَّ أن أقدم جزيل شكري وامتناني لأستاذي الدكتور / السيد العـــراقي ســـعد منصور ، المشرف على هذه الرسالة والذي فتح قلبه وبيته لمساعدتي في إتمامها وإنَّ قلمي ليعجز عن توفيته حقـــــه ، فله جزيل الشكر والثناء .

ولا يمكـــنني أن أنســـى جميع من ساهم وعاون على إخراج هذا البحث وأخص بالذكـــر كلا من الأستاذ الدكتور / محمد بن مريسي الحارثي ، الذي أضاء الطريق أمامي بتوجـــيهاته الكريمة فترة الإرشاد الأكاديمي عندما قمت باختيار موضوع هذه الدراسة ، والدكتور / حمود الصميلي ، الذي أفادني بملاحظاته الصائبة .

كمـــا لا يفوتـــني هـــنا أيضا أن أشكر الأستاذين الفاضلين الدكتور حامد بن صالح الربيعي ، والدكتور كمال سعد محمد خليفة اللذين تفضلا بقبول مناقشة رسالتي .

والشكر أولا وأخيراً موصول لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ولقسم الدراسات العليا بها ، حيث يعد هذا البحث المتواضع نبتة من غرسهما في مجال العلم والمعرفة .

وأخيرًا أرجو من الله العلي القدير أن أكونَ قد وُفقتُ في رسالتي هذه ، فما كان فيها من صـــواب وإجـــادة فمـــن الله عز وجل ، وما كان فيها من نقص أو ضعف فمن نفسي والشيطان ، وعزائي في ذلك ما جاء على لسان العماد الأصفهاني من حكمة بليغة حينما قـــال : " إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر" .

والله أســـأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وما توفيقي إلا بالله العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة

١٧ / ٤ / ١٤٢٣هـ

(التمهيد)

في قــرية " مليج " إحدى قرى الريف المصري الهادئة التابعة لمحافظة " المنوفية " ولد الشــاعر محمــود بــن محمــد غنــيم مــن أبويــن كــريمي الأصــل صــالحين عام (١٣٢٠ – ١٩٠٢م) [1]

وفي جنبات هذه القرية الصغيرة نشأ الشاعر في أسرة متوسطة الحال ورغم ظروف مالــية صعبة ألمت بالأسرة إلاّ أن والده الذي كان يعمل مزارعاً أصرّ على أن ينهض بأعباء تعلــيم أبــنائه الثلاثة أحمد ومحمود وعبدالواحد. فدخل الشاعر مع أخويه المدرسة الأولية بالقرية ، ثم كُتّاب الشيخ علي عيسى وفي هذه المرحلة من عمره حفظ القرآن وتعلم بعض مسائل الحساب وقواعد الإملاء.

****　　****　　****

وعــندما بلغ الشاعر سن الثالثة عشرة من عمره التحق بالمعهد الأحمدي بطنطا عام (١٩١٥م) ومكث فيه أربع سنوات . وقد بدأ اهتمام الصبي بالأدب يتضح منذ مراحل عمره الأولى ، ولم يأت ذلك العام الذي توفي فيه والده إلا وكانت صلته بالأدب العربي قد

---

(١) انظر ترجمة الشاعر فيما يلي :

١ – محمــد عــبد المــنعم خفاجي : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه . الطبعة الأولى . (بيروت :دار الجيل . عام ١٤١٢هـــ – ١٩٩٢م) ص٢١٦ وما بعدها /١.

٢ – محمــد عــبد المنعم خفاجي : من تاريخنا المعاصر . الطبعة الأولى . (القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة عام ١٣٧٧هـــ – ١٩٥٨م) ص ١٧٥ وما بعدها .

٣ – محمد أحمد سلامة : " محمود غنيم وشعره " . رسالة دكتوراه . كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٣٩٤هـــ – ١٩٧٤م ، ص ٣٨ وما بعدها .

٤ – علاء فؤاد بيومي : " المسرح الشعري عند محمود غنيم " . رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، الزقازيق ، عام ١٤١٧هـــ ، ص١ وما بعدها

٥ – محمــد بن سعد بن حسين : من شعراء الإسلام . الطبعة الأولى . (الرياض : مطابع الفرزدق ، عام ١٤٠٤هـــ – ١٩٨٤) ص ٢٤٧.

٦ – دمــوع على الشاعر محمود غنيم ،لمجموعة من الأدباء ، تقديم د. محمد أحمد سلامة ، دار الهناء للطباعة ، ص ٣ وما بعدها .

تعمقت وأصبح ملماً بفروعه . يقول محمود غنيم في مقدمة ديوانه (صرخة في واد) موجهاً الحديـــث إلى والده المتوفي : " ومازلت أذكر – وإن بَعُدَ العهد – أنني كنت حين أقرأ لك في قصة عنترة ، أتجاوز الشعر كلما بلغته ، برماً به وشغفاً بتتبع مجرى الحوادث، فتردني إليه في شـــبه انتهار قائلاً : " أقرأ الشعر تتعلم الفصاحة " [1] . التحق محمود إثر ذلك بمدرسة (القضـــاء الشـــرعي) من (١٩١٩م – ١٩٢٣م) ، وألغيت هذه المدرسة في ذلك العام. فالـــتحق بعدهـــا بالمعاهد الدينية (١٩٢٣م – ١٩٢٤ م) ونال منها الشهادة الثانوية [2] (الأزهـــرية) ودفعـــه طموحه إلى أن يحصل فضلاً عن ذلك على كفاءة التعليم الأولى من الخارج [3] أي طبقاً لنظام اختبارات التلاميذ غير المقيدين بالمدارس .

*** *** ***

عمل الشاعر – بعد أن حصل على تلك الشهادات – مدرساً في المدارس الأولية في بعض القرى وفي سنة (١٩٢٥م) دفعه طموحه أيضاً إلى الالتحاق بـــ (دار العلوم) بعد أنْ أعلـــن مجلس مديرية البحيرة عن رغبته في طلب خمسة طلاب ممن حصلوا على الثانوية الأزهـــرية لدخول دار العلوم على نفقة المجلس وكان الشاعر ضمن أولئك الطلاب الذين وقـــع عليهم الاختيار فمكث في دار العلوم أربع سنوات (١٩٢٥م – ١٩٢٩م) وتخرج فيها مدرساً للغة العربية . [4]

وقـــد أشار الشاعر إلى مراحل تعليمه في قصيدة (حنينٌ إلى الماضي) التي يحيي فيها معاقل تعليمه ، ويتمنى لو أن الحياة فيها تعود مرة أخرى :

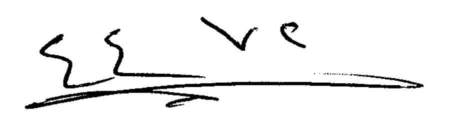
---

(١) محمود غنيم : الأعمال الكاملة . د . ط . (القاهـــــرة : دار الغد العربي عام ١٤١٤هـــ – ١٩٩٣م) ص١٠ .

(٢) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢١٦ .

(٣) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٤٠

(٤) انظر: السابق ، ص ٤٠ وما بعدها.



سـلامٌ علـيها في " مليج " مثابة   حفظـت بها السبع القصار المثانيا
سـلامٌ على " طنطا " ومعهدها الذي   نظمـت بـه قبل البلوغ القوافيا
سـلامٌ عـلى دار القضـاء وأهـلها   وربـعٌ من العرفان أصبح خاويا
سـلامٌ عـلى دار العلوم وعهدها   وهـيهات هذا العهدُ يرجع ثانيا
مغـانٍ غرفـتُ العـلم من غرفاتها   وأودعـتُ فيها بضعةً من شبابيا [1]

وهـي أبـياتٌ تدل دلالة واضحة على حرصه الأكيد على طلب العلم من معينه الصافي.

وفي دار العلـوم لمع نجمُ محمود . فكان يعد نفسه شاعرها المميز فتفاءل به أساتذته وأصدقاؤه . فكانوا يكلفونه في المناسبات المختلفة بنظم قصيده الرائع احتفالا بكل مناسبة [2] ، ولطالما تغنّى الشاعر بدار العلوم وألقى فيها قصائده المختلفة ، فكان يراها داره وجنته ومدرسته التي تعلم فيها الحب الطاهر كما تعلم فيها علوم الدين واللغة والأدب يقول:

لكـنما دار العلـوم أمومـتي   قـد علمـتني أن أحـب وأطهـرا
دار نزلـت بهـا فكانـت جـنة   ووردت منهـلها ، فكانـت كوثـرا
فـيها قضـيت مـن العلوم لـبانتي   (وعـلى كواكـبها تعلمت السرى)
دار المـربين الذيـن بلوغهم   فحسبت(رُسُّو)[3] منهمو ، و(سبنسرا)[4]
لم أتـلُ فـيها مـن دروسـي أحـرفاً   إلا تلـوت مـن الفضـيلة أسـطرا [5]

***   ***   ***





(١) الأعمال الكاملة ، رجعُ الصّدى ، ص ٧٤٥ .

(٢) انظر :محمود غنيم وشعره ، ص ٤١ .

(٣) جـان جـاك روسو . (١٧١٢ – ١٧٧٨) كاتب فرنسي ولد في جنيف ، له عديد من المؤلفات الفلسفية والاجتماعية والأدبية ، من أبرزها (العقد الاجتماعي) ، كان لمبادئه علاقة بالثورة الفرنسية وبنشأه الرومانسية.

(٤) هربـرت سبنسر . (١٨٢٠ – ١٩٠٣) فيلسوف إنجليزي ، تأثر بنظرية (داروين) في تطور الأجناس أو النشوء والارتقاء وحاول تطبيقها على الأخلاق والاجتماع.

(٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٩ .

وبعـــد تخـــرجه في دار العلوم عام (١٩٢٩م) عمل في قرية كوم حمادة . وظل بها مدرساً إلى عام (١٩٣٨م) أي أنه قضى فيها تسع سنوات مع أن الاتفاق بينه وبين مجلس مديـــرية البحيرة كان يقضي ببقائه بها أربع سنوات فقط [1] لكن مجلس المديرية استغل وجوده هناك فأطال بقاءه في إحدى مدارسه الابتدائية حتى فاض الكأس وبلغ السيل الزُّبى وأبـــت قريحته الشعرية إلا أن تصف حياته المقيدة وتعلن شكواه المريرة على الملأ في استغاثة شـــعرية متوجعة ضمنها تبرمه وسخطـــه من أن شبابه قد ذوى بين جدران هذه القرية ، يقول :

أيذوي شبابي بين جدران قريـــــةٍ	يـــبابٍ كـــأن الصمت فيها مخيم ؟
أكادُ من الصمت الذي هو شاملي	إذا حُســـِب الأحياء لم أك منهمو
وعاشرتُ أهليها سنين وإنـــــــني	غريـــبُ بإحساسي وروحي عنهمو
سئمت بها لوناً من العيش واحداً	فـــداري بها داري وصحبي هموهمو
فمن مبلغ " بنت المعز " بـــأن لي	فـــؤاداً علـــيها كالطـــيور يحوِّم [2]

وبالـــرغم من تبرم الشاعر من حياته في هذه القرية إلا أنه لم ييأس أو يقنط فها هو يقدم على الزواج ويتزوج من أسرة كريمة الأصل وهو لا يزال في أوائل سلمه الوظيفي. [3] ويـــرزقه الله في هذه الفترة بمولودٍ ذكر فيستقبله بقصيدته (تحية مولود) يبين فيها إشفاقه على مولوده فهو لا يكره لقاءه وإنما يخشى عليه جور الأيام وبؤس الحياة ، يقول :

ســـرك الـــيوم قولهـــم أم ساءك	حـــين قـــالوا : هـــذا غـــلام جـــاءك ؟
أيهـــا الطـــارق الجديـــد ، سلاماً	أســـأل الصـــفح إن أســـأت لقـــاءك
عـــلم الله مـــا كرهـــتك ضـــيفاً	لا ، ولكـــــني كرهـــتُ شـــقاءك [4]

(١) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٥٩ وتاليتها .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٤ .

(٣) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢١٨ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٦ .

وبعـــد أن اشتد به الضيق من طول البقاء في كوم حمادة وانتشرت قصيدته (كأس تفـــيض) والتي سمع صداها عند شعراء المهجر يأتيه الفرج ويصدر قرارٌ عام (١٩٣٨) بـــنقله إلى القاهـــرة مدرساً للغة العربية وذلك بفضل مساعٍ كريمة من بعض محبي الأدب والشعر وعلى رأسهم أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام آنذاك.

وفي القاهرة وجد الشاعر ضالته التي يبحث عنها فعاش مع الشعراء والأدباء متردداً عـــلى دور النشر والمجلات الأدبية وفي مقدمتها مجلة الرسالة التي كانت تنشر شعره باحتفاء كبير. [١]

ومـــع أن الشاعر قد تحقق له بعض ما أراد إلا أن طموحه الكبير لم يقف عند هذا الحد فكان يطمح إلى أن يرقى لمستوىً أفضل في عمله ، يقول معبراً عن ذلك :

خليلي ، هل للمجد حد ، فأنتهي	إلـــيه ؟ لقـــد طـــال العـــبور ، ولم أرس
مـــآرب تترى ، كلما نلت مأرباً	تـــنازعني عـــنه إلى غـــيره نفســـي
فـــلا النفسُ إن أبلغ تقف عند غاية	ولا هـــي إن أخفـــق تـــرحني باليأس [٢]

فدفعه طموحه إلى التدرج في سلك الوظائف التعليمية فعين في منصب مفتش للغة العربـــية عام (١٩٤٣م) ولكنه مع ذلك كله نراه يشكو حظه في هذه المهنة الجديدة فهي كسابقتها قليلة الراتب كثيرة الجهد والعمل،يقول في قصيدة له بعنوان (منصب زائف):

ومـــا ســـرني التفتيش حين وليته	ولا أنـــا – إن وليّ – علـــيه بآســـف
لقـــد خلته يغني عيالي من الطوى	فكـــان كمضـــروب مـــن النقد زائف [٣]

وعلى الرغم من تلك الشكوى المريرة إلا أنه واصل مسيرته في مجال عمله حتى رُقي إلى منصـــب (مفـــتش أول) للغة العربية بوزارة التربية والتعليم . ثم وصلت به خطاه إلى منصـــب عميدٍ لمفتشي اللغة العربية بالوزارة وكان ذلك آخر عهد الشاعر بالمناصب . [٤]

(١) انظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدرسة ، ١/٢٢٠

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٧٣

(٣) السابق ، ص ٢٧٧

(٤) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ١/٢٢١

أعماله ومؤلفاته :

كان الشاعر عضواً في كثير من اللجان والمجالس الأدبية في الدولة . ونال كثيراً من الجوائز التشجيعية عن أعماله ومؤلفاته الأدبية ، وفيما يلي صورة مبسطة عن أهم أعماله :

١ - الدواوين الشعرية :

أ - ديوان : "صرخة في واد "

أول دواوين الشاعر، ويضم شعر الحرب والاجتماع والوصف والمرأة ... الخ ونال جائزة الشعر الأولى في مسابقة المجمع اللغوي عام ١٩٤٧م .

وقد قدم له الأديب المعروف المرحوم إبراهيم دسوقي أباظة ، فأعلن إعجابه بالديوان وبين مكانة الشاعر ومترلته بين شعرائنا المعاصرين ، ثم عرج على نماذج من شعر الديوان فبين فيها وضوح الألفاظ وجمال المعاني اللذين يعبران عن طاقة فنية عالية لدى الشاعر يقول : " إنَّ ريشة شاعرنا العبقري تلعب باللفظ والمعنى في قدرة فائقة واستعداد عظيم ، ينبعان من رصيد الطاقة الفنية التي تنطوي عليها نفس الشاعر وقلبه الكبير" [١] .

ب - ديوان " في ظلال الثورة "

الديوان الثاني لمحمود غنيم ، ويضم القصائد التي نظمها الشاعر من عام (١٩٤٧ - ١٩٦٠م) وقسّمه إلى تسعة أبواب أيضاً [٢] وقدم له كذلك الأديب الوزير إبراهيم دسوقي أباظة الذي سبق أن تولى التقديم للديوان الأول وقد تحدث في مقدمته عن الشاعر وشعره يقول في ثنايا حديثة عن محمود غنيم : " ومع أنه تناول موضوعات نظم فيها شعراء كثيرون من أبناء هذا الجيل فقد ظل محتفظاً بطابعه ، وتلك سمة الأصالة في كل

---

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان صرخة في واد ، ص ١٣ .

(٢) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٢٥

شــاعر كــبير " [١] . وقــد نــال هذا الديوان جائزة الدولة التشجيعية سنة (١٩٦٣م) واحتفلت به الأوساط الأدبية ومنها رابطة الأدب الحديث. [٢]

ج - ديوان " رجع الصّدى ":

طبع هذا الديوان بعد وفاة الشاعر سنة (١٩٧٩م) [٣] وهو يجمع شعره من عام (١٩٦١م). إلى قريـب من أواخر حياته ، ويحتوي على مائة من القصائد والمقطوعات، وقد تولى التقديم له هذه المرة محمد أحمد سلامة بمقدمة ذكر فيها أن فكرة جمع الديوان قد برزت عندما علم الشاعر بتسجيل رسالة دكتوراه عنه بعنوان (محمود غنيم وشعره) لكن القدر المحتوم لم يمهله حتى يراه مطبوعاً منشوراً كشعره في الديوانين الآخرين . [٤]

٣ - مسرحياته الشعرية :

يعـد محمـود غنيم من عمالقة الشعر المسرحي بعد شوقي وعزيز أباظة وله خمس مسرحيات شعرية هي: [٥]

أ - (المروءة المقنعة) أنشئت عام (١٩٤٤) ، وقد استلهم الشاعر أحداثها من التاريخ الأموي .

ب - (الجاه المستعار) عام (١٩٤٥ م) مسرحية اجتماعية عصرية أقتبسها الشاعر من واقع الحياة المعاصرة .

ج - (غرام يزيد) مسرحية شعرية مقتبسة من التاريخ الأموي .

د - (يومان للنعمان) (١٩٥٨م) . وقد استلهم أحداثها من التاريخ الجاهلي أيام (النعمان بن المنذر) .

---

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٨ .

(٢) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصّدى ص ٦٤٨

(٣) المسرح الشعري عند محمود غنيم ، ص ٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، مقدمة رجع الصّدى ، ص ٦٥٠

(٥) المسرح الشعري عند محمود غنيم ، ص ١٠ .

هـ - (النصرُ لمصر) (١٩٦٠م) مسرحية تاريخية مستمدة من التاريخ الأيوبي.

وقد سجلت في هذه المسرحيات رسالة علمية لمرحلة الماجستير بعنوان " المسرح الشعري عند محمود غنيم " للباحث علاء فؤاد.

٣ - المؤلفات الأدبية والنقدية :

بالإضافة إلى كون (غنيم) شاعراً وجدانياً وشاعراً مسرحياً،فإن لديه دراسات في المجالات الأدبية والنقدية ومنها :

أ - (حفني ناصف) وهي دراسة لحياة العلامة اللغوي الأديب (حفني ناصف) وعبقريته ، وقد نشرت في سلسلة أعلام العرب سنة (١٩٦٠م) في العدد السابع والأربعين.

ب - (أحمد الكاشف) وهي دراسة عن الشاعر (أحمد الكاشف) نشرت في كتاب (خمسة من شعراء الوطنية) ألف من قبل غنيم ومجموعة من الأدباء والنقاد ، وقد صدر في عام (١٩٧٤ م) .

ج - مشاركته في تحقيق الجزء الحادي والعشرين من كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني .

هذه هي أهم المؤلفات الأدبية لمحمود غنيم ويُضم إليها المقالات الأدبية والنقدية التي نشرها في الصحف والمجلات الأدبية ومن أشهر المجلات التي شارك فيها مجلة (الرسالة، والوعي الإسلامي ، والهلال ... الخ) .

أما فيما يخص الدراسات التي نشرت حوله فأشهرها تلك المقدمات التي صُدِّرت بها دواوينه الشعرية ، وما كتبه د. محمد عبد المنعم خفاجي في كتابيه (من تاريخنا المعاصر) ، و(دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه) ، إضافة إلى تلك الرسائل الجامعية التي أشرت إليها في مقدمة البحث .

نهاية المطاف :

في عام (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م) ودع الشاعر العملاق (محمود غنيم) الساحة الأدبية منتقلاً إلى جوار ربه بعد أن خلف لنا ثروة أدبية وشعرية أضافها إلى تراثنا العربي السامق .

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن آخر ما جادت به قريحة محمود غنيم هو بيتاه الشهيران بعنوان (غريب بين قومي) :

إلى من أشتكي يارب ضيمي ؟ أرى نفسي غريباً بين قومي

فكم هتفوا بمحمود شكوكو وما شعروا بمحمودٍ غنيم [١]

وقيل أن قصيدته صانع الأجيال هي آخر ما أخرجت قريحته الشعرية المتوقدة بشهادة أحد أبناء محمود غنيم حيث كانت تردد في جنبات نادي المعلمين بالجزيرة بعد وفاته بأسبوع . والرأي الأرجح – والله أعلم – ما قاله ابن الشاعر نفسه فهو أعرف بأبيه من غيره لا سيما إذا نظرنا إلى ما عرف عنه من برٍ وخيرٍ كثير بأبيه [٢] ومما قاله فيها :

قالوا : المعلم ، قلت : لست أغالي إن قلت : هذا صانع الأجيال

إن قلت : صورها ، وأبدع خلقها لم يغضب الرحمن صدق مقالي [٣]

وأخيراً : وبعد وفاته أبى الأدباء والنقاد إلا أن يمجدوا هذا الشاعر المجيد وينوهوا بمكانته ومترلته بين الأدباء فأقاموا له حفل رثاء وتأبين تبارى فيه الكتاب والشعراء في التعريف بالشاعر العظيم ، ثم جمعت قصائد المهرجان وكلماته في كتابٍ أطلق عليه (دموع على الشاعر محمود غنيم) قدم له الدكتور محمد أحمد سلامة [٤].

من صفاته :

شاعر حفظ القرآن ، ودرس العلوم الدينية ، وتعلم اللغة العربية وآدابها فأتاح له ذلك أن يكون ذا أخلاق كريمة وطباع حسنة وبصفة خاصة أنه من أبناء الريف ، يقول عنه

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصّدى ، ص ٧٥٧ ، وقد تكرر ذكرهما ص ٨٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٩٧ .

(٣) السابق ، ص ٩٠١

(٤) المسرح الشعري عند محمود غنيم ، ص ١٣

صلاح عبد الصبور :" كان الأستاذ محمود غنيم رضي النفس ، كريم الخلق ، أنيس الطبع ! وكثيراً ما كان يتبسط معي في القول ، ويشملني - وشعر زملائي - بدعابته الرقيقة". [1]

وقد كان من ظرفاء عصره ، وله في المداعبات والإخوانيات شأن عظيم. [2]

وقال عنه الأستاذ علي مصطفي المصراتي : " هو رجل بشوش الوجه ، لين الجانب ، سريع الابتسام ، عربي الطباع، سليم الفكرة ، قومي متصلب في قوميته ، متدفق في وطنيته ، ولكنه هادئ وديع ، به رقة الشاعر ، ووداعة الفنان ، واتزان المربي ، وخلق المعلم ، وليس به ذهول ولا سرحان ... ولا جلجلة ولا عربدة " . [3]

(١) الأعمال الكاملة ، مقالات متنوعة عن محمود غنيم ، ص ٩١٠ .

(٢) انظر : السابق ، ص ٩١١ .

(٣) من تاريخنا المعاصر، ص ١٧٦ وتاليتها .

الفصل الأول

مصادر الإبداع

* ❋ المبحث الأول : المصادر الذاتية .
* ❋ المبحث الثاني : المصادر الخارجية .

المصادر الذاتية

- الاستعداد الفطري .
- التكوين النّفسي .

أوّلاً : الاستعداد الفطري :

ينـــبغي لنا قبل التطرق إلى الحديث عن موهبة الشاعر واستعداده الفطري أن نشير إلى مفهـــوم الموهبة بوصفها من أهم الأسس لأي نشاط أدبي أو فني على أنها : " القدرة الابتكارية البارزة في ميدان أو أكثر من ميادين التحصيل الإنساني " (١) .

فهذه القدرة الابتكارية البارزة تؤدي إلى إنتاج أشياء قيمة تعتمد في تكوينها على عناصر يصعب التعرُّف عليها أو الإشارة إليهـــا . وانطلاقـــاً من هـــذا يمكـــن أن نقول إن الموهوب أدبياً هو الذي " يفطـــــن إلى مالا يفطن إليه غيره ويشعـــر بمـــا لا يشـــعر بـــه سواه " (٢) .

والواقع أن التوسع حول مفهوم الموهبة ليس مجالاً لدراستنا هذه على أنَّ ما يهمنا هنا أكثر من غيره هو دراستها عند الشاعر محمود غنيم . ويمكن القول في هذا الصدد إن الاستعداد الفطري عنده ذو شقين : أولهما : استعداد إبداعي أدبي ، والآخر : ملكة نقدية واعية .

ويتمـــثل الإبداع الأدبي عند محمود غنيم في نتاجه الشعري الغزير والمتميز الذي تمّ جمعه من شتات الصحف وإصدارات المحافل في ديوان يحمله اسمه ، وأمّا استعداده النقدي فيـــنعكس في العديـــد من المقالات النقدية والتحليلية التي شغلت حيزاً لا يستهان به من صفحات الصحف والمجلات التي كانت تصدر في عصره .

- **الاستعداد الإبداعي الأدبي (عند الشاعر) :**

قررّ نقاد الأدب عامة أنَّ الأديب المبدع شاعراً أو كاتباً أو خطيباً لا بد أن يمتلك الموهبة الأدبية الفذة ، فإذا لم تكن لديه هذه المنحة الإلهية التي غرسها الله في الإنسان منذ ولادتـــه فعليه أن ينصرف عن محاولته إلى أي عمل آخر يجد نفسه فيه . يقول ابن الأثير : "اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة ... وملاَكُ هذا

---

(١) شيفيل ، مريان : الطفل الموهوب في المدرسة العادية ، ترجمة : عزيز حنّا ، وعماد الدين سلطـــــــــان ، مراجعة : د/ عطية محمود هنا ، د .ط ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د ، ت) ، ص٦ .

(٢) محمد طه عصر : سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م) ، ص ١٢ .

كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثمَّ طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها ؛ ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا ؟ " (١) .

ويختلف ذلك الطبع الموهوب بوصفه أساس الفن الأدبي من أديب إلى آخر ومن موهوب إلى آخر . وهذا ما قرره ابن قتيبة حين قال : " الشعراء بالطبع مختلفون : فمنهم من يسهل عليه المديح ، ويتعذر عليه الهجاء ، ومنهم من تسهل عليه المراثي ، ويتعذر عليه الغزل " (٢) .

وإذا كان الاستعداد الفطري يمثل العنصر المهم من عناصر الإنتاج الأدبي فإنَّ عنصر الذكاء لا يقل أهمية عنه " إذ بهذا الذكاء يدرك الأديب العناصر المهمة لما يتناوله بالقول ، والنواحي المؤثرة ، ويعرف كيف يرتبها ويتناولها " (٣) .

وإلى جانب الاستعداد الفطري والذكاء فإن الأديب المنتج لابد أن يكون على قدر كبير من الثقافة الشاملة التي تعينه على أداء رسالته وإيصالها إلى المتلقي. وهذه الثقافة يجب أن تكون متنوعة وشاملة لكل الفنون والمعارف .

وبالإضافة إلى تلك الأمور الثلاثة السالفة الذكر فإن الأديب الموهوب يحتاج إلى دربة ومرانة حتى تظهر هذا الطبع وتقوِّمه ليصل إلى غايته من القوة والتنوع والتميّز (٤) .

---

(١) ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، د . ط ، (بيروت – صيدا : المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م) ، ص ٢٧ .

(٢) ابن قتيبة ، أبو عبد الله : الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد شاكر ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٧م) ص ١٤

(٣) أحمد أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ، د . ط ، (القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م) ، ص ٤٢ .

(٤) انظر : السابق ، ص ٤٦ .

يقول صاحب الوساطة في ذلك : " إنَّ الشـــــعر علمُ من علوم العرب ، يشترك فـــيه الطبعُ والرِّواية والذكاء ، ثم تكون الدُّربة مادة له ، وقوة لكل واحدٍ من أسبابه فمن اجتمعـــــــت له هذه الخصـــــال فهـــو المحسن المبرِّز " [1] .

وشـــاعرنا تفجـــرت موهبته وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره وذلك عندما ألهمته قريحته قصيدة في رثـــــاء محمـــد فريد عام (١٩١٩ م) وهو لا يزال طالباً في مدرسة القضاء الشرعي آنذاك . ومما جاء فيها قوله :

قضى نحبه منها فريد وودعــــــا	فيا مصر أجرى نيلك اليوم مدمعا
مضى ، وقضاء الله لا شك واقـــع	وما المرء إلاَّ أن يعيش فيصرعـــا
أرى العيش مهما طال ظل سحابة	إذا أومضـــت لا بد أن تتقشعا [2]

فهـــذه الأبيات تدل على ينابيع صافية يستقي منها الشاعر أنغامه ، كما تدل على نضـــج فـــني رصين وكأننا أمام شاعر غني بالخبرات والتجارب . فتلمس فيها ظلالٌ من حكـــم الأقدمين ، والسير على نهج السابقين ، وهي أبيات تشير إشارة واضحة إلى أفق واسع الشهرة [3] .

تجـــول معـــي في فضـــاءات دواوينه الفسيحة ونقب عن مواهبه الأصيلة في تلك القصائد الأثيرة سترى أنها مواهب لا تأتي إلا لقلة من الشعراء المبدعين أمثال شاعر الطبع محمود غنيم . ففي كوم حمادة يخاطب الشاعر العيد وهو مناسبة توحي بالبهجة والسرور لكـــنها من وجهة نظر الشاعر لا تعني له شيئاً ؛ لأنه يشعر بالسجن والضيق وهو قابعٌ في جنبات تلك القرية النائية . كما يذكره العيد بضياع عمره هباء وسدى :

ياعيدُ عذراً إن نظمتُ نشيـــــدي	لك حافلاً بالنَّوح ، لا التغريـــــد
أستودع الرحمن عمراً ضــــاع ! لي	في كل يوم منه أجرُ شهيــــــــــد

---

(١) القاضـــي الجـــرجاني ، علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، د . ط ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د . ت) ، ص ١٥ .

(٢) القصيدة ليست في الأعمال الكاملة ، وانظر إليها في كتاب : من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨١ .

(٣) انظر : من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨١ .

أغضيتُ جفنَ العين فيه على القذى	وحملتُ فيه مضاضة التشريـــــد [1]

فالأبيات تشير إشارة أكيدة إلى أنه قد نظمها للذةٍ في نفسه ورغبة في إشباع فطرته السليمة المتدفقة .

و لم يكــن هذا الاستعداد الفطري ملازماً للشاعر أيام شبابه ؛ بل لازمه حتى صار شيخا كبيراً يستعد لتوديع الحياة . فقد قيل إن آخر ما جادت به قريحته قبل أن يرحل إلى مــثواه قصـــيدته الموسومة بـــ(صانع الأجيال) التي قالها في عيد المعلم . حيث ضمنها خـــبراته في التعليم وفنونه وبين فيها مكانة المعلم ودوره في الحياة بأسلوب شعري سهل ولغة شفافة واضحة، كما جسد فيها معاناة المعلمين وما يعتريهم من آمال وآلام في صور شعرية رائعة ، ومما جاء فيها :

نورُ المعلم نفحةٌ قدسيــــــــــــــةٌ	مـــــــــن نور وجه الخالق المتعالي
وصداه من صوت الإله ، كأنــــــه	- إن راح يطلقـــــه - أذان بلال
صنع الصواريخ المبيدة غـــــــيره	وعلى يديه يتمُّ صُنـــــــــعُ رجال
كم أغفلوه ، فما تراءى شاكيــــــا	أوباكياً من عـــلة الإغفـــــــال [2]

فهذا شعر يكشف لنا عن موهبة متدفقة ، وثقافة واسعة ،وصياغة محبوكة " لمعرفته بأصول اللغة العربية وأسرارها،وحلاوة الإيقاع؛ولحسه المرهف،وشاعريته الأصيلة " [3] .

والواقع أن هذا الاستعداد الفطري جعله يفرض نفسه على الساحة الشعرية بقوة ، ومكـــنه مـــن التصرف في طرق القول والتفنن فيه ، فشارك في معظم القضايا المعاصرة ، ونـــاقـــــش كل ما يتصل بمناحي الحياة المختلفة من شؤون السياسة والاجتماع والوطن والدين ، وتغنى بالطبيعة ومشاهدها الخلابة من ريفٍ وبحرٍ ونهرٍ وسماء وفضاء ... واستلهم الـــتاريخ الإســـلامي والعـــربي،وأعاد إلى الذاكـــرة أمجاد المسلمين وانتصاراتهم الماضية

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٩٠١ .

(٣) دموع على الشاعر محمود غنيم ، من كلمة الأستاذ يوسف السباعي ، ص ٢٥ .

فكـــان هذا الاستعداد الفطري أداة قوية استطاعت أن تفجر كل طاقات الإبداع الشعريـــــة عند محمود غنيم منذ صباه يقول د. محمد سلامة في ثنايا حديثه عن شاعرية غنـــيم : " وقد كانت هذه الطاقة الإلهية متوافرة لدى شاعرنا منذ نعومة أظفاره وهو في مكتـــب القرية عند الشيخ علي عيسى " [1] . حتى ليمكن القول بأنه قد تجمعت فيه كل مقومات الشاعر الحق من " ثقافة واسعة متنوعة ،وموهبة فطرية تفاعلت مع أسرار الحياة فـــلا عجـــب وقد تكاملت له عناصر الشاعرية المبدعة ، أن يهيم في كل وادٍ من أودية الشـــــعر " [2] . والدليل على أنه كان يعرف للموهبة الأصلية قيمتها ، ويدرك أنها هي التي فجرت فيه كل طاقات الإبداع ماقاله هو نفسه عن الموهبة الشعرية :

والشاعر الموهوبُ فلتة دهـــــــــره إن مات ، أعيـــــا الدَّهر سدُّ مكانه

والشاعر الموهوبُ تقرأ شعـــــــــره فترى جمــــــــال الله في أكوانه [3]

كما أنه يجعل من الشعر المطبوع مرآة صادقة للنفس الإنسانية :

والشعر مرآة النفوس ، يذيع مـــــا طويت قراراتُها على كتمانـــــه [4]

وهو شاعر أصيل الطبع ، نقي الذهن ، صافي السّليقة ، أفضل الشعر عنده وأحسنه ما خلّد صاحبه وأعلى ذكره :

أقسمت ما نال البلى من شاعـــــــر يحيا حياة الخُلد في ديوانــــــــــه [5]

وقد ساعده على صقل موهبته الفنية التي أنتجت له أعماله الأدبية الرائعة تلك النشـــأة الريفية التي مكنته من حبّ العربية وتذوق بلاغتها وشعرها ، فخرج شعره أصيلاً جديداً بديعاً ، يقول عنه عزيز أباظة كاتب مقدمة ديوان في ظلال الثورة :

" ومـــع أنـــه تـــناول موضوعات نظم فيها شعراء كثيرون من أبناء هذا الجيل فقد ظلّ

---

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٩٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٥ وتاليها .

(٣) السابق ، ص ٥١٠ ، و ٥١٢ .

(٤) السابق ، ص ٥١٢ .

(٥) السابق ، ص ٥١٤ .

محـــتفظـــاً بطابعـــه ، وتلك سمة الأصالة في كل شاعر كبير ؛ لأن الأصالة تأبى أن تأتي مخلوقاها مشابهة أو مماثلة ، حتى لما عُرف عند أولي الألباب بالجودة والابتكار " [١] . وعن ذلـــك الاســـتعداد الفطري الذي يملكه شاعرنا يقول د/ خفاجي : " وغنيم من شعرائنا المعاصـــريـــــن الموهوبين الخالدين ، ومن ذوي الملكة الشعرية الأصيلة ، والطاقات الفنية المبدعة " [٢] .

ويســـتطيع القارئ المدقق أن يكشف بنفسه عن تلك الطاقات الفنية في كثير من قصائده المتنوعة أمثال كأس تفيض ، الريف ، الكادر ، وقفة على طلل ... وغيرها كثير مما سوف نتحدث عنه بالتفصيل في فقرات لاحقة إنْ شاء الله .

● **الاستعداد النقدي : (عند الشاعر)**

مُـــنح محمود غنيم موهبة في النقد كما مُنح ذلك في الشعر . فهو ناقدٌ أدبيٌ رفيع المترلة تكاملت فيه صفات الناقد الحق وتجمعت فيه أدواته ، وهذه الموهبة الفطرية النقدية هيأت للأديب الشاعر غنيم أن يتبوأ مترلة عالية في ميدان النقد الأدبي الحديث ، وذلك لما تميز به من قوةٍ في الإدراك ، ونباهة في الفكر ، وحدة في النظر . فلم يكن ينظر إلى ما يقرأ نظرة سريعة عابرةً وإنما كان يستوعبه بقراءة فاحصة عميقة يستطيع من خلالها أن يصدر أحكامـــه الـــنقدية التي كانت كثيراً ما تحظى بالقبول والاستحسان عند أقرانه من الأدباء والنقاد .

وهـــو صاحب ذوق نقدي رفيع يتسم بالوضوح والشفافية تمكن من خلاله ومن خـــلال الإحساس بالقيم الجمالية أن يكون نقده معتدلاً همه أن يصدر الحكم الأدبي بكل عدالة وموضوعية فلا يتعصب لرأيه ، ولا لثقافته ، ولا لميوله الشخصية ، ولا يتحيز لحزبيةٍ معيـــنة تصبغ أحكامه بصبغة التحامل وتدخلها في دائرة الضبابية والتعتيم مما يجعل لها أثرا عقيماً على القارئ والمستمع .

وغنيم قد استطاع بفضل ما أوتي من موهبة فطرية أن يصدر بعض الأحكام النقدية ، وأن يـــناقش عـــدداً لا بـــأس بـــه مـــن القضـــايا الأدبية والنقدية التي كانت مطروحة في

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٨ .

(٢) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٥٧ .

ســاحــــة الأدب والــنقد في عهـــــده . يقـــول د/ محمد أحمد سلامة في مقدمـــة ديوان رجع الصدى : " والشاعر غنيم يعد من النقاد البارزين بآرائه التي بثها في شــعره ، أو كتــبها في مقـــــالات ضواف في المجلات ؛ فقد كتب في مجمع اللغة العربـــية مقالاً بعنوان : " نقد النقد " وأثار فيه مجموعة من الأمثلة التي كان له فيها رأي واضح وحكم نقدي جريء ، وكتب مقالاً في مجلة الهلال بعنوان " الشعر المنحل لا الشعر الحرّ " أبان فيه معنى الحرية في شيء ما " [1] .

ويمكـــن لنا تلخيص أبرز آرائه النقديــــــة التي أصدرها ودافع عنها في الأسطر القليلة الآتية :

١- إنّ الـــنقد لا بد أن ينأى عن الميول والأهواء [2] . وهذا الحكم الذي أطلقه لم يكن اعتـــباطاً وإنما كان ردة فعل لما كان يجري على الساحة الأدبية من إطلاق أحكام نقدية تعسفية مبنية على الأهواء والأوهام .

وقد بين في مقاله عن النقد والذي أشار إليه محمود سلامة في رسالته الأسباب التي دعــته إلى إطلاق هذا الحكم النقدي وذلك لما لوحظ على بعض النقاد من انعدام الحس الذوقـــي المرهف لديهم ، وقلة ثقافتهم واستيعابهم للشعر ، وتأثر الكثيرين منهم بالآداب الأجنبـــية على حساب الأدب العربي ، وتطبيقهم مقاييس النقد الأوربي على النقد العربي تطبـــيقاً أعـــوج [3] . وهذا يتنافى مع ما قرره النقاد القدامى في كتبهم النقدية عما يجب توافره في الناقد من الأدوات أو الطاقات .

فـــلا بد أن تصدر الأحكام النقدية عن ناقد توافرت فيه أدوات النقد من استعداد فطري خاص يهيىء صاحبه لتذوق مناحي الجمال في الأدب ، وذكاء حاد متقد ،وثقافة واسعة ، ودربـــة عميقة ، ونظرة ثاقبة . ملماً بالشعر وعالماً به ، بعيداً عن الميول الفكرية والأهواء الطائفية .

---

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ، ص ٦٥٤ .

(٢) السابق ، ص ٦٥٤ .

(٣) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٤٦٦ .

٢- ويمجـــد الشاعر الشعر الذي عرف عن العرب أصالة وصيـــاغة [١] . وربما وجدنا له أبـــياتاً ، يبين فيها رأيه في تلك القضيـــة وذلك في ثنايا قصيدته (شعر الماحي) ومما جاء فيها :

كل شعر أتى بغير عمـــــــــــود	عُـــــــــدَّ في الشعر من قبيل المزاح
ليس شعراً مالم يكن عن شعـــــور	وله من قرارة النفـــــــــس واح
ليس شعراً مالم يقم قائلـــــــــوه	بخطاب القلـــــــــوب والأرواح
ليس شعراً ما احتاج قـــــراؤه في	فهم أهدافه إلى شُـــــــــــرّاح
ليس شعراً ما جاء من غير طبـــــع	بعد طول اللجاج والإلحـــــــاح
إنَّ من ينشد القريض بلا طبـــــــ	ـــــعٍ يخوض الوغى بغير سلاح [٢]

ومـــن خـــلال قـــراءة شاملة لدواوين الشاعر الثلاثة يتبين لنا بجلاء التزام الشاعر الحقـــيقي بعمـــود الشعر العربي الذي دعا إلى التمسك به والنهج على منواله . وإذا كان الشاعر قد التزم في شعره أسلوب القصيدة العربية فإن هذا لا يعني أبداً ابتعاده عن التجديد والإبـــداع ؛ بـــل إنَّ الجديـــــــــد عنـــــده ماكان في المعاني والصور . يقول أنور الجـــندي : " يمـــيل (محمـــود غنيم) إلى التجديد مع المحافظة على سلامة اللغة وعمود الشـــعر " [٣] .

كما أن غنيماً يؤكد في تلك الأبيات السابقة على أن الشعر الجيد لابد أن يكون ناتجاً عن شـــعور مفعم ونفسٍ مطبوعة. فأساس الشعر عنده الطبع السليم ، ورأيه هذا يتفق مع ما ذهب إليه ابن طباطبا حينما قال :"فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشـــعر بالعـــروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمـــه بمعرفة العروض والحذق بها حتى تصير معرفته المستفادة كالطبع الذي لاتكـــلف معه " [٤] .

---

(١) انظر : الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ، ص ٦٥٤ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٦ وتاليتها .

(٣) أنور الجندي : الشعر المعاصر ، تطوره وأعلامه ، د.ط ، ص ٤٠٩ .

(٤) ابن طبا طبا ، أبو الحسين محمد بن أحمد : عيار الشعر ، د . ط ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانـــــع ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د . ت) ص ٧ .

٣ – مقياس جودة الشعر ورداءته :

يـــرى غنيم أن جودة الشعر في سيرورته على الألسنة وحفظه وروايته . كما أن الجودة عنده تكمن في القوة والسلاسة والوضوح يقول في مقدمة ديوانه في ظلال الثورة : " ومذهبنا في الشعر كذلك أن يجمع بين القوة والسلاسة ، ومقياس جودته عندنا سيرورته ، وحفظه على ألسنة الرواة " [١] .

فالسلاســـة وسهولة الحفظ والوضـــــوح واجتياز الحدود وكثرة الرواة من أهم مقاييس جودة الشعر عند محمود غنيم يقول معبراً عن ذلك شعراً :

ليس شعراً مااحتاج قُـــــرّاؤه في	فهم أهدافه إلى شُــــــــــرَّاح [٢]

والشـــعر عنده وحي وإلهام ينساب من النفس انسياباً يجري على الألسنة ويسري كالبرق :

وما الشعر سوى وحــــــــــيٌ	على ألسنة يـــــــــــجري
إذا همست به شفـــــــــــةٌ	سرى كالبرق إذ يســــــــري [٣]

٤– رأيه في الشعر الحر :

وقف الشاعر من الشعر الحر موقفاً معادياً صريحاً . فهو ينبذه ويرفضه ويعده مـــن بـــاب الهراء والتهريج ويتنبأ له بسرعة الانقراض لما يحمله من تعقيد وغموض . يقول : " إنـــنا نعتقد أن الشعر ما لم يحمل في طيّه عناصر خلوده فلن تخلده الدعايات الزائفة ، أو ما يلتمس له من الأسماء البراقة ، كاسم الشعر الحر ، والتجديد في الشعر ، إلى غير ذلك مما هو أشبه بالتّهريج منه بأي شيء آخر " [٤] .

ذلـــك يعني أنه لم يكن يرفض التجديد في الشعر إذا كان قائما على التجديد في أفكار الشعر ومعانيه أو في أساليب التعبير والصياغات الشعرية ، أما التجديد الذي عارضه

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٧ .

(٣) السابق ، ص ٨٩٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٢ .

فهـــو ماكان قائما على التحرر من الوزن والقافية . يقول : " لا أقول قاتل الله التجديد ، فلســـنا ننكر أن الحضارة مدينة له بازدهارهـــا ، وأن الأدب مدين له بمد رواقه واتساع آفاقه " [١] .

وقـــد ترجم موقفه المعادي من ذلك الشعر الحر حينما وصفه بالخرافة ، ووصف أنصاره بفساد الذوق :

حملنا راية الشعـــــــــــــــر		مدى حين من الدّهـــــــــــــــــر
إلى أنْ جاء نشءٌ بيـــــــــــــ	(م)	ـــــــن مأفون ومُغتـــــــــــــر
وقالوا : شعركـــــــــــم عبدٌ		دعونا نأتِ بالحُـــــــــــــــــرّ
هي الأذواق قد فســـــــــــدت		فصار الترب كالتّـــــــــــــــبر
حديث خُرافة ينبـــــــــــــــو		عن الأذواق والفكـــــــــــــــر [٢]

وقـــد ذكر أنّ استهجانه للشعر الحر يرجع لأسباب أقّلها : " أنه لا رواة له ، وأنه يـــوءد يوم يولد ، وشتان بين هرم من صخر يصارع الزمن ، وكوخ من قش لا يلبث أن تـــذروه الرياح ، ولو سلمنا بأن هذا الضرب من الكلام يسمى شعراً ، ما كان في العربية ناطق غير شاعر " [٣] .

والواقع أنَّ هذه النظرة الثاقبة المتأنية لم تأتت إلاَّ من ناقد فاحص بعيد النظر يمتلك مواهب ذاتية وقدرات فنية ساعدته على إصدار هذا الحكم النقدي الخطير على مستقبـــل الشـــعر الحـــر ، وإنما قلت خطيراً لأنه صدر في وقت كانت المعركة فيه محتدمة بين دعاة التجديد من جهة والمحافظين من جهة ثانية ، ولكن حماسه وقناعته وحبه للشعر القديم قد دعاه إلى التمسك برأيه والدفاع عن موقفه خاصة بعد أن فاز ديوانه الأول صرخة في واد بالجائزة الأولى في مباراة الشعر التي نظمها مجمع اللغة العربية ولقي قبولاً واستحسانا واسعاً في الأوساط الأدبية .

---

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٤٨٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٨٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٢ .

٥ - غنيم وشعر المناسبات :

تمكن غنيم بفضل ما أوتي من بعد النظر ، ودقة التأمل ، وعمق الإدراك أن يطوع شـعره في خدمـة الحياة . فالحياة باعثٌ قوي على قول الشعر بشقيها المادي والمعنوي . يقـول في هذا الصدد : " ومذهبنا في الشعر أن يكون هادفاً ، يضرب في صميم الحياة ، ويفـرض نفسه عليها فرضاً ويخب ويضع في أحداثها ، وربما لم يعدم هذا المذهب ناقداً متحذلقاً يطلق على بعض ما نظمناه : " شعر المناسبات " " (١) .

ثم يتسـاءل غنيم عن معنى هذا المصطلح الذي شاع على ألسنة النقاد في الساحة الأدبـية في العصـر الحديـث وماذا يريدون من قولهم شاعر مناسبات أو شعر مناسبات فيجيـب هو نفسه قائلاً : " أيريدون أن يكون الشعر كله تشبيباً بالحسان ، وشكوى من تبريح الهجران ، ووصفاً لأمواج البحار ، ورمال الصحراء ، والنجوم المتلألئة في السماء ؟ إن كـان الأمر كذلك فقد باعد هؤلاء بين الشعر والحياة ، أو ربطوا بينه وبينها بخيوط أوهى من نسيج العنكبوت " (٢) .

فهـذا اسـتنكارٌ جميل حمله على أولئك القوم الذين أطلقوا هذه التسمية جزافاً وحاولوا أن يلغوا صلة الشعر بالحياة . ولم يكتف غنيم بهذا الاستنكار ؛ بل إنه ردّ عليهم وفنَّد مزاعمهم وبين الخطأ والزلل فيما يدعون إليه قائلاً : " ويكفي في الرد على هؤلاء : أنَّ أخلـد ما في الشعر العربي قديمه وحديثه ما ارتبط منه بأحداث معينة ؛ كمعلقة عمرو ابن كلثوم ، وبائية أبي تمام في فتح عمورية ، ونونية شوقي في توت عنخ آمون " (٣) .

ولم يكتف بهذا الرّد وحده ؛ بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما رأى أن شعر المتنبي قيل كلـه - تقريباً — في مناسبات خاصة ، وفي أتفه أبواب الشعر - وهو المدح — ومع هذا فقد استطاع أن يضمنها حكمه ويفرغ فيها فلسفته حتى فرضها على الناطقين بكل لسان في مختلف العصور والأزمان (٤) .

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠١ .

(٢) السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) السابق ، ص ٣٠١ .

(٤) السابق ، ص ٣٠١ .

ثم يرد عليهم برد آخر أقوى وأشد من سابقيه وهو أن القرآن الكريم – وهو كلام الله – نزل في مناسبات متعددة وارتبط بأحداث تاريخية معينة .[1] .

ثم خرج عن دائرة الأدب العربي و لم يكفه ذلك الرد الجامع فراح يستدل لهم بأنَّ الإلــياذة والأوديســة وهمــا أقــدم ما عرف في عالم الشعر قد نظمتا في حوادث معينة ومناسبات خاصة .[2] .

ويخلــص محــمود غنيم من ذلك كله إلى " أنَّ الشاعر لا يسأل : فيم نظم ؟ بل يسأل : كيف نظم ؟ وعلى أي نحو تناول ما عالجه من الموضوعات "[3] .

والواقــع أن مــا ذهب إليه الشاعر هو الصحيح ؛ لأن الشعر إذا لم يرتبط بحدث يؤجــج الفؤاد لم يكن شعراً . فالشعر ما هو إلاَّ مواقف معينة ينفعل بها الأديب ويتفاعل معهــا . ومــن هنا نستطيع القول إِنَّ نظرة غنيم هذه جاءت معتدلة بعيدة عن التحامل والتعصب ، لأنَّ همه الوحيد خدمةُ لغته وأدبه .

٦ – غنيم والصدق :

كــان غنيمٌ يميل إلى مقولة " إنَّ أعذب الشعر أصدقه "[4] . ويقصد طبعاً الصدق الفــني الــذي يعــني : " أصالة الكاتب في تعبيره ، ورجوعه فيه إلى ذات نفسه ، لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة . وهذا الصدق الفني أو الأصالة هي أساس تقدم الفنون جميعاً ومــنها فــنون القول "[5] . – فنُّ الشعر على وجه الخصوص – ومحمود غنيم في هذا الحكــم الــذي أطلقه كأنه يوافق بعض النقاد القدامى الذين يرون أن الشعر الخالد هو ماوافق الواقع، يقول ابن رشيق : " وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(٢) السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) السابق ، ص ٣٠٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٥٤ .

(٥) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، د.ط ، (القاهرة : نهضة مصر للطباعة ، ١٩٩٦م) ص ٢١٤ .

وعُـــيّرت، فحـــط الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة ،ومضى صفحا عن الآخرين ، لما لم يوافق الحقيقة،ولا صادف موضع الرَّمية " [1] .

ويخـــالف في الوقـــت نفسه عبارة من قال " إنَّ أعذب الشعر أكذبه " والتي فسرها عبد القاهر بقوله " الشعر لا يكتسب من حيث هو شعرٌ فضلا ونقصاً وانحطاطا وارتفاعا، بأن ينَحَل الوضيع صفةً من الرفعة هو منها عار ، أو يصف الشريف بنقصٍ وعار، فكم جواد بخلـــه الشـــعر وبخيل سخاه؛ وشجاع وسمه بالجبن وجبان ساوى به الليث ... ثم لم يُعتبر ذلـــك في الشعر نفسه حيث تنتقد دنانيره وتنشر ديـــــــابيجه، ويفتق مسكه فيضوعُ أريجه" [2] .

فعبد القاهر هنا لايجعل الصدق باعتباره المطابقة للواقع مقياساً في نقد الشعر ، فأجود شعر الهجـــاء والمـــدح - في رأيه - ما قام على مخالفة الواقع والحقيقة . وعلى هذا " فالكذب الـــذي أباحـــه نقاد العرب نوعان : أحدهما وصف الممدوح أو المهجو بما ليس فيه من صفات ، وثانيهما ألوان الخيال المختلفـــــة التي يستخدمها الشاعر ، ليجعل شعره أكثر وضوحا وتأثيرا " [3] .

وأعذب الشعر في نظر شاعرنا ما لامس النفس والتصق بها وعبرّ عما يختلجها من مشاعر في صور فنية صادقة ليست مزيفة ولا مقلدة . وقد استطاع من خلال نقده لمجتمعه ، وثورته على الظلم ، ودعوته إلى الوحدة والعودة إلى الاستمساك بالإسلام والعروبة أن يقدم أوضح دليل على صدقه الفني .

---

(١) ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده ، الطبعة الخامسة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م) ، ٢/١٤٧ .

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ، ١٤١٢ هـــ / ١٩٩١م ، ص ٢٧١ .

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٢٨ .

ثانيا : التكوين النفسي :

لكل إنسان في هذه الحياة تكوينه النفسي الخاص به سواء كان شاعراً أم كاتباً أم صانعاً أم فلاحاً أم معلماً . وذلك منذ نشأته الأولى على وجه هذه الحياة . والتكوين النفسي يقصد به عند علماء النفس " التغييرات الجسدية والانفعالية والإداركية والاجتماعية التي يقوم بها الكائن الحيّ الإنساني في سلم الحياة حين يبدؤها جنيناً فوليداً فرضيعاً ففطيماً فطفلاً فمراهقاً فشاباً فرجلاً فكهلاً ثم شيخاً " [1] أوهو بمعنى آخر " حقيقة فسيلوجية سيكولوجية يتكون في إطار من العوامل المتفاعلة من استعدادٍ فطري هو هبة الطبيعة الإنسانية مع ما يحيط به من رعايةٍ بيئية تحدد كثيراً من مظاهر الفطرة ، وترسم لها طريق التكوين النامي " [2] .

و غنيم – وهو ما نعنيه هنا – كان معتدلاً في تكوينه النفسي عموماً . فانفعالاته وسلوكياته وأفعاله وطبيعته كانت هادئة ومعتدلة منذ طفولته . والسبب في ذلك يرجع إلى تدينه وتعليمه ؛ حيث إنه كما أشرت سابقاً نشأ نشأة دينية خالصة في ظل أسرة صالحة وبيئة محيطة محافظة .

فهو واضح الشخصية اشتهر بالصراحة ، والمجاهة ، والثبات على الفكرة التي يؤمن بها ويعتقدها صالحة ، ولكونه عربيا يحب العروبة فقد توّلد عنده اعتداد بأصله العربي يقول :

سل المعالي عنّا ، إننا عربٌ شعارنا : المجدُ يهوانا ونهواه

هي العروبة ، لفظٌ إنْ نطقت به فالشرق ، والضاد ،والإسلام معناه [3]

وهو لا يقف عند حد معين من المجد وإنما يحاول السّير إلى قمته وذروته شأنه في ذلك شأن المميزين والمبدعين يقول معبراً عن طموحه العالي :

خليليَّ ، هل للمجد حدٌّ فأنتهي إليه ؟ لقد طال العبورُ ، ولم أُرس

مآرب ترى كلما نلتُ مأربا تنازعني عنه إلى غيره نفسي

---

(١) عبد الحميد محمد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، الطبعة السابعة ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢م) ، ص ٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٥٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ، ص ٧٩ .

فلا النفسُ إنْ أبلغُ تقف عند غايـــــة ولا هي إنْ أُخفق تُرحني باليـــأس [1]

ولكونـــه من أبناء الرِّيف فقد تكونت عنده كثير من صفات القرويين المعروفة من الهـــدوء ، والصّبر ، وطيب النفس ، والخلق الصريح ، انظر إليه وهو يصف القروي بهذه الصفات :

أكبرتُ في القروي حدة عزمـــــه وحسبته في صبره " أيوبـــــــاً "
ورأيت طيب النفس فيه سجيّـــــة ووداده سهل المنال قريبـــــــا
فيه ترى الخلق الصريح ، ولا تـــرى ضحك النواجذ بالخديعة شيبـــا [2]

ومن العوامل التي كونت شخصية شاعرنا حُبه الأكيد للتّعلم والتّعليم . ومشواره العـــلمي الحافل بالجد والإثارة خير دليل على ذلك . وخير علمٍ تعلمه بعد حفظه للقرآن اللغـــة العربية والأدب العربي . وقد شارك في معظم أعياد (العِلْم) التي أقيمت في عهده يقول في مهرجان العلم :

عيدٌ تألقّ : لا شمسٌ ، ولا شهـــبُ لكن كواكبهُ : الأقلامُ والكتـــبُ
والعلمُ روحٌ من الرحمن مُقتبـــسٌ ونوره من ضياء الله مكتســـبُ [3]

ويقول في نشيد عيد العلم :

في مهرجان العلم ، يامصرُ ، اطـــربي يا معقل العلم ، وحـــصن الأدب
يا مصرُ ، يا كنز علوم العـــرب بشراك بالعهد الجديد الذّهـــبي [4]

و غنيمٌ دائماً يبحث عن كُنْه السعادة وحقيقتها ويتساءل أين توجد يا ترى ؟ هل هي في الشعر ؟ أم في الزوجة ؟ أم في الولد ؟ أم في الوظيفة ؟ أم في المال ؟ ولكن بعد أن يلقاها ويجدها سرعان ما تسلب منه وتفلت من بين يديه ، يقول :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

(٢) السابق ، ص ١١٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٦٠٦ .

لم أدر ما كنه السعادة في الصِّبـــا فإذا بها موفورةٌ أسبابهـــــــا
حتى إذا أصبحتُ أدرك كنههـــــا سلب السعادة من يدي سلاّبهـــا [1]

وبعــــــد تخرجه في دار العلوم والتحاقه بالوظيفة في تلك القريةٍ النائية تكوّنت لديه كتلة غضب عنيفة في بداية حياته الوظيفية ؛ حيث كان يحس بعزلة شديدة عن جوّه الأدبي وعمـــا كان يطمح إليه من مجدٍ عريق لا يتحقق إلاّ بوجوده في القاهرة موئل العلم والأدب . فقـــال في تلك الفترة قصائد مدوية سُمع صداها حتى عند أدباء المهجر . انظر إليه وهو يبعث شكواه من وجوده في تلك القرية وأنَّ شبابه قد ذوى بين جدرانها عبر هذه الأبيات الأثيرة :

أيذوي شبابي بين جدران قريـــــة يبابٍ كأنَّ الصَّمت فيها مخيـــم ؟
أكادُ من الصّمت الذي هو شاملــي إذا حُسب الأحياءُ ، لم أكُ منهـــمو
وعاشرتُ أهليها سنين ، وإنـــــي غريب بإحساسي وروحي عنهمو [2]

وتســـتمر هذه الشكوى المؤلمة والمرارة القوية من عمله في تلك القرية النائية . فها هـــو يتبرم ويتسخط من الأماني والوعود الكاذبة حين وعدوه بأن يكون في القاهرة بعد تخرجه . ولكن للأسف فقد دمرّوا أحلامه وأمانيه وأبعـــدوه وأغلقوا باب الـــرزّق عنه :

أفتلك عاقبتي وذاك مــــــآلي ؟ خُطُّوا المضاجعَ ، وادفنوا آمـــــالي
لا تخدعوني بالمنى وحديثهـــــا قد كان ذلك في الزّمان الخـــــالي
ولقد برمتُ بمصر حين وجدتهـــا قبرَ النبوغ ، ومسرح الجهَّـــــال
أبصرت باب الرزق فيه مفتحـــاً إلاّ عليّ ، فمحكم الإقفــــال [3]

وهـــو لم يتـــبرّم ويتسخط من الوظيفة فحسب ، وإنما اشتكى من قلة (الرّاتب) الذي يفلت من بين يديه كما يفلت الماء من بين الأصابع فأيام شبابه قد ذهبت هدراً دون أن يجمع شيئا من المال :

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٤

(٣) السابق ، ص ٢٤٠ .

ولي راتب كالماء ، تحويه راحـــتي فيفلت من بين الأصابع هاربـــا

إذا استأذن الشهرُ ، التفتُّ فلم أجـد إلى جانبي إلاَّ غريماً مطالبـــا

قضيت حياتي بين داري ومكتـبي فألفيت وجه العيش أصفر شاحبـا

تشابهت الأيام عندي ، كأنمـا مضى العمر يوماً واحداً متعاقبـا [1]

ويمضي غنيم في معاناته النفسية مع الوظيفة فتلهج نفسه بكثير من القصائد النَّفيسة أمثال (مَنْ للموظف ، والعلاوة ، والكادر) . وهو دائماً يتحدث عن الأمل وكأنه بذلك متأثر بالشعراء الرومانسيين أو بجماعة (أبولو) . فهو يشكو من أمله الطائح – كما سّماه – وذلك بسبب الواقع المرّ الذي يعاني منه :

أيها الهادي إلى وادي الفنـــاء أملـي المعسول في واديك طاح

شدت في وهميَ صرحاً من رجـاء فإذا صرحي تذروه الريـــاح [2]

ومع أنه شكى من الأمل الطائح ، إلاّ أننا نجده في آخر المطاف يقرر أنَّ لذَّة العيش في الأمل وأنَّ الرجاء أفضل من اليأس والقنوط :

ما ألذَّ العيش في ظل الأمـلْ ! فاسبحي يا نفسُ ، في جوِّ الخيـال

لا تقولي : " ليس " بل قولي " لعل " وتعالي نئدُ اليأسَ تعـالي [3]

وبهذا أستطيع القول بأن غنيماً قد تلقى أول صدمة من الواقع المؤلم عندما عين مدرساً في تلك القرية النائية فخابت آماله ، وكثرت مسؤلياته ، مع ضآلة الراتب وقلته فأحسَّ بالإحباط وخيبة الأمل ، وبسبب هذا الواقع المؤلم الذي عاشه تشكلت لديه عقدة من غدر الأيام وجورها ، فعندما رزق بأول مولود أنشأ قصيدة يخاطب فيها ذلك الصغير يفصح فيها عن خشيته وخوفه على مولوده من جور الأيام وغدر الليالي التي لم تنصف أباه قبله :

سرَّك اليومَ قولهم أم أســاءَكْ حين قالوا : هذا غلامٌ جـاءك ؟

أيها الطارق الجديدُ ، سلامـاً أسألُ الصفح إن أسأتُ لقـاءك

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) السابق ، ص ٢٤٥ .

علم الله مأكرهتُك ضيفـــــــاً لا ، ولكنني كرهتُ شقـــــــاءك

بتُّ أخشى عليك جور الليـــــالي . فالليالي ما أنصفت آبـــــــاءك [1]

وبسبب تلك التنشئة الريفية والدينية كان غنيم رجلاً كريماً سخياً على الرغم من ضـــيق يده وله أبيات كثيرة يدعو فيها إلى الكرم وإكرام الضيف ومنها تلك القصيدة التي يداعب فيها زميله الشاعر (محمد الأسمر) :

صُمْ إذا ما الضيفُ جـــــــاءك وامنح الضيفَ عشـــــــــاءك

واجعل الصّوف غطاء الضـــــــ (م) ـــــيف ، والسقف غطـــــــاءك

لا تكن كزاً شحيحـــــــــــاً يكره الله لقـــــــــــاءك [2]

وهو في الوقت نفسه كثير العطف على أسرته يحبهم ويعطف عليهم ، ولا عجب في ذلـــك فهـــذه عادة القروي المتدين . انظر إليه وهو يصف حال طفلته الصغيرة التي لم يـــتجاوز عمرها ثلاثة أعوام عندما أصابها المرض فهو في قلقٍ وانشغال عندما تئِن وترتفع درجة حرارتها يعاني من معاناتها ويمرض من مرضها :

أُصيبت ، ولم تدر كيف تبـــــين إذا سُئِلَت ، فالجواب الأنـــــين !!

وحينَ يُلحُّ عليها السُّعـــــــالُ تشيرُ إلى صدرها باليمـــــــــين

وتنفذ آهاتها في الفـــــــؤادِ فتفعلُ فعل المدى بالوتـــــــــين

تكاد الحرارة تصهرُ قلـــــــبي إذا ناهزت عندها أربعـــــــين [3]

ومن أبرز العوامل التي أثرت على شخصية غنيم الريف الجميل والطبيعة الساحرة يقول د. محمد أحمد سلامة : " وكانت الطبيعة زاداً لشاعرنا الغريد ؛ نهل منها ووقف في محرابها ، وعبرَّ عنها في قصائد رائعة " [4] .

فجمـــال الـــريف وسحر الطبيعة كانا له زاداً قوياً في شعره ، يقول مخاطباً الريف الذي كان مربعاً لطفولته وذكراً لأيام صباه :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٦١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٦٦ .

(٤) دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص١٠ .

قدستُ فيك من الطبيعة سرهـــــا أنعم بشمسك مشرقاً وغـــــــروبا

ولقد ذكرتك فادَّكرتُ طفـــــولتي وتمائمي ، طوبى لعهدك طـــــــوبى

كست الطبيعة وجه أرضك سندســـاً وحبت نسيمك -إذ تضوع- طيبا [(١)]

ففـــي أحضـــان هذه الطبيعة الساحرة نشأ الشاعر وترعرع متأثراً بصفائها البهي وجمالها الشفاف .

يقول عنه د. مختار الوكيل : "كان (غنيم) عميق النظرة ، صافي التأمل ، هادىء النفس ، مولعا بالريف المصري ، ومتفانيا في حب أهله " [(٢)] .

وقد أشرت فيما سبق إلى أن غنيماً كان معتدل المزاج غير صاخبٍ ولا بكّاء يتميز بالوســـطية ومتحلـــياً بالصـــبر في كل ما مر عليه من ظروف نفسية واجتماعية . يقول د/ خفـــاجي : " قد عاش حياته مزاجاً متعادلاً من الألم والأمل ، ومن البكاءِ والضحك ومن الحزن والفرح" [(٣)] .

وقصـــيدته (كفكف دموعك) التي يبين فيها رأيه في الحياة خير دليل على تلك النفسية المعتدلة المتفائلة :

دعوني أقضي الحياة مُزاحــــــــــا وأقطعها بهجةً وانشراحــــــــــــا

لقد قرّحت جفني العَـــــــــبَراتُ وأثخن قلبي الأنينُ جراحــــــــــا

أأقطع عمري أنيناً وشكـــــــوى وألبسُ فيه الحداد وشاحــــــــــا

وما أنا والهمَّ مادمتُ ألقـــــــــى بدنيايَ خبزاً وماء قراحــــــا ؟

ومن ضاق ذرعاً بدنياه ، ضاقـــت عليه ، وإن هي كانت براحـــا [(٤)]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١١٣ .

(٢) دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص ٥ .

(٣) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢١٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٠ .

ويفلسفُ الشاعر موقفه من صروف الدهر ومحن الأيام وهموم الأزمان بقوله :

وقائل : كيف أنت في المحـــن ؟ فقلت : إلفان نحن من زمـــن
قد خلقت لي ، وقد خلقتُ لهـــا من قبلِ أن لم تكن و لم أكـــن
إذا بدت بسمةٌ على شفـــتي تشكو إلى الله غربة الوطـــن
تألبي يا خطوبُ ، واحتدمـــي عودي – كما تعهدين – لم يلـــن
ما عاد في الأرض حـــادثٌ جللٌ يحولُ بين الجفون والوســـن [1]

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

المصادر الخارجية

أولا : بيئة الطفولة :

* القرية .
* الطبيعة .
* الأسرة .

القرية

عـــاش الشـــاعر حياته الأولى – حياة الطفولة – في أحضان قرية (مليج) ذات الطبيعة الخلاَّبة بمحافظة المنوفية . فنشأ فيها وترعرع ، وعلى ضفاف غديرها لعب وهوى ، وفي مـــزارعها حرث وزرع ، وبين حقولها سعى ودرج ، وعلى رُباها استنشق هواءها العليل واستمتع بجوها البديع ، وأحسَّ بسكون ليلها وهدوئه ، وبشروق نهارها وغروبه . وفي كتاتيب القرية حفظ القرآن ، وتعلم مبادئ القراءة والحساب . كل ذلك تحت رعاية والده الذي شجعه على تعلم اللغة ، ورعى فيه موهبة الشعر .

فانـــتماء الشـــاعر للقرية كان منذ ولادته ومُذْ التصق بالإنسان والمكان والفلاّح والحقل والحيوان والغدير . كل ذلك كان منبعاً معيناً يستقي منه شعره ويرسمه في لوحات إبداعـــية مثيرة . والحياة الريفية التي عاشها الشاعر تشمل كل ما يتعلق بالقرى وأحوال سكانها .[(١)]

وقد سيطرت القرية على وجدان الشاعر منذ أن قرض الشعر حيث " أفرد شاعرنا باباً من أبواب ديوانه الأول للوصف ، وكان للطبيعة منه نصيبٌ كبير ، خاصة عن الريف الذي نشأ بين أحضانه ، وعشق جماله الموهوب ، وأعجب بشمسه في شروقها والغروب ، وتذكر ملاعب صباه "[(٢)] .

فأوجدت هذه النشأة في قرية مليج علاقة وطيدة بين الشاعر والمكان ، فلم ينسها عـــندما غادر المدينة للوظيفة ؛ بل كان يزورها ويعودها : في أيام إجازته وأوقات فراغه يقـــول د. سلامة : " ولا عجب أنْ يُبدع هذا الإبداع في الرِّيف فقد نشأ فيه ، وأقام به صغيراً ، وعاد إليه مُصطافاً وهو كبير "[(٣)] .

والواقـــع أن غنيماً قد وقف من القرية مواقف متنوعة كغيرة من أبناء عصره من الشعراء فوصف مظاهر الجمال فيها ، ومجدَّ الفلاح ووقف بجانبه وساعده ، وحـــــــنَّ

---

(١) انظـــر : أنيس المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، الطبعة الثامنة ، (لبنان – بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨م) ، ص ٣٣٦ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ١٤٧ .

(٣) السابق ، ص ١٤٢ .

إلـــيها في غربته ، واشتاق إلى ملاعب الطفولة ، وذكريات الصِّبا . يقول المقدسي : " إنَّ الـــنَّزعة الرِّيفية اليوم بارزة في الأدب العربي وتتجلى لنا في ثلاث وجهات رئيسية هي : الوصـــف ، والإشـــفاق ، والحنين " [1] . وهذه النزعات الثلاثة السالفة الذكر نلمحها واضحة عند (غنيم) حينما صوّر القرية ووصفها في شعره .

وصف مظاهر القرية :

صـــوّر غنيمٌ مظاهر الجمال في القرية ، وتغنى بسحرها الصافي ، وجمالها الموهوب الآّخاذ ، وقدَّس أسرار الطبيعة الخلاَّبه ، وافتتن بمنظر شمسها وقت الشروق والغروب :

عشقوا الجمالَ الزائف المجلوبـــــا   وعشقت فيك جمالك الموهوبـــــا

قدَّستُ فيك من الطبيعة سِرَّهــــــا   أنعم بشمسك مشرقاً وغروبـــا [2]

وفي لوحة رسّام مُبدع يصور لنا غنيمُ الطبيعة القروية وكأنها جنة مقدسة فالأرض قد لبست سندساً أخضرا ، والنسيمُ العليل قد فاح طيباً وعنبراً ، والبُسُطُ تظللها الغصون المتمايلة على ماء الغَدير كأنها أمٌ تُقبّل طفلها ، وبدت النخيل الباسقات وهي تحمل غصوناً مُتزينة بحبات العقيق من أخضر اللوَّن وأحمره :

كست الطبيعة وجه أرضك سندســاً   وحبت نسيمك – إذ تضّوع – طيبا

بُسُطٌ تظللها الغصون ، فأينمــــا   يمّمت، خلت سرادقاً منصوبـــا

مالت على الماء الغصون كما انحنــت   أمٌ تقبّلُ طفلها المحبوبــــــــا

وبدا النخيل : غصونه فـــــيروزجٌ   يحملن من صافي العقيق حبوبـــا [3]

وفي أثـــناء وقوفـــه بذلـــك الرّوض البهيج في القرية يسمع أصواتاً موسيقية عذبة متـــناغمة تصـــدر عـــن (ساقية) قد أنَّت وانسكب دمعها لغير صبابة ، وحمامة هتفت وسجعت فاستجاب لها قلبه :

---

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٣٣٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١١٣ .

(٣) السابق ، ص ١١٣ .

يارُبَّ ساقية لغير صبابـــــــــــــةٍ أنّت وأجرت دمعها مسكوبــــــا

وحمامة سمع الفؤاد هتافهـــــــــا فسمعته بين الضلوع مجيبـــــا [1]

ويعلـــق أحـــد النقاد على نظرة غنيم تجاه الرِّيف فيقول عند حديثه عن الواقعية الرومانســـية : " ثم تواجهنا طائفة من الشعراء تتوسط في نظرتها بين المثالية بخيرها وجمالها والواقـــع المر الذي يحياه الفلاح وتحياه القرية ، في شكل يجمع بين الرومانسية والواقعية أو مـــا يمكننا تسميته بالواقع الرومانسي أو الرومانسية الواقعية إذا صح هذا التعبيران ، تلك هـــــي نظرة بعضْ الشعراء نذكرمنهم على سبيل المثال محمود حسن إسماعيل ، ومحمود غنيم" . [2]

ومن أهم المظاهر القروية التي صورها والتصقت في ذهنه منذ صباه صورة (الفتاة القروية) فقد ربط بينها وبين وصف الطبيعة الريفية . فرسم لنا صورتها وهـــي غادية مع قريناتها إلى غدير الماء يحملن فوق رؤوسهن (الجرار) بكل حشمة ووقار :

والغيد تغمس في الغدير جرارهــــا فيظلُّ يضحك ملء فيه طروبــــا

سربان من بطٍ وبيضٍ خُـــــــرّدٍ يتباريان سباحة ووثوبــــــــا [3]

ومن القصائد التي تحسب لـــه في هذا الصدّد قصيدته (على ضفاف الغدير) التي نالـــت استحسان كثير من الشعراء والأدباء والنقاد . إذ يصور فيها جمال القرويات وهنّ ذاهبـــــات إلى غدير الماء لملء الجرار . استمع إليه وهو يطلب من أصحابه العبور به عن بحـــر (الروم) والوقوف به على غدير القرية ليرى الفتيات وهُنَّ يَحُمْن حول الغدير في عفاف وطهر :

جنباني خليج بحر الـــــــــــرّوم وقفا بي على ضفاف الغديـــــر

ها هنا الغيد في ائتلاق النجـــــوم حُمن حول المياه مثل الطيـــور [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣ وتاليها .

(٢) منصـــور نصرة : القرية في الشعر العربي المعاصر ، د.ط ، (الإسكندرية : مركز اسكندرية للكتاب ، ١٩٩٦ م) ، ص ٣٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١١٤ .

(٤) السابق ، ١٤٧ .

ثم يندفع غنيـــم في وصفهن في لوحة جميلة مشرقة ويخرج به انفعاله قليلاً عن باب العذريـــة والعفة إلى باب الوصف الحسي . يقول أحد النقاد معلقا على ذلك : " وبالرغم من وصفه لفتاة القرية بالعفاف إلاَّ أنه يعريها بالتوصيف الحسي لكل جزءٍ – تقريباً – في جســـمها عدا مكان العفة فقد وصف الصدور ، والسيقان والحواشي – عند رفع أطراف الثياب – والوجه والرقبة والأذرع ورجرجة الأجسام الزنبقية " [1] ، انظر إليه يقول :

هُنَّ أقبلن بارزات الصّـــــــــدور ثم شمرن كل ذيل عفيـــــــــــف

يالها من طهارة في سفـــــــــــور جمع الطهر كله في الرِّيـــــــــف

* * *

قد كشفن الذيول عن سيقـــــان أرأيت الدُّمى وهُنَّ عـــــــــوار

وتقدمن في خطا متـــــــــوان يتمايلن خيفة التيـــــــــــار

* * *

رفعت ذيل حالك في السّـــــــواد عـــن حواشي مورَّد اللون دام [2]

وفي الوقـــت الـــذي يغمسن فيه الجرار يلتقط شاعرنا هذا المنظر ويصوره لنا أدق تصوير فركوعهن أشبه ما يكون بركوع الطاهرات البتول في المحراب وكم يبدو هذا المنظر جميلاً في الرحلة إلى الغدير حين يقول :

ركعت كل غادة هيفـــــاءِ كركوع البتول في الـــــمحراب

فرأت ظلّ وجهها في المـــــاء ورأى الماء فيه ظل العبـــاب [3]

ويعقـــد غنـــيم مقارنة لطيفة بين جمال الفتاة القروية وجمال الفتاة المدنية ويشيد بالجمال القروي ؛ لأنه طبعي غير متكلف ولا مُتصنع فهو "هبةٌ من الخالق ، غذته الطبيعة بعوامـــلها، فالشمس ، و الهواء النقي ، وحياة الحقل، و الزروع كلها عوامل تبعث القوة والحيوية في دماء الريفيات وتضفي جمالاً على جمالهن" [4] ومن هذه السمات الجمالية التي أبرزها الشاعر في فتاة القرية أن سيقان القرويات مصقولة ناعمة لم تعـــرف جوارب

---

(١) القرية في الشعر العربي المعاصر ، ص ٥١٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد، ص ١٤٧ .

(٣) السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) القرية في الشعر العربي المعاصر ، ص ٥١٤ .

الحريـــر ، ورؤوســـهن إنما خلقت للأعباء لالقص الشعور ، ووجوههن طبيعية لم تعرف الأصباغ ولا الأطلاء كما تفعل معظم فتيات المدينة ؛ بل إنَّ ألوان بشرتهن الحمراء طبيعية جرت في الوجوه كجري ماء النمير :

تلك سوق مصقولةٌ في العـــــــراء لم تمس في جواربٍ من حريـــــــر
ورؤوس خلقن للأعبـــــــــــــاء لا رؤوس ألفن قص الشعـــــــور

* * *

ما ترهلن في ظلام الخـــــــــدور أوطلين الأديم بالألـــــــــــوان
بل جرت في الوجوه جري النمـــير حمرة الشمس صبغة الرحـــمن [1]

فهـــذه الأبيات تصور عشقه للريف وأهله ، وتدل على مدى محبته لهم وإعجابه الشديد بكفاح المرأة الريفية في سبيل عيشها واستقرار أسرتها .

وما يلفت نظرنا هنا أنَّ غنيماً قد وصف في شعره بعض الأدوات التي يستخدمها الفـــلاح في زراعـــته . ومن تلك الأدوات (المحراث) الذي يعد من المستلزمات الرئيسية للفـــلاح ،والمحراث آلة مصرية قديمة تحرث الأرض وقد شبهه الشاعر بريشة الرسام الذي يخطط الصفحات البيضاء في روعة وإتقان:

يخطط الأرض في نظمٍ وإتقـــــان كأنه ريشة في كف فنـــــــــــان
يخطط الأرض لكن لا يلونهـــــــا فإن نما زرعُها ، ازدانت بألـــوان [2]

ولولا المحراث لما أخرجت الأرض بركاتها :

لولاه ما جاد بالخيرات باطنهـــــا ولا جنى ثمراً من ظهرها جـــان [3]

الاهتمام بالريف وتقدير أهله :

غنيمٌ ابن القرية عاش فيها ، واختلط بأهلها ، وتطبع بطباعهم ، ولبس من لبسهم ، وأكل من أكلهم ، وحزن في حزنهم ، وفرح في فرحهم ، وعالج قضاياهم ودافع عنها

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص١٤٩.

(٢) السابق ، ص١٣٩.

(٣) السابق ، ص١٣٩.

وأخلص لهم ، وتغنى بأخلاقهم ، وأشاد بأمجادهم ، ووصف مكارمهم . ومدحهم بثبات العقيدة ، وأسبل على نسائهم أوصاف العفة والحشمة والوقار كيف لا : " وهو متعصبٌ للـــريف وبناته ، وقد ألف أن يمضي عطلة الصيف في أحضانه ، مؤثراً الاستمتاع بجماله الطبعي الصادق (غير المجلوب) " [1] ومن ذلك قوله في أهل الريف :

حييت فيك الثابتين عقائـــــــدا	والطاهرين سرائراً وقلوبـــــــــــا
والذاهبات إلى الحقول حواســــــرا	يمشي العفاف وراءهن رقيبــــا [2]

والـــريف في نظـــره مصدر إلهام لأصحاب القريحة من الشعراء والكُتاب . وأهل القرية أصحاء لما يتمتعون به من بيئةٍ سليمةٍ ، وهواء نقي ، تسري أشعة الشمس في أبدانهم وهم فوق ذلك يتمتعون بأجسام رياضية معتدلة بسبب المشي بين الحقول الفسيحة . وفي هـــذا ردٌ عـــلى من زعم أن الريف مرعىً للماشية ومأوى للحشرات والأوبئة ومستودع للحظائر والبهائم :

زعموك مرعىً للسّموم ، وليتهـــم	زعموك مرعىً للعقول خصيبـــــا
فهي القرائح أنت مصدر وحيهـــا	كم بتّ تلهم شاعراً وخطيبـــــا
ماضر أهل الريف ألا يحفلـــــــوا	بالطب ، أو لايعرفوا (الميكروبا) ؟
ضمنت سلامتهم سهولة عيشهـــــم	وصفا هواؤهمو ، فكان طبيبـــــا
وسرى شعاع الشمس في أبدانــــهم	فجرى بأوجههم دماً مشبوبـــــا
سر في الحقول ، ترى الرياضة عندهم	فناً ، وخطاً عندنا مكتوبـــــا [3]

الفلاح بين عهدين :

بقـــى الفلاح في عنت ومشقة وظلمٍ وحرمان حتى تفجرت ثورة يوليو (١٩٥٢م) بمصر وأولـــت الفلاحـــين اهـــتمامها ورعايتها. و لم يكن غنيم في هذه الفترة بعيداً عن أخوانه الفلاحـــين ؛بل دافع عنهم وعالج قضايهم في شعره كيف لا وهو فلاح ابن فلاح يعرف معاناهم ويحس ما يحسون به من فقر وحرمان وإهمال عانوا منه سنين عديدة .

(١) دموع على الشاعر محمود غنيم ، من كلمة الدكتور / مختار الوكيل ، ص٤٥.

(٢) الأعمال الكاملة . صرخة في واد ، ص١١٣.

(٣) السابق ، ص١١٥.

ومبعث الإشفاق على الفلاح كان سائداً في أدبنا المعاصر يقول المقدسي عن قضية الفـــلاح :" وهو عادة مستسلم لأولي أمره لا يعرف إلا ما ألفه ودرج عليه وأولو الأمر قلما يهتمون من شأنه إلا بما يعود عليهم بالخير والربح" (١) .

وفي هـــذا الصـــدد يشـــيد غنيم بالفلاح لالتصاقه به وانتمائه إليه ،وله قصيدة بعنـــــــوان (الفلاح) يصف فيها الفلاح ويصور قطرات العرق السائلة على جبينه بحـــبات (اللؤلؤ) وهي في تألقها ولمعانها برقٌ لامع . وتلك القطرات من العرق توحي بالتعب والمشقه والمكابدة . ولكنه مع ذلك يختال في سيره عزة وكرامة كالأمير :

شاهدت لؤلؤةً كالبرق تأتلـــــــق   على جبين أمير سار مختـــــــالا (٢)

ثم يســـألها في صورة إنسانية رائعة عن هويتها ، فتجيبه بأنها عرق الفلاح المسكين الذي يحرث الأرض بمعوله ليأكل منها غيره :

فقلت : ما أنت ؟ قالت : إنني عرق   من جبهة الزارع المسكين قد سالا (٣)

وهـــنا يشـــتد انفعاله لحالة الفلاح المسكين الذي أصابه العنت والمشقة والحرقة . فالـــناس تـــنعم وتشبع وهو جائع بائس لاجاه له ولا مال ومن أين يتأتىّ له ذلك والملاّك وسائر الناس قد امتصوا مامعه من خير ؟ :

الناس تنعم ، والفلاح يحـــــــترق   وليس يحرز : لا جاهاً ولا مـــــالا !

امتصه الناس حتى ما به رمــــــــق   كأنه صُب للإيثار تمثـــــــالا (٤)

فهذه الأبيات السابقة في شأن الفلاح وأحواله دليلٌ قاطع على أنَّ الشاعر : " مولع بالـــريف المصري ، ومتفان في حب أهله ، الذين يجدون السعادة أقصى السعادة في العمل الدائـــب الشـــريف ، إنهم يبدون في شعره أمثلة ونماذج للأبطال الكادحين ، وفي بواكير نظمه ما ينطق بحبه الصادق النبيل لأهل الرِّيف الصابرين " (٥) .

---

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص٣٤٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٨٢ .

(٣) السابق ، ٢٨٢ .

(٤) السابق ، ٢٨٢ .

(٥) دموع ، ص ٤٥ .

وفي قصـــيدته (راهـــب الحقل) يشبه ارتباط الفلاح بالخالق (عز وجل) منذ أن فطره وأوجده في ذلك الحقل بالرّاهب العابد في محرابه الذي لم يعتره شك في وجود الله :

راهبٌ خطَّ في القُرى محرابـــــــــه | بين شطِّ الغدير واللَّبْلاَبـــــــــــةْ
عاش للحقل والنبات فكانـــــــــا | دينه في حياته وكتابـــــــــــــــــه
عرف الله فطرة لا اكتسابـــــــــا | فرجا عفوه وخاف عقابـــــــه ! [1]

ومواقـــف غنيم من قضية الفلاح واضحة وبينة من خلال ما عرضه لنا من قصائد عظـــام . اســـتمع إليه وهو يقدم لنا نماذج رائعة من ذلك الكفاح المرير للفلاح وكيف استطاع الاقطاعيون أن يتخذوا منه جسراً للعبور إلى قمم المجد العالية ، وأن يظفروا من ورائه بالمال والجاه وهو يكدح ويتعب ويشقى :

ما لهذا الملاكِ أمسى وأضحـــــــى | وهو نهبٌ ، مُقسَّمٌ لعصابـــــــــه
صرفوا الرَّاهبَ البتول عن الـــلـــــــ (م) | ـــه ، وصاروا من دونه أربابــــــه
عبروه جسراً إلى المجد ؛ حـــــــــتى | بلغوا فوق منكبيه الذُّؤابــــــــــه
باسمه يظفرون بالمال والجــــــــــا (م) | ه ويقضي كل امرئ آرابـــــــــــــه
وهو يشكي من الطوى ، لاصق بالـــ | أرض ، يجترُّ حلقُه أوصابــــــه ! [2]

وبقى الفلاح يعيش في هذا التّوتر النفسي الرهيب نتيجة لذلك الظلم الاستبدادي وهو لا يملك من أمره شيئا سوى أن يرفع يديه إلى السماء داعياً الله أنْ يَفُكّ أسره وضيقه ولا يمضي طويل وقت حتى تتفجر الثورة التي بددت الظلم والقهر الذي كان يمارس ضد الفلاحـــين ويســـلب حقوقهـــم وأموالهم ، فاستبشر الفلاح بها خيراً وعادت أنفاسه إليه مستعيداً إيمانه بعد الشك الذي سيطر عليه ونغص حياته فتره طويلة من الزمن :

بسط الراهبُ البتولُ يديـــــــــــه | ودعا الله دعوة مستجابــــــــــــه
ظلَّ في أرضه غريبـــــــــــــاً إلى أن | بعث الله من يردَّ اغترابــــــــــــه
فإذا ثورةٌ على الظلم تَـــــــــبْري | رأسه ، ثم تقتفي أذنابـــــــــــــه

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٧٦٦ .

(٢) السابق ، ص ٧٦٧ وتاليتها .

وإذا الراهب الذي نَسيِ الشَّـــــدْ (م) وَ ، من الشجو يستردُّ ربابـــــــه
مستعيداً إيمانه بعد شـــــــــكٍ في السموات كاد أن ينتابـــــه [(١)]

الحنين والهروب إلى القرية :

ارتـــبط محمود غنيم بالقرية منذ صغره ، ومع أنه قد هاجر إلى المدينة فقد تعود أن يـــتردد على القرية مصطافــــاً مشتاقاً إليها ؛ لأنها مصدرٌ للجمال والذكريات بما تحويه مـــن ملاعـــب الصـــبا ومراتع الطفولة . والحنين إلى القرية مظهرٌ " عامٌ في معظم الشعر القـــروي . وأكـــثره من قبيل التشوق إلى مرح الصِّبا وعهود الحياة الأولى . والإنسان في الـــتفاته إلى الماضـــــــي كثيراً ما ينسى أوقات الشّقاء فتراه مغموراً بنشوة من ذكريات هنيئةٍ " [(٢)] .

ومن هذا القبيل ما نراه في قصيدة (الرِّيف) السّالفة الذكر فهو يتذكر فيها عهود الصبا و مراتع الطفولة كعادة الشعراء الذين يتشوقون إليها ويبكون زمانهم الأول :

ولقد ذكرتك فادَّكرتُ طفولـــــتي وتمائمي ، طوبى لعهدك طوبـــى [(٣)]

ويشكل الهروب من المدينة إلى القرية مظهرًا رومانسياً عند الشاعر خاصة وأنَّ جوّ المديـــنة حافلٌ بالزِّحام والصخب وأصوات المركبات ، وضجيج المصانع ، وربّما يكون الهروب منها " لأبعادٍ سياسة أو اقتصادية ، أو نفسيه أو غيرها من الأسباب " [(٤)] وفي ظلّ تلك الظروف السابقة أو بعضها ظل شاعرنا يحنُّ إلى سكون الليل في القرية ، وإلى الحياة الهانـــئة الجالبة للسعادة الحقيقية التي رُبّما تحققت في كوخٍ صغير بدلاً من قصر منيف ، و يعيـــب عـــلى الحضـــارة الزائفة المنمّقة بالمحاسن من الظاهر لكنها في الباطن تحمل أشد العيوب :

نشر السكونُ على القرى أعلامـــه فتكاد تسمع للفؤاد وجيبــــــــا
بدت الحياة هناك في ريعانهـــــا ولوَاهُا سارت تدب دبيبــــــــا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦٨ .
(٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٣٤٦ .
(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١١٣ .
(٤) القرية في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٧٥ .

ولقد ينام القوم ملء العـــــين في زمنٍ يقضُّ مضاجعاً وجنوبـــــــا

وهي السعادة ، كم أوت كوخاً ، وكم هجرت أشمّ من القصور رحيبـــــا

قالوا : الحضارة ، قلت : أسفر وجهها وبدت محاسنها فكنّ عيوبـــــا [1]

والقرية هي مسقط رأسه ومصدرُ ألحانه فيها بدأ الهوى وعلى مسرحها تعلم ولعب ، وهي مصدرُ زفراته وأنّاته ولها عنده قداسة كقداسة بيت حرام :

سائلاني عن أهل تلك المغــــــاني إنّ هذا الأديم مسقطُ رأســـــــي

لقّنتني طيورُه ألحـــــــــــاني وسقاني هواه أوّلَ كـــــــــأس

مسرحٌ كنتُ فوقه منذ حـــــــين وعليه لعبتُ دور الغـــــــــلام

لك ــ يا ريفُ ــ زفرتي وحنيـــــني لك عندي تقديس بيت حـــــرام [2]

فهو ملتصق بها تماماً لم يستطع أن ينقطع عنها بعد أن هاجر إلى المدينة فخصص لها جانبا من زياراته ، وكان يقضي صيفه فيها ، ويتغنى بها في أشعاره وأسفاره .

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١١٤ .

(٢) السابق ، ص ١٤٩ .

الطبيعة

كـــان غنـــيم شاعراً يجيد الوصف الدقيق للطبيعة والغوص في أعماقها ، وعندما يصـــف يبدو وكأنه يحاول أن يُطبق ما قاله ابن رشيق في (عمدته) : " أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً " [1] وهذا ما يسمى تراسل الحواس .

و لتميز شاعرنا برهافة بالغة في الإحساس ، ودقة بارعة في التصوير ، وملكة قوية في التذوق . فقد استلهم أغلب مظاهر الطبيعة في عصره من ريفٍ وروضٍ ونهرٍ وبحرٍ وقمرٍ ... واستطاع " الوقوف عند مظاهر الوجود ، ومناجاة الطبيعة واستلهامها " [2] .

ولا أحـــد يستطيع أن ينكر هذا المصدر عند الشاعر أو يقلل من شأنه وإبداعه فيه فالطبيعة هي المصدر الأول المغذي لشعره . فكانت ملهمة وموحية له في معظم آثاره الفنية الشـــعرية . وعلاقـــته بها قديمة منذ أن وجد على وجه قريته القابعة في أحضان الطبيعة ، فكانـــت زاداً له نهل منها وعبر عنها . فصور الكون والحياة في قصائد كتب لها السرور والخلود .

ولدراســـة هذا المصدر المهم عنده فإني سوف أقف عند كثير من النماذج والأمثلة التي تبين مقدرة الشاعر في هذا الباب . وقد حاولت تقسيم عناصر الطبيعة عنده إلى عدة أقسام لتسهل الدراسة ويتضح المراد . وهي كما يلي :

١ – الطبيعة النباتية (الروض) .

٢ – الطبيعة الفصلية .

٣ – الطبيعة المائية .

٤ – الطبيعة الكونية .

١ – الطبيعة النباتية (الروض) :

الأريـــاف المصـــرية غنيةٌ بالخضرة والجمال والرياض الغناء . و(الروض) بصـــفة العموم : تضم جميع مظاهر الطبيعة من أزهـــار ، وورود ، وأنهار ، وطيورٍ ، وأشجارٍ ، ففي قرية (مليج) ؛ حيث مرتع صبا الشاعر ومجلى أنسه بقاع جميلة تزدان بطبيعة ساحرة

---

(١) العمدة ٢/٢٩٥ .

(٢) دموع ، من كلمة د/ كامل السوافيري ،بتصرف ، ص٣١ .

وفي (كـــوم حمادة) رياض غناء وظلالٌ وافرة ، حركت في نفس الشاعر انعكاساً رائعاً جعلته يهيم بالرياض ، ويصفها وصفاً رائعاً .

ففي الروض رمالٌ فضية يتخللها عشب أخضر ، وماءٌ زلال :

جلستُ على بساطٍ من رمـــــالٍ خلال العشب والماءِ الـــــزلال [1]

أما نسيمها فقد رق وصفا ، فكان أطيب من الوصال بين المحبين العاشقين :

وقد رق النسيم ، فكان أشهـــــى إلى قلب المحب من الوصـــــال [2]

وفي الـــروض تتعانق الألحان والأصوات الموسيقية الصادرة عن تغريدات الطيور ، وهمس ماء النهر :

طيور الأيك تصدح عن يميـــــني وماءُ النهر يهمس عن شمـــــالي [3]

والنخل مثمر بحبات (البلح) كأنه أحجارٌ كريمة متلألئة ، أما شجرته فعملاقٌ عليه مظّلة ، أو ربما ماردٌ مخيف :

وبدا النخيل غصونه فـــــيروزجٌ يحملن من صافي العقيق حبوبـــــا
أرأيت عملاقاً عليه مظلـــــــةٌ أو مارداً مـــــلء العيون مهيبا؟ [4]

وفي قصيدته (عرش الجمال) التي يصف فيها آنسة مصرية فازت بلقب ملكة جمال العالم ، نراه يتعرض للروض المصرية ويصف فيها حسنها وجمالها :

وكيف يذبلُ روضُ الحسن في بلـــدٍ مخضوضرٍ ، جـــوه روح وريحان؟ [5]

وتجتمع في الروض المصرية عادة الماء ، والظل ، والطيور :

وكل صُقعٍ بمصر روضة أُنـــــفٌ ماءُ ، وظلٌ ، وأطيارٌ ، وأغصانُ [6]

و الشاعر عندما يثور على الحضارة المدنية المادية ، والرفاهية الزائدة يعود إلى الطبيعة فهي

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ص ١٣٣.

(٣) السابق ، ص١٣٣.

(٤) السابق ، ص ١١٤.

(٥) السابق ، ص ١٥٩.

(٦) السابق ، ص ١٥٩.

"ملاذه ومُستراحه من نعيم الحضارة الزائفة " (١) وفي هذه العودة إلى الطبيعة يجد كل ما يفتقده في المدنية من الراحة ، والسعادة ، والحنان ، والشفقة :

هي الطبيعة ، مابر الأنامُ بهــــــا أُمّاً ؛ وبرت بهم من قبــــــل أنجالا
عودوا إلى حجرها إن شئتمو رغــدا كما نشأتم بهذا الحجر أطفــــالا (٢)

ثم يقــــــــارن بين صورتين رائعتين إحداهما تمثل لحناً من ألحان الطبيعة وهو صوت (الهزار) والأخرى تمثل لحنا مصطنعاً وهو آلة (العود) الذي يمثل المدنية . فالأول في نظره أقوى أثراً في النفس من الثاني :

صوتُ الهزار وصوتُ العود أيهمــا أشجاهما أثراً في النفس فعّالا ؟ (٣)

ثم يقســـم عـــلى أن عينه لم تقع على منظرٍ في المدينة يُقارن بجمال الرمل الأصفر وحسن منظره ، والماء السلس في الطبيعة الخلابة :

أقسمت ، ما نظرت عيني بحاضــرة كالرمل أصفر ، أو كالماء سلسالا (٤)

٢ – الطبيعة الفصلية :

مـــن روافــد الطبيعة التي أمدته زاداً شعرياً عذباً فصول السنة : الربيع ، والشتاء ، والصــيف ، وكـــان لكل فصلٍ انعكاساته لدى الشاعر ، فهو لم يصفه بعيداً عن نفسه ووجدانــه ؛ بل امتزج بتلك الفصول :" فكان لكل فصلٍ معطياته من صور الجمال التي ترضــي جميع الحواس لدى الإنسان ، والتي تخلق لديه من المتع النفسية ما يجعل لكل فصل مكانة خاصةً لا تزعزها مكانة فصلٍ آخر " . (٥)

ولعــل فصــل الربــيع من الفصول المحببة لدى الشاعر ، فهو يوحي بالخير ، والخصب ، والنماء ، والجمال ، والسعة ، وهو فصلٌ جالب للسعادة ، والفرح ، والبهجة . ومن أهم ما رسمه الشاعر في الربيــع من قصائد قصيدته الرائعة (موكب الربيع) والــــتي فازت

---

(١) محمود غنيم وشعره ، ص١٠٢.
(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ،ص ٧٥.
(٣) السابق ، ص٧٥.
(٤) السابق ، ص٧٥.
(٥) الصنوبري شاعر الطبيعة ، ص ٢٨ .

بالجائزة الأولى ، في إحدى مسابقات الإذاعـــــة .[1]

وقد صور في هذه القصيدة جميع مظاهر الربيع فالنسيم رسول للربيع يحمل رسالة من الأزهار والرياض تتضمن تلك الرائحة العبقة من شذى الأزهار ، وعطر الرياض ، وفي الوقـــت نفســـه يُداعـــبُ صفحات الأمواج ، وأطراف الأشجار ، فكأنه في طوفانه قبلة عاشقٍ، وفي دبيبه في الأوصال كأس خمرٍ :

حمل النسيمُ رســـــــالةَ الأزهار	وأذاع سر الـــــــــــروضة المعطار
وسرى يداعب صفحة الأمـــواج في	سريانه ، وذوائب الأشجـــــــــار
ويطوف بالوجنات قُبلة عاشـــــق	ويدب في الأوصال كأس عقـــار[2]

ثم يُحيي الشاعر الربيع بنسيمه العليل الذي يهب في شهر (آذار) وهو بداية شهر الربيع:

حي الربيع ، وحي عطر نسيمـــــــهِ	والثم جبين الصبـــح في " آذار " [3]

ويتحدث الشاعر في مقطع آخر من القصيدة عن أثر الربيع الإيجابي للطبيعة إذ كان سبباً أساســياً في صحوة الطبيعة بعد أن طال هجوعها . فكأنها عروس مُنعمةٌ استيقظت على صـــوت آلـــة (القيثار) بعد طول منامها ." فلما جاء الربيع أيقظها ففتحت منافذ مخدعها لاســـتقبال النور شاكيةً من طول ليل الشتاء ، واحتجاب نهاره بالغيوم " [4] فأظهر الربيع مفاتنها وزينتها :

صحت الطبيعةُ بعد طُول هُجوعهـــا	صحو العـــرُوس على صَدى "قيثار"
ونضت ستائر مخدعيها ، تشتكـــــي	من طـــــول ليلٍ، واحتجاب نهار
وجلا مفاتنها الربيعُ كأنمـــــــــا	هي دميـــــــةٌ عرضت على الأنظار
حتى إذا اتقت العُيونَ ، تلفعـــــــت	من دوحهـــــا ومُروجها بإزار [5]

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٦١٧.

(٢) السابق ، ص٦١٧.

(٣) السابق ، ص٦١٧.

(٤) السابق ، ص٦١٧ .

(٥) السابق ، ص٦١٧ .

والطبـــيعة في الربـــيع (عيدٌ) سعيدٌ للشاعر من خلال ما بدت به من أثواب زاهية وجمالٍ فتان ولكن الشاعر يأبى أن يحتفل بها وحده ؛ بل أشرك معه الوحوش والطيور في اســـتجلاء محاسن الربيع التي كانت أيام الشتاء مختفية نائمة ، وقد شمل ذلك الحُسن حتى الجمادات الصُمّ من صخورٍ وأحجار :

عيدُ الطبيعةِ يحتفي وحشُ الفـــــلا	بحلوله ، والـــــــطيرُ في الأوكار
الحُسنُ فيه بكل شيءٍ ماثـــــــلٌ	حتى الصخور الصم ، والأحجار [1]

ثم يرســـم لـــنا لوحةً فنية رائعة للربيع عندما يلتقط الطيف ويطلي به الأزهار التي تكاد ألوانها تذهب بالأبصار ، ويغوص في البحر ويستخرج دُره ثم يذيبه في فم (النّوار) فيتمتع الناظر بمرأى الزهر في أحلى حلله ، أما السمع فيستمتعُ بتغريد الطيور فوق الغصون وبوسوســـة ماء النهر الجاري كأنغام موسيقية تجانست ، بينما الغصن يميل على أخيه في رقصٍ وهمسٍ كأنما يخبره سره :

لقط الربيع الطيفَ ثم طلى بــــــه	أزهارهُ فأخذنَ بالأبصـــــــــــار
واصطاد در البحر ثم أذابَـــــــــه	طلاً يسيلُ على فمِ النــــــــــوار
الطير يهتفُ فيه فوق غصونـــــــــه	فتجيبُ وسوسةُ النمير الجــــــاري
والغُصنُ مال على أخيه هامســـــاً	همس الأحبة فيه بالأســــــرار [2]

أما الطريف الجديد في وصف الربيع عنده فقد تمثل في قوله:

هو ناصبُ الأسلاكِ إن وصل الهوى	بين القلوب ومُرسل التيــــــار [3]

إذ شــبه مـــا يحدثه الربيع في القلوب من دعم أواصر الحب والهوى بوصلة التيار الكهـــربائي ومـــا تحدثـــه من شحنات كهربائية ، وجعل الربيعَ هو ناصبُ أسلاك هذه الكهرباء ومولد التيار . يقول د. سلامة معلقاً :" لقد منح الصورة من قوة الخيال، وابتكار المعاني ، وتوليد الصور، ماجعل ربيعه فريداً جديداً ؛ بل إنه أضاف إلى ذلك انطباعات.

---

(١) المصدر السابق ، ص٦١٨.

(٢) السابق ، ص٦١٨.

(٣) السابق ، ص٦١٨.

فنية متأثرة بالعلم الحديث" . [1]

وعـــلى عـــادة الشعراء القدماء نجد غنيما يدعو صاحبه للسير في موكب الربيع والـــتأمل فـــيه ، كي يسيرا فيه كفراشتين تتلمسان الأضواء والأنوار ، أو كبلبلين جميلين بروضة بهيجة يتطارحان الألحان العذبة :

رَكبُ الربيع بدت طلائعه لنـــــا	قم ، نَســر في ركب الربيع الساري
قم ، نسر فيه فراشتين بربـــــوة	يتلمســـــــان مشارق الأنوار
قم ، نسر فيه بُلبُلين بأيكـــــة	يتطارحان السجـعَ في الأسحار [2]

ثم يـــبين الشـــاعر معاناته عندما يرى الطيور محلقةً في الهواء الطلق مما يزيده شوقاً لرؤية الدنيا من الأفق ، ويوضح أن الطيور ليست مطوقة ولا أسيرة ؛بل هي كالملك على الدولة ، لأنها ترى الدنيا بحرية تامة من خلال تحليقها:

دنيا الهواءِ تشوقني أرجاؤهـــــا	إن لاح لي سربٌ من الأطيـــــار
فأُحسُّ نفسي أفلتت من قيدهـــا	ومضت محلقةً بريش هـــــزار
ما أنت ، ياطيرَ الغصُون ، مطـوَّقٌ	بل أنت عاهلُ دولة الأحـــرار [3]

وتألقُّ شمس الربيع توقد من وجدان الشاعر ، وتلهب من حرارة أشعاره ، فيزداد ولهـــه بجمال الربيع، فهو امرؤ مولع بالجمال إذ جعل حُب الجمال شعاره ؛ بل إن الحياة لاتطيب له إلا في هذا الفصل حتى وإن كثرت أثقالها وأوزارها :

إني لترهفُ في الربيع مشاعـــري	ويدِقُ حسي دقةَ الأوتـــــار
ويُمد وجداني تألق شمســـــه	بحرارةٍ تنسابُ في أشعـــــاري
ويزيدُ فيه بالجمال تدلهـــــي	إني امرؤٌ ، حب الجمال شعـاري
ويطيب لي معنى الحياة بـــه، وإن	تكن الحياةُ كثـــيرة الأوزار [4]

---

(1) محمود غنيم وشعره ، ص١٤٩.

(2) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٦١٨.

(3) السابق ، ص٦١٩.

(4) السابق ، ص٦١٩.

وفي جنح الليل يأمر خليله وصاحبه بالنهوض والسير معه بين الرياض المورقة ، في الوقت الذي تكون فيه السماء صاحية ، ثم يشبه السحب والنجوم من فوقها بملابس قصيرة شفافة على جسد المليحة ، والكواكب قد بدت من خلال بياضها تضاهي وجوه الراهب في ديره :

قم، يا خليلي ، نسر في جُنح الدجى ... الروض كاسٍ ، والنجوم عوار

السحب تحت النجم مثلُ غلائلٍ ... شفافةٍ فوق الملاح قصار

بدت الكواكبُ من خلال بياضها ... تحكي وجوه رواهبِ الأديار [1]

ويدعونا في آخر الأبيات إلى التمتع بمنظر الربيع ؛ لأنه سر الحياة ولحنها :

متع فؤدك بالربيع ؛ فإنه ... لحنُ الزمان ، وبسمةُ الأقدار

إن الربيع هو الحياة ، وسرها ... لولاه لم نحرص على الأعمار [2]

و قصيدته (نيسان) تعد من روائع ما كتب في الربيع ، وهي غاية في الجمال والروعة إذ إن :" شهر " نيسان" يهيج عاطفته لأنه شهر الربيع " [3] وقد علق عليها الدكتور / أحمد زكي في مقالٍ له نشر في مجلة الرسالة بعنوان (رفقاً بالشعر) [4] يرد فيه على مقالٍ للشاعر محمود غنيم بعنوان (كيف نفهم الحقائق الشعرية) [5]

ويرى زكي أن هذه القصيدة إنما هي نظمٌ وصناعة لفظية فقط ، وأخذ ينقده في بعض أبياتها ويبين مواطن الزلل فيها. [6]

ويمكن أن نقف في هذه الدراسة عند الأبيات التي يجدر الوقوف عندها فيما يُعد جديداً في وصف الربيع . وإذا كان غنيمٌ في قصيدته الأولى قد ذكر شهر (آذار) فهو هنا يذكر شهر (نيسان) ، ففي مقدمة القصيدة يخاطب شهر(نيسان) ويجسمه لنا في صورة إنسان ، ويتمنى بعد ذلك أن تكون السنة كلها ربيعا لأن كل شيءٍ فيه فتان وجذابٍ من

(١) المصدر السابق ،ص ٦١٩.

(٢) السابق ،ص ٦١٩.

(٣) محمود غنيم وشعره ، ص ١٥٠.

(٤) مجلة الرسالة ، العدد ١١١٦ ، ص ٣١ وتاليها .

(٥) مجلة الرسالة ، العدد ١١١١ ، ص ١٤ وتاليتها .

(٦) انظر : الرسالة ، العدد، ١١١٦، ص ٣١وتاليتها .

طيرٍ وزهر :

نيسان ، أنت لعين الدهر إنســــــانُ ... ياليت كل ليالي الدهر نيســـــــانُ!

ما الطيرُ ؟ ما الزهرُ ؟ إني لا أخصهما ... بفتنة ؛ كل شيءٍ فيك فتـــــــان [1]

و (الصـــخر) عـــنده ليس مجرد صخرٍ جامدٍ صلبٍ بعد أن أضفى عليه الحركة والإحساس ، فبدى لنا منتشياً فرحاً بمقدم الربيع:

الصخر يبدو لعيني فيك منتشيـــــــاً ... أُحس فيه حياةً وهـــــو صفوان [2]

والربيع عنصر مهم من عناصر صحة الإنسان وعافيته ، ذلك أن دفء الربيع يجلي الســـقم عن الأبدان ، فهو في سريانه وانسيابه في الأجسام خمورٌ صافية لا كروم فيها ولا كؤوس:

ينسابُ دفؤك في الأبدان عافيـــــــةً ... لا تشتكـــي السقم في نيسان أبدانُ

وللربيع خمور ؛ لا كروم لهـــــــــا ... ولا كئوسٌ ، ولا دَنٌّ ، ولا حانُ [3]

ثم تطـــرق الشـــاعر إلى فكرة فلكية ظنهّا صحيحة وهي تعادلُ الليل والنهار في فصلِ الربـــيع وقـــد علق الدكتور أحمد زكي على هذه الفكرة بقوله : " وهذه فكرةٌ – وقد ظنها طـــريفة – لا يمكن أن تكون صحيحة ً لسببٍ علمي هو أن الربيع لا يعتدل فيه النهارُ والليل مطلقـــاً ، بـــل لا يعتدل هذان في كفتي ميزان إلا في يومين اثنين يوافقان (٢١) من مارس ، و (٢٣) من سبتمبر ، ويسميان بالاعتدالين الريفي والخريفي... " [4] وقد صاغ الشاعر تلك الفكرة كما يلي :

قالوا : الربيع ، فقلت : العدل طابَعُه ... لا في النهـــــار، ولا في الليل طغيان

تعادلَ الليل فيه والنهارُ معـــــــــاً ... كأنما هـــــــــــو للأيام ميزان [5]

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ،ص٧١٧.

(٢) السابق ، ص ٧١٧ .

(٣) السابق ، ص ٧١٧ .

(٤) مجلة الرسالة ، العدد ١١١٦، ص ٣٤ وتاليتها .

(٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ،ص ٧١٧ .

ويشير غنيمٌ إلى بعض المظاهر الحيوانية في فصل الربيع حيث تتحول جميع الطيور فيه إلى عصافيرَ مغردةٍ، وصار كلُ موضعٍ في الأرض بستانًا زاهيًا :

كل الطيور عصافيرٌ معـــــــــردةٌ فيه، وكل مكانٍ فيه بستـــــــــان [1]

ويطلب من الطير أن يصدح في كل مكان في الأفق بصوته الشجي فلحنه بمثابة المزامير والعيدان، ثم يرسم لنا صورةً موسيقية رائعة عندما تتداخل أصوات الطيور مع همس الغدران :

هذي منابرك العليا مهيـــــــــــأةٌ ياطيرُ ، فاصدح ؛ فكل الكـــون آذان

أنت الملحنُ والمُنشى ، وأنت لنــــا رقٌ ، وأنت مزاميرٌ وعيـــــــــدان

الطيرُ يصدح، والغدران هامســــــة المطربان هما : طيرٌ، وغـــــدران [2]

ثم يأمـــر صاحبه بالنظر في (ماء النهر) وهو هادئ والبطُ يسبح فيه وهو فرحان وقد رسم خطوطاً مموجة تذهب بذهابه:

قم ننظر الماء ــ ماء النهر ــ في دعة والبط يسبح فيه وهو جــــــذلان

يخط فيه خطوطاً لا بقاء لهــــــا كأنها حادثٌ يمحوه نيســـــــان [3]

ويرسم لنا صورة رائعة للنسيم حينما يمر على صفحات الماء في وقت الضحى وقد أطـبق جفنـيه. ويســـأله عن سر تجعده وغضبه ، ولكن سرعان ما يزولُ ذلك الغضب والتجعد حينما يبوح إليه النسيم بأسراره :

مر النسيمُ على سطح الغدير ضحىً وماؤه مطبق الجفنين نعســـــان

فيم التجعد إذ مر النسيم بـــــه ؟ سلوا الغدير ،سلوه : أهو غضبان؟

إن النسيم رسول الزهر حملــــه ســـرّ العبير، وللأسرار كتمان [4]

ثم يعدد الشاعر مآثر(النسيم) فكم من شعر طويل داعبه وثوبٍ قصير كشفه :

وكم للنسيم مع الشعر الطويل أو الـــ (م) ثوب القصير دُعابات لها شــــان

وكــــــم له بغصون الدوح عربدةٌ كأنه بغصون الدوح ولهــــان [5]

---

(١) السابق ، ص٧١٧ .

(٢) السابق ، ص ٧١٧ .

(٣) السابق ، ص ٧١٨ .

(٤) السابق ، ص ٧١٨ .

(٥) السابق ، ص ٧١٨ .

أما الطبيعة في الربيع فقد استحوذت على عرشه، واعتلته وتولت الحكم في دولته ، وهـــو عرش ممتدٌ في كل ناحية يدور حوله حور وولدان ومعازفه وألحانه مصدرها الطير والأفنان لا القصب والعود ، وأزهار مُنسقة مصطفة قد أخذت تشكيلة باقة الورد العطرة من وردٍ ، وآسٍ ، ونسرين، وريحان ، أما أفق الطبيعة فقد أضيء بالنجم اللآمع لا بالشمع المشـــتعل ، وأرضه قد فرشت بالبسط الخضراء ، وهذه اللوحة المرسومة قد قلبت السمع بصراً بفضل مأأوتي من دقة في التصوير :

عرشُ الطبيعة قد صُفت أرائكـــــــهُ	إن الربيع لهذا العرش سلطـــــــــان
عرشُ سرادقه في كل ناحيـــــــــة	يقام ، يشهده حُورٌ وولـــــــــدان
ليست معازفه رقاً، ولا قصبـــــــاً	لكن معازفه طيرٌ ، وأفنـــــــــان
قد نسِّقت فيه أزهارُ الربا أُصصـــــاً	ورد ، وآسٌ، ونسرينٌ، وريحـــــان
الأفق بالنجم ـــ لا بالشمع ـــ مزدهر	والأرض بالبسط الخضراء تـــزدان [1]

والربيعُ كتابٌ للحب والغرام من أوله إلى آخره ، تبدو لنا فيه العين سيفاً فاتكاً ، والقدُّ رمُحاً حاداً طاعناً ، والخد تفاحاً ناضحا ، والنهدُ في الصدر رماناً بارزاً :

إن الربيع كتابُ الحب نقـــــــــرؤُهُ	الحب حاشيةٌ فيه ، وعنـــــــوان
فكل عينٍ به كالسيف فاتكـــــــــةٌ	وكل قدٍ به كالرمح طعـــــــان
وكل خدٍ به تفاحةٌ نضجـــــــــت	وكل نهدٍ حواه الصدرُ رمـــــان [2]

ولفصل (الشتاء) نصيبٌ في ديوان الشاعر لما له من انعكاسات على نفسية الشاعر وموهبـــته . وإذا كان فصل الربيع هو ملك الطبيعة ، فإن في الشتاء ظواهر مغايرة له فهو شهر الأمطار والمياه ، والسُحب والروعد، والغيم والثلج.

ومن خلال إحصاءٍ دقيق للديوان وجدت له قصيدة كاملة ينعي فيها الشتاء بدأها ببيت يبين فيه تعادل كفتي الليل والنهار في فصل الربيع ، ونهاية (البرد) في فصل الشتاء:

(١) المصدر السابق ، ٧١٨ .

(٢) السابق ، ٧١٩ .

تعادل الليل والنهـــــــــــارُ وأدرك القر الاحتضـــــــار [1]

ثم ينعي نهاية الشتاء وأنه قد هوى في فجوةٍ عميقة :

وراح فصلُ الشتاء يهـــــــــوي في هُوةٍ مالها قـــــــــرار [2]

وينادي الموت بأن يدرك الشتاء ، حتى تخضر الأرض :

ياصُفرةَ الموتِ ، أدركيـــــــــه ليكسوَ الأرضَ الاخضـــــرارُ [3]

والسبـــــــب في عدم ارتياحه للشتاء أن الجسم لا يقبل برده ،والعين تتأذى من لمعان برقه الذي يقدح الشرار، أما السمع فقد انصك من صوت رعده الذي يشبه صوت البقر :

كم ارتدينا ؛ فما وقانـــــــــا منه شعارٌ ولا دثـــــــــــار

لا كان هل فيه غيرُ بـــــــــرق من عينه يقدحُ الشـــــــرار ؟

وغيرُ رعدٍ يصُك سمعـــــــــي كأنما صوتهُ خُــــــــوار ؟ [4]

فالبرق والرعد والسحب والبرد مظاهر شتوية لها انعكاسات إيحائية لدى الشاعر .

ثم يصور لنا مشهد انقشاع السحب إذا يلزم من اختفائها انقطاع المطر الذي عبر عنه بـــ(جفاف الدمع) :

أما ترى السحبَ يـــــــوم ولّى جفت لها أدمعٌ غِـــــــزار ؟ [5]

ومـــن مظاهـــر الشتاءِ كما قلت حلولُ البردِ واختفاء الدفء وضعف الضوء ، والشـــاعر هـــنا يتســاءل عن مكانهما ويتمنى أن ينكشف الستار عنهما وهذا الستار لا ينكشف إلا بحلول الربيع :

الدفءُ والضوءُ أين راحـــــا ؟ لينكشف عنهما الستـــــار [6]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخةٌ في وادٍ ، ص١٣٤ .

(٢) السابق ، ص١٣٤ .

(٣) السابق ، ص ١٣٤ .

(٤) السابق ، ص ١٣٤ .

(٥) السابق ، ص ١٣٤.

(٦) السابق ، ص ١٣٤.

وكذلك يتساءل عن الطيور المغردة أين ذهبت ، ويرجو أن ينفض الربيع عنهما الغبار:

الطير والأيك أين غابـــــا ؟ لينتفض عنهما الغبـــــــار [1]

حـــتى النهارُ في الشتاء قد تحول إلى ليل من شدة الغيم أو لشدة طول الليل ، أما الرياح فقد أثارت الغبار فكأنك في ساحة قتال :

كـــم مـــن نهـــارٍ مضى عليـــــه ثوبٌ من الليل مستعـــــــار !

رياحُهُ قد آذنت بحـــــــرب فالنّقع في جوه مُثــــــــار [2]

أما الشمس في الشتاء فهي تشبه الظبي في نفوره ودلاله :

كأن شمسَ الشتـــــــاء ظبيٌ من طبعه الدّلُّ والنِّفـــــــارُ [3]

ثم يقابل بين منظر كل من البدر والشمس في الربيع والشتاء . فالبدر لا يشبه بدر الربيع الذي هو كالفضة في اللمعان ، كما أنَّ الشمس ليست مثل شمس الربيع التي تحاكي الذهب في النضارة :

لا بدرهُ – إن بدا – لجـــــينُ كلا ، و لا شمسه نضـــــار [4]

وفي غايـــة الدقة في التصوير يرسم لنا منظر ماء النهر والنبات والأزهار من حوله بشكل مرايا من زجاجٍ عليها برواز وإطار :

ولا أواذيهّ مرايــــــــــــــاَ والنبـــــتُ من حولها إطـــارُ [5]

ولشـــدة الـــبرد في الشـــتاء تزداد أهمية الفحم في التدفئة ، فيصير كالزّاد للجائع والمسافر ، حيث يشعله كل صاحب دار للتدفئة بناره ، ويقعد حولها وكأنه من (المجوس) الذين يعبدون النار :

كم أصبح الفحم – وهو فحـــمٌ – كالـــــــزاد لم تخلُ منه دار

كل امريءٍ كالمجوس فيـــــه أمامه موقـــــــدٌ ونار [6]

---

(١) المصدر السابق ، ص١٣٤ .

(٢) السابق ، ص١٣٤ .

(٣) السابق ، ص١٣٥.

(٤) السابق ، ص١٣٥.

(٥) السابق ، ص١٣٥.

(٦) السابق ، ص١٣٥.

ولئن تعادل الليل والنهار في (الربيع) فإن (الشتاءَ) لـــــه وضعٌ خاص حيث يطول ليله ، ويقصر نهاره وهذا ما عبر عنه بقوله :

نجومه قد مشين حبـــــــــــــــواً وشمسه جرها البخـــــــــــــار [1]

فالحـــبو هـــنا يـــدل عـــلى الـــبطء والـــتراخي، بينما (الجرُّ) يدل على السرعة والانقضـــــاء ، ثم يخبرنا عن حالة الأرض إذا اقبل الليل إذ تخلو من أهلها تماماً ، فكأنما هي صحراء خالية لا ساكن فيها . بينما الناس في بيوتهم كالمسجونين المحاصرين :

إن جن فيه الدجى احتجبنــــــــا فالأرض من أهلها قفـــــــــــار

وبات كل امرئ سجينـــــــــــاً في داره حوله حصـــــــــار [2]

ويـــتمنى الشاعر في آخر الأبيات أن تكون (الحياة) كلهاُ ربيعا خالصا على الرغم من أنه قصير لكي يتمتع بالأيام الجميلة في ظله :

يا ليت أعمارنا ربيـــــــــــعٌ صِرفٌ ، ولو أنها قصـــــــار [3]

ومن الظواهر الاجتماعية في فصل (الشتاء) اجتماع الأسرة الواحدة داخل البيت للدفء حول النار أو حول (المدفئة) ، وقد عبرّ عن هذا في قصيدته التي أنشأها في كوم حمـــادة عن فصل الشتاء بعنوان (حول المدفئة) يصف فيها جلوسه مع أبنائه حول المدفئة للدفء. والجلوس حولها – عنده – من أطيب الساعات والأوقات في فصل الشتاءِ نظراً لاجتماع الأسرة وتآلفها :

وأطيبُ ساع الحياة لديـــــــــا عشيةَ أخلو إلى ولديـــــــــــــّـــا

وأغزو الشتاء بموقد فحـــــــــمٍ وأبسط من فوقه راحتيـــــــــّـــا

هنالك : أنسى متاعب يومـــــــي كأني لم ألق في اليوم شيـــّـــا [4]

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٢) السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) السابق ، ص ١١٦ .

وإذا اتجهـــنا إلى فصل الصيف لنرى كيف صوره الشاعر وتعامل معه نجد أنه قد تحـــدث عنه أثناء إجازته الصيفية في الريف أو على شواطىء البحر في الإسكندرية . ومن أبرز مظاهر الصيف عنده جلوسه على شاطىء الإسكندرية ، وفيه يقول :

كل شيء الصيف يشكو الركـــــودا وأرى الثغر وحده في نشـــــــــاط

قذف البحرُ دره المنضـــــــــــودا أرأيت الجمان فوق الشاطـــي ؟ [1]

ولم يـــتعود الشـــاعر أن يقضي الصيف على الشاطئ ، بل نراه يذهبُ إلى الريف يستجلي من خلاله مفاتن الطبيعة ، ومن ذلك قصائده التي مرت (الريف، وعلى ضفاف الغدير) . وسوف أتحدث عن فصل الصيف أكثرَ عندما أتناول شعر البحر عند الشاعر إذ الالتزام بينهما وثيق الصلة .

٣ – الطبيعة المائية :

تعد البلاد المصرية من أكثر البلدان العربية التي وهبها الله مصادر مائية متنوعة من (ينابيع، وغدران ، وبحار ، وسحب، وأمطار) مما هيأ لها أن تكون رافداً طبعياً استمد منه شاعرنا موضوعاته وصوره .

ونهر النيل والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر تمثل أبرز المصادر المائية في مصر ، ممـــا دفـــع الشاعر أن يكثر من ذكرها ووصفها وأن يستلهم منها مادة شعرية خصبة جعلت الشاعر يُعد من أبرز شعراء الطبيعة في مصر .

وقـــد قصدت بـــ (الطبيعة المائية) عنده كل ما يتعلق بالماء ، وما يرتبط به ، من منابع ومصادر ، وقسمتها إلى أربعة أقسام :

- المطر والسحاب .
- الجداول والغدران.
- النهر (نهر النيل) .
- البحر .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

■ **المطر والسحاب :**

وقـــف شـــاعرنا الغـــريدُ أمـــام المظهر الأول من مظاهر الطبيعة المائية (المطر والســـحاب) وقفـــات جميلة متأنية ، وعادة ما يرتبط ذكر المطر بالسحاب ، والأنواء ، والأرض ، والســـماء ، والربيع ، والشتاء ، فكلها رموز متلازمة مع وصف المطر . ومن القصائد الجميلة التي تذكر له في هذا الشأن أرجوزة بعنوان (يومٌ عابس) أنشئت على إثر يومٍ ماطر عاناه الشاعر في بلدة (كوم حمادة) .

ووصـــف ذلـــك اليوم بالعبوس يوحي بأن المطر قد شوه عليه منظر الربيع فأذبل بعواصفه ورياحه أزهاره ، وحجب بغيومه وقطراته نور شمسه:

يالصباح حائـــــــــــل الأديم قد طعنَ الربيعَ في الصميـــــــــم !
أمطارهُ قد شوهـــــــــــت آذارَه وريحهُ قد صوحت أزهـــــــــاره
قد يظفر الباحثُ بالعنقـــــــــاء فيه ، ولا يرى ابنة السمـــــــاءِ [1]

ثم يتساءل الشاعر عن سر عبوس ذلك اليوم الذي غابت شمسه ، واختفى صباحه ويتعسف في خطابه للشمس فيقول لها : " ويحك" ، ويأمرها بالطلوع ، والأرض بابتلاع الماء ، والسماء بالكف عن المطر ، مستوحياً في ذلك قصة الطوفان في القرآن :

فقلتُ : هل ضل صباحُ اليـــــوم أم أرقت شمسُ الضحى في النـــوم ؟
ويحك ، ياأيتها الشمس اطلُعـــــي يا أرضُ غيضي ، يا سماءُ أقلعي ! [2]

ولغـــزارة المطـــر وشدته فقد وقف على الطريق حيران مرتبكا كحيرة الغريق وارتباكه ، حيث صارت الأرضُ بحراً تحتاج إلى عوامٍ يعوم فيها بدلاً من المشي على الأقدام ، مما جعل يتعثر في مشيته ، وينسى حدود طريقه واتجاهه ، ويتخبط في سيره ، فإذا أراد اليمين جذبه الماء إلى اليسار ، وإذا شاء التقدم دفعه المطر إلى التقهقر :

وقفت حيرانَ على الطريـــــــــق مـــــــن غيرماءٍ صرتُ كالغريق !
الأرضُ تحتاج إلى عـــــــــوام فكيـــــــف بالسير على الأقدام ؟

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ، ص ١٣١ .

(٢) السابق ، ص١٣١ .

من رام أن يسعى يميناً ، أيســـــــــرا   ومن مشـــى قدام ، عاد القهقرى [1]

ومع كل ذلك السيل العارم، والمطر الغارق ، أبى إلاَّ أن يخوض الخضمّ، فمشى فيه كالنشوان المترنح الذي أوغل في الشراب ، فاختل جسمه عن الاتزان ، ومشى يسأل عن اتجاهات الطريق كأنه غريب :

لكنني شحذتُ غربَ عزمــــــــي   وخضــــــــــت لج ذلك الخضم
مشيتُ كالنشوان ، كل همـــــــي   ألا يخونني اتزانُ جسمـــــــــــي
أسال في الطريق كل سابـــــــل   كأنني أسيرُ في المجاهـــــــــل [2]

ويشبه هطول المطر فوق رأسه بالدمع المنسكب ، والأرض من تحته بالبحر الواسع ، وهذا يدل على شدة المطر وغزارته :

دمعُ السماءِ فوق رأسي هــــــام   والأرضُ من تحتي بحرٌ طـــــام

ثم يصـــور لنا مافعله (المطرُ) بملابسه ، وأغراضه ، بعد أن كان حريصاً عليهما ، وفي أثناء المشي وسط هذا الوحل مرت به وبصديقه ــ الذي كان يرافقه ــ سيارة مسرعةً كسهم مــارقٍ ، فــتقاذف المــاء على ثيابهما ، ثم يعقد مقارنة بسيطة بين حالته الفقيرة وحالة صـــاحب السيارة المترف في النعيم ، وفي هذا نقد اجتماعي وتصوير للطبقات الاجتماعية في عصره:

وبعد أن كنت على "غيـــــاري"   أخشى مــــــــن الرشاش والغبار
فرّطـــت فيه غاية التفريـــــــــط   وصرت لا أخشـــى سوى السقوط
وبينما نحن نجوز حـــــــــاره   إذ دهمتنا عندها سيـــــــــــارة
تنطلق انطلاق سهم مــــــــارقٍ   سابحة في خفة الـــــــــــزوارق
تنضحُ بالمياه جانباهــــــــــا   على ثيابٍ ليس لي سواهــــــــا
فطرّزت إذ ذاك من ثيـــــــابي   ما أخطأته ريشة السحـــــــــاب
فقلت : ويلٌ للفقير العــــــافي   من الغني المترف المتــــــــلاف [3]

(١) المصدر السابق ، ص ١٣١.

(٢) السابق ، ص ١٣١.

(٣) السابق ، ص ١٣٢.

ويعقد في نهاية الأرجوزة محاورة مع صديقه عن قرب موعد دق (الجرس) إيذاناً بدخول التلاميذ فصولهم وبدء الدرس اليومي ، ولكنه يطالب صديقه بالتريث وتأجيل التوجه إلى المدرسة إلى أن يتوقف سقوط الأمطار ، ويناشده ألا يتمسك بحرفية قانون الحضور والانصراف ، لأن ظروف المطر في القرى أقوى من قوانين الانتظام في العمل ، ثم يـــبين أنَّ عدم تصريف المياه يذهب بكل مافي الريف من مميزات ومكتسبات وفي هذا كله نقد اجتماعي لصورة المجتمع في عصره:

قال صديقي: دنت الــــــــدروس وبعد خمس يضربُ الناقـــــــوسُ

فقلت مهلاً أيها الرفيـــــــــق مايفعل المدرسُ الغريـــــــــق؟

لا تذكر القانونَ في الأريـــــاف قد وُضع القانون في الجفـــــاف

حيث الشوارعُ التي لا تنضـــــحُ ولا بماء المزن فيها تسمــــــــحُ

وكل مافي الريف من محامـــــــد يذهب في أمطار يومٍ واحـــــد ! (1)

وله مقطوعة من ثلاثة أبيات ، يناجي فيها (المطر) ؛ حيث شاهد الأرض في الشتاء وهـــي غريقة في الماء ، فاتجه إلى (الغمام) يسأله هل حل بك خطبٌ يا (غمام)مثل خطبي حتى بكيت مثلي ؟

فيجيـــبه الغمام قائلاً : (لا) وإنما قصدت من ذلك أن أطهر جسد الأرض وأغسل وجهها بالماء بعد أن دنستها أعمال البشرية بالإثم والعدوان . وهو في هذه المقطوعة يهرب إلى الطبيعة ويمتزج معها هروباً من قسوة المجتمع وفساده :

بدت الأرضُ مرةً في الشتـــــاءِ ثرةً مثل صفحة الدمـــــــــاء

فسألتُ الغمام : هل بك خطــــبٌ مثلُ خطبي حتى بكيتَ بكائــــي ؟

قال :لا ، بل دنستم الأرض بالإثـــ (م) ـمِ ، فطهرتُ وجهها بالمــــاء (2)

وإذا تحدث شاعرنا عن المطر ، والسحاب ، والغيم ... فإنه قد تحدث عن (الماء) بصفة عامة، واستخدمه (رمزاً) لصورة (البطش والفتك) التي تنتج من نفس (الضعيف) إذا اتحد وصار كتلة واحدة ، على الرغم من ضعفه وسطوته .

---

(1) المصدر السابق ، ص١٣٢ .

(2) السابق ، ص ٢٨٣.

وقد استلهم هذه المقطوعة من (الماء) وهو في الكأس ، وقد دارت به الأيـــادي للشـــرب فكأنـــه فضة بيضاء ناصعة ، فلما تناوله الشاعر وهو في حالة ظمأٍ شديد سبح خياله في الماء ، فبدأ في وصف تلونه وأنه يتلون بتلون كأسه :

كأس تدور على ثغور ظمـــــــاءٍ	ملئـــــــت بذوب الفضة البيضاء
أقبلت في ظمأ أقبلُ ثغرهـــــــا	فإذا خيـــــــالي سابحٌ في الماءِ
الفيته يحكي أديم إنائـــــــــه	متلوناً كتلوُن الحربـــــــاء [1]

وبعـــد أن سبح خياله في الماء ، بدأ التحليل والتفصيل فذكر مصدر الماء الأساسي الـــذي يـــتدفق منه وهو السحابة الوطفاء الدائمة الانهمار ، فإذا تدفق إلى الأرض صار كالجيش العظيم الذي يغير في جحافل وجيوشٍ كثيرة على صفحة الأرض فيعمرها ويغير لونها :

فذكرت هذا الماءَ إذا هو دافـــــقٌ	من ثـــــــدي كل سحابة وطفاءِ
فإذا به جيشٌ يغير جحافـــــــلاً	حتى يضـــــــرِّج صفحة الغبراء [2]

ثم يـــبين لنا صورة أخرى من صور (الماء) وهي قدرته على الانسياب في جوف الصخور بباطن الصحراء المقحلة ، ومكوثه فيها ، أما في حالة (تجمده) فإنه يزداد تمدداً وحجمـــاً ، فيذيب الصخرة الصماء بكل يسرٍ وسهولة، وهذه الصورة ينفرد بها الماء عن بقية السوائل الأخرى التي تنكمش بالبرودة :

وذكرت هذا الماءَ إذ ينســـــابُ في	جوف الصخور بباطن الصحــــراء
فإذا تجمد، زاد قدراً حجمـــــــــه	فأذاب قلب الصخرة الصمـــــاءِ [3]

والمـــاءُ وسيلةُ حياةٍ لكل مخلوقٍ ، وهو مصدرٌ للطاقة البخارية الحديثة فمن غليانه يتولد البخار الذي يستخدم ضمن مايستخدم في تسيير المركبات والقطارات المتحركـــة :

وذكرتُ أن الماءَ سلط غـــــــازه	فغزا زمانَ الناقة الوجنـــــــــاء

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٨٩ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٩ .

(٣) السابق ، ص ٢٨٩ .

فإذا القطار بيأسه متحـــــــــــــــركٌ ينساب مثلَ الحية الرقطـــــــاءِ [1]

ويوضح الشاعرُ صوراً جديدة من صور بطش الماء من خلال (ثوران) موج البحر ســـاعة الأنواء ، فإذا به يرغي ويزبد كالبعير الهائج . ومن خلال (هول اليم) إذا فغر فمه لتناول الأحياء :

وذكرتُ موجَ البحر إذ هو ثائـــــرٌ يرغي ويزبدُ ساعةَ الأنـــــــــــواء

وذكرتُ هولَ اليم، إذ هو فاغـــــرٌ أفواهَه لتلقف الأحيـــــــــــــاء [2]

وفي آخر المطاف ، وبعد أن سبحَ خياله في الماء ، وتذكر بطش الماء وفتكه سقطت (الكـــأس) من يده وهو في حالة عطشٍ شديد وذهول مرير من جبروت ذلك الضعيف، وعلم أن (الماءَ) يخفي بطشه وفتكه تحت ستارين جميلين هما السلاسةُوالصفاء :

وهنا رأيت الكأسَ تسقط من يـــدي فظمئت، والماء القراح إزائـــــي !

ورأيت أن الماءَ يسترُ بطشــــــــــهُ بستارتين : سلاسةٍ وصفـــــاءِ [3]

■ **الجداول والغدران :**

لا شك أن الأريافَ المصرية مليئةٌ بالجداول والغدران التي تضفي جمالاً وبهاءً عليها وذلـــك من خلال نقائها وصفائها ، ومنظر النباتات والزهور حولها ،وهمسِ الماء فيها ، وسباحةِ البط عليها ، وجمال الكواعب وهن يغمسن الجرار فيها .

وللغــدران والجـــداول مظاهر متعددة ، فهؤلاء الغيد الحسناوات يدرن حولها ، ويغمسن الجرار فيها فتظهر أصوات الفقاقيع الناتجة عن حلول الماءِ محل الهواء فكأنك تسمع ضحكاً له في هذه الحالة ، ثم يصور لنا مشهد هؤلاء الحسناوات وهن يسبحن مع البط ويلعبن في الغدير :

والغيدُ تغمسُ في الغدير جرارَهـــا فيظل يضحك ملء فيه طروبـــــا

سربان من بطٍ وبيضٍ خـــــرَّدٍ يتباريان سباحةً ووثوبـــــــا [4]

---

(1) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(2) السابق ، ص ٢٩٠ .

(3) السابق ، ص ٢٩٠ .

(4) السابق ، ص ١١٤ .

أما منظر الجداول وقت الأصيل فكأنه منظر فضة نضرة :

وترى الجداولَ في الأصيل ، كأنها من فضة فيها النضار أُذيبا

وفي قصيدته (على ضفاف الغدير) - التي مرت سابقاً - [1] صورة جميلة لغمس الفتيات الجرار في الماء ، وكيف أن ماء الغدير راح يمانع ويصارع عند ضغط الجرة فيه ، فإذا ما غمسنها فيه أصدر ضحكاته ممثلة في تلك (الفقاقيع) :

رُمنَ غمس الجرار في الآذيِّ فأبى غمسها دلالاً وتيها

فإذا ما انتصرن نصر الكمي ضحكت كل جرةٍ ملءَ فيها [2]

وتكون الأنهارُ أروع منظراً حينما يسبح فيها (البط) ، وكأن أعناقه زوارق خضراء ذات سارية :

والبطُ يسبحُ شارعاً أعناقه كزوارقٍ خضراء ذات سوارِ [3]

وقد سجل لنا صورة سمعية لأصوات الطير وهي تمتزج مع همس الغدير فكأنك تسمع موسيقى متنوعة الآلات :

الطير يصدح ، والغدران هامسةٌ المطربان هما : طيرٌ ، وغدران [4]

- **نهرُ النيل :**

تنافسَ الشعراءُ المصريون في وصف نهر (النيل) والتعبير عن مشاعرهم تجاهه بقصائد خالدة ، حتى إن بعضهم قد امتزج به وغاص في أعماقه والتجأ إليه كعادة الشعراء الرومانسيين .

وقد كان (النيل) مصدراً لشاعرنا المبدع ، نهل منه ، وعبر عنه بقصائد رائعة

---

(١) انظر : البحث ص ٤٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٤٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٢٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٧ .

ومن خلال تتبعي لوصف (النيل) في ديوانه تبين أن الشاعر يربط وصفه له بمناسبات وطنية وقومية ، وربما يأتي وصفه مبثوثاً في بعض القصائد الطوال .

ففي قصيدته (مصر وسوريا) التي أنشأها بعد أن تم إعلان الوحدة بين البلدين [١] بدأ الشاعر بمقدمة جميلة يصف فيها فرح النهرين نهر (بردَى) في دمشق ، ونهر (النيل) في مصر بمناسبة إعلان الوحدة ، فالأول قد وقف مترنماً ومصفقاً على حُداء النيل :

عُرسان : في بنت المعز ، وجلقا ... هزا بلحنهما الشجى المشرقا

الماءُ في بَردَىَ جرى مترنما ... وعلى حُداءِ النيل قام مُصفقا [٢]

وهما نهران حرّان تدفق المجد القديم منهما ، ثم هما يدٌ واحدة على المُحتل الذي يغص ويشرق إذا أراد النيِّل منهما ، وهما منبعا الحضارة لكلٍ من الشرق والغرب :

نهرانِ ما سالا نميراً سائغاً ... بل منهما المجد الأثيلُ تدفقا

حُرانِ ؛ لا يدنوُ فم المحتل من ... ماءيهما حتى يَغصَّ ويشرقا

تدري الحضارة أن منبعها هنا ... وهناك فاض معينها وترقرَقا [٣]

وفي قصيدة قومية أخرى له - نالت إعجاب الخاصة والعامة - وصفٌ دقيقٌ لنهر النيل يؤهله لأن يطلق عليه أديب النيل وشاعره حتى لقد قيل في ذلك : " ولئن سَحَرَ الجارم الألباب بوصفه للصحراء عند زيارته للسودان ، لقد بهر غنيمٌ العقول بوصفه للنيل ، فكان المصور المبدع ، والشاعر المطرب الذي اهتزت له أوتارُ القلوب " [٤]

ومن شدة إعجابه بذلك النهر فقد احتار في وصف نبعه من أول بيت في القصيدة وطلب من صاحبيه أن يسألاه عن نبعه . أهو نبعٌ من الجنة ؟ أمن عسل النحل ؟ أم من ريق الغواني ؟ أم هو رحيق مُعتق قديم كجوهرة الدانة المعتقة ؟ :

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ص ٣١٣ .

(٢) السابق ، ص ٣١٣ .

(٣) السابق ، ص ٣١٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، (نقلاً عن صحيفة " صوت السودان " ، عدد ٢٤٠٣ في ٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م) ، ص ٦٤٣ .

سائلاهُ : أنت نبعُ الجنـــــــان أم جنى النحل ، أم رُضاب الغواني ؟
أم رحيقٌ طالت عليه الليـــــالي لم يُعتق أمثالهُ في الدنـــــان ؟ [1]

وينادي صديقيه ونديميه ويبين لهما شدة عشقه وحبه لماء النيل ، ويطلب منهما أن يســقياه من النيل ، ويهتفا بمنابعه التي ينبع منها ،ومواطنه التي يمشي فيها ، فإن ماءه ليس بخمرة تطيش بالعقول ، وإنما هي جزء من الوطن وحبها شعبة من الإيمان وهي ليست من عصر البشر ، وإنما هي معصورة بيد الرحمن :

يا نديمي ، إنما أنا صـــــبٌّ بابنة النيل لا ببنت الحـــــان
أترعا من منابعِ النيل كأســـي واهتفا باسمهنّ ثم اسقيـــاني
يا نديميَّ ، تلك ساعةُ صفـــوٍ سنحت، فاختلستها من زمـــاني
خمرةً لم تطش بلُب لبيـــبٍ حُبها شُعبةٌ من الإيمـــان
عصرَ الناسُ كلَّ خمرٍ . وخمـــري عصرت كرمَها يدُ الرحمـــن [2]

ثم يتساءل عن ذلك الماء أهو ماءُ فضة أم ماء عنبر أم اختلط مع غيره فصار عقيقاً ، أم هو من حب الجمان ؟

سائلاه: أبينَ عبريه مـــاءٌ أم لجُينٌ ، وعنبرٌ سائـــلان
شيب آذيهُ ؛ فكان عقيقـــاً وصفا ؛ فهو ذوبُ حبِّ الجمـــان [3]

ثم يبين بعض صفات النيل فهو حليمٌ إن طافت به الرياح اللينة، وطائشٌ إن طافت به الأعاصير العنيفة ، وسخيٌ في عطاياه كسخاء حاتمِ الطائي ، وطاغيةٌ إن هاج وغضب ، وهو في استوائه كالقد المعتل، وفي تثنيه كالخيزران ، وفي تلويه حالة سيره كالأفعـوان ، وفي رحابته كصدر الحليم ، وفي ضيقه كصدر المدلل الغضبان ، يرد الناس حوضه على مر العصور فلا يملُ ولا يكِّل ، وهو طبٌ للأجسام المريضة ، وطهرٌ من كل قذارة خبيثة ،

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٩٣ .
(٢) السابق ، ص ٥٩٣ .
(٣) السابق ، ص ٥٩٣ .

وغسيل للقلوب من الحقد وكوامن الأضغان :

وأطافت به الرياحُ رُخـــــاءً فهو حليمٌ في خاطر الوسنـــــان
وسخا؛ فهو حاتمي العطايـــا وطغا ؛ فهو عارمُ الطغيـــان
واستوى ؛ فهو كالقدود اعتـــدالاً وثنى العطْف ؛ فهو من خيـــزُران
وتلوى في سيره أفعـــواناً لا يمُجُّ السموم كالأفعـــوان
مثلُ صدر الحليم في الرحـــب . أوفي ضيقِ صدر المدلل الغضبـــان
هو طب الجسوم من كـــل داءٍ وهو طهرٌ لها مـــن الأدران
كاد أن يغسل القلوب من الحقـــ (م) ــد، ويمحو كوامن الأضغـــان [1]

ثم يناديه بقوله : " أيها النيل " مستفهماً عن عمره كم لبث ؟ وعن مكان تفجره أين تمّ ؟ ولكن يتعجب بأنه لا أحد من الثقلين يعلم عن ذلك :

أيها النيلُ ، كم لبثت ؟ ومـــن أيـــ (م) ـــن تفجرت؟ مادرى الثقلان ! [2]

والنيلُ سجلٌ حافل للوقائع والأحداث التاريخية منذ قدم الإنسان حين كان يعيش في كهفـــه ، ويخـــالط الحيوانات في الغابات ، وقد درج عليه الفراعنة والفرس والروم . وشهد كل الديانات ، وفرح بمقدم الإسلام ، وافتخر بالحنيفية ديناً وبالرسول نبياً :

ياسجل التاريخ ، حدث بما عـــا (م) ينتَ . ليس السماعُ مثل العيـــان
قد شهدت الإنسان يأوي كهوفـــا ويؤاخي فصائلَ الحيـــوان
حدث الناسَ عن فراعين مصـــر: كيف بذوا الشعوب في البنيـــان؟
كيف دانت لدولةِ الفرس مصـــرٌ؟ كيف دانت لعاهل اليونـــان؟
حدث الناس عن بسالة عمـــرو وجنود الفاروق في الميـــدان
أنت ، يانيلُ ، معرضٌ للحضـــارا (م) ت ، وشتى الشعوب والأديـــان
أفأبصرت كالحنيفة دينـــاً أو رسولاً يحكي فتى عدنـــان [3]

و يرسم صورةً صافيةً للنيل عندما شبه ماءه بالبنان الرقيق وجعل لـــه ظفراً يحفر

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٤ .
(٢) السابق ، ص ٥٩٥ .
(٣) السابق ، ص ٥٩٥ .

به الصحراء . ويشير إلى ما قيل إنَّ النيل شق مجراه في الصحراء شقاً بمائه :

يارقيق البنان ، كيف حفرت الصـــ (م) ـــخر بالظفر ؟ يا رقيق البنان [1]

ثم يعدد الشاعر بعض مناقب النيل وأفضاله فلقد ملأ الصحراء بالعمران ، وكسى الحقول بالخضرة والخيرات :

كيف جُبت الفلا بغير دليـــــــل ... وملأت الصحراء بالعمـــــــــران؟
رُب حقلٍ كسوته بعد عُـــــــرى ... فإذا الحقلُ أخضرُ الطيلســــــان [2]

ويرسم صورة جميلة للنيل فهو في سيره وثباته كقطارٍ يمشي على قُضبان، ثم يصفُ الـــدورة المائية التي يدورها النيل وهي : أن ماءَ البحر يتحول سحاباً ، والسحاب يسقط مطراً فيمتلىء النيل منه، ثم يصب النهرُ في البحر ... وهكذا حتى يأخذ الماءُ دورته :

دائرٌ بين لجةٍ ونـــــــــــــجارٍ ... كنجومِ السماء في الـــــــدوران
لك في الأرض والهواءِ مـــــــدارٌ ... حار فيه مقوم البلــــــــــدان [3]

والقصيدة طويلة تحتاج إلى صفحات طوال لبيان مافيها من معانٍ نابضةٍ ، وصورٍ فنية رائعة .

وإذا كـــان النـــيل مصدر إعجابٍ وفخرٍ واعتزاز للشاعر ، فإنه يعتب عليه أحياناً ويؤنـــبه حين يطغى ويبطش بالإنسان ، ومن ذلك قصيدته (سفينة الموت) ؛ حيث أجادَ فـــيها وأبدع ، ونالت إعجاب النقاد والقراء . يقول الغزالي حرب : " وإذا كان لشوقي مـــيزة الأســـبقية فى الحديث عن النيل فلمحمود غنيم ميزة التفوق على شوقي نفسه في طلاوة البيان ، وروعة الموسيقى ، وميزة التفوق في قصيدة أخرى فاضت بعتابه على النيل حين ابتلع الباخرة " دندرة" بمن فيها إذ يناجي النيل مناجاة حارة" . [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٥ .

(٢) السابق ، ص ٥٩٦ .

(٣) السابق ،ص ٥٩٦ .

(٤) دموع ، من كلمة الغزالي حرب ، ص ٢٠ وتاليتها .

فعتابُ شاعرنا كان بسبب تلك الفجيعة القاسية حينما ابتلع النيل باخرة (دندرة) بمن فيها من الركاب أثناء ذهابهم للقناطر الخيرية للاحتفال بعيد (شم النسيم) . [1]

وقد تأججت نقمة الشاعر عليه منذ أول بيت في القصيدة حينما جعل اليمّ وحشاً فاغــراً فــاه للركبان، والماء قد طغى حتى اختفت شطآنه ، والموت بدا كاشح الوجه لم تستطع خبرة الربان معه أن تحيد وتبتعد عنه :

فَغَرَ اليم فاه للركبـــــــــانِ وطغــــــى الماءُ، واختفى الشاطئان
وبدا الموتُ سافراً كالح الوجـــــــــ (م) ـــــــــهِ ، ولم تُجد حيلةُ الرُبان [2]

ويصـــفُ تهـــاوي السفينة تحت الماء الذي يبلغ في الارتفاع ارتفاع الجبل الأرعن الشاهق ، والزيتُ قد اختلط بالماء وطغى على سطحه :

وتهاوى السفينُ تحتَ جبـــــالٍ شاهقات الذرا غِلاظِ الرِّعـــــان
رُب زيتٍ يفري البُطون ، ومـــــاءٍ عبَّ منه مَن ليس بالظمــــــآن [3]

ثم يصور الموت حينما دخل السفينة وهو يخطو كخطوة السارق ، فتحولت أغاني الركب إلى أنينٍ محزن ، وتبدلت ألحانه إلى حشرجات من حلوق النساء والأطفال :

دخل الموتُ ، يسرقُ الخطوَ ؛ لصــاً بين رقص الدمى ، وعزفِ الكمـــان
سائل الركب: كيف صارت أغانيـــ (م) ــهِ أنيناً يصك سمع الزمـــــــان؟
واستحالت ألحانهُ حشرجـــــاتٍ من حلوق النساءِ والولــــدان؟ [4]

ثم يتـــلهف على من مات من الركبان ، ويصور مشهد مصرعهم في صورة بائسة فهذا صبي مات في حضن أمه ، وذاك فتى أطبق الموج عليه ، وهذه فتاة بكر تزوجها النيل ، وذلك ناجٍ من الموت قضى عمره حزيناً باكياً :

لهف نفسي على صبي غريـــــرٍ غافلٍ عن طوارق الحدثـــــــــان
مات في حضن أمه! يـــــــالأُمٍ أدركتها في لحظة موتـــــــــان !
لهف نفسي على فتىً أطبق المـــــو (م) جُ عليه فخانه الساعـــــــدان !

(١) انظر : الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٣ .
(٢) السابق ،ص ٤٧٣ .
(٣) السابق ، ص ٤٧٣ .
(٤) السابق ، ص ٤٧٣ .

وفتاة زفت إلى النيل بكـــــــــراً ومضى عرسهُا بلا مهرجـــــان !
رُبَّ ناجٍ أصاب عمراً جديــــــداً فقضاهُ فريسةَ الأحــــــزان ! [1]

ويستنكر عـلى (النيل) فعلته ، وما خلفه من دمار بعد أن كان باعثاً للحياة في الأبدان ، وأنه نال منهم ما لم تناله أسودُ الغاب وذئابها :

أيها النيلُ ، كم عمرت يبابـــــاً وبعثت الحياة في الأبـــــدان
فعلام استحلتَ موتاً زؤامـــــاً وأشعتَ الخراب في العمــــران
نلتَ ما لم تنلهُ – يانيلُ – منـــا ضارياتُ الأسود والذوبـــان [2]

وبعـد أن يشتد عتابه للنيل ويبلغُ غايته ، يطلب منه أن يصف المعركة كيف دارات ، ثم يستجمع قواه آخر الآبيات ويلجأ إلى الله ، مؤمناً بقضائه وقدره ، فاراً من شكه إلى إيمانه ، جاعلاً كل ذلك عبراً وتأملات ، راجياً من الله أن يسقيهم من نهر الكوثر ، وأن يكتبهم من الشهداء :

رب لا أظلم المقاديـــــــرَ إن بدا الشك ، لذتُ بالإيمـــــان
إن نقل : أذنبَ الكبارُ فمـــــاذا قد جناه طفلٌ رضيعُ لبـــــان ؟
عبرٌ كلما تأملت فيهـــــا عُدتُ منها مُشتت الوجـــــدان
أيها الهاربون من تعـــــب الأر (م) ض، استريحوا بجنة الرضـــوان
إن في الكوثر الأمان لمن عـــــزَّ (م) عليه في النيل شط الأمـــان
شهداء السلام أنتم ، ويــــارُبَّ (م) شهيدٍ من مات في الميــــدان ! [3]

ويـربط شاعرنا وصف النيل ببناء (السد العالي) ، وله في ذلك قصيدته الموسومة بـــ (وحي السد) أنشأها عندما بدأ العمل فيه ، وقد منحه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (الميدالـية) الذهبية عليها . [4] وقد بدأها الشاعر بوصف السد وأنه أسس على عزمٍ وإيمان صادق، ولم يبن من جرانيت وصوان ، ويشير إلى أن مصر لاتحتاج في بنائه

(١) المصدر السابق ، ص ٤٧٣ وتاليتها .
(٢) السابق ، ص ٤٧٤ .
(٣) السابق ، ص ٤٧٦ .
(٤) انظر : السابق ، ص ٣٤٨ .

لمساعدة من أحد فكما شيدت الأهرام الشامخة فإنه لا يعجزها بناء سد :

على أساسين من: عزمٍ وإيـــــمان ... نبنيه ، لا من : جرانيت وصـــوان
إن الأُلى رفعوا الأهرام شامخـــــةً ... هيهات يعجزهمُ إنشاءً خزان ! [1]

ثم يشيد بمقدرة (جمال عبد الناصر) في تحرير النيل من الأعداء وبناء السد :

من أطلق النيلَ أمسى وهو يحبســـهُ ... جمالُ ، يثني عليك المطلقُ العـــاني [2]

ويخاطب نهر النيل بأنه قبل بناء السد كان يشتكي منه الظامىء والغرقان، أما اليوم وبعد بناء السد فلم تعد يانيلُ تظمئنا ، أو تبطش بناء بطغيانك:

قد كان يشكوك صادينا وغارقُنـــا ... يانيلُ . حلاك في واديك ضِـــدان
ما عدت، يانيل، بعد اليوم تظمئنـــا ... أو عـــدتَ تطغى علينا أي طغيانِ [3]

أمـــا كونك يانيلُ قد غضبت من أبنائك المصريين عندما بنوا السد وصانوا ماءَك فكـــم أريقـــت دماؤهم في سبيل تحريرك من بطش العدوّ وغدره . وهو دمٌ غالي الثمن مستخلصٌ من فتيت المسك :

إن صانَ ماءَك في حرزٍ بنوك ، فكـــم ... فدوهُ من قبلِ هذا بالدم القـــاني
كأنه من فُتات المسك سمرتـــــه ... فلا نجود به إلا بميـــــزانِ [4]

وله في السد والنيل قصيدة أخرى جميلة تحمل عنوان (معجزة السد) نقتطع منها بعـــض الأبيات التي تعبر عن إعجاب الشاعر بماء النيل وبناء السد العظيم . فالسد عنده أعظم من عجائب الدنيا السبع ؛ بل إنها لا تساوي شيئاً بالنسبة له . والسد مصدر عظيم لليمن والبركات :

لا تقولوا : عجائبُ الأرضِ سبـــعٌ ... فهي – من بعد السد – سبعُ هنات
أيها السد، ما عهدنـــــاك إلا ... مصدرَ اليمن ، مصدرَ البركات [5]

---

(١) المصدرالسابق ، ص ٣٤٨ .
(٢) السابق ، ص ٣٤٩ .
(٣) السابق ، ص ٣٤٩.
(٤) السابق ، ص ٣٤٩.
(٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ٧٦٩.

وبعد أن يفيض في الحديث عن وصف السد ، ينادي النيل وكيف أنه قد شق طريقه في الجبال ، والفلاة ، والنجود :

أيها النيل، كم شققت طريقاً ... في جبالٍ، ومهيعاً في فلاة
كم نسفت النُجُودَ نجداً ، فنجداً ... وفريت الصفاة بعد الصفاة [1]

أما ماء النيل فإنه لعذوبته وسريانه كان أسهل انسياباً في الصخر من شفرة الفأس الحادة ؛ بل إن الصخر يتكسر ويتفتت من رفقه وسهولته :

ماؤك العذبُ كان في الصخر أمضى ... من شفار الفئوس في اللبات
تطأ الصخر في أناةٍ ورفقٍ ... فإذا الصخرُ حفنةٌ من فُتات [2]

والنيل قد قهر الطبيعة بجماله ، أما البحر فتعيس لملوحة مائه . ثم يبدي الشاعر أسفه لعدم استغلال ماء النيل الاستغلال الأمثل ، فإن ما يضيع من مائه في البحر كان يمكن أن يكون قوتاً طيباً للآدميين يسقي جذور النبات الذي يغذيهم بدلاً من أن تتعيش عليه الحيتان :

لم تزل تقهرُ الطبيعة ، حتى ... قهرتها أيدي البُناة الكُماة
حسبك اليوم أن ماءك حُرٌ ... من قيود المستعمرين الطغاة
تعس البحُر ، وهو ملحٌ أجاجٌ ... كيف يحظى بوصلِ عذبٍ فرات
ما قذفنا في البحر ماء ك عذباً ... بل قذفنا في البحر بالأقوات
وسقينا الحيتان عذباً نميراً ... وحَرَمنا منه جذورَ النبات [3]

■ البحر :

احتل البحر منزلة سامية في ديوان شاعرنا ، كيف لا وهو ابن النيل الذي عشقه وعبّر عنه وأجاد في تصويره . ووصفه للبحر قد اتخذ شكلين متباينين، الشكل الأول وصف منظر البحر في فصل الربيع ، والثاني وصف منظره في الصيف .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٧٠ .
(٢) السابق ، ص ٧٧١ .
(٣) السابق ، ص ٧٧١ .

فاقترب الشاعر من البحر وامتزج به ، ورأى عالماً غنياً بالعجائب المثيرة للخيال من أسماك وحيتان ، و أمواج وعواصف ، وأنواء ، وصخور، ولؤلؤٍ ومرجان، وبواخر وسفن ، وشواطىء جميلة ترتع عليها فتياتٌ حسان كُن مصدر إعجابه وسبباً في تذكر أيام شبابه

فكان البحر رافداً قوياً لإبداع الشاعر ، كيف لا ؟ والبحر قد اتصل بالإنسان في شـتى العلـوم والفنون ومنها الأدب حيث " كان طليعةً لا كتشاف عالم البحر وفهمه وتفسـيره . كمـا أسهم في ارتياده وتسجيل عالمه الجميل المضطرب ، وإبداع النماذج الأسطورية والرومانسية والواقعية المعبرة عن تطور علاقة الإنسان بالبحر" (١)

فالبحرُ رافدٌ قويٌ لشعره، استقى منه أفكاراً ومعاني جميلة ومؤثرة. وقد اتخذ عنده عـدة مظاهـر رائعـة . فصـوره كما قلت في فصل (الربيع) فنقل إلينا مشهد الفتيات المستحمات في البحر وهن يلحن جمالاً كالمحار ، ويخطرن تيهاً ودلالا كالغزلان .

أما رملُ الشاطىء فيحيط بالمياه التي تبد وكأنها فضة محوطة بسياج من الذهب :

أو ما رأيتَ البحرَ فيه كأنـمـا	لاحت توائمه بغير محـار ؟
الغيدُ تسبحُ أو تميسُ بشطـه	أسراب آرامٍ بغير نضـار
والرمل يكتنفُ المياه، كأنـما	هي فضةٌ محفوفةٌ بنضـار (٢)

ويـتخذ الـبحرُ في (الربيع) مظاهر متعددة تختلف عن مظاهره في الشتاء ،فيأمر الشاعر (سادنه) بأن يفتح شطآنه ليتمتع النـاس بأمواجه ورمله وكثبانه الناعمة ، بعد أن كان في سباته شتاءً :

يا سادن البحر، قم، وافتح شواطئـه	بالباب للبحر زُوارٌ ، وضيفـان
مرت عليه شهور ، وهي في سِنـة	لا الموج موجٌ، ولا الشطآن شطـان
مهدٌ به الرمل ، والكثبانُ ناعمـةٌ	أغلى ثمارٍ له رمل، وكثبـان (٣)

---

(١) أحمد محمد عطية ، أدبُ البحر ، د.ط ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ص ٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٦١٨.

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٧١٩ .

ويصـــور غنيمٌ منظر الغواني الحسان وهُن يتهيأن للدخول فيه وقد تكشف منهن ماتكشـــف مـــن أعضـــادٍ وسيقان ، ولعشق غنيمٍ للجمال فقد بدأ يصفُ جمالهن الفتان فأعيـــنهن فيها شيءٌ من السحر ، يتمتعن بالرشاقة واللياقة . فالخصر في ضموره ظامىء ، والأرداف ريانة ممتلئة ، إذا سبحن في البحر ، تفتحت أمواجُه لاحتضانهن ، فكأنهن وقتها دررٌ وهو دهقانُ :

سربُ الغواني على الأبواب منتظـــرٌ	تكشّفت منه أعضادٌ ، وسيقـــــــان
من كل ساحرة العينين، ضامـــــرةٍ	الخصرُ في ظمأ ، والرَدف ريـــــان
إذا سبحن على أمواجه ، فُتحـــت	للسابحات من الأمواج أحضـــــان [1]

وهو أخيراً لا يخافُ ركوب البحر مادامت الحسانُ فيه، وإن هاج البحر فإن غضبته عطفٌ وحـــنان على أولئك الحسان ، وهو لا يهاب صوته إن سبحن فيه ؛ بل إنّ صوت هديره طربٌ وألحان لأولئك الغواني ، ثم يتعجب من ذلك البحر فمع أنه يفيض ماءً وزبداً ، إلا أنه دائم الظمأ لرضاب الغيد الحسان :

لا أرهبُ البحرَ والغيد الحسان بــــه	فإن غضبته عَطفٌ وتحنــــــــــانُ
ولا أهابُ هدير البحر إن سبحـــت	فيه المهَا ؛ فهو تطريبٌ وألحـــــان
عجبتُ للبحر؛ قد فاض العُبَابُ بـــه	لكنه لِرُضَاب الغيد ظمـــــآن [2]

وإلى جانـــب تلك المقطوعات التي تناول فيها وصف البحر في فصل الربيع نجدُ له قصائد مطولة يصور فيها المظاهر البحرية في فصل الصيف ومن ذلك قصيدته (علـــى شاطىء البحر) ؛ حيثُ بدأها بذكر السفن وهي تسير كالأعلام الراسية ، وتتراقص فوق الأمواج المـــتلاطمة . ويشـــير إلى كثرة السابحين المتبرمين من حر الصيف والذين انغمسوا في مائه البارد :

يارُب جاريةٍ في البحر كالعلـــــم	تراقصت فوق موج منه ملتطـــــم
وسابحين على شطآنه برمـــــــوا	بالصيف ، فانغمسوا في مائه الشبم [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٧١٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٢٠ .

(٣) السابق ، ص ٧٢١ .

وفي المقطع الثاني من القصيدة يناجي غنيمٌ البحَر على عادة الرومانسيين ، فهو عندما يسأم ويمل ويضيقُ بالحياةِ الكئيبة والجامدة ، يهربُ للبحر للاسترخاء، حتى يريح نفسه من ذلك السأم الرتيب ، ويريد من البحر أن يعالج سقمه وألمه :

يابحرُ ، قد سئِمت نفسي الحياةَ على ... وتيرةٍ ، فأرح نفسي من السأم

إني أتيتُكَ مصطافاً ، وملَتمساً ... من مائك المعدني البرءَ من سقمي [1]

ومـا يكاد يبدأ رحلة العلاج النفسي ، حتى يتذكر أيام الصبا الخوالي عندما يرى الحسان على الشواطىء ، لكنهن يعرضن عنه حين يلمحن شيبه المعتلي رأسه :

أما الحِسانُ على الشاطي ؛ فقد لمحت ... شيبي ، فَهمِتُ بها وحدي ، ولم تَهِم

إذا نظرتُ إلى حسناءَ سابحة ... ناديتُ عهدَ شبابي ، وهو في صمم

حسبي نسيُم الصبا، فاملأ به رئتي ... ولا تحرك بأيام الصبَا ألمي [2]

ويوازن غنيم بين مشهد النساءِ في (البحر) ومشهد النساء في (الحرم) فكلاهما يختلطن بالرجال إلا أنهن في الحرم محتشمات محتجبات في حُرمة وقدسية ، أما نساء البحر فهن أكثرُ حرية وانطلاقاً وفتنةً في الملبس والأجساد :

إن كان شطك بالجنسين مختلطاً ... فربما اختلط الجنسان في الحرم

أستغفرُ اللهَ زِيُّ البيت محتشِمٌ ... لكن زيكٌ زيٌ غيرُ محتشم

ورُحنَ ينقشن في الأمواج من صورٍ ... ما ليس ينقشه الرسامُ بالقلم [3]

وفي دهشةٍ يتساءل عن ذلك (الحبَاب) الناتج عن الأمواج ويشبهه بكأسٍ مليئة بخمرةٍ علاها الزبد ، ويصاب بالدهشة مرة ثالثة عندما يمشي على رمل البحر ، ويشبهه ببساط أصفر فيه نقش جميلٍ من صُنع الأعاجم :

حَبابُ مائك ، أم كأسٌ لها زبدٌ ؟ ... وهمسُ موجك، أم شاجٍ من النغم ؟

وفوق رملك أمشي ، أم على بسطٍ ... صفراءَ منقوشةٍ من صَنعة العجم ؟ [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢١ .

(٢) السابق ، ص ٧٢١ .

(٣) السابق ، ص ٧٢١ .

(٤) السابق ، ص ٧٢٢ .

ثم يعدد بعض فضائل (البحر) والتي تميز بها على (الأنهار) بسبب (الطاقة الشمسية) الـــتي تصـــيرّ ماءه عذبا خالياً من الملوحة ، ولولاه ماهطلت السحبُ مطراً ، ولا شرب الكـــائن الحي ماءً ، ولا نما شجرٌ وأثمر زهرٌ ، ثم يتساءل كيف يأخذ الماء دورته فيتسرب أولاً في بـــاطن الأرض وينساب ثم يطير إلى الأفق فتتكون منه السحب ، وله فضلٌ على النيل والدانوب والناس أجمعين :

ألم يحول شعاعُ الشمس ماءَك مـــن ... ملح أجاج إلى عذب من اليـــــــم؟

لولاك ما هطلت وطفاء، أوهَدلـــت ... ورقاءُ، أو قبلت كأسٌ شفاه ظمـــــى

لم ينتسب شجرٌ إلا إليك أبـــــاً ... ولا انتمى زهرٌ إلاّ إليك نُمـــــــــى

سريتَ في طبقات الأرض مُنسربـــا ... فكيف أصبحت تيجاناً على القمـــم ؟

وكيف طِرت بلا ريشٍ وأجنحـــــة ... في حالق الجو كالعِقبان والرَّخـــم ؟

النيل يعرفُ والدانوب أنهمــــــــا ... من فيض سحبكَ، أو من سيلك العَرِمِ [1]

والـــبحر كريمٌ بسخائه وعطائه فهو في كرمه ككرم حاتم الطائي ، وهو سرُّ الحياة موغِلٌ في القدم ،ويتعجب الشاعر منه كيف بقي شاباً مع هذا القدم في النشأة :

كم مِنَّة لك في الأعناق تبذلـــــها ... ولا تمن بها ، ياحاتم الكـــــــرم !

سر الحياة — لِعَمري- أنت مذ نشأت ... حول الضفاف، تعالى بارىء النّسم !

مرت عليك قرونٌ ليس يحصُرُهـــــا ... عد ، ولم تشكُ من شيب ولا هـــرم

قل لي – بربك- :كهل أنت ، أم هرمٌ ... أم لا تزال غلاماً بالغ الحُلُمِـــــم ؟ [2]

وامـــتزاجه بالـــبحر في المقطوعة السابقة يعكس إحساسه بالضعف والوهن وأن شيخوخته بدأت تدب فيه . بعكس ما عليه البحر من القوة والتجدد .

ويـــزيد امـــتزاجه بالـــبحر حينما يسائله عن أمر الأحياء الذين يعيشون فيه وما مصيرهم ؟ وهل فيه صراعٌ كصراع وحوش الغاب كما هو شأن الحياة في البر ؟ وفي ذلك إشـــارة إلى مـــا عليه المجتمع العالمي من انقسامات وصرعات . وقتل وفتك ، ودعوات كاذبة إلى السلام العالمي المزعوم :

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢٢.

(٢) السابق ، ص ٧٢٢.

يكـــادُ سائلك الرقراقُ يخدعنـــــــا عما حوى من وحوش لسنَ في أجم
أشـــرعة الغاب تقضي بين أهلك ، أم حـــــق الضعيف لديهم غيرُ مُهتضم؟
هـــون عليك ، فكم في البر من سمك يلـــــوح في صورة الدولات والأمم!
قـــالوا : السلامُ، و لم تعرف شرائعهمُ غيرَ المخالب والأنياب من حكم! [1]

والبحر على الرغم من اتساعه ورهبته وجبروته إلا أنه ذرةً صغيرةً في ملكوت الله ، وهذا الأمـــر لا ينقص من قدره ، لأن الله قد أقسم به في كتابه ، وهذا يدل على تدين الشاعر وتأمله في مخلوقات الله عز وجل :

إن كنتَ يابحرُ عملاقاً ، فأنت ومـــا تحويه في ملكوت الله كالقـــــــــزم
وما أنا لك في شعري بمنقصــــــــةٍ يكفيك أن خصك الرحمن بالقسم [2]

والـــبحرُ في الصيف ملتقى للأحباب . ومبعثا للنشوة والأنس ، ومحارب قوي لحر الصيف وجذوته ، يقول الشاعر في قصيدته من (وحي البحر) :

يابحرُ، أنت ملتقى الأحبـــــاب
وباعثُ النشوة في الأعصـــاب
ومبدلُ الأنس بالاكتئـــــــاب
وطاعنُ الصيف بلا حـــراب [3]

وكـــلُ شيءٍ في البحر جذابٌ ، خاصة عندما يصطدم موجه الصاخب بالصخور الصم الصلبة فهو عندها يشبه زئير الأسد المثار الغضبان :

مافيك شيءٌ ليس بالـــــجذاب
حتى اصطدامُ موجك الصخاب
بالصم من صخورك الصـــلاب
يحكي لنا زئيرَ أُسد غـــــــاب
مُهتاجةٍ ، مُثارةٍ ، غضـــاب [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢٢ وتاليتها .
(٢) السابق ، ص ٧٢٢ .
(٣) السابق ، ص ٧٢٥ .
(٤) السابق ، ص ٧٢٥ .

وعـــن اصـــطدام موجــه بالصخور يصور لنا صورةً بصرية جميلة فهو في ومضه كالشهاب الساطع ، أوقل كالسيف اللامع المسلول من قرابه :

كم موجةٍ تُومض كالشهـــــاب

أو كحُسامٍ سل من قِـــــراب [١]

ويرسم لنا صورة حركية أخرى للموج في تقلبه الدائم كتقلب الدهر والزمن فمرة تراه ليناً هادئاً ، وأخرى مرتفعاً كالهضاب :

موجك - مثلُ الدهر - في انقلاب

بيناً نراه لين الجنـــــــــــــاب

إذا به أرفعُ من هضـــــــاب [٢]

■ **العناصر الكونية :**

ونقصـــد بهـــا عناصر الطبيعة الفلكية من شمسٍ وقمرٍ ونجوم ... ، انظر إليه وهو يستقبل العام الهجري الجديد مرحباً بالهلال آملاً منه أن يعود بالسلام وينشره على البشرية جمعا ، وأن يعمر النفوس الخربة بالأيمان والأمل الجميل :

أهلاً بمطلعك السعيـــــــــد   يا غُرة العام الجديــــــــــــــد

عُد بالسلام على الـــــــورى   وانشره خفاق البنــــــــــــود

واعمر خراب النفس ياابــــــــ   (م)   نَ الشمس بالأمل الوطيـــــــد [٣]

أما نوره فهو بسمة في فم الوجود إذا حل اليأس والعبوس :

عبَسَ الوجودُ ، فكان نـــــو   رك بسمة بفم الوجـــــــود [٤]

ثم يشبهه بالقلادة في الصدور ، وكأن النجومَ حب تناثر من ذلك العقد :

لاح الهلالُ مقوســـــــــاً   كقلادة الدر النضيـــــــــــد

بين النجوم كأنهـــــــــــا   حبٌ تناثر من عقـــــــــود [٥]

---

(١) المصدر السابق ،ص ٧٢٥وتاليتها .

(٢) السابق ،ص ٧٢٦.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص٥٢.

(٤) السابق ،ص ٥٢.

(٥) السابق ،ص ٥٢.

فالقمـــر عند غنيم مصدرٌ كوني يستمد منه نوره وضياءه ، ويبثه أحزانه وآماله " ولا نكاد نعثر على شاعر عصري عني بالقمر عنايته به ، وسواءٌ ذلك قمر السماء وقمر الفضاء" [1] .

انظر إلى عشقه للقمر وحبه له وامتزاجه به وتأمله لتغيراته المستمرة :

عشقناك حتى حسبنا الليـــــــالي ومقدار نورك فيها حسابـــــــــــا

ليالٍ كساها شعاعك سحـــــــرا فطابت لمن يحتلها ، وطابـــــــــا

وأخشى – إذا ما نزلنـــــاك – ألا يكون جمالك إلا سرابــــــــا [2]

وللشـــمس نصيب وافرٌ في شعره فهذه صورة شمسية للون السماء والماء وقد صار كـــلٌ مـــنهما أزرق صافيا ، ثم يصور لنا الشمس وشعاعها في صورة حركية مضطربة . فشعاع الشمس حينما يسطع في البحر تحسب أنها شمسٌ أخرى غير التي في الأفق :

تلك السماءُ ، وذاك سطحُ المـــــاء كل بدا في الحُلة الزرقـــــــاء

والشمسُ باسطةُ الشعاع ، تخالـــهُا في الأفق باديةً ، وفي الدأمـــــاء

لولا اضطربُ الماء في الدأمـــاء ، لم نعرف ذُكاءُ من شُعاع ذكـــاءِ [3]

وفي مشـــهدٍ آخرمن مشاهد الفضاء الجميل عندما يلتقي الأفق بالغياب ومواكب الســحاب من فوقه تسبح في فضائه ، ترى الشمس تارةً سافرة بلا نقاب ، ومرة محتجبة خلف الغيم والضباب في لوحة جميلة:

يا لجمال المنظر الخـــلاب !

عند التقاء الأفق بالغيـــاب !

وفوقها مواكبُ السحـــاب !

تسبحُ في الفضاء كالقبـــاب !

---

(1) محمود غنيم وشعره ، ص١٥٧ .

(2) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٤.

(3) السابق ، ص ٧٣٦ .

والشمسُ تارةً بلا نقـــــاب
وتارة تسرفُ في الحجـــــاب
خلف ظلام الغيم والضبــاب [1]

ثم يكتمل مشهد الغروب رويداً رويداً فيطلب الشاعر مجهراً أو اصطرلاباً حتى يرى الشـــمس ويقرب منها ، عندما يميل قرصها إلى أشعتها الذهبية في الماء فكأنه سراج خال من الضوء فتنطوي صفحة ذلك اليوم البهيج بغياب شمسه الجميلة :

من لي بمجهرٍ وإصطـــــرلاب ؟
حتى أرى الشمس على اقتــراب
إذ مال قُرصها إلى الغيـــــاب
واصطبغت بحمرة العتـــــاب
وانطفأت جمرةُ الالتهـــــاب
في الماء ؛ فهي كالسراج الخابي
وصاح صوت الدهر كالغراب
– في نغمٍ خال من الاطراب – :
صفحةٌ انطوت من الكتاب ! [2]

ثم انظر إلى هذه المناجاة الجميلة للشمس حينما يجسدها في صورة شخصٍ يتحدث معه . ويقابل بين منظر الغروب والشروق . ويتعجب من حمرة عينها في الصباح . فتجيبه أن تلك الحمرة ناتجة عن تلك الدماء التي يتلطخ بها الغرب حينما أطوف عليهم :

قلت للشمس :يا عروسَ السمـــــاء		إنما تغربين في عين مـــــــــــاءِ
فلماذا لمحت وجهك إذ أشـــــــــ	(م)	ـــرقَ مثل العقيقة الحمـــــــراء ؟
قالت الشمس : إنني طفت حول الـــ	(م)	غرب، والغربُ سابحٌ في الدماء [3]

---

(١) المصدر السابق ، ٧٢٤.

(٢) السابق ، ٧٢٤ وتاليتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٢٨٣

وهذه صورة تأملية رائعة في الليل وما يضمه من نجومٍ وسكون وهدوء . فالليل إذا عم وغشى يشبه جيشاً يغير على كل شيء:

وجيشُ الليل من أبناء حـــــــامٍ يغير على المزارع والتـــــــلال [1]

ثم يـــتابع تأملاتـــه في ذلك الليل البهيم وحوله بنات الفكر وبنات النجوم وهي تأملات تسمو به إلى عالم الخيال :

وقد وليت شطر النجم وجهـــــي وألف بيننا سهر الليـــــــــالي

فخلت كأنني أسمو بروحـــــــي إلى دنيا سوى دنيا الـــــــزوال

هـــنا تتكشف الدنيا أمامــــــي ويسبح في مجاهلها خـــــــيالي

فأنـــت تخالني فرداً، وحـــــولي بناتُ الفكر تسرف في الـــدلال [2]

ويزداد تأمل الكون في عمقه إذا سكن الليل وهدأ ، وهو من شدة سكونه صمته يســـمع وقع أقدام النمل ، فتمتلىء نفسه خشوعاً ومهابةً وتصفو كصفاء حبات اللآلي ، ويتصنع له كنه حقيقة ذلك الكون على ضوء الهلال بعد أن حجبه نور الشمس :

سكون الليل يُرهف غربَ حســـي فأسمع وقع أقدام النمـــــــال

ويملأ صمتُه نفسي خشوعـــــاً فتصفو صفوَ حبَّات الــــــلآلي

وتخفي الشمسُ كنهَ الكون عـــني وألمحُهُ على ضوء الهـــــلال [3]

(١) المصدرالسابق ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) السابق ، ص ١٣٣ .

في رحاب المدنية الحديثة

- مع المخترعات الحديثة .
- مع الفضاء .

عاشـــت البلاد العربية فترةً من الرّكود الصناعي والحضاري في شتى مجالات الحياة المخـــتلفة ، ولمـــا هبت رياح التقدم الحضاري الجديدة والآتية من الغرب لم يبق المشرق العربي بمعـــــزلٍ عنها ؛ بل تقبلها وتعامل معها ، وانبهر بهذا الجديد القادم الدخيل على المجتمع .

وكـــان شأن البلاد المصرية كشأن غيرها من بلاد المشرق العربي ، حيث امتزجت مـــع الحضـــارة الجديدة ، وانبهرت بها وعبر عنها الشعراء في أشعارهم ، وكان شاعرنا القدير من ركب أولئك الشعراء الذين تغنوا بنواحي المدنية الحديثة ومن بينهم البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم من شعراء ذلك العصر .

ولم يكـــن موقف الشاعر موقف إعجابٍ فقط من تلك المخترعات ، بل إنه كان يعاتب قومـــه عـــلى وقوفهـــم عاجزين ومبهورين أمام تلك المخترعات حاثاً إياهم أن يتقدموا ويتعلموا حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم وحضارة :

في كل يومٍ نرى للغرب خارقـــةً   وليس للشّرق إلاَّ السمعُ والنّظـــرُ
القوم يبتكرون المعجزات لنـــــا   ونحن نفتنُّ في إطراء ما ابتكـــروا [1]

وفي رحاب المدنية الحديثة التي كانت رافداً من روافد شعر غنيمٍ عشت أوقاتًا مع خيال الشاعر ، وقمتُ بتناولها من وجهين ، الأول : وصف الشاعر للمخترعات الحديثة . والثاني : وصفه للمركبات والرحلات الفضائية . وإليك بيان ذلك :

● مع المخترعات الحديثة :

١- المذياع (الراديو) :

وهو آلة تقوم بنشر الأخبار والبرامج المتنوعة عبر الأثير " وقد وصفه عددٌ ليس بقلـــيلٍ مـــن الشعراء ، منهم عباس العقاد ، وأحمد محرم ، واسكندر الخوري البيتجالي ، وعلي الجارم " [2] .

وقد صّوره غنيمٌ تصويراً رائعاً وجميلاً لما لـــه من تأثير في حياة الناس ، ويبدو أنه قد احتار في وصفه منذ البداية فهو شادٍ يغني لكنه ليس بطير ولا بشر ، وإنما لسانه مخلوق من حديد

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخةٌ في وادٍ ، ص ١٣٠ .

(٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص٢١٤.

وخشب ، بفضل العلم الحديث :

شادٍ ترنمّ ، لا طيرٌ ولا بشـــــرٌ ... ياصاحب اللحّن ، أين العود والوتر ؟
إني سمعت لساناً قُدَّ من خشـــب ... فهل تُرى بعد هذا ينطقُ الحجرُ ؟ [1]

وبفضل الأثير الذي تمرُّ عبره الموجات فإنَّ الراديو قد جعل العالم قرية صغيرة بعد أن أصـــبحت الكرة الأرضية محصورة من خلاله ، وهو عندما يطوي الفيافي الواسعة كأنه شمس وقمرٌ قد طويا الأرض ، وهما ثابتان في رأي العين :

وآلةٍ جَعَلَت من حجرتي أُفقـــا ... يرتدُ منحسراً عن حدِّه البصـــر
كأنها الكرةُ الأرضية انحصـــرت ... في جوفها ، والورى في جوفها انحصروا
تطوي الفيافي طيّا وهي جاثمـــةٌ ... كأنها الشمس إذ تسري ،أو القمر [2]

ثم يـــتألق في وصـــف جزئـــيات تلك الآلة الحديثة فكل رقمٍ منها محشّو بالألحان والطرب ، وهي عوراء ، صّماء ، بكماء ، ثرثارةٌ :

وكلُّ رقمٍ عليها حشوهُ طـــربٌ ... وفيه كنزٌ من الألحان مستتـــر
عوراءُ ، لا تخرج الأصواتُ من فمها ... إلاَّ إذا ما بدا من عينها الشّـــرر
صَمَّاءُ ، لكن تعي ما لا تعـــي أذنٌ ... بكماءُ ، من فمها الأخبار تنتشـــر
ثرثارةٌ ، إن أردت القولَ ثرثـــرةً ... فإن أردت اختصاراً فهو مختَصـــر [3]

٢- الإنسان الآلي :

أُنشـــئت هذه القصيدة عقب اطلاع الشاعر على صورة نُشرت في الصحف للإنســـان " الميكانـــيكي " الذي اخترع في أمريكا سنة (١٩٣٤) ، وزاول كثيراً من الأعمال التجارية التي يزاولها الإنسان [4] .

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٢٨ .

(٢) السابق ، ص ١٢٩ .

(٣) السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) انظر: السابق ، ص ١٢٩ .

وهـــذا الإنسان العصري أو قل (الآلي) كان مصدر إعجاب الشاعر الذي أثار تساؤله من أول بيت في القصيدة ، فهو إنسانٌ لم يُخلق من طينٍ ولا ماءٍ ، وليس نسلُه من نسل حوّاء ، يشبه الإنسان في الشكل والهيئة دون الرّوح والعاطفة والشعور ، ولكنه نتيجة حتميةٌ للعلم الذي كشفه ، وللحضارة التي أنجبته ، وهي حضارةُ عذراء كعذرية مـــريم البتول:

ماذا أشاهدُ ؟ لا طيناً ولا مـــــاءَ	وليس هذا الفتى من نسل حـــــواءَ !
لا يشبهُ الناس : إحساساً وعاطفـــةً	ويشبه الناس : تركيباً وأعضـــــاء
فتىً عريقٌ ، بحبل العلم متصـــــــلٌ	إنْ عدَّد الصّيد أجداداً وآبـــــــاءَ
وهيَ الحضارة أُمٌّ أنجبته ، ومـــــا	زالـــت كمريم ذات الطهر عذراءَ [1]

ولذلـــك الإنســـان الآلي صفاتٌ حسنة صورها الشاعر في تراكيب جميلة فهو لا يشـــتكي ســـقماً ، ولا يهاب موتاً ، يرى ويسمعُ ما يدور حوله ولكن في غير إحساس وتمييز ، حتى وإن قطعوه بالسيف إربا :

لا يشتكي مثلما يشكو الورى سقما	ولا يهابُ رسول الموت إنْ جـــــاء
يرى ويسمعُ ، لكن لا يحـــسُّ ، وإن	هم قطعّوه بحدِّ السيف أشــــلاء [2]

وهو ساعٍ وخادمٌ لا يتعب من المشي ، وخازنٌ أمينٌ لا يغترُّ بمالٍ ، وحارسٌ نشطٌ لا يشكو أرقا ، ولا يغمض جفناً :

فياله ساعياً : يمشي على قـــــدم	لا تشتكي إنْ شكت أقدام وجنـــاء !
وياله خازناً : لا تستبيـــــــه ، ولا	تغريه بالمال إنْ حاولتَ إغـــــراءَ !
وياله حارساً : لم يشك مـــــن أرقٍ	ليلاً ، ولا حاولت عيناه إغفاءَ ! [3]

ومن أبرز سمات ذلك الإنسان الآلي الإخلاص في العمل كإخلاص الأبناء ، ومن ثَمَّ لم يعد هناك مجالٌ للخوف من العقم :

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٢) السابق ، ص ١٢٢ .

(٣) السابق ، ص ١٢٢ .

لن ترهب العقمَ بعد اليوم والـــــدةٌ أو يعدمَ الشيخُ بعد الشيب أبناءَ [1]

وعـــلى الرَّغم من تلك الإيجابيات الحسنة لذلك الإنسان الآلي ، إلاَّ أنَّ له مساوي اجتماعية واضحة وجليّة على شباب البلد الذين يعانون داء (البطالة) ؛ حيث إنه سيسدُّ أمـــامهم فرص العمل المتاحة ، وفي ذلك مشاركة اجتماعية رائعة من الشاعر فهو لم ينس قضية البطالة التي تنتشر في البلاد :

قم سائل العلم-إذ سوى جوارحه:- هل رام هدما به أم رام إنشـــاءَ ؟

يشكو البطالة غادينا ورائحنـــــا فهل نضيفُ إلى أدوائنـــــا داءَ ؟

أما ترى الأرض قد ضاقت بمن حملت فثارت الحربُ حول القوت شعواء ؟ [2]

وفي آخر المطاف يعقدُ موازنةً طريفةً بين ذلك الإنسان الآلي وما يحمله من صفاء ونقاء ، وبين الإنسان الحقيقي الذي قد ملأ قلبه الحسد والحقد والضغينة :

لأنت أسلمُ – يابن الصُلّب – عاقبــةً من أنفسٍ ملئت حقداً وبغضـــــاءَ

أقسمتُ ، أنك بين الناس أنزههـــم يداً ، وأطهرُهم قلباً وأحشـــــاءَ

حييت فيك فتى : ما قال فاحشـــةً يوماً ، ولاعاب إنساناً ، ولاساءَ ! [3]

٣- آلة التصوير (الكاميرا) :

أُعجـــب غنيم بهذا المخترع الجديد ووصفه في مقطوعة من بيتين ، وهي آلة تأتي عـــلى الشيء وتلقطه في صورٍ محاكية للواقع الملموس ، وهذه المحاكاة كأنها في نظره شيء مـــن القدر المحتوم ، ووصْفُ الشاعر لها كان معتمداً على النقل الواقعي المباشر دون زيادة أو خيالٍ عميق يقول :

شاهدتُ حاكيةً تأتي على الصــــور كأنما يتحدى رسُمها القــــــدرا

فقلتُ : خلقٌ بلا سمعٍ ولا بصــــرِ لينفُخ المرءُ فيها الروحُ إن قــدرا [4]

(١) المصدرالسابق ، ص ١٢٢ .

(٢) السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٤٨٠.

وفي قصـيدته " خيالٌ في يقظة " التي أنشدها في صباه عندما أُهديت إليه صورةُ حبيـبة إلى نفسه نراه يعرض لوصف " آلة التصوير " فهي عنده آلة تعتمد على الطبيعة ، والطبيعة هي الموحية باختراعها ، ويتعجب من هذه الآلة فهي تنقش الطبيعة بدون ريشة أو قـلمٍ ، فكأنها سحرٌ يرسم ملامح الوجوه في طلاقتها وعبوسها ، واستخدام تلك الآلة لـيس عسيراً بل إنها تنقل الواقع الحقيقي بالضغط على (زرارها) دونما أي تعب ، ثم إنه مـن شدة وضوح تلك الصور ومحاكاتها للواقع لم يبق عليهم إلاَّ أن يخلقوا لها لحماً وعظاماً :

ومصِّور فوق الطُّروس تخالـه ... في الفنِّ وقّاد القريحة مُلهمـا

لم يتخذ إلاَّ الطبيعةَ مُرشـداً ... وعلى مسائلها الِّدقاق تعلَّمـا

قد بات ينقشُ في الزُّجاج ، ومالـه ... كفٌّ تحرِّكُ ريشة أو مرقمـا

عجبي عليها آلة سحريـة ... تصفُ الوجوهَ طلاقة وتجهُّمـا

لا تقتضيك سوى تحرُّك إصبـعٍ ... حتى تصورَ ما تشاءُ وترسُمـا

صُورٌ إذا وضعت بجانب أصلهـا ... لم تعرف الأصل المحاكي منهمـا

لم يبق من شيءٍ سوى أن يخلقـوا ... لحماً لها تيك الرُّسوم وأعظـما ! [1]

٤ - القدَّاحة (الولاعة) :

أُهديـت للشـاعر (ولاعـةٌ) من الأمير : صقر القاسمي وكانت ثمينةً وغاليةً ، فأججت قريحة الشاعر فوصف شعلتها ، وفتيلها ، وزينتها ونورها :

قداحةٌ جاءَتك من قـداح ... قداح ، زند المجد والسمـاح

شُعلتُها تضيء كالمصبـاح ... هازئةً بعاصف الريـاح

فتيلُها من طرة المـلاح ... وزيتُها من قطرات الـراح

أومن عصير الزنبق الفـواح ... لله ومضُ نورها اللمـاح

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٠ .

يحكي لنا عن فلق الصبـــــــــاح رقصُته تدعو إلى الـــــــــمراح [1]

٥ـــ الساعة :

فُقــدت للشـــاعر ساعةٌ عزيزة لديه وهو في أيام الشباب وقد رثاها بأبيات جميلة جعل عنوانها (فجيعةٌ في ساعة)[2] ضمَّت ضمن باب الدعابات والفكاهة ، وهذه الساعة كأنها توحي وترمز إلى فقد عزيزٍ لدى الشاعر خاصة وأنه قد جعلها كالسوار حول يده :

وساعةٍ كالسوار حولَ يـــــــدي ضاعت ، فأوحى ضياعُها جلدي

وهذه الساعة التي أضاعها نجله الصغير كانت بمثابة فقد الابن ، وهي خسارة جللٌ في نظره :

ضيعها نجلي الصغيرُ ، وكـــــــــم حملتني من خسارة ولـــــــــدي

قالوا : فداءُ له ، فقلت لهـــــــم كلاهما فلذتان من كبـــــــــدي

وبــدأ في ســرد بعض المناقب الهامة للساعة فهي أنيسةٌ لــه في سفره ، تذكره بوعوده التي وعدها ، وترتبُ له أيام أسبوعه ، وتنظم له أوقاته :

من مسعدي إن أكن على سفــــرٍ ومن يفي لي بالوعد إن أعِـــــد ؟

التبست أيامي عليَّ ، فــــــــلا أفرق ما بين السبت ، والأحـــــد

واختل وقتي ، فإن وعدتـــــك إن أزورك اليومُ ، جئت بعد غـــــد

ثم يــبين حالــة يده وشكلها من غير الساعة ، وكيف أصبح منظرها وكأنه رمدٌ للعيون ، فبالساعة يحسن المنظر ، ولصوتها تغريدٌ في الآذان :

أمست يدي – بعدها – معطلــــةً منظرها في العيون كالرمـــــــــد

فمن لعيني بحسن طلعتهـــــــــا ومن لأُذني بصوتها الغـــــــرد ؟

كم آنست وحشتي بدقهـــــــــا فالآن أصبحتُ شبه منفـــــــرد

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٤٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٥١ .

٦ ــ الباخرة :

وصــف الشــعراء في العصــــــر الحديث الباخرة وصفاً دقيقاً ، وأكثروا منه في أشــعارهم :" وهـــم عادةً يجمعون بين مشاهد السفينة والبحر ، وأحوال الركاب ، وقد يستطردون إلى ذكر البلدان التي يؤمونها أو الأغراض التي يقصدونها " [١]

وشاعرنا كان من أولئك الشعراء الذين أجادوا وصفها ، وجمعوا بينها وبين أهوال الــبحر وأحــوال الركاب . ومن أشهر تلك البواخر المصرية التي تحدث عنها في شعره الــباخرة (زمزم) : حيث وصفها عند أول رحلة قامت بها ، فرسم لها صورة جميلة وهي تمخر البحر ، فــ (زمزم) في نظره كاعبٌ حسناء تختال وتتبختر جمالاً وبهاءً ، أما صفيرها فقد أشجاه كما يشجيه لحن الحمام المغرد:

أرأيت زمزمَ وهي في البحــــــــر ... تختالُ مثل الكاعب البكــــــــر ؟
وصُفيرها يشجي الفؤاد ، كمـــــا ... يشجبه نَوحُ حمائم الســــــدر [٢]

ثم يشبه حركتها بجبلٍ يتحرك فوق التراب ، وإذا سارت فإن عين الله ترعاها :

وتحركت ، فكأنها عَلــــــــــمٌ ... متحركٌ فوق الثرى يجــــــــــري
سارت وعينُ الله تتبعهـــــــــا ... في البحر من عَبَرٍ إلى عِــــبر [٣]

ثم يشبه خفقانها وهي تتهادى في البحر عندما تهب عليها الرياح بخفقان قلب العاشق المحب الذي هزه الشوق ؛ أما ظلمات البحر العاتمة فقد انقشعت بضياء الباخرة ونورها :

إن داعبتها رِيُحه ، خفقـــــت ... خفقات قلب الصب في الصـــدر
ظلمات بحر القلزم انقشعــــــت ... بضياءِ ذات الأنجم الزهـــــر [٤]

وهي درة نفيسة من درر البحر المكنون ، تمشي بأمرها الرياح منصاعة ، وتتحرك فوق الماء بانسياب يدفعها البخار الرقيق ، أما صوت مرجلها فكأنه زفرات قلب ذاب من شدة الهجر:

---

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص٢١١.
(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٥٠.
(٣) السابق ، ص ٤٥٠.
(٤) السابق ، ص ٤٥٠.

يا دُرةٌ في البحر ، لو وزنـــــت رجحت على مافيه مــــــن دُر
تمشي الرياحُ على مشيئتهــــا مأمورةً تنصاعُ للأمـــــر
تنساب فوق الماء جاريـــــةً مدفوعةً بالماءِ والجمـــــر
وكأنما زفرات مرجلهـــــا زفراتُ قلبٍ ذاب من هجـــــر
وهو البخارُ أرقُ حاشيـــــةً في مسِّه من نسمة الفجـــــر [1]

ثم يصـــور هيئة تلك الباخرة المصنوعة من الحديد وهي تجر ذنباً ضخماً يمشي في خفةِ الطير ، ويبين مكانة الباخرة في نفوس الناس وأنها قد سلبت من الخيول والإبل المكانة والعـــزّة ، وتفوقت على السفن الشراعية التقليدية ، فالعصر إذاً هو عصر الباخرة لا عصر الخيل والإبل والسفن الشراعية :

جر الحديد وراءه ذنبـــــاً ومشى به في خفةِ الطـــــير
سلب الخيول الغر دولتهـــــا وأدال مُلك العيس في القفـــــر
وغزا الشراعَ، ففر منهزمـــــاً وكفاه شر الطي والنشـــــر [2]

فـــتلك الأبيات السابقة تدل على مقدرة شاعرية وحسٍ في الأداء لأنه عالج موضوعاً يُعد جديداً وهو وصف المخترعات الحديثة التي كانت مصدر إلهامٍ لشعره.

● مع الفضاء :

للفضـــاء في ديـــوان غنـــيم نصيبٌ كبير قل أن تجده عند شاعر آخر من أقرانه . واتصـــاله بالفضـــاء الخارجي ينم عن سعة اطلاعه في هذا المجال الرحب الذي يحتاج إلى دراســـة علمية مستفيضة وتجارب تطبيقية للتعرف على هذا الفضاء الخارجي والغوص في كلياته وجزئياته.

وغنـــيم قـــد وصف (القمر) كما مر معنا وجعلنا ذلك الوصف جزء من الطبيعة الكونـــية . أما هنا فسوف نعرض لعلم الفضاء والأدوات الحديثة التي استخدمها للوصول إليه ومن تلك القصائد الجميلة التي اهتمت بالفضاء (زورقٌ في الفضاء) وفيها يتحدث عن (مركبة الفضاء) . فبفضل العلم أصبح هذا الزورق الفضائي يتحدى العقاب في الجو :

---

(١) المصدرالسابق ، ص ٤٥١ .

(٢) السابق ، ص ٤٥١ .

زاحموا النون في البحار ، وراحـــــوا   يتحــــــــدون في الهواء العقابا [1]

وهـــذا الـــزورق الفضائي كأنه سفينةٌ اتخذت من الفضاء طريقاً لها ، ومن الهواء أمواجـــاً تعـــبر عليها . وهو طائرٌ سريعٌ مستقيم الجناح . لكنه ليس كالطيور المعروفة ؛ مصنوع من حديد لا روح فيه ، اتخذ من الحضارة أماً ومن العلم أباً :

زورقُ شق في الهواء طريقـــــــاً   فكـــــــــأن الهواء صار عُباباً

طائرٌ ليس كالطيور ، صقيـــــــلٌ   مستقيم الجنـــــاح ، صُلب الذُّنابي

نفخوا الروح فيه، وهو جمـــــاد   وكســـــــــوه من الحديد إهابا

معرقٌ ؛ أمه الحضارة ، والعلـــــــ (م) ـــم أبـــــوه، إذا أراد انتسابا [2]

وهـــذه المركبة الفضائية تجمع بين السلام والحرب ، فهي في وقت السلم ملكٌ ، وفي وقت الحرب شهابٌ محترقٌ :

ملك في السلام حتى إذا مـــــا   خاض نار الحرب ، كان شهبا [3]

إلا أن لـــتلك المركـــبة الفضائية أضرارها الخطيرة على الفضاء والبيئة والحضارة والسلام ، يقول في هذا الجانب :

أيها الطيرُ المحلق نحســـــــــــا   أنــــت أحدثت في الوجود انقلابا

كم مقتنا لأجلك النور مقتــــــاً   وكرهنـــــــا المناخ إن هو طابا

قد بلوناك عادياً ، فوجدنـــــــا (م) ك أحـــــــدَّ الطيور ظفراً ونابا

لك عدوُ الظباء سارت خفافـــــاً   وزئيرُ الأسود ثـــــارت غضابا [4]

ومـــع ذلك التطور العلمي وازدياد صلة الإنسان بالكون والقمر والفضاء يقرأ غنيمٌ خبراً أوردته مجلة (الكتاب) مفاده " أن ترويض الذرة سيمكن من ارتياد الكواكب " [5]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٢٤.

(٢) السابق ، ص ١٢٤ .

(٣) السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) السابق ، ص ١٢٧ .

فشارك بقصيدة يقرر فيها أن القمر بفضل الوسائل الحديثة صار قريباً ، وأن الأرض قد تبادلت معه السفراء فأصبحوا على اتصال دائم :

كأني بالزمان وقد دنا من ... يد المتناولِ القمرُ المنير
وصار الكوكبان على اتصالٍ ... لكلٍ عند صاحبه سفيرُ [(١)]

ثم يتساءل قائلاً : هل في ذلك الكوكب الفضائي سكان يعيشون عليه ؟ وهل به بحارٍ وغدران ؟ وهل في جوه غيمٌ وحرٌ وبحرُ ؟

تُرى : هل فيه سُكانٌ؟ وهل هم ... أناسٌ أم ملائكةٌ وحور ؟
وهل ينمو به زرعٌ ، وضرعٌ ... وتسجعُ في خمائله الطيور؟
وهل يجري به مِلحٌ أجاجٌ ... من الآذيِّ أم عذب نمير ؟
وهل في جوه غيم ، وصحو ... وحرٌّ لافحٌ، أو زمهرير ؟ [(٢)]

ولا ينسى غنيمٌ وهو يتساءل عن أحوال ساكني تلك الكواكب أن يشير ويسأل قائلاً : هل بهم شره وشر كأهل الأرض ؟ وهل لحياتهم نهاية وموت ونشور؟ فهو ناقمٌ على أفعال بني جلدته أولاً ومقتنع بالموت والنشور ثانياً :

وهل في أهله شرهٌ، وشر ... كأهل الأرض أم كرمٌ، وخير
وهل لحياتهم أجلٌ مُسمى ... وموتٌ بعد ذلك أو نشور ؟ [(٣)]

ثم يناجي (القمر) الذي جعله سليلاً للأرض أن يرأف بحالها ويزورها يساعدها ويخفف عنها ذلك العبءُ الثقيل من تزاحم السكان الذين ضاقت بهم :

سليل الأرض ، مالك غيرَ بَرٌّ ... بأمك لا تُزار، ولا تزور ؟
ألا خففت عبء الأرض هَونا ... فأمك آدها النسل الكثير ؟
أرى أرضاً تضيق بساكنيها ... وبحراً كله سفنٌ تمور [(٤)]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .
(٢) السابق ، ص ٢٧١ .
(٣) السابق ، ص ٢٧١ .
(٤) السابق ، ص ٢٧١ .

ثم ينـــتهي الشاعر بعد تلك الرحلة الفضائية التأملية إلى التوحيد الرباني والتسليم المطلق بأن الله ليس أمامه أمر عسير وأن ذلك الحلم سيصبح حقيقة :

أمان كنَّ أحـــــــــلام الأولى   فهل يأتي بها الزمن الأخـــــــير ؟
تعالى الله إن العلم أمســــــــى   وليس أمَامَه أمرٌ عســــــــيرُ [1]

ويمضــي الشـــاعر في رحلاته الفضائية فيأتي بمطولته الرائعة في وصف مركبة الفضاء الأمريكـــية (أبولو) " التي ترسلها أمريكا بين الحين والحين إلى سطح القمر لتتعرف على أسرار الحياة فوقه وتدرس طبيعته " [2] فيبدأ القصيدة بتهنئة المركبة على ما تحقق لها من انتصار، ولكنه يتعجب كيف استطاعت أن تحمل أناساً من الأرض وتطير بهم وتنزلهم على سطح القمر بسلامٍ وأمن ، مع أن القمر كوكبٌ غريبٌ يصعب العيش فيه :

ليهنك ، يا أبولو ، الانتصـــــــار   بربك : كيف طرت بهم وطاروا ؟
وكيف حملت ، ركبك في ســـــلامٍ   فقرهم على القمر القـــــــرار ؟
وكنا نحسبُ الأفلاكَ خلقـــــــاً   غريباً لا يزور ولا يـــــــزار [3]

ويتعجـــب مـــن الطـــريق الذي سلكه ذلك المركب فهو طريق ليس مُعبداً وغير مطـــروق ، إذ لا يمر به إلا حطام النيازك والشهب ، حتى أنَّ الرياح والسحب لا تمر به ، فالطريق غريبٌ مجهول ليس به لافتات ولا هُداة ، و لم يسلكه عربيٌّ ولا أعجمي :

بربك : كيف سرت على طـــــريقٍ   عقيمٍ، لم يعبده السِّفــــــــــار ؟
و لم يمررُ به إلا حطـــــــــــامٌ   يطير من النيازك أونثـــــــار ؟
فلا ريحٌ لها فيه هُبـــــــــوبٌ   ولا سُحُبٌ لها فيه انهمـــــــــارُ
ولا كُتبت عليه لافـــــــتـــاتٌ   ولا يهدي السُّراةَ به منــــــــار
ولا خط الأعاجم فيه يومـــــاً   ولا خطرت به يوماً نِـــــزار [4]

(١) المصدرالسابق ، ص ٢٧٢ .
(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ١٦١ .
(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٠٧ .
(٤) السابق ،ص٧٠٧ .

ثم يجعــل آلات الــبخار القديمة طللاً دارساً يبكى عليه ، بفضل الآلات الحديثة كالصــواريخ الجديدة التي تدين لها الأفلاك ، والتي من أجلها باتت النجوم سافرةً كاشفة لاحجــاب عليها ، وبفضلها سيحمل الأثير الناس إلى الكواكب الفضائية فيتخذون منها مصطافاً ومنتجعات :

مضى عهدُ البخار ، فبات يبكـــي ... على أطلال دولته البخــــــار
ومرحى بالصورايخ اللـــــواتي ... يدين لنا بها الفَلَكُ المـــــدار
نجومُ الأفق ما عادات وجوهـــا ... عن الأنظار يحجبها خمــــار
سيحملنا الأثيرُ إلى الـــدَّراري ... كما حملت أوالينا المِهـــار
وتُتَّخذُ المصايف في ذُراهـــا ... وتُفجعُ في شواطئها البحـــار [1]

ثم يتذكر شاعرنا عظمة المولى عز وجل بعد تحليقه وتأمله في ذلك الأفق البعيد ، والصعود إلى القمر:

تعالى الله إن العلم نـــورٌ ... سناه من سناهُ مستعـــار
أفوق الأرض يُضمن – ليت شعري ... بهذا الكشف للعلم انتشـــار ؟
ويُرسى للسلام به أســـاسٌ ... ويكتبُ للحضارة الازدهـــار ؟
أمانٍ تلك ، إن هي أخطأتنـــا ... فلا نصرٌ هناك ، بل اندحـــارُ [2]

يقــول د. صــابر عبد الدايم معلقاً على جوانب التأمل النابع من رؤية الشاعر الإسلامية ومنها رحلات الفضاء :" وللشاعر مطولات في هذا الاتجاه .. ، وهو يتأمل هذه الظاهرة العلمية ويحلق في آفاق الفضاء ، ولكنه يظلُّ مرتبطاً بالأرض ، حريصاً على رخاء البشرية ، متمسكاً بحبل الله المتين ". [3]

ثم يسائل الشاعر تلك المركبة عن سطح القمر ويودُّ منها أن يعرف حقيقية الحياة على سطحه ، حتى ينتفع الناس بها عن طريق العلم والذرة والاكتشاف :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠٨ وتاليها .

(٢) السابق ، ص ٧٠٨.

(٣) مجلة البيان ، العدد ١١٧ ، السنة الثانية عشرة ،جمادى الأولى ، ص ٤٨ .

بربك ، ياأبولو ، حدثينـــــــــا   أما في رقعة القمر اخضـــــرار ؟
أما في سطحه قد شق نهـــــــــرٌ   ولا في أيكه غنى هــــــــزار ؟

ويعتـــب أشد العتاب على سليل الأرض وهو القمر الحقيقي الذي عراه الصدود والازورار حين قام رواد الفضاء بزيارته ، والذي لم يهش ويفرح بقدومهم ؛ حتى أنه لم يمهد الطريق الموصلة إليه من أجل التقدم العلمي والحضاري بين الطرفين:

أخا الأقمار ، مالك – حين زُرنـــا   حماك – عراك صـــــــدٌ وازورار
و لم يفرش لنا الطرقـــــات ورداً   بنوك ، ولا بتسليم أشــــــاروا ؟
ومالك لا تَهَشُّ وقد قدِمنـــــــا   عليك ؟ أبيننا إحنٌ وثـــــار ؟ [1]

ثم يشتد عتابه على القمر ثانيةً ، فيخاطبهُ مخاطبة اللائم المعرض :

ظننا فيك تعزيةً وسلـــــــــوى   لمن أنضاه فقرٌ واعتــــــــرار
فما عدنا نذُوبُ إليك شوقــــــاً   ولا بسَنَاك يأخُذنا انبهـــــار [2]

ثم يذكره بالأمول الهائلة التي صُرفت من أجل ارتياده والوصول إليه :

أتعلم في صخورك كم بذلنــــا ؟   سَلِ " الدولارَ " ينبئك " الدلار" [3]

وينقســـم النـــاسُ في قضية ارتياد القمر قسمين ما بين مؤيدٍ مفتخرٍ بهذا الإنجاز ، ومتفائل مكتف بما في الأرض من كنوز وخيرات :

يقول الناسُ – في شرقٍ وغـــرب –   فخارٌ لا يعادُله فخـــــــــــارُ
ومجدٌ لا يفورُ به سوى مـــــــن   له دأبٌ عليه واصطـــــــــبار
ويهمس آخرون : لقد شططنــــا   متى ضاقت بأهليها الديـــار ؟
كنوزُ الأرض خافيةٌ علينـــــــا   ولا يبدو لنا إلا الإطـــــــار [4]

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٠٨ وتاليتها .
(٢) السابق ، ص ٧٠٩ .
(٣) السابق ، ٧٠٩.
(٤) السابق ، ٧٠٩.

ثم يتساءل الشاعرُ في تأمل عن ثمار ونتاج تلك الرحلات الفضائية وكأنه فيما يبدو غير راضٍ عنها بسبب ما أصاب الأرض وأهلها من الويلات والنكبات:

سلوا الأفلاك ـــ إذ طِرتمُ إليهـــــا ... أكانَ لها من الضحك انفجـــار ؟

وقبلكمُو بنى هامانُ صرحـــــاً ... فكاد النجم يدركه الهيـــار

أضعْتم في الهواء كنوزَ مـــالٍ ... وملء الأرض بُؤسٌ وافتقـــارُ

وحولَ القدس من جوع وعُـــريٍ ... ألوف تستجيرُ، فلا تـــجارُ

وقد فتكت بنا الأمراضُ فتكـــاً ... وأيدى الطب عاجزةٌ قصـــارُ [1]

وفي آخـــر تلك القصيدة " ينتهي الشاعرُ من تأملاته إلى الاحتماء بمظلة الإيمان ، ودائرة التوحيد ، و لم تنته به التأملات إلى القلق أو الشك .. وإنما لأنه شاعرٌ مسلم تنطلق تجاربه مع نبع إيمانه الفياض بالتسليم المطلق لخالق الكون " [2] يقول :

تعالوا نبتكر عهداً جديـــــداً ... يعُم الخيرُ فيـــــه واليسارُ

شهدت بأن لله اقتـــــدراً ... وغير الله ليس لـــــه اقتدارُ

وأن الجهل للإنسان — مهمـــا ... يزد علماً ، ومعرفةً — شعـــار

وأن وراءَ هذا الكونِ ربـــــا ... له في الكون أسرارٌ كبـــارُ [3]

ولقد أثارت هذه القصيدة نفوس الخاصة والعامة عند نشرها . فهذا الأستـــاذ عبد القدوس الأنصاري يعلق عليها تعليقاً جميلاً نقتطف منه ما يلي " بروح الإسلام العاليـــة يخاطبُ الشاعر محمود غنيم هؤلاء المغترّين بعلمهم المادي الذي صرفوه في غزو الفضاء ، وصـــرفوا فيه الكثير من قناطرهم المقنطرة فلم يغنوا بذلك شيئاً حيال الأمراض التي تفتك بالبشرية ، وحيال الحروب التي هي بصدد تدميرهم ، وتدمير علمهم وتراثهم ، فما فائدة عـــلم يطير إلى الفضاء وفي الأرض كل آهاتها ، إن الله هو المقتدر وحده ، فهو الـــذي خلق هذا الكون ونظّمه ، وغيرُ الله عاجزٌ مهما يؤت من علم " [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧١١ .

(٢) مجلة البيان ، العدد ١١٧ ، السنة الثانية عشرة ، جمادى الأولى ، ص ٤٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٢ .

(٤) مجلة التضامن الإسلامي ، عدد يونيو سنة ١٩٧٢م ، ص ٥٤٥ (بتصرف).

الأسرة

كـــان محمـــود غنيم من الشعراء العرب الذين انتهجوا نهجاً إسلامياً في شعرهم . وبقـــراءة نقدية فاحصة يتبين الناقد البصير فكراً إصلاحياً ، واتجاهاً إسلامياً عند الشاعر . وهذا الفكر والاتجاه نتج من عِدّة عواملٍ وروافد مهمة كان من بينها أسرة الشاعر المحافظة الـــتي نشأ وترعرع فيها ، وهذه الأسرة التي شكّلت رافداً وعاملاً قوياً في شعره سأتناولها من زاويتين الأولى الأسرة التي أنجبت الشاعر وتربى بين حناياها والثانية الأسرة التي كونها الشاعر وأسسّها وتشمل الزوجة والأولاد .

ولـــو نظـــرنا بعـــين واعية إلى أسرته الأولى والتي نشأ فيها نجدها تتكون من أبيه وإخوتـــه الذكور أحمد ، وعبد الواحد ، أما أمه فقد ماتت وهو صغيرٌ جداً ، وبين حنايا هـــذه العائلة نشأ تنشئةً دينية ؛ حيث حرص والده الذي كان يعمل في التجارة والزراعة على تربية أولاده ومن بينهم غنيم تربية كريمة خاصة بعد وفاة والدته .

وعاش (غنيمٌ) مع أسرته في رفاهية من العيش إذ كان أبوه كما قلت سلفاً تاجراً ومزارعاً " وكان يأتيه من وراء ذلك ربحٌ يكفي حاجة الأسرة ؛ بل ويفيض عنها في بعض الأحيان " [1] .كما اشتهر أبوه بالتقوى والزُّهد والنفّقة على المحتاجين من أبناء قريته .

ولمـــاّ توفي والده عاشت الأسرة بعده في شقاءٍ وعسرٍ وضيق لكثرة ما كان ينفقه أبوهـــم من أموال في سبيل الله " ولكنّ عين الله ورعايته أحاطت بأفرادها ، وكلأتهم فلم يضيعوا مع الفقر ، ولم يعدموا حيلة لمواجهة الحياة " [2] فتكونت لديه في هذه الفترة نفسٌ عصـــامية واجه بها معترك الحياة ودفعته إلى مواصلة الدراسة ، وطلب العلم ، والتّرقي في المناصب التعليمية المهمة .

ولووقفـــنا وقفةً يسيرة مع تلك النشأة في ظل والده لوجدنا أنَّ الشاعر كان يتجه الاتجاه الصحيح أمام عين والده التي كانت ترعاه فتعلم القراءة والكتابه ومبادئ الحساب ، وحفظ القرآن في الكتاتيب . وكان أبوه مولعاً بالشعر متذوقاً له مطلعاً عليه حاثاً ابنه على حفظ أشعار العرب وتذوقها يقول غنيم مخاطباً والده بعد رحيله عن الدنيا : " وما زلت أذكر – وإنْ بَعُدَ العهد – أنني كنتُ حين أقرأ لك في قصة عنترة ، أتجاوز الشعر كلما

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٧ .

بلغـــته ؛ بـــرماً به وشغفاً بتتبُّع مجرى الحوادث ، فتردُّني إليه في شبه انتهار قائلاً : " أقرأ الشعر تتعلم الفصاحة " "[1]

فأبوه يأمره بتعلم الشعر وحفظه وروايته ، حتى يصبح فصيحاً بليغاً ، وكان يمنحه جائزةً تقديرية كلما حفظ شيئاً من شعر حماسة عنترة ، أو من شعر الحكمة لعلي بن أبي طالـــب (رضي الله عنه) .[2] فكان لتلك النصيحة الغالية أثرها ، ولتلك الجائزة وقعُها ، فأصـــبح ينشد لأبيه شعراً صادراً عن موهبة أصيلة صُقلت بالتدريب والتجريب ولكنه " قلمَّا سلِم من اضطرابٍ في بنيانه ، أو تخلخلٍ في أوزانه ".[3]

فكـــان أبوه يستمع إلى ذلك الشعر المضطرب ولكن المنية بادرته قبل أن يسمع من ابنه الصـــغير شـــعراً ســـليم البنيان ، مستقيم الأوزان .[4] فأبى غنيمٌ بعد أن صلب عوده ، وصـــقلت تجربته ، وأصبح شاعراً رفيع المستوى إلاَّ أن يهديه ديوانه الأول (صرخـــة في وادٍ) لروح والده الطاهرة المباركة[5] .

والواقع أن أسرته الأولى قد أمدته بعاملين قويين في شعره : الأول : تشجيعي :

ويتمثل في تشجيع والده له وحثه إياه بحفظ أشعار عنترة وحكم علي (رضي الله عنه) ؛ بل وحفظ الشعر كله وروايته ؛ حتى يتعلم الفصاحة والبيان ، " فكان في قراءة هذا الشـــعر وتـــرديده ، ثم حفظـــه أكبر الأثر في تذكية الشعور وتنمية المواهب ، وتحريك الأحاســـيـــــس "[6] فأخرج أولَّ قصيدة وكان عمره سبعة عشر عاماً في رثاء الزعيم الوطني (محمد فريد) سنة (١٩١٩م) . ومنها :

قضى نحبه منها فريدٌ وودعـــــــــــا	فيا مصر أجرى نيلك اليوم مدمعـــا
قضى وقضاء الله لا شك واقـــــع	وما المرء إلاَّ أن يعيش فيصُرعـــــــا

---

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوانه صرخة في وادٍ ، ص ١٠ .

(٢) انظر : السابق ، ص ١٠ .

(٣) السابق ، ص ١٠ .

(٤) انظر : السابق ، ص ١٠ .

(٥) انظر : السابق ، ص ١٠ .

(٦) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٧٩ .

أرى العيش مهما طال ظل سحابـــة   إذا أومضت لا بد أن تتقشعــــــا [1]

والـــثاني : عاطفي : إذ عاش غنيمٌ في بيئة فقيرة قاسية بعد وفاة والده ، محروماً في الوقـــت نفسه من حنان الأمومة حيث توفيت والدته وهو صغير ، فتولد عنده ما يُسمّى بالعصامية حيث نشأ ملتزما بالكد والاجتهاد فواصل دراسته ، وتطلع إلى ميادين المعرفة ليحقق أعلى الرُّتب ، ويكّون أسرةً سعيدة مكتملة الجوانب ؛ لأنه قد ملَّ وتعب من شقاء العزوبة واكتوى بنيرانها ، فكلها مخاطر وأسرار وعدم استقرار فلا أرض تقلّه ولا دار تأويه ، يقول مخاطباً أحد أصدقائه في حفل زواجه :

عهد العُزُوبة قد مضى بشقائـــــه   إنَّ العزوبة كلَّها أخطـــــــــــار
قد عشتُ قبلك أعزباً لكنـــــــي   لا أرض تأويـــــني ، ولالي دار !
لا تسألوا عن بعض ما قاسيتُـــــهُ   قبل الزواج ؛ فهذه أســـــرار [2]

فقرر الزواج والاستقرار ولكنه وقف حائراً أمام تلك الزوجة التي ستشاركه حياته ، والـــتي ستصبح أماً لأولاده فراح يتساءل هل يتزوج ريفية ؟ أم يتزوج مدنية ؟ فاختار ريفـــيةً ولجأ إلى " بنات الأعيان من القرية ، واتجه إلى عائلة تعلب ، وهي أسرةٌ ريفيةٌ ، لكـــنها ذات غنى وجاه " [3] ولكن ما صفات تلك الرِّيفية في نظره هل هي تلك الجاهلة القابعـــة في فناء التخلف المتمسكة بأحبال الماضي البالية ؟ أم تلك المتعلمة الواعية المحافظة الملتزمة بشؤون الأسرة والحياة . لا شك أنها تلك الواعية المدركة التي ترعاه وترعى أسرته من بعده ، وما دام الأمر كذلك فانظر وهو يبلور فلسفته ونظرته من الزواج بالفتاة الرِّيفية ، وعدم التعلق بفتاة المدينة التي أخذت من المميزات أكبر من حجمها :

قالو الزواجُ ، فقلتُ : من ريفيـــة   لا المُدْنُ تُعجبني ، ولا الأمصـــار
لا تخذعنَّك غادةٌ حضريَّـــــــةٌ   فيها بياضُ زائفٌ ، وحمـــارُ [4]

ويؤكـــد عـــلى الـــزواج مـــن الرَّيفـــيات ، ويتفـــنن في وصـــفهم فـــيقول :

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ،ص ٨٦٠ .

(٣) محمد غنيم وشعره ، ص ٤٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٨٦١.

اختر لنفسك من فُتّياتِ القـــــرى | أهلاً ، فهُن ملائكُ أطهـــــــــارُ
أنا لا أقولُ : تزوجوا ريفيَّـــــــة | مِمَّن يُدَقُّ لأجلهنَّ الـــــــزَّار
كلاَّ . ولكن بينَ جُدرانِ القُــــرى | حُورٌ ، حرائرُ ، نُهَّدٌ ، أبكـــــار
أنثى مُثقَّفةٌ إذا عاشرتهــــــــا | تدري شئون البيت كيف تُـــدار [1]

تـــزوج غنـــيمٌ من تلك المرأة الرِّيفية التي أرادها ، وعاش معها أجمل سنيّ عمره ، وكان زواجه منها في أوائل عهده بالوظيفة وأنجب منها " أولادهُ الثمانية وهم سبعة ذكور وبنتٌ واحدةٌ " [2] . عاشوا كغيرهم من أبناء عصرهم ، وحاول الشاعر أن يوفرّ لهم سُبل العيش لتربيتهم وتعليمهم . ومن الطريف في الأمر أنَّ أسماء أولاده تبدأ بحرفٍ واحدٍ وهو حرف (العين) ، وقد جمعهم الشاعر في قوله :

عاطفٌ ، عادلٌ ، عزيزٌ ، عزمـــــي | عصمةٌ ، عاصمٌ ، عماد ، عـــلاءُ [3]

وعـــند اســـتقبال أول مولود له وهو (عاطف) أنشد فيه قصيدة تنمُّ عن خوفٍ وترقـــب وتشـــاؤم من الحياة المصيرية لذلك المولود الجديد الذي كان سبباً في تغيير حياة والـــده فحياة اللهو والمرح قد ولّت وأصبحت من نصيب مولوده ، وصارت حياةُ الأب حياة تعبٍ وكدٌّ تحمل عبء أسرة لا عائل لها إلا هو ، انظر إليه وهو يخاطب نفسه :

سرَّكَ اليومَ قولهم أم ســـــــــاءَك | حينَ قالوا : هذا غلامٌ جـــــــاءَكْ ؟
جانب اللهو من شبابك ولّـــــــــى | فدع اللهوَ ينتظر أبنـــــــــــاءَك
وتحمل عبء الأبوه ، ياويـــــــــــ (م) | حَكَ ، لم يحمل امرؤٌ أعبـــــاءَك [4]

وخوفه على مولوده من جور الليالي وبطشها ، وكرهه الشقاء على مولوده كان سبباً في تـــبرمه من مولوده ، وعدم مقابلتة بالفرحة والبسمة ، ولكنه يطلب منه الصفح والسَّماح على ذلك التّصرُّف ، ويتمنى بقاءه على مرّ الأيام سليماً معافاً ، وإذا ما أصابه مكروهٌ فإنه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٦١ .
(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ٥٢ .
(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٣٩ .
(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٣٦ .

سوف يبذل الغالي والرخيص لأجله :

أيها الطارقُ الجديدُ ، سلامـــــــاً أسألُ الصفح إنْ أسأتُ لقـــــاءك

علم الله ما كرهتُك ضيفـــــــــا لا ، ولكنني كرهتُ شقـــــاءك

بتُّ أخشى عليك جورَ الليـــــالي فالليالي ما أنصفت آبــــــــاءك

غير أني أمسيت – رغم شعــوري – أتمنى على الزمان بقـــــــــاءك

وأراني إذا أصابك ســــــــوءٌ أبذل النفس والنفيس فـــــداءك [1]

ويزداد حسرةً وأسىً حينما يتصور أنَّ أبوّته لوليده هي سبب شقاء ذلك الوليد وبلائه وهو في هذه النظرة والنزعة التشاؤمية متأثر بنزعة أبي العلاء المعري [2]،يقول غنيم :

ساءني ، يابني ، أن كنت نجـــــلاً لي ؛ فكانت أبوَّتي لـــــــك داءك

أيَّ ذنب جنيت في المهد حـــتى يصبحُ الهمُّ في الحياة جـــــزاءك [3]

إلاَّ أنَّ ذلـــك التشـــاؤم الـــذي عاناه لم يخرج به عن نطاق الأبوة ، فهو يشعر بها ، ويمجدهـــا ، ويظلُّ وفياً بواجبه نحوه ، يبذل كل ما في وسعه لتحقيق مطالب وليده على مطالبه الشخصية :

ليت شعري : أقانعٌ أنت أم لـــــو تستطيع الكلام تبدي استيـــاءك ؟

أفتدري : كم بتُّ أرفو كسائـــي وأوشي بكل زاهٍ كســـــاءك ؟

وإذا ضنَّ ثدي أمك يومــــــــاً بالحيا ، جعتُ ، والتمستُ غـــذاءك

ولقد أسمع الرعود تـــــدوِّي في ثبات ، ولا أطيق بكـــــاءك

أتُراها جنايةً أم تُراهـــــــا مِنَّةً تستحقُ منك ثنـــــاءك [4]

وتهدأ عاصفة الأسى ، والخوف على المولود من الشقاءِ والفقر ، ويرجو مـــن الله العزيز أن يجعل الخير والغنى من نصيب مولوده :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٢) حيـث كان يرى أن استمرار الحياة جناية يرتكبها الآباء في حق أبنائهم لذلك قرر الامتناع عن الزواج حتى يتوقف النسل ، وتقف حركة الحياة . فالحياة في – رأيه – لا قيمة لها ، ولا تستحق الحرص عليها . انظر كتاب : في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، ص ٢٠٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٦ .

(٤) السابق ، ص ٢٣٦ .

نم هنيئاً ، يرعاك من شق عينيـــــــك ، وأجرى بين العروق دماءك (م)

علَّ من وكَّل البلى بردائـــــــي يجعل الخزَّ ، يـــــا بُنيَّ ، رداءك [1]

ويمضـــي على ولادة ذلك الابن عامٌ فيتعودُ الشاعر على مطالبه وقضاءِ حاجاته ، وبعـــد عامٍ ثان يرزق بمولودٍ آخر ، هو الثاني بين أبنائه ويسميه (عادل) بينما كان هو يعمل معلماً في (كوم حمادة) التي تتميز ببردها القارص فيجلس مع ولديه وزوجته حول (المدفـــأة) لدفع أذى البرد وقسوته ، وهو مظهرٌ جميل من المظاهر الاجتماعية في المجتمع المصري يدلُّ على الترابط والتكاتف والأنس والمحبة بين أفراد الأسرة .

ويصـــور غنـــيمٌ ذلـــك المشهد الأسري في لوحة فنيـــة رائعة علَّق عليهـــــا الدكتور عبد المنعم خفاجي بقوله : " ولا نجدُ شاعراً معاصراً يُوفَّق التوفيق كله في رسم صورته وأدائها في براعةٍ وخفةِ روح ، ومصرية تعبير ، وعذوبة أسلوب كشاعرنا غنيم ، هذا الشاعر الذي يبلغ القمة في روعة الأداء في قصيدته " أنا وابناي " [2] .

وتعـــد تلك الجلسة مع أبنائه حول (المدفأة) من أجمل وأطيب الساعات ؛ حيث تعظـــم مشاعره الأبوية حينما يهتف باسمه الفطيم ويحبو إليه الرَّضيع ، فيجلس أحدهما إلى جانـــبه والآخـــر على ركبته ، وحولهم موقد فحمٍ يبسط راحتيه عليه لدفع برد الشتاء وقسوته :

وأطيبُ ساع الحياة لديـَّــــا عشية أخلو إلى ولديـــــــــا

إذا أنا أقبلت ، يهتفُ باسمي الـــــفطيمُ ، ويحبو الرضيعُ إليّـــــا (م)

فأُجلس هذا إلى جانـــــــبي وأجلس ذاك على ركبتيــــــا

وأغزو الشتاء بموقد فحـــــمٍ وأبسطُ من فوقه راحتّيـــــا [3]

وعندها ينسى متاعب يومه المضنية الناتجة عن تعب التدريس ورحلته ، ويشبه نفسه في تلك الساعات الطيبة بـــ(كسرى) وكوخه الصغير بـــ(القصر) الكبير :

هنالك : أنسى متاعب يومـــــي كأني لم ألق في اليوم شيَّـــــاً

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٧٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١١٦ .

وأحسبني بين طفليَّ " شاهـــــــا " وأحسب كوخي قصراً عليّــــاً [1]

وفي لحظات كهذه ينسى حاجته الطبيعية إلى الطعام والشراب . ولكن ما حاجته إليهما مادام ولداه بجانبيه ؟ فهما زاده وشرابه :

وما حاجتي لغذاءٍ ومــــــاءٍ ؟ بحسبي طفلاي زاداً ، وريــــاً [2]

وأيّــةُ مناجاةٍ عنده تتضاءل أمام مناجتهما ، حين يقول أحدهما : (أبي) ، ويرد علـيه بقـــوله (بني) ؛ بل إن وقـــاره وكِبرَه يذهبان ، ويعود صبياً عندما يلغوان ويخلطان في كلامهما فيتذكر صباه وماضيه :

وأية نجوى كنجواي طفلـــــي يقول : أبي ، وأقول : بنيَّـــــا

ويارب لغو يفوه الصــــــبيُ به ؛ فيكون حديثاً شجيـــــاً

هنا أستعيدُ قديم حياتــــــي وأرجعُ أطوي الليالي طيَّـــــا [3]

ويلجأ إلى الله فيدعو لهما بالحفظ والصّون ، ويتمنى من الزمان أن يطول به ، حتى يرى أبناءه قد كبروا ، وأنَّ غرسه قد أثمر ينعه :

يصونكما الله من حادثــــات (م) الزَّمان ويبقيكما لي مليّـــــا

ألا ليت شعري : أتمتـــــدُّ بي حياتي فأجني غرسَ يديـــــا

وأشهدُ طفليَ يفـــــعُ ، ثم يشبُّ ويصبح شهماً أبيـــا ؟ [4]

ويوحـــي إلى طفلـــيه بالعمل ، وأن يكونا من أصحاب الأموال والتجارة لا من أصـــحاب الشـــعر والأدب كأبيهما المسكين فالناس في نظره يقدرون الثري ، ويحتقرون الأديب :

أبوك امرؤٌ من رجال الكـــــلام فكن أنت ، يا ابني ، امرأً عمليـــا

فما احتقر الناسُ إلاَّ الأديـــــب ولا احترام الناسُ إلاَّ الثَّريـــا ! [5]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٢) السابق ، ص ١١٦ .

(٣) السابق ، ص ١١٦ .

(٤) السابق ، ص ١١٧ .

(٥) السابق ، ص ١١٧ .

وحينمـــا رُزق الشاعرُ بأطفاله الثمانية جميعاً . ازداد عطفه وحنانه الأبوي عليهم . وقال فـــيهم شعراً جميلاً يبين فيه مشاعر الآباء عامّة تجاه أولادهم ، ويبين فيها المنهج الإسلامي السّـــوي في الـــتعامل مـــع الأولاد وطريقة تربيتهم ومن تلك المبادئ التي أعلنها غنيمٌ في أسلوب شعري جميل . مبدأ التّسوية في الحبِّ :

هم جميعاً في الحبِّ عندي ســـواءُ ... لا امتيازٌ كلا ، ولا استثنـــــــاء

عِقدهم كلُّ حَبّةٍ فيه مهمـــــا ... كثُر الحبُّ دُرةٌ عصمـــــاء [1]

فلا تمييز عنده ولا تفضيل . فالوسيمُ وغيره والذكيُّ وغيره سواءُ :

ليس عندي وسيمهم بأثـــــيرٍ ... لا ، ولا ميَّز الذكيَّ الذكـــــاءُ [2]

إنّ المساواة بين الأبناء أمرٌ طبعي ، فعيون الآباء في نظرهم إلى أبنائهم كأنها عيون مصابة بالحول ، لا تستطيع التمييز بين الوسيم والقبيح أو الذكي والغبي :

وعيونُ الآباءِ حولاءُ ؛ فيهـــا ... يستوي الخاملون والنبهـــاءُ [3]

وللشـــاعر نظرة مثالية أخرى تجاه أولاده تكاد تكون عامةً بين الكثيرين من الآباء وهـــي إيثاره للصغير من أولاده أكثر من الكبير ، وعطفه على المريض أكثر من السّليم ، واشتياقه للمغترب المسافر أكثر من الحاضر :

غيرَ أنَ الصغير منهم أثـــــيرٌ ... وأثيرٌ من بات يعـــــروه داءُ

وأثيرٌ من بات عني بعيـــــداً ... وكثير أولادي الغربـــــاءُ [4]

وهـــو يـــرى في أولاده استقامةً لظهره ، وقوة لشبابه خاصةً بعد أن ظهرت عليه علامات الشيخوخة والكبر :

أنا فيهم أرى استقامة ظهـــري ... من جديد إنْ آد ظهري انحنـــاءُ [5]

والشاعر لم يعرف الحنان والعطف والحبّ إلا بعد ولادهم ، وهو لا يطلب منهم أجراً على عطفه ؛ بل يكفيه راحتهم وسعادتهم :

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٣٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٣٩ .

(٣) السابق ، ص ٧٣٩ .

(٤) السابق ، ص ٧٣٩ .

(٥) السابق ، ص ٧٣٩ .

ما عرفتُ الحنان والحــــــبَّ إلاَّ يوم جاءُوا ، أنعم بهم يوم جــاءُوا !

لستُ أبغي منهم على العطف أجــراً لهم الحسنى أحسنوا أم أســاءُوا [1]

والقصــيدة في مجمــلها مفعمة بالمشاعر الحانية تجاه الأولاد ، وهي مشاعر أبوية صادقة لا يشوبُها الكذبُ والتصنُّع .

وممـــا يؤكدُ حبه لأولاده ، وإحساسه بألمهم ، وعطفه عليهم قصيدته التي أنشأها عندمــــا مرضت طفلته البالغـــة من العمر ثلاثـــة أعوام سنة ١٩٤٩م . [2] بعنوان (آهة طفلة !) يصف فيها أنينها بالمرض ، وإصابتها بالسُّعال الشديد ، وتكلُّفها الشديد بشرب الدواء المرير :

أُصيبت ، ولم تدر كيف تبيُــــن إذا سُئِلت ، فالجواب الأنـــين !!

وحين يُلحُّ عليها السُّعـــــال تشيرُ إلى صدرها باليمـــــين

تُسامُ الدواءَ ؛ فتطبقُ فاهــــاً – على ضعفها – فهو حصنٌ حصين [3]

وعــندما ترتفع درجة حرارها ، ينصهر قلبه حرقةً وحزناً عليها ، وتنفذ إلى قلبه آهاها وزفراها الشّجية :

وتنفذ آهاها في الفــــؤادِ فتفعلُ فعلَ المدى بالـــــوتين

تكادُ الحرارةُ تصهرُ قلـــــبي إذا ناهزت عندها أربعــــين [4]

ويقـــرر أنَّ هـــذه المعاناة التي تمر بها ابنته الصغيرة قد استطاعت أن تنفُذ إلى قلبه وفـــؤاده مع أنَّ ذلك الفؤاد قد نجا من غرام الفتيات الحسان أيَّام الشباب ، فلم يستطع أن يخرجه إلا فتاة صغيرة تعاني من المرض :

نجا من سهام الكعاب فـــؤادي وأصمته بنتُ ثلاث سنـــين [5]

ثم يعمـــد الشاعر إلى التصوير الحسي ، وهو أمرٌ طبيعي في مثل هذه الحالة فالشحوب قد كسا الوجه جمالاً فوق جماله ؛ ويعلل ذلك بأنَّ الشحوب في بعض الأحيان قد يكون

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٦٦ .

(٣) السابق ، ص ٤٦٦ .

(٤) السابق ، ص ٤٦٦ .

(٥) السابق ، ص ٤٦٦ .

جمالاً فلم يستطيع الـــمرض أن يؤثر على جمالها ولا أن يطفئ نور جبينها المشرق :

مُحيَّا كساهُ الشُّحوبُ جمـــــــــالاً   وبعضُ الشُّحوب جمالٌ يزيـــــــــن
فما أذبلَ الداءُ ورد الخـــــــــدود   ولا أطفأ السُّقمُ نورَ الجبـــــــــين
سوى أنَّ ذاك جمالٌ طـــــــــروبُ   وهذا الجمالُ جمالٌ حزيـــــــــن [١]

والواقع أن شعر غنيمٌ في أسرته يُعد شعراً رومانسياً مفعماً بمشاعر الحب والعطف والحنان ، يجســـد من خلاله مشاعر الأبوة الحانية . وهذا النوع من الشعر الوجداني قديم في أدبنا العربي: " إذ كان أول شعر زاولته البشرية ، يلجأ إليه الإنسان عندما ينفعل ويريدُ أن يُعبِّر عن انفعاله بأي شيء كلامي " [٢] .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

(٢) علي جواد الطاهر : مقدمة في النقد الأدبي ، الطبعة الأولى ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ، ص ٥٥ .

ثانياً : التَّعليم الرسمي

- ❋ الكُتَّاب .
- ❋ الأزهر .
- ❋ مدرسة القضاء الشرعي .
- ❋ دار العلوم .

لا مفر للباحث وهو يتحدث عن مصادر الإبداع عند محمود غنيم أن يُعرِّج على مصـادر تعليمه ، وذلك لأثرها الواضح والبنّاء في تكوينه النفسي والثقافي . ويمكن أن نُقسِّم تعليمه الرسمي الذي نهل منه وغذّى به عقله إلى :

● الكُتَّاب :

ويمكن تعريفه بأنـه : " مؤسسة تربوية إسلامية قديمة ، عرفتها المجتمعات الإسلامية ، ووظيفة هذه المؤسسة تشبه ما تقوم به رياض الأطفال والمدارس الابتدائية في العصر الحديث " [(١)] .

وقد كان من الضروري أن يدخل الشاعر الكُتَّاب خاصة بعد أن أصبح قادراً على تعلم القراءة والكتابة فدفع به والده إلى " كُتَّاب الشيخ علي عيسى " [(٢)] فحفظ به القرآن ، وتعـلم فيه مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، ولكنَّ هذه الوسيلة التعليمية " لم تكن قائمـة عـلى نظـام ثابت ، يحدد فيه عمر الطالب ، ودرجة ثقافته ، ومراحل تدرجه ، وشروط نجاحه وغير ذلك مما نجده في المعاهد الحديثة " [(٣)] ، فتكوّنت عند الشاعر الرغبة في أن يكمـل تعليمه في مدارس نظاميـة قائمة على أسسٍ ثابتة ومنهجية عالية فتحقق له ما أراد .

● الأزهر :

بعد أنْ حفظ الشاعر القرآن ، وتعلم المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة والحساب ، قرر والده إلحاقه بالمعهد الأحمدي بطنطا سنة (١٩١٥م) وهو أحد المعاهد الأزهرية التي تهتم بعلوم الفقه والحديث والسّنة فأبوه يريد أن يصبح ابنه من الوُّعاظ وأولي الخير

---

(١) سليمان عبد الرحمن الحقيل : نظام وسياسة التّعليم في المملكة العربية السعودية ، الطبعة التاسعة ، (الرياض : مطابع التقنية للأوفست ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م) ، ص١٠ .

(٢) دموع ، من كلمة الدكتور : محمد أحمد سلامة ، ص ٤ .

(٣) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، (لبنان : بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م) ، ص ١٤٤ .

والصلاح في قريته ، لكنَّ غنيماً كان غير راضٍ بذلك المعهد فأخذ " يسترضي أباه في الالتحاق بمدرسة منظمة لها مقاعد وفصول وأجراس تعرف بها المواعيد ، وكانت مدرسة القضاء الشرعي تسترعي انتباهه وتلفت نظره لحسن تنظيمها ودقه العمل بها " [1] . فرغبته كانت في مدرسة منظمة تشتمل على جميع الجوانب التربوية المهمة كما يعرف اليوم بالمدرسة النظامية الحديثة التي تواكب التطورات التربوية في شتى ميادين العلم والثقافة والآداب ، لكنَّ محاولات غنيم في استعطاف والده باءت بالفشل " فقضى في معهد طنطا أربع سنوات ، ثم توفي والده ، وكانت سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة " [2] .

● **مدرسة القضاء الشرعي :**

تغيرت مجريات الأمورعلى شاعرنا بعد أنْ توفي والده ، وبقيت فكرة المدارس المنظمة تراوده وتشغل باله ، فصرف نظرة عن المعهد الأزهري بطنطا ، وانتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث " أُلغيت هذه المدرسة بعد ثلاث سنوات من دخوله إليها سنة (١٩٢٣م) " [3] .

فوقع غنيم في حيرة من أمر تعليمه بعد أن خيرّ المسؤلون عن التعليم الطلبة وكان محمود غنيمٌ وصديقه الشاعر محمد الأسمر من بينهم " بين الالتحاق بتجهيزية دار العلوم أو المعاهد الدينية ، ففضّل محمودٌ المعاهد الدينية ، وكأنَّ رغبة والده تشده إلى الأزهر " [4] فحصل الشاعر على الثانوية من الأزهر ، وحصل على كفاءة المعلمين الأولية على نظام الاختبار من الخارج [5] ، وعين بعدها في المدارس الأولية مدرساً في محافظة المنوفية [6] .

وقد كان لتلك المعاقل العلمية التي قضى فيها جزءاً من حياته العلمية قبل الدخول

---

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٣٩ .

(٢) دموع ، ص ٤ .

(٣) محمود غنيم وشعره ، ص ٣٩ .

(٤) دموع ، ص ٥ .

(٥) انظر : البحث ، ص ١٠ .

(٦) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٤٠ .

في كلية (دار العلوم) أثرها على ثقافته وشعره . انظر إليه وهو يتذكر أيام الصِّبا في تلك المعـــاقل اليافعة ، وكيف درج فيها ، وسعى بين معاقلها . فكلما تذكرها فاض فؤاده من بين ضلوعه حرقةً وصبابة عليها :

لعمرك ما صارت رسوماً بواليــــــا ولكن بلينا نحن ، وهي كما هيـــــا
تكاد لذكراها تذوب حُشا شـــتى ويطفرُ من بين الضَلوع فؤاديــا ! [1]

ثم يلقـــي ســـلامه على (كُتّاب) الشيخ علي عيسى ، الذي تعلَّم فيه ، وحفظ القرآن ، ودرس الحساب :

سلامٌ عليها في " مليجَ " مثابـــــةً حفظتُ بها السبعَّ القِصار المثانيــا [2]

ويُعرِّج على (المعهد الأحمدي بطنطا) ويُسَّلم عليه تقديراً لجميله وعرفانا به ، لأنه تعلّم فيه نظم القوافي والأشعار :

سلامٌ على طنطا ، ومعهدِها الـــذي نظمتُ به قبل البلوغ القوافـــيا [3]

وهو لا ينسى كذلك أنْ يُسلِّم على مدرسة (القضاء الشرعي) تلك المدرسة التي انبهر بها وبتعليمها المنظَّم :

سلامٌ على دار القضاء ، وأهلهـــا وربْعٍ منْ العِرفان أصبح خاويـــــا
لقد وأدوها مُنذُ خمسين حِجّـــــةً وما زال قلبي غائرَ الجرح داميـــا [4]

فهـــو لم ينس تلك الأيام الجميلة التي قضاها في رحاب المعاقل العلمية التي أفادته وعلمته حتى أصبحت رمزاً من رموز التربية والتعليم في مصر .

والواقع أنَّ غنيماً أثناء دراسته في تلك المعاقل قد واجه بعض العقبات التي استطاع بعزيمـــته وطموحه أن يتجاوزها ويتخطاها بعد أن كانت عقبةً في طريقه وفي طريق تقدمه العلمي ، وتتمثل في أمرين :

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٤٥ .

(٢) السابق ، ص ٧٤٥ .

(٣) السابق ، ص ٧٤٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٤٥ .

الأول : تحمس والده لإلحاقه بالمعهد الأحمدي بطنطا وهو غير راض بذلك .

والثاني : إغلاق مدرسة (القضاء الشرعي) بعد أن استمر فيها ثلاث سنوات وبعد أن كانت حُلماً له في الدراسة بها .

لكنه استطاع كما قلت أن يتغلب عليها ويتفاعل معها فلم يُصب بالفشل أو الإحباط ؛ بل زادته عزماً وطموحاً ومثابرةً في سبيل التحصيل العلمي لذلك يقول :

كفاني من الإنجاح ما قد أصبتهُ ومن فشلٍ ما كنتُ فيه ملاقيا [1]

وتعد مدرسة (القضاء الشرعي) من المعاقل العلمية التي أثرت في تكوينه الشعري ، واستطاعت أن تدفعه إلى الأمام وأن تُذكي من حسه الشعري فكان يطلب منه المعلمون " أن يشارك بشعره في المناسبات المختلفة " [2] . خاصة بعد أن اشتهر بقصيدته الرائعة في رثاء محمد فريد زعيم الحزب الوطني وهو في السابعة عشرة من عمره [3] .

وقد كانت جذوة الحماس تشتعل بينه وبين منافسيه من الشعراء الشباب في تلك المدرسة أمثال محمد الأسمر مما جعله " يعترف للأسمر بحسن الديباجة ، وحلاوة النّغم " [4] فكان ذلك الحماس مصدراً ورافداً في تقوية شعره وسيرورته .

● **دار العلوم :**

كانت دارُ العلوم مركزاً للطلبّة الموهوبين والمفوهين فيما يخص علوم اللغة العربية وآدابها أمثال محمد الأسمر ، وعلي الجندي ، ومحمود غنيم وقد كانت " تخرج الفطاحل من المربين والعلماء الجديرين بالثناء والإعجاب فقد خرّجت أسماء وشخصيات في الفكر والأدب والشعر ، وفيها قال الشيخ محمد عبده : " تموت اللغة العربية في كل مكان وتحيا في دار العلوم " [5] . ومن علمائها البارزين في ذلك الوقت الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد عبد المطلب الذي تتلمذ على يديه شاعرنا .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٤٨ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ٤٠ .

(٣) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٢٣ .

(٤) محمود غنيم وشعره ، ص ٤١ .

(٥) السابق ، ص ٤١ .

فـــدارُ العلوم إذن كانت من الروافد البارزة التي كوّنت شخصية شاعرنا الثقافية والشعرية ؛ حيث درس فيها شاباً ، وحنَّ إليها في مراحل عمره التالية ، ووقف معتزاً بها في المحـــافل والمناســـبات الشـــعرية . فعندما كان يدرس فيها ظلَّ يعدُّ نفسه " شاعرها ، وأساتذته وإخوانه يرون فيه ذلك ،ويندبونه بل ويكلفّونه في المناسبات المختلفة بالاشتراك بقصيده الرَّائع " [1] .

وقـــد رأى فيه معلموه شخصية الشاعر المبدع وأوكلوا إليه نظم القصائد وإلقاءها في مناســـبات ، واحتفالات دار العلوم المختلفة ، ومن تلك المشاركات الفعلية والتي كان لها أثرٌ فاعل في استمرار شعره وسيرورته مشاركته في حفل رثاء أستاذه (اللـــــوّاتي) ، ولكـــن الظريف فيها ما حصل له من ارتباك ونسيان ؛ حيث أصر على أن يلقي القصيدة الـــتي أعدها بهذه المناسبة من ذاكرته . فلمَّا ألقى البيتين الأولين نسي ما بعدهما ، فأدخل يده في جيبه وأكمل قصيدته من الورقة ، وقد أورد الأبيات محمد أحمد سلامة في رسالته عـــن محمـــود غنيم ، ولم تكن موجودة في الديوان . فالشاهد من هذا الحديث أنَّ غنيماً استطاع من خلال هذا الموقف المحرج أن يكسر حاجز الخجل ، وأن يواصل إلقاء قصيدته حتى إنَّ بعـــــض زملائه شجعه وقال لـــــــه : " إنها باكورة طيبة ، وإنَّ بدءك أحسن مـــن بدءِ الشيخ عبد المطلب " [2] . أما شيخه وأستاذه عبـــــــد المطلـــــــــب فقد تضايق وقـــــــــــال لـــــــه : " كسَّفْتنا (أخجلتنا) " [3] .

فالعيـــب كما هو واضح ليس في القصيدة وإنما في إلقائها " واضطراب الذاكرة ، وإلقائه بعد العملاق الكبير وأستاذه الجليل عبد المطلب " [4] .

ومِـــنْ المناسبات التي شارك فيها بقصائده أثناء دراسته في دار العلوم والتي منحته الفرصة للظهـــور الاحتفال الذي أُقيم بمناسبة إمارة شوقي للشعر فجاءت قصيدته " ثاني قصيدة مصرية أُلقيت في احتفالات تكريم شوقي التي استمرت أسبوعاً كاملاً " [5]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) السابق ، ص ٤٢ .

(٣) السابق ، ص ٤٢ .

(٤) السابق ، ص ٤٢ .

(٥) السابق ، ص ٤٣.

ومجيـــئها في المرتبة الثانية دليل على مكانته الشعرية بين أقرانه في عصره ، ودليلٌ على تفوقه على زملاء دراسته في نظم الشعر والقوافي . ومن هذه القصيدة قوله :

الشعر مملكة وأنت أمـــــــــــيرُ ملك البيان كما علمت أمــــــــير
لك دولة تبقى بقاء الدهر مـــــــا ظفر الرَّشيد بها ولا المنصـــــــور
دانت لها مصرٌ ودانت جلـــــــق وعلى الفرات لواؤها منشـــــور [1]

والواقع أن هذه المناسبات والاحتفالات التي كانت تقيمها دار العلوم أثناء انتظامه عـــلى مقاعد الدراسة فيها مكَّنته من البروز ، ومشاركة الأدباء في قرض الشعر وإلقائه ، كما ساعدت على منافسته لزملائه المفوّهين في تلك المرحلة .

وإذا كانت (دار العلوم) قد أمدّته بالأشعار وهو طالبٌ يدرس فيها ، فقد ظلَّت موحـــيةً لأشعاره حتى بعد أنْ فارقها وأصبح معلماً في التربية والتعليم . حيث كان يحن إلـــيها ويتذكر أيام شبابه فيها . انظر إليه وهو يبادرها السلام في صورة تجسيدية رائعة ، مملـــؤةُ بالحـــنين والتشوق إلى عهودها ومغانيها الماضية حينما كان طالباً يتذاكر العلم في غرفاتها ويقرض الأشعار في مناسبتها :

سلامٌ على دار العلوم ، وعهدِهـــا وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيـــا !
مغان غرفتُ العلْمَ من غرفاتهـــا وأوْدَعْتُ فيها بضعةً من شبابيـــا
أروح إليها كلَّ يومٍ ، وأغتـــدى إلى العلم عطشاناً ، من العلم راويـــا
وهَمىٍّ من الدُّنيا : كتابي ، ومرقمــي خليليَّ ، رُدَّا مرقِمي ، وكتابيـــا
وإذ نتبارى في القريض ونظمــه ونفْتَنُّ فيه بنْيَةً ، ومعانيـــا [2]

وظلّت (دار العلوم) تلازمه طوال حياته ، وظلَّ هو يعتز بها ويُمجدُها في أشعاره ويبين فضلها وأثرها على اللغة والأدب . انظر إليه وهو يرثي المرحوم محمد جاد المولى بك ، المفـــتش الأول للغة العربية . حينما جعله فقيداً للفصحى ، وجعل دار العلوم تشيد به لأنها مورد اللغة وأدابها :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رَجْعُ الصّدى ، ص ٧٤٥ .

أشادتْ بذكرك " دارُ العلـــــوم "   فما كنتَ إلاَّ فتاها الرشيـــــــدا

لعمرك ، مازال للدّار أهـــــــــلٌ   وما زالت الغابُ تنمى الأســـودا [1]

ثم يُعـــددُ فضل دار العلوم ويبين أنَّ الفصحى ما زالت بخير وأن أثرها ليس قاصراً على مصر وحدها ؛ بل امتد إلى كثير من الدول العربية مثل العراق والحجاز .

ولا يحسب الناسُ " دار العلـــوم "   بناءً على أرض مصر مشيـــــــدا

فإنَّ لها بالعراق فصـــــــــولاً   وإنَّ لها في الحجاز حـــــــدوداً

إذا رفعت في الكنانة بنـــــــداً   فقد رفعت في سواها بنــــودا [2]

وانظـــر إلى تلك العلاقة الحميمة بينه وبين دار العلوم بعد تخرجه منها في قصيدته الـــتي ألقاهـــا " في مســـــرح الحديقة الأزبكية ، في حفلة أقامها رجال دار العلوم ؛ تكريـــــماً لمعالي : هيكل باشا " [3] (وزير المعارف) حينذاك . فهو لا يزال يعترف لهـــا بالفضل الجميل ، لأنها ما زالت تخرج النبلاء من أدباء مصر وعلمائها ، الذين خدموا الفصحى فصالوا كالأسود ولاحوا كالنجوم :

دارٌ أعدَّت للكنانة معشـــــــرا   صالوا بها أسداً ، ولاحوا أنجمـــا [4]

ودار العلـــوم قد جمعت بين فنون الإبداع الثلاثة : الخطابة ، والشعر ، والكتابة ، ويشـــبهها بالنّـــيل في إروائه للظمآن ، فهي تروي العقول بالعلم والمعرفة ، فلولا النيل لما ارتوى زرع مصر ولولا دار العلوم لما ارتوت عقول شبابها :

حملت بأوّل من تسنَّم منــــــبراً   وشدا بقافية وحرَّك مرقمـــــــــا

دار العلوم ، ونيل مصرَ ، كلاهمـــا   يروي بسلسله البلاد من الظمـــا [5]

ويـــــــــرى أنَّ مصر لو خلقها الله بشراً سوياً ، لكانت دار العلوم لسانها الذي تتكلم به :

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٨٥ .

(٢) السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) السابق ، ص ٢٢٦ .

(٤) السابق ، ص ٢٢٩ .

(٥) السابق ، ص ٢٢٩ .

لو أنَّ مصراً سوِّيت بشراً ، غـــدت　　　دارُ العلوم لسانه المتكلمـــــــــا [1]

ولازالــــت دار العلـــوم تطلبه في إنشاد قريضه في مناسبتها الثقافية المختلفة على المستوى العربي ، فهذا وفدٌ ثقافي من لبنان حضر إلى مصر ، فأقامت جماعة دار العلــــوم في ناديها حفلة تكريم له ، وألقى الشاعرُ قصيدة يحيي فيها لبنان ويبين فيها مكانــــة دار العلوم التي كانت حصناً منيعاً للغة الضاد :

دارُ العلوم ، وما دارُ العلوم ســــوى　　　عقد تتيهُ به الفصحى وتــــــزدان

للضادّ في مصرَ بل في الشرق أجمعِــه　　　حصنٌ بَنُوها له : أسٌّ ، وأركـــان [2]

ونلحظ في وصفه لدار العلوم أنه دائماً ما يصفها بالحصن المنيع للغة الضاد ، وأنها أنجبت الفصحاء ، والنُّجباء ، وكثيراً ما يشبهها بالنيل في عطائه وإروائه للظمآن كقوله في حفل تأبين المرحوم على الجارم أحد أساتذة دار العلوم :

أرثيك حفظاً للجميل ، وإنــــــه　　　دينٌ أُعيذُ النفسَ من نكرانــــــه [3]

ثم يبين مكانة دار العلوم وفضلها :

دارُ العلوم بنتك حصناً شامخــــاً　　　للضاد ، تلقى الأمن في أحضانـــــه

دارٌ قد انتظمت أياديها الحمـــــى　　　أشياخَهُ ، والنّشء من ولدانــــــــه

دارُ العلوم ونيلُ مصرَ كلاهمــــا　　　بنميره يروي صدى ظمآنـــــــه [4]

ويصفهـــــــا في قصيــــدة أخرى بأنها مشكاة الحمى ، ولولاها لساد الجهلُ وانتشــــــر :

دارَ العلوم ، وأنت مشكاةُ الحمـــى　　　لولاك ظلَّ الجهلُ فيه سائــــــدا

ما كنتِ — وأيم الله — إلاَّ معهـــداً　　　فرداً تقسَّم في البلاد معاهـــدا [5]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧٧ .

(٣) السابق ، ص ٥١٣ .

(٤) السابق ، ص ٥١٣ .

(٥) السابق ، ص ٥٥٤ .

وبمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائها وهو لا يزال طالباً فيها سنة (١٩٢٧م) نراه يحمل لواء الشعر فيها ويقوم ملقياً قصيدته التي مطلعها :

خلِّ العذارى ، لا يرقنك منظـــــراً　　　هُنَّ الظباءُ صرعْنَ آساد الشّـــرى [(١)]

فدار العلوم أمه التي علّمته العفاف والطُّهر ؛ بل هي جنته التي نزل بها ، وكوثره الذي ينهل منه :

قالوا عجبنا كيف تصدق في الهـــوى　　　وتعفُّ في شرخ الشبيبة مئـــــزرا ؟

أوما ترى صرح الفضلية قد هـــــوى　　　باسم الهوى والحب ؟ قلت : نعم ، أرى !

لكنها دارُ العلوم أُمومـــــــــــتي　　　قد علمتني أنْ أحِبَّ وأطهُـــــــــــرا

دارٌ نزلتُ بها ؛ فكانت جنـــــــةً　　　ووردت منهلها ؛ فكانت كوثرا [(٢)]

وبعد هذا التّجوال في سماء معاقل تعليمه الرسمي يتبين لنا أثرها الكبير في نفسه ، إذ مكنـــته تلك المعاقل من التغذي بالثقافة العربية الأصلية . فجاءت عباراته عالية المترلة في البلاغة فصاحة وبياناً . فأنتج لنا هذا التراث الشعري الضّخم الذي سدَّ به فراغاً كبيراً في المكتبة العربية .

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٩ .

ثالثاً : الثقافة الشخصية

- ❁ أدبية .
- ❁ تاريخية .
- ❁ دينية .

تنوعت مصادر ثقافة غنيمٍ الشخصية (التثقيف الذاتي) إلى ثلاثة مصادر رئيسة هي :

- الأدبية .
- التاريخية .
- الدينية .

● **الثقافة الأدبية**

فعندما نتحدث عن ثقافته الأدبية لابد أن نشير إلى موهبته الأدبية التي استطاع أن ينقيها ويصقلها بحسن اطلاعه وقراءاته المتعددة . فمن خلال قراءة الديوان يتعين للباحث البعد الثقافي الذي يتميز به الشاعر .

وإذا كـــان للمدرســـة والمعاهد الدينية وكلية دار العلوم أثرها الفاعل في تكوينه الـــثقافي . فـــإن شغفهُ بالقراءة أعم وأشمل لاسيما أنه كان يجد المتعة والسرور والفائدة والقدرة على الفهم والاستيعاب في التعليم الذاتي أكثر من تثقيف المدرسة التي تعتمد على التلقين والتدريس والخصوصية المنهجية . فكان يأخذ المعرفة من مختلف ينابيع العلوم الأدبية المخـــتلفة متوخياً في كل ذلك حُسن الاختيار والدقة المتناهية في أخذ المعلومة من المصادر الصحيحة الصافية .

فـــنجده وهو صغير مولعاً بقراءة كتب التراث العربي القديم فكان أبوه ما يبرح أن يشـــجعه ويدربه ويرصد له الجوائز التشجيعية حينما كان يقرأ على مسامعه تلك الأشعار الحماسية مما ينسب إلى عنترة ، بالإضافة إلى شعر الحكمة المنسوب إلى علي بن أبي طالب.

فهذه القراءات المختارة لهذه الأشعار المفعمة بالحماسة والحكمة في هذا الوقـــــت المـــبكر مـــن ســـنه كـــان لها أكبر الأثر في " تذكية الشعور وتنمية المواهب ، وتحريك الإحســـاس " [1] .

و لم يكتف غنيم بهذا القدر من القراءة ؛ بل إنه قرأ أمهات الكتب والدواوين التي كانـــت متوافرة في مكتبة أخيه أحمد الذي يكبره بعامين ، بالإضافة إلى ما كان يقتنيه هو من مصروفه الخاص كالبيان والتبيين للجاحظ ، والأمالي للمرتضي [2] .

---

(١) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٧٩ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص٩٥ .

فـــتكوَّن لديـــه بذلك مخزون ثقافيٌّ أدبي واسع اختزنته ذاكرته ، وتعلق في أعماق نفسه ، وكونَّ منه كنزاً ثرياً من الأدب استمده في شعره وصوره ومعانيه وأفكاره .

والواقع أن غنيماً لم يقصر قراءته على عصر دون عصر أو كُتب دون كتب ؛ بل كان معجباً بشعراء العصر العباسي وخاصة شاعر الطبع أبو عبادة الوليد بن عُبيد البحتري الـــذي يُعد من أبرز شعراء الطبع الأصيل في عصره .[١] فقرأ ديوانه وتمثل أشعاره وتأثر بمذهـــبه الشعري "وما أكثر وأقوى وجوه الشبه بين الشاعرين في طلاوة الشعر وسلاسته وجمعه بين الفكرة والأسلوب "[٢] . وقد شارك (غنيم) في مهرجان البحتري الذي أقيم له في دمشق ، وأنشد قصيدته (في مهرجان الوليد) إيمانا وعرفاناً بقيمة هذا الشاعر الذي بلغ ذكره الآفاق ، ومما جاء فيها قوله :

حين غنت دمشق شعر الوليـــــــد	قالت الطير : يا دمشق أعيـــــــدي
روضةُ البحتري منبتُ ريشـــــــي	وبها قد نشأت واشتد عـــــــودي
وأحب القريض سمح المعـــــاني	مشرق اللفظ شاجي الترديـــــد [٣]

وإذا كـــان شاعرنا قد قرأ لأبي عبادة البحتري ، وأعجب بشخصيته ، واستوحى منه الكثير من المعاني والأفكار ، فإنه قد أعجب بشاعر عباسي آخر عُرف بفلسفته وعمقه الـــثقافي هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي . فانكب على ديوانه وحفظه ، وتأمل في شخصـــيته واستوحاها ، واتخده مثلاً أعلى في الشعر خاصة فيما يتعلق بشعر المناسبات ، فنراه " لا تمر مناسبةٌ أدبية أو نقدية يشترك فيها إلا وتمثالُ المتنبي أمامه ، يستدل بشعره ، ويحـــرك لســـانه بأدبه "[٤] . انظر إليه وهو يتمثل شخص المتنبي في قصيدته التي قالها في تكريم طه حسين :

أعد ياشعرُ أحمدَ ، من جديــــــــد	يصوغُ ثناءه في ابن العميـــــــــــد
وأقسمُ ، مارفعتُ بذاك طـــــــــه	فأين ابنُ العميد من العميـــــد ؟[٥]

(١) انظر : شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٨٨ .

(٢) دموع ، من كلمة الغزالي حرب ، ص ١٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٦٢٩ ، ٦٣١ .

(٤) محمود غنيم وشعره ، ص ٩٦ .

(٥) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٥٣٧ .

ومن الغرابة على أي شاعرٍ مثل غنيمٍ لاسيما وأنه - معلمٌ للغة العربية وآدابها - ألا يكون قد قرأ الأدب الجاهلي والأموي ، وتأثر بقصائد الفحول والعمالقة من الشعراء في تلك العصور .

أمـــا إذا انتقلنا إلى الأدب في العصر الحديث فنجده قد قرأ لشعراء النهضة الحديثة أمـــثال الـــبارودي . وشوقي . وحافظ . يقول الدكتور خفاجي : " كان إعجابه بأحمد شـــوقي يضاهي حبه وإعجابه بأحمد المتنبي ، ويرى أن الأحمدين هما عمود الشعر ، وهما منارةُ الشاطئ ، وما بعدهما قد يكون لمعات وإشعاعات لاتصلُ إلى قوة المنارة " [1] .

وتأثره بحافظ واضحٌ وجليٌ فنراه يقابله في أشعاره الاجتماعية والوطنية حتى عنَّ لبعض النقاد والأدباء أن يلقبوه بخليفة حافظ لما بينهما من تشابه قوي .

وقـــد اطلـــع الشاعر أيضاً على ماكتبه الأدباء في محيطه الأدبي أمثال العقاد وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وإبراهيم ناجي ، والجارم ، وغيرهم كثير .. وقد كان للصحافة والمجلات الأدبية دورها الكبير في تثقيفه كمجلة (الرسالة) الغـــــراء التي كانت تنشر له شعره .

● **الثقافة التاريخية :**

أولـــع غنيمٌ بالقراءة والاطلاع والتثقيف المستمر في شتى العلوم والمعارف ، وأخذ بحـــظ وافـــرٍ من الثقافة التاريخية ، واهتم بقراءة التاريخ القديم خاصةً التاريخ الإسلامي الحافلُ بأمجاد أمتهِ وبطولاتها ، وانتصاراتها وتقدمها في سائر العلوم والمعارف ، فقد كانت مبعـــثَ الحضارة ومصدرَ النور الإلهي . ومنارةً جامعةً للإسلام والمسلمين . فاستمد كل ذلك في شعره كقصيدته المشهورة (وقفة على طلل) .

وكـــان مولعاً أشد الولع بتاريخ مصرَ وأمجادها ، وبما كانت تحويه من حضارات فرعونية وقبطية ،ثم الحضارة الإسلامية التي علت كل الحضارات .

و لم يـــتعمق في قراءة التاريخ القديم وحده ، بل اطلع على التاريخ المعاصر لأمته ، وللأمم الأخرى المجاورة ، وقرأ أيضاً مذكرات العظماء والسياسيين . وقصائده في الاستعمار وفي مناهضة العدو الإسرائيلي وفي ماضي أمته وفي الثورة والحضارة والقومية والاجتماع خير

---

(١) من تاريخنا المعاصر ، ص١٨٢ .

دلـــيل على ظهور الأثر التاريخي في شعره . كما أن لرحلاته وأسفاره في البلدان العربية المجاورة ومشاهدات حضارتها وقراءة تاريخها أكبر الأثر في تثقيفه واستزادته بكل ما هو جديد . وما سفره إلى فلسطين وغزة والتي يصعب السفر إليهما في الوقت الحالي إلا تأكيد على حبه للاطلاع واهتمامه بأحداث التاريخ المعاصر .

● **الثقافة الدينية :**

ينـــبغي ونحن بصدد الحديث عن ثقافة الشاعر الشخصية ألا نغفل ثقافته الدينية الأصيلة ، التي استمدها من نشأته المباركة في تلك القرية برعاية والده وإخوانه ففي القرية حفـــظ القرآن الكريم وهو صغير ، ثم التحق بالمعاهد الدينية فتعمق في دراسة القرآن ، مع حفظ كثير من الأحاديث النبوية المطهرة التي كان لها أكبر الأثر في توجيهه وتقويمه التقويم الديني الصحيح ، ولم يغفل قراءة السيرة النبوية المطهرة المشتملة على سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الفاضلة ، وما واكبها من أحداثٍ جليلة ، وغزواتٍ مباركة ، كما أحب قراءة سير الصحابة الصادقين . والخلفاء الراشدين وما اشتملت عليه حياتهم من أحداث عظام ، وكيف نهضوا بالدولة الإسلامية ، وحققوا العدل ، وأقاموا القضاء ، وســـيروا الجيوش واهتموا بالفتوح . وديوانه مليءٌ بالقصائد الخالدة التي تناول فيها كثيراً من هذه المناسبات الدينية كالمولد النبوي واستلهام شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ، والحديث عن حادثة الإسراء والمعراج ، وعن الهجرة المباركة وما تخللها من مشاهد وعـــبر ، واســـتلهم في مجموعـــة من قصائده الغزوات الإسلامية ، وشخصيات كثيرٍ من الصـــحابة الكرام . كما أنه خصص قصائد بعينها يستلهم فيها شخصيات إسلامية معينة كشخصية الفاروق ، والقائد خالد بن الوليد ، وفي العصر الأموي له (أسطول معاوية) ويســـتوحي شخصية هارون الرشيد الحكيمة والعادلة . وتتجلى ثقافته الدينية في قصائده التي قالها في الحج والزيارة ووصف المتنسكات بالحرم ، وفي قصائد العيد وفي حديثه عن (الأذان) ودعوتـــه إلى الأخـــلاق الإسلامية كالسماحة والعدل والصبر ، ونصح الشباب وتوجـــيههم والدعـــوة إلى طلب العلم والصبر في تعلمه واليقين الصادق في قضية الموت والاســـتعداد له .كل تلك القصائد والمعاني والأفكار استمدها من ثقافته الدينية. وسوف ترى تلك النماذج عند حديثنا عن مثيرات الإبداع عنده .

انظر إليه وهو يدعو الشباب إلى التمسك بالفضيلة ، والالتزام بالأخلاق الكريمة ، ويعيب على من أطاع هواه واتبع شهواته :

ابنوا على أُسس الفضيلة مجدكـــــم تبنون مجداً ليس بالمتداعـــــــــي
ما خيرُ علمٍ لم يُزوَّد ربُّــــــــه بكريم أخلاق ، وحُسنِ طبـــاع ؟
أو مارأيتَ العلمَ ينقض ما بـــنى ويهُدِدُ العُمران بالإشعـــاع ؟
إني لأبرأُ من شباب عابـــــثٍ رِخو إلى غير المكارم ســـاع
إن يدعُهُ داعي الهوى لـــبىّ ،وإن نصح النصوحُ له فغيرُ مطـــاع
الشعبُ بالأخلاق ينهضُ ، إنهــا جيشا : هجومٍ - للحمى — ودِفاع [1]

وفي قصة (البعث) تظهر ثقافته الدينية للسيرة النبوية ، يقول في مدح الرسول :

ناشىءٌ لم يقضِ في اللهو صبــاه عرف الله ؛ و لم يعرف ســـواه
ما انحنى للاّت يوماً ، أو منـــاه دانت الحكمةُ طراً لصـــــبي
من قريشٌ لقبُوه بالأمـــــين [2]

وأخيراً أقولُ إن هذه الثقافات المتعددة من أدبيةٍ ودينية وتاريخية شكّلت منه شاعراً مُبدعاً ، وكاتباً بارعاً ، وناقداً فذاً ومصلحاً اجتماعياً ، وداعياً قومياً ومعلماً تربوياً .

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٤٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .

الفصل الثاني

مثيرات الإبداع

- ❁ مناسبات دينية .
- ❁ مناسبات وطنية .
- ❁ مناسبات قومية .
- ❁ مناسبات اجتماعية .
- ❁ مناسبات ثقافية .

المناسبات الدينية

يشـــغل الجانب الإسلامي حيزاً كبيراً في شعر محمود غنيم . وهذا بالطبع يعود إلى عـــدة أســـباب مـــنها نشأته الدينية المباركة إذ حفظ القرآن الكريم وهو يافع ، ودراسته الشـــرعية في المعاهد الدينية كالأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ، وتأثره الكبير والواضح بدار العلوم ، ووجوده في عصرٍ كان للاستعمار فيه اليد العليا في محاربة العرب والمسلمين مما حرك في المصريين الشعور الديني والوطني في محاربة المستعمر وطرده من البلاد ، فإقليمٌ كمصـــر كانـــت تتنازع فيه قوى الخير والشرّ لابد أن سيكون مصدر إبداع وإلهام لكل شاعرٍ مسلم كيف لا وغنيمٌ ابن مصر عاصر الاستعمار ، وذاق ويلات الحرب مع إخوانه ضد المستعمرين الإنجليز ، فتلك الأسباب السَّابقة أثرَّت تأثيراً قوياً وواضحاً في شعره ، إذ نظم مجموعة من القصائد الإسلامية ذات الموضوعات المتباينة ، والمناسبات الدينية المتعددة ، فديوانه الضخم يطغى عليه الجانب الإسلامي والشعور الديني ، فنجده كثير الحديث عن الإســـلام وفضائله ، وعن أثره وقوته ، كما نجده كثير الشكوى من الحال الذي آلت إليه الأمة الإسلامية ، وما أصابها من ضعف وتمزق وتفكك ، فنراه يدعو إلى وحدة الصَّف ، ووحدة الشعور ، ووحدة الأمة ، ولَمّ الشمل واجتماعه ونبذ كل الخلافات الشائكة التي تشـــكل عبئاً ثقيلاً على الأمة ، كما أن شعره الإسلامي يظهر واضحاً وجلياً في كثير من المناســـبات الدينية التي نظم فيها كثير من شعراء هذا الاتجاه أمثال شوقي وحافظ ومحرم ، ومن تلك المناسبات الدينية الواضحة التي كانت مثيراً قوياً لإبداعه الشعري ما يلي :

١- المولدُ النبوي :

أكـــثر شـــعراء الاتجاه الإسلامي من ذكر هذه المناسبة الدينية التي تندرج ضمن المدائح النبوية ، وعُرفت هذه المناسبة بأنها : " لونٌ من التعبير عن العواطف الدينية ، وبابٌ من الأدب الرَّفيع ، لأنها لا تصدر إلاَّ عن قلوبٍ مفعمة بالصدق والإخلاص " [(١)] . وهي مـــن المناسبات الدينية التي كان معظم الشعب المصري يحتفل بها كل عام لما يرى فيها من شدة التعلق بالإسلام وبالنبي (صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) د. زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، د.ط (منشورات دار المكتبة العصرية ، د.ت) ، ص ١٦ .

ولا أُريــد في هذه الدراسة الأدبية التي تتناول مصادر إبداع الشاعر أن أتطرق إلى حكم الاحتفال بالمولد النبوي وما يصاحبه في هذا الزمان من البدع والخرافات التي طغت عليه في كثيرٍ من الأحيان ، وإنما أريد أن أتحدث عن أثر هذه المناسبة في قصائده وأشعاره ، بوصفها مثيرًا من مثيرات إبداعه الشعري .

وشــاعرنا في هذا الباب قد سار على نهج سابقيه من الشعراء الذين تناولوا هذه المناسبة الدينية فكرر المعاني والأفكار التي طالما ذكرها البوصيري ، وشوقي ، وحافظ ... وغيرهــم . وكانت الشخصية المحمدية هي الموقد الأول لهذه المناسبة كيف لا والنبي عليه السلام : " قد شغل الشعراء منذ بدء البعثة المحمدية ، وقبلها ، وحتى اليوم ، إلى أن يشاء الله باعتباره عنصراً أساسياً في الحركة الاجتماعية والحضارية على كافة المستويات ، لدى المسلمين وغيرهم على السواء " [١] .

ففي قصيدته (ذكرى محمد) يرى أنَّ الاحتفال بمولد الرسول مناسبة عظمى فهو مــيلاد نبي جليل لا ميلاد رجلٍ مخترع أو مكتشف ، فلولاه عليه السلام لا نقطع الزمان عــن بعضــه ، فلقــد أسس حضارة إسلامية تكفلت بأن تكون حلقة اتصال وثيقة بين الحضارات القديمة والحضارات الحديثة :

هو عيدُ ميلاد ابن عبد منـــــافٍ ... لا عيدُ مخترعٍ ، ولا كشّـــــافِ
أكبرت قدرك – يابن عبد الله – عن ... تأليف أوزانٍ ، ونحتِ قـــــوافِ
لولاك لانقطع الزمان ، فلم تكـــن ... حلقاته موصولة الأطـــــراف
دجت القرونُ ، فقام دينُك حارســاً ... يحمي ذمـــار حضارة الأسلاف [٢]

ثم يشير إلى مولد الرسول وكيف أنَّ الوجود قد اهتز بكفه وهو لا يزال في مهده ، ويــبرز بعــض الملامح الخاصة بالرسول – عليه الصلاة والسلام - فهو يتيمٌ وفقيرٌ لكنه مخلوقٌ من أصفى وأطهر طينة على ظهر البسيطة :

هزَّ الوجودَ بكفه في مهـــــده ... طفلٌ يتيمٌ من كنانةَ عـــــافِ

---

(١) حلمي القاعود : محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، الطبعة الأولى ، (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م) ، ص ٥٢١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٧ .

جادت به الفلواتُ أصفى طينـــــــةً وطوية من جوِّهن الصّـــــافي [1]

وقـــد اســـتطاع الرسول القائد الأمي أنْ يكون رمزاً للقيادة العليا إذ استطاع أن يخضـــع القياصرة والأكاسرة تحت حكمه وهم مرغمو الآناف ، وأن يكون مرشداً دينياً بارعـــاً في نشر مبادئ الدين التي اجتاحت الحصون قبل السيوف والقنا ، فكأنها سحر قد لامس القلوب دونما تعب ، ويرد على من قال إنَّ الرسول لم ينشر دينه إلاَّ بالسيف وإراقة الدماء ويوضح أن تلك المبادئ الإسلامية قائمة على ركيزتين هما : الحق ، والإنصاف :

فإذا الأكاسرُ خاضعون لحكمــــــه وإذا القياصرُ مرغمو الآنـــــــاف

فتحت مبادئُهُ الحصونَ أمامـــــــهُ قبل الصّوارم والقنا الرَّعـــــاف

غزتِ القلوبَ بسحرها ، فكأنهـــا قد لامست منهن كل شَغـــــاف

أين الذي يغزو القلوب من الـــذي يغزو الرِّقاب بحدَّة الأسيـــاف ؟

تلك المبادئ - وهي شتى - جُمِّعت في مبدأين : الحقِّ ، والإنصـــاف[2]

ولقـــد كان الرسول علاوة على ذلك ، اجتماعياً ناشطاً إذ قرّر مبدأ الأخوة بين الـــناس بعد التناحر والشقاق ، وذلك بفضل ما أتى به من إعجازٍ بليغ تمثل في كتاب الله الحكيم ، الذي لانت منه القلوب بعد جفاء ، والرِّماح بعد عداء :

آخي ابنُ عبد الله بين معاشـــــر يتناحرون تناحُر الأخيـــــاف

لانت قناهمو لدعوته ، ومـــــا لانت قناهمو لغمز ثقـــــاف

هذا هو الإعجاز ، لابـــحرٌ ، ولا قمرٌ قد انشقا إلى أنصـــــاف

آيٌ من الذكر الحكيم أتى بهـــا فإذا القلوب تلينُ بعد جفـــاف [3]

ويُندّدُ الشاعر بالكفرة المجرمين الذين اتهموا الرسول بالسحر والشعوذة والكهانة ، وأنَّ ما جاء به من قرآن ومعجزات سحرٌ قويٌ كان تأثيره واضحاً على القرشيين ، ويرجع الشاعر ذلك إلى الإيمان الحقيقي والنور الإلهي ، ويبين أثر الإيمان في القلوب ، وأنه الوسيلة الحقيقية للنّصر على الأعـــداء :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٨٧ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٨٨ .

عجباً ! أجاءَ محمدٌ بالسحــــــر في | آياته أم شابها بسُــــــــــلاف ؟
أقسمتُ ، ما كان النبيُ ، محمــــدٌ | بمشعوذ ، كلا ، ولاعــــــرَّاف
لكنه الإيمان من يظفرْ بــــــه | يلق المفاوز سهلة الأكنـــــاف
لو يرزقُ الإيمان طودٌ ، لارتقـــى | بقوادم من ريشه وخـــــــواف
هذا الذي جعل النبيَّ ورهـــــطهُ | إن حاربوا،انتصروا على الأضعاف [1]

و لم تكــن الشخصــية المحمدية التي طالما تحدث عنها الشعراء مثالاً للدين والقيادة والاجــتمــاع والمــثل الإنسانية الكاملة فحسب ، بل كانت رمزاً للحضارة الإسلامية والعربية . فقـــارن شعراء هذا الاتجاه بين معطيات الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية " وقد كانت المقارنة بين المدنية الغربية والمعطيات الإسلامية من خلال الشخصية المحمدية عنصراً بارزاً في أعمال الشعراء حيث ركزوا على إبراز الجوانب الحضارية التي تحث عليها الشخصية المحمدية في العلم والقوة والتفوق والبطولة " [2] .

انظــر إلى غنيم وهو يعقد تلك المقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة العربية من خلال شخصية الرسول الحضارية :

قم سائل الأعراب : أيَّةُ دولــــة | نهضوا بها حملاً على الأكتــــاف
بذت " أثينا" في الحضارة أمـــةٌ | لم تأو غيرَ مضارب وفيــــاف
شُغلوا بفلسفةٍ وعلمٍ بعدمـــــا | شغلوا بوصف منازل وآثــــاف
تخدوا القصور مساكنا وتسربلـــوا | بالخز ، لا الأوبار والأوصـــاف
فإذا الجزيرة بعد جدب جنّـــــةٌ | ميَّاسةٌ مُهتزةُ الأعطـــــاف
يارُبَّ أسطول بنوهُ كأنـــــه | بحرٌ خضمٌّ فوق آخرَ طـــــاف
السوقةُ الأجلاف قد حكموا الـــورى | أنعم بحكم السّوقة الأجـــلاف !
ما شئت من : عدل ، وتسوية ، ومن | شورى ، فيا لثلاثة أحـــلاف ! [3]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، ص ٥٢٤ .

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٩ .

وقد صوّر غنيمٌ في قصيدته الثانية (مولد الهادي الأمين) فرحة الكون ، واستبشار السموات بمولد النبي ، فغرّدت الحور في الجنان بقدومه ، وسرت من أجله النجوم في السماء سُعوداً ، فبدأها بهذه المسألة اللطيفة مع النفس :

سائل الكونَ : هل عرفت الوليدا ... هَزَّ في مهده الصغير الوجودا ؟

أيُّ بشرى إلى السموات زُفّت ... ردَّدتها أملاكُها ترديدا ؟

غردي في الجنان ياحورُ ، نشوى ... واسر ، يانجمُ ، في السماء سُعودا [1]

ثم يمدح الرسول ويذكر بعض شمائله وصفاته التي عرف بها كالصّدق والأمانة والاصطفاء والنور والهداية :

وُلد المصطفى ! سلامٌ عليه ... ما حبا ، أو مشى ، أو اشتد عُودا !

وُلد الصادقُ الأمين ، فيا شمـ ... ـس أطلّي ، وباركي المولودا

اقبسي النورَ والهداية منه ... إنَّ من يهتدي به لن يحيدا

نورُ طه من وجه ربِّ البرايا ... وحدهُ جلَّ وجهُهُ معبودا [2]

وقد علَّم الرسولُ اليتيمُ العربَ أصول القيادة والرئاسة فهو "القائد المنتصر، والقائد المتحضر، والقائد المتفوق" [3] .

فلمَّ الشمل وشحذ العزم ، متحلياً في ذلك كله بالصبر الجميل ، ومتمسكاً بأخلاق سمحة ، وبيان عذب :

الوليدُ الذي تربى يتيماً ... علَّمَ العُرْب كُلها أن تسودا

شاحذاً عزمهم ، وكان كهاماً ... جامعًا شمْلَهم ، وكان بديدا

ساحرًا لا بحبله وعصاهُ ... بل بخُلْق سمح يروض الأسودا

وبيانٍ من ذاق حلو جناهُ ... عاف بنتَ العُنقودِ والعنقودا [4]

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٢ ، وتاليتها .

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، ص ٥٢٤ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٣ وتاليتها .

ويتناول في معرض حديثه عن المولد – وكما هي عادة الشعراء الإسلاميين – أهم معجزة أتى بها الرسول وهي (القرآن الكريم) :

النبيُّ الأميُّ جاء بـــــــــــآي ... تركت سادة البيان جمــــــــــــودا

أخرست كل ناطق ، تركت كـــــلَّ ... لسان من عيِّه معقــــــــــــودا

حرَّك الصُّمَ إذ تلاها عليهــــــــم ... وتغالى فحرك الجلمــــــــــودا

وألان القلوب وهي غــــــــلاظٌ ... يُشبه الصخر طبعُها والبيـــــــدا [1]

ومن معجزاته الخالدة أنه على أميته جاء بشريعة صالحة لكل زمان ومكان :

النبيُّ الأميُّ لم يدرك العلــــــــــ ... ـــمُ قرارا لدينه أو حــــــــدودا

شرعة ظللت بأدواحها مـــــــــن ... حلَّ بيدًا ، أو حلَّ قصرا مشيــــدا

كلما مرت العهودُ عليهـــــــــا ... أثبتت أنها تجاري العهــــــــودا [2]

ويستلهم شاعرنا من السيرة النبوية في قصيدته(قصة البعث) بعض الأحداث التي واكبت حياة الرسول عليه السلام قبل هجرته المباركة . ومن أهم وأبرز تلك الأحداث والقصص (حادثة الحجر الأسود) حينما اختصمت قبائل قريش بشأن من يضعه في مكانه وهم يجددون جدار الكعبة وكيف أن الرسول استطاع بحكمته حل القضية وحسم النزاع ، إذ أخذ بالحجر ووضعه في ثوب ، ثم أخذت كل قبيلة بطرف ، فأوحت هذه الحادثة لشاعرنا بهذه القصيدة الرائعة ، إذ يقول:

هل رأت " مكةُ " في يوم الحجـــــر ... وعيونُ القوم ترمي بالشــــــــرر

كيف ثارت فتنةٌ بين الأُســــــــر ... ثم ساد الحلمُ بعد الغضـــــــــب

حين مد الثوب " طه " باليمين ؟ [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٤ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٩٨ .

ويروي لنا قصةَ (غار حراء) حينما كان الرسول يتعبدُ فيه، ويصف مشهد الوحي عـــندما نـــزل إليه جبريل بأول سورة في القرآن وهي (اقرأ)، يقول مخاطباً الرسول عليه السلام:

أيُّها الناسكُ في غار حـــــــــــــراء   أرْهفِ السمعَ رويداً للنــــــــــــداء
هاتفٌ من عند ربِّ العرش جـــــاء   يا لصوتٍ من وراءِ السُّحـــــــــــب
هتف : " اقرأ " باسم ربِّ العالمين ! [1]

وحينما دعا الرسولُ قومه إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام اعترضوا عليه وصمّوا آذانهـــم تكـــبراً وطغياناً،وطلبوا منه أن يكف عن الدعوة ، مقابل ما يعطى من جاه أو ما يأخذ من مالٍ فأبى الرسول وامتنع ورضي بالزهد شعارًا له :

ويح أهل الشرك عُبّاد الصَّنـــــــم   إنْ دُعُوا للحقِّ ، لاذوا بالصَّمـــــم
ساوموا المختار في الله ، فلــــــم   يرض بالجاه ، ولا بالنَّشـــــــــب
إنما الزُّهدُ شعارُ المصلحـــــــين [2]

وتشـــدُّ الشاعرَ مؤامرةُ قريشٍ على الرسول حينما تسلّلوا إلى داره ليلاً لقتله، فحثا في وجوههم التراب، وخرج من أمامهم عياناً و لم يره أحد:

خاب جمعٌ بالرسول ائتمـــــــــــرا   ولمن أرْسَلَهُ عينٌ تـــــــــــــرى
نثر التُّرب عليهم ، وانبـــــــــرى   فإذا أبصارهم في حُجُـــــــــبِ
ما الذي أعشى عُيون المشركين ؟ [3]

وتـــثيره قصة (غار ثور) تلك الحادثة التي نزل فيها قول الله تعالى ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [4]. وكـــان بطلها الرسول عليه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٨ ، وتاليتها

(٢) السابق ، ص ٣٩٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٩ .

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ .

السـلام وأبـو بكر الصديق ، ثم يشير إلى هجرة الرسول إلى يثرب سليماً معافى وكيف استقبله أهلها بالأناشيد والأهازيج فرحين به مستبشرين :

سائلِ " الصّديق " ماذا روّعـــهْ ... وإلهُ العرش في الغار معـــه ؟

فضلُهُ — سبحانه — ما أوسعـــه ! ... حلَّ ركبُ المصطفى في "يثـرب"

فتلّقوهُ لقاءَ الفاتحـــين

لح علينا من ثّنيات الـــوداع ... وادعُنَا للحق ، ياأكــرم داع

أيها المبعوث بالأمر المطــاع ... ثب بنا فوق الرواسي ، نثــب

وخض البحرَ ، نخضه أجمعين (١)

ولا يخلو مدح الرسول عليه السلام من الإشارة إلى غزواته المباركة التي قادها ضد المشـركين فكانت أول غزوة له غزوة (بدر الكبرى) ، ولنستمع إلى الشاعر وهو يصف التقاء الجمعين،ويصور أجواء المعركة:

والتقى الجمعان في بدرٍ ؛ فمـــا ... ثبّت الله لباغٍ قدمـــا

أرأيت الشرك كيف انهزمـــا ؟ ... من بسيف الله يضرب ، يغلـــبِ

ولمن ينصرُهُ النصرُ المبـــين

حدثي ، يا " بدر " عن صيدٍ كُمـاةِ ... طلبوا الموتَ ، ففازوا بالحيـــاة

لم تزل سيرتُهم بعد المـــمات ... قَصَصَ الدهر ، ونجوى الحقـــب

ولها في مسمع الدنيا رنين (٢)

وقد استطاعت شخصية الرسول الدينية والقيادية أن تَجمع أشتات العرب وتحقق الوحدة والوئام بينهم، وتعلن مبدأ الشورى والمساواة :

مَنْ رأى شعباً شتيتاً من رُعـــاه ... أصبحت تحني له الدنيا الجبـــاه

أمَّ في المشرق " كسرى " فغـــزاه ... وتحدى " قيصرًا " في المغـــرب

ناشرًا أعلامه فوق السّفـــين

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٠ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٠ وتاليتها .

بدويٌ علَّمَ الدنيا الحضـــــــارةْ خذ الإنصاف والشّورى شعـــارهْ

فإذا الدنيا : ابتسامٌ ، ونضــــارةْ يتساوى أهلُها في الحَسَــــب

لم لا ، والكُّل من ماءٍ وطين ؟ [1]

٢ – حادثةُ الإسراء والمعراج :

لم يقتصـــر حديـــثُ غنيم في المناسبات الدينية على مولد الرسول (صلىالله عليه وســـلم) ومدحـــه ، وذكر الأحداث التي وقعت في حياته ؛بل تعدى ذلك إلى معجزاته الخالدة . ومن بين تلك المعجزات الحسية التي تناولها الشاعر ، وأفرد لها قصيدة طويلة من إبداعـــه معجزة (الإسراء والمعراج) . وشعراء الاتجاه الإسلامي كثيراً ما تحدثوا عن هذه المعجزة باعتبارها مناسبة دينية يحتفل بها عند بعض المسلمين ، وعامة القول في ذلك " إن الشـــعراء لم يـــتركوا حادثـــة تتعلق بشخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلا وعالجوها ، وأبرزوا من خلالها ملامحه الخاصة ، فتحدثوا عن الإسراء والمعراج والهجرة ، والمعاناة في سبيل الدعوة " [2] .

ويقصـــد بالإسراء كما هو معروف في كتب السيرة : الذهاب بالرسول ليلاً إلى بيت المقدس ، وبالمعراج : الصعود إلى السموات العُلا .

وتوحـــي لـــنا قصيدته (أغنيةُ الإسراء) بتلك العاطفة الدينية القوية التي يحملها الشاعر ، وتدل دلالة واسعة على سعة ثقافتة واطلاعه على كتب السّير ، يقول مستوحياً معجزة الإسراء :

رَكْبٌ سرى نحو بيت القدسِ مســـــراه شقَّ الفضاءَ – بلا ريش – جناحـــــاه

من حوله سارت الأفلاكُ هاتفـــــــةً جبريل يحدوهُ ، والرحمنُ يرعـــــــــاه

مَنْ صاحبُ الركب قد حفَّ الجلال به ؟ هذا هو المصطفى أسرى بــــــــه الله

أطاعهُ من بساط الريح جامُحــــــــــهُ كما دعاه سليمانٌ فلبَّـــــــــــــــــاهُ

سبعٌ طباقٌ له الرحمن ذلَّلهـــــــــــــا وكيف لا ، وهو طاويها بيمنـــــــاه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ٥٢٣ .

القدس رحبَّ بالهادي ، وهشّ لـــــه إذ لامست جبهة الهادي مُصـــلاّه [1]

ثم يصف لنا حادثة (المعراج) وما صاحبها من تطورات ، وكيف ماست وتمايلت (سدرة المنتهى) فرحاً بمقدمه ، ويشير إلى ما تناقلته الروايات من أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) رأى ربه ، وخاطبه مشافهة :

جابَ السماءَ، فراح النجم يرصُــدُه ويقبسُ النور من زاهي مُحيــّـاهُ
ووَدّت الشمسُ لو تبدو أشعتُهـــا ليلاً، لتنعمَ عن قرب بمـــرآه
وسدرةُ المنتهى ماست لمقدمـــه أفنانُها، وانثنت تيهاً بلقيـــاه
من سدرة المنتهى أصغى الحبيبُ إلى صوت – يجلُّ عن التشبيه – نـاداهُ
في موطنٍ قُدُسٍ ، تعشو العيون بــه تكحّلت بجمال الله عينـــاه [2]

وفي آخر القصيدة وكما هي عادة الشعراء في هذا الباب يتوسل الشاعر بالرسول (صـلى الله علـيه وسلم) ، ويطلب منه الشفاعة يوم الحشر ، راجياً منه القربى والمترلة الرفيعة :

أنتَ الحبيبُ الذي تُرجى شفاعتُـــه لك الوسيلةُ عند الله والجـــاهُ
أنتَ المشفَّعُ يوم الحشر إن شغَلـــت كل امرىءٍ عند ذوي القربى خطاياه
لا أبتغي غيرَ قربي منك مترلـــة إن بات يبغي مُحبٌّ قُربَ ليلاه [3]

٣ – الهجرة النبوية :

تشـــكلُ هجـــرةُ الرسول المباركة مناسبة دينية عند بعض المسلمين يحتفلون بها ، ويعلــنونها، ويجــتمعون من أجلها، وقد أجاد الشعراء الذين يمثلون الاتجاه الإسلامي في تصوير هذه المناسبة واستلهام أحداثها من كتب السيرة النبوية المطهرة.

ويُقصـــد بالهجرة هنا : هجرة الرسول المباركة إلى المدينة بعد أن لقي من قريش العذاب والعنت، وما ارتكبوه في حقه من التكذيب والسخرية ، واقامه بالأباطيل الكاذبة. فهاجر الرسول إلى يثرب يطلب العون والمساعدة من أهلها ، وينشر دعوته بين ساكنيها ،

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٠٢ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٣ .

(٣) السابق ، ص ٤٠٣ وتاليتها .

فصدقوه وأعانوه ورحبوا به هو ومن معه من المهاجرين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الهجـــرة ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (1)

ولنستمع إلى الشاعر وهو يستلهم أحداث هذه الهجرة من القرآن والسنة ، ويصف لنا هجرة الرسول في جنح الليل خفية من قريشٍ قاصدًا المدينة:

أيُّ ركب دبَّ في جوف الفـــلاة ... يقتفي التاريخُ في شوق خطـــاه؟
تحت جنح الليل يسري خفيـــةً ... في سبيل الله والحقِّ سُـــراه
يقطع الليلَ مسيراً، فـــإذا ... وشت الشمسُ به، ألقى عصـــاه
وقريشٌ خلفه لاهثـــةٌ ... تسأل الركبانَ عنه والمشـــاه (2)

ويصـــف فرحة أهل المدينة المنورة عندما قدم الرسولُ إليها ، مضمنًا أبياته نشيد الأنصار حينما استقبلوا الرسول وصحبه :

حلَّ ركبُ المصطفى في يثـــربِ ... كيف لا ، والله يرعى منْ رعـــاه ؟
رحَّبت يثربُ، بل ألقت علـــى ... أُذُنُ الدهر هتافًا، فوعـــاه
"طلع البدر": نشيدٌ خالـــدٌ ... كلما ردده الدهرُ شجـــاه
بشِّرَ الشرك بموتٍ عاجـــلٍ ... أيها الشركُ، دنا يومُ الوفـــاه (3)

٤ – عيد (الفطر) :

يشـــكل (العيدُ) مناسبة دينية غالية عند المسلمين لما فيه من فرحةٍ ورحمةٍ بينهم ، وهو رمزٌ للمحبة والعطف والخير بين أفراد المجتمع المسلم، لذا فإنَّ غنيماً قد أفرد له قصيدة (طلعة العيد) يخصُّ بها عيد (الفطر) المبارك الذي يلي شهر الصوم مباشرة .

---

(1) سورة الحشر ، آية ٩ .

(2) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦٧ .

(3) السابق ، ص ٦٦٩ .

فـــنراه يصـــوّر فرحة المسلمين ، واستبشارهم به، ويصف نفوسهم الطاهرة بعد انقضاء الصيام ، ويشير إلى المعاني السامية والجليلة التي يرمز إليها كل من الصيام والعيد في آن واحد :

فرحةُ المسلمين والإســــــــلام طلعةُ العيد إثر شهر الصيــــــــامِ
يفطرُ الصائمون فيه على أجـــــــ ـــر من الله، وهو خيرُ طعـــــــامِ
كلما لاح فجرُه، استقبلتـــــــــه أنفسٌ طُهِّــــــــــرت من الآثامِ
إنما تطهرُ السرائر بالصـــــــو م ، وتصفـــــو صفاءَ ماءِ الغمامِ
لك ياربُّ في الصيام وفي الفطـــ ـــر معان دقَّت عن الأفهامِ [1]

ويجسد من العيد شخصًا آخر فيخاطبه بأن يطل ويشرق بابتسامته وفرحته لينقشع الظلام عن وجه الأرض التي تجهّمت واسَودّت من آثار الظلم والبطش والفساد:

أيها العيدُ قد تجهَّم وجـــــــهُ الأ رض، فاطلع بثغرك البسَّــــــام
قبسٌ أنت في ظلام الليـــــــالي وظلالٌ في مَهمهِ الأيـــــــام [2]

ثم يشـــير إلى بعض الأعمال الدينية التي يفعلها المسلمون في ذلك اليوم من تكبير وتهلـــيل ، فتســـري أصـــواتهم وألحانهم بها في تناغمٍ وتناسق وترتيل ، محفوفةً بالروحانية والقداسة :

كبرَّ المسلمون – حين تجلَّيـــــــ ـــتَ عليهم – تكبيرة الإحــــــرام
وأهلُّوا كأنما جَمعَتهُـــــــــــم مكةُ بين زمزم والمقـــــــــــام
فسرى لحْنهُم إلى كل نفـــــــسٍ سريان الشفاء في الأجســــــام
ما أحبَّ التكبيرَ في بُكرة العيـــــ ـــد نشيدًا مرتلَ الأنغام ! [3]

ثم يـــناديه مّرةً أُخرى بأن يُعلِّم الناس معنى الحب والوئام بدلا من الكره والشقاق وأن يســـكب في الـــنفوس الأنس، ويمسح دمعة اليتيم والفقير ، وأن يملأ الأرض والبحر

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤١٢ .

(٢) السابق ، ص ٤١٣ .

(٣) السابق ، ص ٤١٣ .

سلامًا ؛ لأنه رمز للسلام ، وينشر الأمن في كل مكان ، وأن يُعلِّم الناس الصفاء والود بين ذوي الأرحام ، وبني الأعمام:

أيُّها العيدُ ،لقِّن الناس درس الـــــــــ	ـــــــحبِّ ، واعزف لهم نشيدَ الوئام
أُسكب الأنس في النفوس ، وكفكف	من دموع العُفاة والأيتـــــــــــــام
واملأ البرَّ واملأ البحر ، يا عيـــــــ	ــــــدُ سلامًا ، فأنت رمزُ السلام
أُنشر الأمن — أيها العيدُ – في كـــل	مكان مُرفرفَ الأعـــــــــــــلام
علمِّ الناس أن يومك يـــــــــومٌ	يتصافى فيه ذوو الأرحـــــــــام
قل لهم: إنَّما الخلائقُ — مهمـــــا	نزحت دورهُم – بنو أعمـــــام [1]

٥ – الحج :

فُرضَ الحجُ في السنة التاسعة من الهجرة ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام الخمســـة ، فأصـــبح واجبًا ولازمًا على كل مسلم بالغ عاقل أن يحج مرة في عمره متى اســـتطاع ذلـــك ، قال تعالى حاثًا الناس على الحج : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [2]

وقد كان الحج رمزًا مقدسًا عند الشعراء فراحوا يتداولونه في أشعارهم منذ العصر الجاهـــلي . وقوي في شعرهم حينما جاء الإسلام وتحقق للعرب ما تحقق من وحدة الدين والتـــئام الشـــمل ، وفي الشعر الحديث : " أخذ الحجُ نصيباً موفوراً من الذكر ... ذكره الكثير من الشعراء الحجاج وغير الحجاج ، ذكره شوقي ــ وإن لم يحج ــ وقصيدته " إلى عـــرفات الله " مشهورة ، وغير شوقي شعراء كثيرون جداً .. " [3] . وكما أكثر غنيم في الحديث عن المولد النبوي وما مر من مناسبات دينية فإنه قد أفاض في الحديث عن الحج

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٣ وتاليتها .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

(٣) عبد العزيز الرفاعي ، : الحجُّ في الأدب العربي لمحات عابرة ، الطبعة الأولى ، من منشورات المكتبة الصغيرة ، ١٣٩٥هـــ ، ص ٥١ .

وأحواله وذلك لأدائه فريضة الحج أكثر من مرة ، ولهذا فإنه يجب إدراج اسمه ضمن قائمة (الشـــعراء الحجاج) . ففي قصيدته (في أرض النبوة) تظهر عاطفة الشاعر الدينية أيما وضـــوح ، فهذه الشعيرة الدينية (الحج) كانت مصدراً دينياً مثيراً لعاطفة الشاعر وإبداعه الشعري ، ففي مقدمة القصيدة يخبرنا أنه سمع صوتاً روحانيًا عذبًا من السماء يناديه بالتلبية و الحج ، وقد لباه الشاعر وأجابه بنفس راضية ، وقلب خائف ، وعين تدمع :

صوتٌ من العالم العلويِّ نـــــــاداني ... لبَّيكَ لبيَّـــــــــكَ ! لاآن، ولا واني

ما أعذب الصّوت ! ما أشجاه من نغم ... سمعتُه بجنــــــــــاني لا بآذاني

وكيف تسمعه أذُنٌ ، ويحملــــــــــهُ ... موجُ الأثـــير حروفاً وهو روحاني

لبّيتهُ بفؤادٍ ملؤه وجـــــــــــلٌ ... وصيِّبٍ مـــــن دموع العين هتّان [1]

ويتساءل الشاعرُ كيف له أن يقف بباب الرسول وصحائف أعماله مليئةٌ بالذنوبِ والخطايا ، ثم يخاطب الأراضي المقدسة ويعترف لها بأن سبب بعده عنها يكمن في تقصيره وتفـــريطه ، ومع ذلك فإن يقين الشاعر بالله وحسن ظنه به ، وأمله في رحمة ربه قد قربه منها :

كيف الوقوف على باب الرسول ، وفي ... يدي صحائفُ زلاّتي وعصيــــــاني ؟

دار النبوة ، ذنبي عنك أبعــــــــدني ... وحسنُ ظني بربي منك أدنـــــاني [2]

ويترجم الشاعر في تضرع ووجل مشاعره تجاه الأراضي المقدسة ويقرر أنها دائمًا في باله وحسبانه، وأنها لم تغب لحظة واحدة عن خياله وأحاديثه ولوحه :

ما غبت عني ، وإن لم يمتلئ بصـــــري ... من أهلك الصِّيد أو من ربعك الغاني

قد كنتُ ألقاك في لوحي ، وفي كتــبي ... وفي سطور أحاديثي ، وقـــــــرآني

ما زلت رسمًا جميلاً في مُخيِّلـــــــتي ... حتى كأنَّا التقينا منذُ أزمــــــان [3]

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، من ٦٦١ .

(٢) السابق ، ص ٦٦١ .

(٣) السابق ، ص ٦٦١ .

ثم يـــتوجه بالخطـــاب إلى أهل مكة والمدينة الآمنين ، ويناديهم بقوله " يا جيرة الحرمين" ويهدي لهم تحياته العطرة الممتزجة برائحة الريحان الزكية ويذكرهم بما من الله به عليهم من شرف المكان والمكانة :

يا جيرة الحرمين الآمنين ، لكـــــــم　　أُهدي التحيّة من رَوْح وريـــــحان
الله أورثكم مجدًا يُقرُّ بـــــــــــه　　قبل الحبيب لسانُ الحاسد الشـــاني
والله شرَّف مغناكم ، وشرّفكـــــم　　خيرُ البقاع أقلّت خيرَ سُكّـــــان (1)

ويشير إلى بعض ما امتازت به تلك البقاع الشريفة عن غيرها من الأمكنة كوجود ماء زمزم النقّي الطاهر ، واعتبار تلك الأمكنة بابُ الوصول إلى جنّات النعيم ، وفي تلك الـــبقاع القدســـية أقيمت أول جامعة إسلامية أسسها النبي الأُمي وكان طلابها من أوائل الصحابة رضوان الله عليهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الذين ساهموا في نشر العلم في ربـــوع العالم مبشرين ومصلحين ، وكان منهم القادة والحكام والساسة الذين ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب المبين :

هنا رحيقٌ ، عتيقٌ، حلَّ مشربــــــــه　　فيه طهارةُ أرواحٍ وأبــــــــــدان
هنا مفاتيحُ أغلاق السماء ، هنـــــا　　باب الوصول إلى جّنات رضـــوان
هنا بنى المصلحُ الأُميُّ جامعــــــةً　　على أساسين من : علمٍ ، وعرفـــان
ما كان طلابُها إلاَّ شراذم مــــــــن　　رُعاة إبلٍ، ومن عُبّاد أوثــــــان
ربّى العتيق أبا بكر بها ، وأبـــــا　　حفص ، وربّى عليا، وابن عفّـــان
طلابُها في ربوع العالم انتشــــروا　　مبشّرين بإصلاحٍ وعمــــــران
فيها تخرّج سُوَّاسُ البرية مـــــــن　　أدنى المحيط إلى أقصى خُراســـان
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب، فما　　أحسَّ شعبٌ بجور ، أو بطغيـــان (2)

ويـــبين الشاعر أنَّ سبب قوة أولئك النّفر من الصحابة يكمن في تمسكهم بشعار التكبير (الله أكبر) الذي تفوقوا به على الفرس والرومان والجبابرة العتاة :

---

(1) المصدر السابق ، ص ٦٦٢ .

(2) السابق ، ص ٦٦٢ .

" الله أكبر" كانت سر قوهــــــم ... على الجبابر من فُرسٍ ورومـــــان

شاد البُداةُ حضاراتٍ بها، وبهـــــا ... ثَلُّو عروشًا، وسَلُّوا دُرَّ تيجـــان

لا حصنُ قيصر أغنى عنه زحفهمـــو ... ولا احتمى منهمو كسرى بإيوان [1]

أمـــا ســـبب ضعف المسلمين اليوم فيعودُ إلى بعدهم عن الارتباط بالله ونسيانهم الـــتوكل عليه ، فأصيبوا بالضعف وغطوا في الوسن ، انظر إليه وهو يشكو إلى الله واقع أمته وحال قومه :

يا ويح قومي! نسُوا الله الكبير ، فلـــم ... يذكرهم الله ، نسيانٌ بنسيـــــان

يا ربِّ شعبُك يشكو ما أحاط بـــه ... من الخطوب ، فأدرك شعبك العاني

أدرك بلطفك شعبا غط في وســـن ... على تخوم عدو غير وسنـــان [2]

ولا تخلو هذه القصيدة من مدح الرسول عليه السلام ، واستعطافه وطلب الشفاعة والرحمة منه ، ويقرر أن مكانة الرسول أجل وأكبر من أشعاره ومزاميره التي ينشدها :

يا سيدِّ الرسْل ، لم أنشدك ممتدحـــا ... فأنت فوق مزاميري وألحـــاني

إني لأطرق باب المصطفى بيـــد ... بيضاء لم تتعود طرق بيبـــان

وأبسطُ الكفَّ أستجدي رضاه ، ومـــا ... بسطتُ كفي لذي منٍّ وإحسان [3]

ويعقد الشاعر مصارحة مع نفسه ، يعترف فيها بالذنب والإساءة ، ويتحدث عن الـــنفس الأمـــارة بالسوء وأن جهادها أصعب من جهاد الأعداء ، وهي أفتك من السُّبع بالإنسان ، ويطلب من الله المغفرة والرحمة :

لا أكتم الله ما أسلفت من زلـــل ... وهل يغطي عليه طول كتمـــاني ؟

إذا جوارحي اللاتي جنت شهـــدت ... بما جنت ، كان إقراري كنكـــراني

جاهدت ، يارِبِّ، أعدائي فما وهنت ... قواي، لكن جهاد النفس أعيـــاني

(١) المصدر السابق ، ص ٦٦٣ .

(٢) السابق ، ص ٦٦٣ .

(٣) السابق ، ص ٦٦٤ .

والنفس أفتك بالإنسان من سبـــــع ضار ، وأردى له من ناب ثعبـــان

أستغفرُ الله ! ذنبي لستُ أجحـــــدُه لكن على الغير يلقي التهمةَ الجـــاني

يا ربِّ ، إن لم تُقِلْ ذا عثرة ، فلمـــن ما في جنانك من حور وولدان ؟ [1]

والقصيدة مليئة بالتوبة والندم والاستغفار والمناجاة وطلب المغفرة والرحمة ،وكلها مشـــاعر دينـــية فياضـــة ، وعاطفة صادقة نبيلة تحس بالندم والحسرة على ما اقترفت من الذنوب والخطايا راجية من الله الكريم الأمل المضيء المشرق في المغفرة وقبول التوبة.

ونـــلمح في قصـــيدته (تحـــية وقضـــية) - الـــتي أنشـــدها أثناء تأديته فريضة الحج - التركيز على أمور تتعلق بالأمة الإسلامية منها :

الدعوة إلى الاتحاد والأخوة ووحدة الصف ، فيذكرهم بماضيهم العريق ، ويسدي لهم النصح القويم ، وعدم الميل إلى العادات الغربية المشينة ، أو الانحراف في مجرى تياراتهم المخـــزية ، ويشير إلى قضية عقدية خطيرة انتشرت عند بعض المسلمين وهي التبرك بقبور الأنبـــياء والصالحين والتوسل بها لتحقيق نصرٍ سياسي أو غرض شخصي، ويدعوهم إلى العمل الجاد المثمر، وحمل السلاح على الأعداء ، والجهاد في سبيل الله :

المؤمنون بكل أرضٍ إخـــــــوةٌ وبنصرهم نطق الكتابُ الـــمترلُ

إنْ كان حاضرهم تجهَّم حقبَـــــةً فلهم بفضل الوحدةِ المستقبـــــلُ

سيسودُ آخرُنا بفضل وقوفنـــــا صفّاً ، كما سار الرّعيـــلُ الأولُ

وسلاحنا الماضي وسيلةُ نصرنـــا لسنا بغير سلاحنا نتوسَّـــــلُ

لا تبسطوا للغرب ، ياقومي ، يـــدًا للغرب طرفٌ في السياسة أحـــوَلُ

لا تستمدوا النصر من قبرٍ ، ولـــو أنَّ الدَّفين به نبيٌّ مُرســـــلُ

ما قال ربك: بالقبور تَمسَّحـــــوا بل قال-جلَّ جلاله-:"وقل اعملوا"

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٦٤ .

إني أقبلُّ رأس كلِّ مجاهـــــــــــد إن قبّل الصّخر الأصمَّ مُقبِّــــلُ [1]

وبعـــد أنْ يُذكِّـــر المسلمين بماضيهم المجيد ، وتاريخهم البطولي ، مستغلاً ذلك في تحميسهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله :

إنا لَنُشهدُ أهل بدرٍ أننـــــــــا في النصر أو نيلِ الشهادة نأمُـــــل

ويقول قائلنا لدى استشهـــــــاده يا ليتني في كل يومٍ أُقتـــــــل !

أسلافُنا في كل ملحمةٍ لهـــــــم تاريخُ مجدٍ بالدماء مُسجـــّــــل

لسنا بأمجاد الأوائل نكتفـــــــي لكن كما فعلَ الأوائلُ نفعـــــلُ [2]

نراه يقتنصُ تجمع المسلمين في هذا الجمع العظيم المبارك ، ويعرض عليهم تفاصيل القضـــية الإســـلامية الأم ألا وهي القضية (الفلسطينية) فيدعو المسلمين للدفاع الجاد عن الأقصـــى ، ويعرض مشاهد مأساوية لما ارتكبه اليهود بالمسلمين ، وما فعلوه من استبدادٍ وبطـــش بحـــقّ الشعب الفلسطيني ، كحرق الأقصى وإشعال النار فيه ، فينعتهم بالخزي والعار والفساد ، وأنهم شعبُ يعوقُ ركب السلام والحضارة ، ويذكرهم بماضيهم الوخيم عـــــندما طـــردهم الرسول من المدينة ، وأخرج منها أجدادهم من يهود بني قريظة وبني النّضير :

عن ثالث الحرمين ندفعُ عُصبـــــــةً دخلتْهُ كالمكروب إذ يتـــــسلَّل

وعروقُنا تغلي بهنَّ دماؤنـــــــــــا فكأنما في كلِّ عرقٍ مِرْجَـــــــلُ

هُمْ أشعلوا في المسجد الأقصى اللّظـــى فليحترق بشواظها مَنْ أشعلـــــوا

شعبٌ تحامتهُ الشعوبُ ، يكـــــاد إنْ حملته أرضٌ تحته تتزلــــــــزلُ

مُتفوقٌ في السخريات ، معـــــــوِّق ركب الحضارة ، للفساد مُسَبِّـــــل

سلْ أرض يثرب عن يهودِ قريظـــــةٍ وبني النضير، يُجبك كيف استؤْصِلوا

عرف اليهودَ محمدٌ فأبادهـــــــــــم ما ضرَّ لو بمحمدٍ نتمثَّـــــــلُ ؟ [3]

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٨٩ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٦٩٠ .

(٣) السابق ، ص ٦٩٠ وتاليتها .

ثم يدعـــــو المســـلمين إلى (الجهـــاد) وعدم الاسترخاء ، وأنه أفضلُ من التّبتُل والتَّهجد ، ويطلقها صرخةً مدوية من مكة بأن يحمل المسلمون السلاح ؛ لأنه صار فريضةً عليهم بعد أن استبيحت أرضهم وانتهكت محارمهم :

يا مَنْ ببيت الله طافوا سبعـــــــــــةً ... وتنسَّكوا فيه ، وفيه تبتَّلـــــــــــوا

أعلمتموا وقد استُبيحت أرضكـــــــم ... أنَّ الجهاد من التهجُّد أفضـــــلُ ؟

اليوم قد دخل العدوُّ بلادَنـــــــــــا ... وغداً علينا في المخادع يدخـــــــل

إني لأطلقها بمكة صرْخــــــــــــةً ... مشبوبةً ، في المشرقين تُجَلجـــلُ

حمْلُ السلاح اليوم صار فريضــــــةً ... والزَّحفُ للدين الحنيف مُكمِّـــلُ [١]

والواقع أنَّ غنيمًا في هاتين القصيدتين الرائعتين لم يتطرق للأمور التي تتعلق بالحج وشـــعائره ونسكه ، وإنما كان الحجُ مناسبة صالحة وفرصة سانحة لعرض الأمور التي تتعلق بالأمـــة ووحدتهـــا ومناقشتها مناقشة صريحة مستفيدًا من تجمُّع المسلمين في مكة ، ولكنَّ الحج يبقى مناسبةً دينية رائعةً تمدُّ الشاعر بالصور الجديدة والمعاني الرَّائعة ، انظر إليه وهو يصفُ مشهد النساء العابدات المتنسكات في الحرم المكي الشريف وقت الحج ، ويصورهن تارةً بحمام الحرم ، وتارة أخرى بسرب المها الحسان :

حيِّ حمائمَ الحـــــــــــرم ... بالبيت سربُها اعتصـــــم

سِربٌ من الآرام مـــــــــا ... حواه بانٌ أو علـــــــــم

وهُنَّ حسناوات جميلات لكنه حُسنٌ متوّج بالتقوى والورع :

حسناءُ ، إلاَّ أنَّ هـــــــــــ ... ـــذا الحسنَ بالتقوى اتَّسم

يصونُها من كلّ ريـــــــــــ ... ـــبة جلالٌ وعظـــم [٢]

ثم يصف حللهن البيضاء ذات الطابع الإسلامي الأصيل ، فهي بيضاء فضفاضة لا تشف عن مفاتن الجسم . يمشين بكل احتشام ووقار متمسكات بالحجاب :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩١ .

(٢) السابق ، ص ٧٥١ .

في حُلَلٍ بيضٍ عليـــــــــ ـــها طابعُ الزُّهد ارتســـم

فضفاضةٌ ، لكنهـــــــا كالبدر فيهـــــا أو أتمّ

لا ثوبُها يخصرهـــــا وشى ، ولا بالصدر نَــمْ

والحسنُ كم يزداد حُســـــ ـــنًا إنْ هو احتشـــم [1]

ويفيض في الحديث عن طبائعهن وأخلاقهن فهُن في الاحتشام والتستر كالرُّهبان ، وهنّ فوق ذلك من النساء المؤمنات القانتات العابدات القائمات في الليل الدَّاج :

في مسحة الرُّهبـــــان لا حت وهي من خير الأمم

مسلمةٌ ، قانتــــــــةٌ لله بارئ النّســـــــم

قوَّامةُ الليـــــــل إذا جنَّ الظلامُ وادلَهَـــم [2]

وبالإضـــافة إلى مـــا يتمتعن به من حشمة ووقار فإنَّ الشاعر يحاول أن يستقصي بوضوح ودقة كحل مشهد من مشاهد أولئك الحسان داخل الحرم فهو ينقل إلينا أصواتهن المتجانسة المتناغمة وهُنَّ يلبّين الله في خشوعٍ وندم :

في البيت قد سمعتُهـــــا تدعو بصوتٍ من نغـــم

سمعتُها وهي تلـــــــ بيِّ في خشوعٍ ونـــــدم

تلبيةً تكـــــــاد أن تنفُذَ في الصّخْر الأصمْ [3]

ويحـــاول مـــرّة أخرى بكل إبداع ودقة أنْ يصور مشهد أولئك المتنسكات وهُنَّ يطفـــن بالبيـــت سبعًا ، وما يقمن به من أعمال نسكية أخرى كاستلام الحجر الأسود ، والوقوف عند الملتزم ، وشرب ماءِ زمزمٍ الطاهر وكيف يلتقي الماء مع الرِّيق وقت الشرب في عذوبةٍ وشبم وكلاهما بلسمٌ تلتئم به الجروح :

سربُ الظباءِ — ويَحكـــم على الطواف قد عـــزم

خلوا له طريقــــــــهُ إن طاف سبعًا واستلـــم

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥١ .

(٢) السابق ، ص ٧٥١ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٢ .

هنا رأيت الحسن بالـــــــ سَّير التقى والملتـــــــزم

والحجرَ الأسودَ بالـــــــ ـعقيق والدُّرِّ التثـــــم

خيرَ صفاةٍ في الوجـــــــ ـــود قُبِّلت بخير فـــــم

سلسلُ زمزم التقــــــى بريقها العذب الشَّبـــــم

هذا وذاك بلســـــــمٌ إذا أسا الجُرح التـــأم [1]

ويتابع الشاعر وصف أولئك النسوة الحاجات وهن يقمن بما تبقى من أعمال الحج فـــبعد أن طفـــن بالبيت ، اتجهن إلى السعّي بداية بالصفا ونهاية بالمروة ، شاقاتٍ طريقهن المـــزدحم بكل هدوءٍ ووقار ، وعين الله ساهرةً تحرسهن وترعاهن ، والأملاك كالأعلام فوق رؤوسهن ترفرف :

فديتُها من الصَّفـــــا ساعيةً على قـــــدم

ترفرفُ الأملاك فـــــوْ ق رأسها مثل العلـــــم

تشقُّ في هـــــوادةٍ طريقها في المزْدُحـــــم

تحرسُها إذا سعـــــت عينُ إله لم تنـــــم [2]

ويتوجه الشاعرُ بآلته التصويرية لنقل عملٍ نسكي آخر من أعمال الحج ، فيصور تلك الفئة من النسوة الحسناوات وهُنَّ يرجمن الشيطان بالحصى سبعاً عند الجمرات بأنامل ليّنة كشجر (العنم) ، فيندحرُ إبليس ويهبُّ من مكمنه منهزمًا أمام طهر أولئك النسوة المتبتلات :

هُنا رأيتُ الحسن مـــــن إبليس بالرَّجم انتقـــــم

كبَّرتُ سبعًا ، وهي تـــــر مي الجمراتِ بالعنـــــم

ياليت شعري – إذ رمت – أغيظُ إبليسَ احتـــدم ؟

أم هبَّ من مكمنـــــه يلثمُ كفَّ من رَجَـــم ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٢ .

إن ترمه اليوم ، فكـــــــم　　　أمام طُهرها انهـــزم ! [1]

ويعقد الشاعر عدّة تساؤلات مع صاحبه حول أولئك الحسان ، ففي البداية يأمر صاحبه بأن يقوم ويسأل إِحدى الحسناوات ماذا قدمن من الهدي بعد أداء ورمي الجمرات والطواف ؟ وهل هديها أحسّ بالألم عندما نحرته ؟ ثم يسألها ثالثة هل هي كالناس أم أنها ملك متزل من السماء جاء لينشر السلام والعدل في الأرض ؟ ، يقول :

قُمْ سائل الحسناء : مــــا　　　ذا قدّمت من النعـــــم ؟

سَلْ هديها – إذ نحرتـــــــ　　　ـــهُ -: هل أحسّ بالألم ؟

سلها : أأنت مثلُ كـــــلِّ　　　الناس من لحـــــمٍ ودم ؟

أم مَلَكٌ مـــــــــــــتزَّلٌ　　　ينشرُ في الأرض السَّلَم ؟[2]

ويـــتمنى لهنَّ في آخر القصيدة ألاَّ يكُنَّ قد عانين ما عاناه هو من السّقم ، ثم يدعو لهـــن بالفداء من كل مكروه وأن يجعل حجهن مبرورًا يمحو الذنوب الكبيرة والصغيرة ، وأن يكتـــبه الله لهنَّ في اللوح المحفوظ ، فهنَّ حكمةٌ في الحج كما أنَّ الحج في نظره كله حكمٌ بالغة ومعاني جليلة سامية :

يا حلوُ ، لا عانيتَ بعــــــ　　　ـــض ما أُعاني من سقـــم

نفسي لنفسك الفــــــدا　　　من كل مكـــــروه ألم

وحجة مـــــــــبرورةٌ　　　تمحو الذنوبَ واللّمَـــــم

يخطُّها في لوحـــــــــه　　　ربُّ العباد بالقلـــــــم

في الحج أنت حكمـــــةٌ　　　والحجُّ كله حكـــــم [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٣ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٣ .

مثيرات إسلامية متفرقة :

١ - أذانُ الفجر :

أثـــار أذانُ الفجـــر قـــريحة الشاعرِ وعاطفته الدينية المتأججة فشدا بهذه المقطوعة الشعرية ، أو قل الأنشودة الدينية ، فالأذان عنده أنشودة قدسية الألحان مصدرها الهاتف الرباني ، فكل شيء في الصبح يكبر ويهلل حتى الكون :

أنشـــــودةُ الأذانِ تســـــري إلى الآذن
قدسيةُ الألحـــــان من هاتف ربـــــاني
الصبحُ أسفـــــــر والكونُ كَـــــرَّر
الله أكـــــــبر ! الله أكـــــبر ! [1]

وهو صوتٌ حلو الصّدى قوي السريان ، ينساب إلى الآذان كالماء الطاهر ، بل هو أصفى من القطر ؛ لأنه يدعو إلى الفوز وطلب الأجر :

صوتٌ مع الفجـــــر حلوُ الصّدى يســـري
ينسابُ كالطُّهـــــر أصفى من القطْـــــر
يدعو إلى الذّكـــــر والفوزِ والأجـــر [2]

ويجعل الشاعر الطبيعة تشارك المصلين في الاستجابة لذلك اللَّحن الرَّباني ، فالطيور قد أصغت له في الروضة ذات الأزهار العطرة وشاركته نداء الأمة وقت السّحر :

لحنٌ بلا أوتـــــار أصغت له الأطيـــــارْ
في الرّوضة المعطـــــار نادى مع الأسحـــــار
أنْ وحِّدي القهّـــــار يا أمة المختـــــار [3]

وهـــذا الصوت الرّباني وقت السحر يدعو إلى الصلاة وتوحيد الإله ، فمن أجابه فقد نجى وحصل على الخير العظيم وهو دخول الجنة :

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤١٥ .

(٢) السابق ، ص ٤١٥ .

(٣) السابق ، ص ٤١٥ ، وتاليتها .

يدعو إلى الصـــلاة ووحدةِ الإلــــــه

يدعو إلى النّجـــاة طوبى لمن لبَّــــاه

وقال : يا ربـّـــاه تعنو له الجبـــاه [1]

وفي آخـــر القصـــيدة يأمُر النائمين بأن ينهضوا ويهبوا ويستحيبوا لنداء الإله حتى ينعموا بالخير العظيم :

يا نُوَّماً ، هُبُّـــوا ناداكُم الـــــربُّ

لبُّوا النّدا ، لبُّـــوا من شاقه القــــرب

من ربِّه ، ينبـــو عن فرشه الجنْــبُ [2]

٢ – نشيدُ الأنصار :

اســتوحى الشاعر هذا النشيد الديني من نشيد الأنصار الذي استقبلوا به الرسول عليه السلام حينما هاجر من مكة إلى المدينة ، وقد ضمنه منذ البداية كلمات ذلك النشيد المذكور في كتب السيرة وهو:

طَلَع البدرُ علينـــا من ثنّيات الـــوداع

وجبَ الشكرُ علينـــا ما دَعَـــا لله داع

أيُّها المبعوثُ فينـــا جئت بالأمر المطاع [3]

ويشبه الرسول الأمين الذي أرسله الله رحمة بعباده المؤمنين بالنور المبين الذي ملأ البرّ والبحر حقًا ويقينًا وأمنًا :

طلع النورُ المبـــينُ نورُ خير المرسلـــين

نورُ أمنٍ وســـلامٍ نورُ حقٍ ويقـــين

ساقه الله — تعـــالى – رحمةً للعالمـــين

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٦ .

(٢) السابق ، ص ٤١٦ ، وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٤١٧ .

فعلى البرِّ شعـــــاعٌ   وعلى البحر شُعاع [1]

ويسترسل الشاعر في نشيده المستوحى من نشيد الأنصار في وصف الرسول وذكر ما تمتع به من بيان قوي يعجز عن مثله البلغاء :

قوله قولٌ فصيـــحٌ   يتحدى البلغـــاء [2]

ويـــتحدث عن بعض الأخلاق الحميدة التي جاء بها الهادي البشير كفك الأسير ، وإرشاد المخطىء والتائه ، وذلك بفضل ما أتى به من دينٍ واضح وصريح ، من تمسك به حصل على السعادتين في الدنيا والآخرة :

جاءنا الهادي البشـــير   مُطلِقُ العاني الأســـيرْ

مرشدُ الساعي إذا مـــا   أخطأ الساعي المســـير

دينُهُ حقٌّ صُـــــراحٌ   دينه مُلكٌ كبـــــير

هو في الدنيا نعيـــــمٌ   وهو في الأُخرى متاع[3]

وهو نبيٌ أتى بدينٍ جديدٍ هدم به الأصنام المعبودة وقتئذ كاللات والعزى ، فوحد الله ، ولمَّ الشَّمل ، وألَّف بين القلوب ، وقرَّر مبدأ الأخوة بعد صراع طويل :

ليس للاَّت مكـــــانٌ   ليس للعزىَّ ثبـــــات

وحد الله ، ووحـــــد   شملنا بعد الشّتـــــات

أنت ألفّت قلوبـــــًا   شفَّها طولُ الصّراع [4]

ثم يشـــير إلى موقـــف الأنصار النبيل حينما عاهدوا الرسول على أن يحاربوا معه ويساعدوه ويكونوا معه حتى لو خاض بهم البحر :

نحن أعطينا العهـــود   نحن لله جنـــــود

خض بنا البحر ، نخضه   واقتحم غابَ الأســود

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٧ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) السابق ، ص ٤١٨ .

(٤) السابق ، ص ٤١٨ وتاليتها .

ولنا نصر مبـــــــين أو لنا دار الخلـــود [1]

٣ – تسبيحات وابتهالات :

يـــلمس القارىء حينما يقرأ ديوان غنيم وضوح عاطفته الدينية القوية التي تطغى عـــلى بعـــض قصـــائده ، والنزعة الإيمانية تتجلى واضحة في قصائده الدينية خاصة تلك القصائد المليئة بالندم والتوبة والاستغفار ومناجاة الرب .

ففي قصيدته (تسبيح وابتهال) نجده يسبح الله ويعظمه على عدله وجلاله وربوبيته مـــتخذا مـــن الطبـــيعة الحية والصامتة عنصرا فاعلا يشاركه في هذا التسبيح والتعظيم ، فالحيتان في البحر والنجم في الفلك يسبحون الله ويخضعون له :

سبحانك اللهم ! ما أعدلـــك ! نحن العبيد نحن ، والملك لـــك
تعنو لك الحيتان في لجهـــا وكل نجم سابح في الفلـــك [2]

وعواء الذئب في الفلاة يوحي بالثناء على الله ، والطير إذا شدا دل على الاعتراف بنعمة الله ، أما الحجر الأصم الصامت فقد هتف بأسماء الله الحسنى :

الذئب إذ يعوي بصحرائـــه يثني على الله وآلائـــه
والطير إذ يشدو على غصنـــه يقر لله بنعمائـــه
والحجر الجلمد في صمتـــه يهتف بالله وأسمائـــه [3]

ويشـــتد تأمل الشاعر في الكون وعظمته ، وما فيه من مخلوقات دقيقة وعجيبة ، ويطرح على نفسه عدة تساؤلات حول ذلك الكون وما فيه من مخلوقات كلها تداعيات ونزعات إيمانية تدل على عظمة الخالق وسعة ملكه بعيدة عن الشك والظنون :

من علم النملة معنى العمـــل ؟ من ألهم النحلة صنع العســـل ؟
من سير الأفلاك في دقـــة ؟ من سخر البحر ، وأرسى الجبـــل ؟
مَنْ ملأ الدنيا بأســـراره ؟ مَنْ كوَّنَ الأكوان منـــذ الأزل ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٠ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٠ .

تباركت أسماؤه ! كلُّ مـــــا في ذلك الكون علـــى الله دلّ [1]

ومـــن المعـــروف أنّ " الكـــون في التصور الإسلامي آية من آيات الله الكبرى ، وصورة فذة من صور قدرته العظمى ، وشاهد ما بعده من شاهد على وجود الله عزّ وجل وكماله وجلاله " [2] .

ويمثل محمود غنيم الأدب الإسلامي خير تمثيل عندما يُعبر عن تجاربه الذاتية النابعة مـــن النفس الإنسانية ، عن طريق الكلمة المؤثرة والمبدعة "والأديب المسلم حين يعبر عن حـــياته تلـــك، وعن تجربته من خلال هذا التّصور لا يمكن أن ينطق بلسان الآخرين أو يستعير أدواقمم ، لأنه يملك أدواته ، ويملك موهبته ، ويملك تصوره " [3]

انظـــر إلى غنـــيم وهو يخاطب نفسه ويأمرها بأن تهيم في ملكوت الله من خلال التحرر من قيود الخداع والهموم والأمنيات الكاذبة ، يقول :

دعيني أَنْجُ من دنيا الهمُـــــوم وفي ملكوت عرش الله هيمـــــي
دعي خُدَع المنى يانفـــــس ، إني أُريد البحث عن عيشٍ كـــــريم
لقد مَنيَّتني دهرًا طويـــــلاً فعُدتُ ، وما حصدتُ سوى هشيم
فأعطيني مقادك ، واتبعيـــــني أُقدك إلى الصِّراط المستقيـــــم [4]

ويستمر غنيم في تأنيب نفسه الأمّارة بالسوء ، فيأمرها بأن تجتنب الحقد والبغض والكراهية ، وألاَّ تحمل الضّغن الدفين لأحد من الناس ، بل تكون أرقَّ من عبير الزهور :

ألا ، يانفسُ ، ويحك ! لَسْتِ نفسي إذا حاولت نيلاً من غريمـــــي !
فَسُلّي الضّغن من صــــــدري ورِّقي للأحبَّة والخُصـــــوم
وكوني : من حباب الماء ، أو مـــن عبير الزّهر، أو ألق النُّجـــــوم

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٠ وتاليتها .

(٢) عبد الرحمن رفعت الباشا : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د.ط ، (الرياض : دار البردي للنشر والتوزيع ، د.ت) ، ص ١٠٣ .

(٣) محمد حسن بريغش : الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، الطبعة الثانية ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م) ، ص ١٠٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥٥ .

أحبّ كلّ حيٍّ ، لا تخصِّـــــــي بحبّك كلّ ذي وجهٍ وسيـــــمِ [1]

ويدعـــو نفسه إلى التفاؤل المشرق، وإلى الأمل الباعث إلى السعادة ، وعدم المبالاة لمشاكل الحياة المعكرة لصفوها ، وأن تلتجئ إلى الله في كل وقت وكل حين ، وأن تداوم على طاعة الله وتقواه :

متى ألقاك لا تلقين بـــــــالاً لما يعروك من خطب جسيـــــم ؟
يكون الكونُ حولك مُكْفَهِــــرًّا وتبتسمين عن دُر نظيـــــــم ؟
إذا دَجَت الحوادث ، فاستضيئـــي بنور الله في الليل البهيــــــــم
ودُومي إن أردت الله ذُخـــــرًا على التقوى ، وعنها لا تريمــــي
ولا تصغي إلى همس الأمــــاني وإلا ، عشت في همٍّ مُقيـــم [2]

ثم يلـــتجىء إلى الله بقلبٍ خالص ، يسأله السعادة الدائمة لكل مخلوق ، فلم يكن ســـؤاله ذاتـــيًا خالصًا وإنما كان إنسانيًا عامًا ، فهو يدعو للغني والعديم ، ويسترسل في دعائـــه،ويكثر من سؤاله لله عز وجل في جميع شؤون الحياة ، وهذا يدل على قوة ارتباط الشاعر بربه ومناجاته إياه ، وهذا من روائع الأدب الإسلامي :

إلى الله اتجهتُ بكلِّ قلـــــــبي وأسألهُ السعادة للعُمُـــــــــوم
سألتُ الله للمُثري مزيـــــــدًا من النُّعمى ، ويُسرًا للعـــــديم
سألتُ الله يمحو الداءَ محـــــوًا فلا تقعُ العيونُ على سقيـــــــم
سألت الله للعاني انطلاقـــــــًا وعطفَ أبٍ وأمٍ لليتيـــــــم
سألتُ الله للدنيا سلامــــــــًا يعيشُ الليثُ فيه مع الظّليـــم [3]

أما أن أدبه يدخل ضمن روائع الأدب الإسلامي فذلك لأن الأديب إذا:" حركت أعمالـــه الأدبـــية المشاعر العليا عند القراء ، وأثارت تفكيرهم السامي ، وأيقظت الروح

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥٥ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٦ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٦ .

الإســـلامية في نفوســـهم حظـــي بالانتســـاب إلى الأدب الإسلامي ، وعُدَّ من الأدباء الإسلاميين" [1] .

٤ – استلهام التاريخ الإسلامي :

جـــاء استلهام الشاعر للتاريخ الإسلامي نتيجة لثقافته الدينية ونتيجة كذلك لعمله التربوي الذي ينبغي معه أن يكون موسوعة علمية في كثير من النواحي ، وقد كان الهدف مـــن تلـــك الوقفـــات على تاريخ المسلمين بعثَ الروح الإسلامية في نفوس أبناء أمته ، وتنبـــيههم من غفلتهم وسباهم ، وقد استلهم ما استلهمه من صفحات تاريخه الإسلامي بأســـلوبين ، الأول : استدعاؤه لبعض الشخصيات الإسلامية ، والثاني : استعراضه لأمجاد أمته الإسلامية .

فمـــن أهم الشخصيات الإسلامية التي استدعاها في شعره : شخصية (الفاروق) عمـــر بـــن الخطاب [2] التي يصف فيها زهدَهُ وورعهَ وعفافه ، وإعرَاضه عن متع الحياة وملذاهَا، وتواضعه وعدله :

راغبٌ في الله ، عفٌ عن ســـواه ... ما سَبت عينيه زيناتُ الحيـــــاه
لا ، ولا اعتزَّ بسلطانٍ وجـــــاه ... عُمرُ الفاروقُ ! حدِّث عن عُمـــر
موئل العدل ، إمام الزاهديـــــن

ثم يصف بطولاته العمرية ، ويصور صفاته القيادية :

فاتحُ الأمصار ، ذو الملك الكبـــير ... لم يكن صاحبَ تاجٍ أو سريـــــر
حزَّ في جنبيه فرشٌ من حصـــــير ... وكسا عطفيه ثوبٌ من وبـــــر
وأواهُ الكوخُ من ماءٍ وطـــين [3]

ثم يذكـــر بعـــض مظاهر الزهد عند عمر ومنها نومه في المسجد وهو قرير العين مرتاح البال لتطبيقه العدل الذي من خلاله تحقق الأمن والأمان :

---

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنّقد ، ص ١١٨ .

(٢) انظر في ترجمته : العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر : الإصابة في تمييز الصّحابة ، الطبعة الأولى ، (دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨هـ) ، ٢/٥١٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٠٤ .

ملك الشرق بباب المسجـــــــــد مُطْبقُ الجفنين ممدود اليـــــــــد

آمن شرَّ اعتداء المعتــــــــدي نائمٌ تحرسهُ عينُ القــــــــــدر

وعليه يسهرُ الروحُ الأمـــين [1]

وإلى جانب شخصية الفاروق وما اتسمت به من عدلٍ وزهدٍ والذي يُمثلُ بصفاته العليا القائد الحق الذي يجب على الملوك والرؤساء الاقتداءُ به في وقتٍ ذهب فيه العدلُ شر مذهب ، نجدُ غنيماً يستلهم من التاريخ الإسلامي شخصيةً قياديةً مجاهدةً مسلمةً ألا وهي شخصـــية خـــالد بـــن الوليد الذي شاع ذكره على كل لسان وعُرف بلقب (سيفُ الله المسلول) [2] :

خالدٌ في كل عصرخالـــــــــدُ ذكرُهُ لحنٌ على كلِّ لســــــان

قائدٌ لم يدنُ منه قائـــــــــدُ سابَقَ النجمَ اسمُهُ في الـــدَّوران

هو سيفُ الله ، فخرُ العــــرب [3]

ثم يشير إلى شجاعة خالدٍ التي أرعبت ملوك الفرس في غزواته التي خاضها أمامهم كغزوة اليرموك . تلك الغزوة التي يرجع انتصار المسلمين فيها إلى شجاعة خالد ودرايته :

سائلوا كسرى به والموبــــذان سائلوا التاريخَ ، يصدُقْ في الخبرْ :

أيُّ عرشٍ تحتَ سيـــــف الله لآنَ كان كالطوَّدِ ثباتاً فاندثــــــر

وغدا أقصوَصةً في الكتـــــب ؟

عرفَ القيصرُ سيفَ ابن الوليـــد وهو ربُّ التاج ربُّ الصَّولجـــان

سائلوا " اليرموك" كم شابَ وليـــد من بني الرومِ وكم فر جبـــان

فزعاً من سيفهِ المختضِـــب ؟ [4]

وبعد أن يذكر فضائله ، ويمجد بطولاته ، يستوحي مقالة خالدٍ عندما أدركه الموت :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ١/٤١٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٤٠٧ .

" لـــيس في جســـدي موضعٌ لم تصبه ضربةُ سيف ، أو طعنةُ رمح ، وهأنذا أموت على فراشـــي كمـــا يموت العير ، ألا لا نامت أعين الجبناء ! " [1] . ويصيغ منها شعراً عذباً للقلوب الحية :

مات في مضْجَعه الليثُ ، فقـــال : كيف أقضي بسوى حدِّ السِّلاح ؟

أخطأ الموتُ بميدان القتـــــــال ذلك الجسمَ الذي أعيا الـــجراح

بعد أنْ جدَّ له في الطَّلــــــب [2]

وإذا كـــان غنيمٌ قد استدعى بعضاً من الشخصيات الإسلامية في شعره ، ووقف أمامهـــا لبعث الروح الإسلامية في أمته ، فقد استعرض أمجاد أمته ليدفع عنها شعور الذّل والانكسار ، ويبث فيها الحماس والحياة من جديد ، ومن تلك الأمجاد التي استعرضها من صـــفحات تاريخنا المشرق (أسطول معاوية) ذلك الأسطول الضخم الذي امتلك به جزر الـــبحر الأبيض حتى صار بحيرة عربية ، انظر إليه يصف عظمة ذلك الأسطول وهو يشقُّ طريقه في البحر ناشراً مبادىء الإسلام جاعلاً من التّكبير لحناً شجياً :

لمن السفينُ تلُحنَ كالأعـــــلام فوق العُباب نواشرَ الأعــــلام ؟

يمخُرن باسم الله موج خُضَـــارة واسم الهدى ومبادىء الإســـلام

يهتفن بالتكبير لحناً شاجيــــــاً فتجيبُ أمواجُ الخضم الطامـــي [3]

وهـــذه(السفين) لم يدفعها هبوب الريح فقط ، وإنما كان يدفعُها الإحساس الديني الصادق ، والحرارة الإيمانية الملتهبة التي يحملها أولئك الجند :

هذي سفينُ الله سارت عيلمـــــاً مترامياً في عيلمٍ مُتـَــــــــــرامِ

لم تدَفع الريحُ الهبوبُ قِلاعَهــــا بل أقلعت بالوحي والإلهـــــام

وحرارةِ الإيمان – وهي حـــرارةٌ – ما زادها الآذيُّ غيرَ ضـــــرام [4]

---

(١) المصدر السابق ،ص ٤٠٧ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٨ .

(٣) السابق ، ص ٤٢٠ .

(٤) السابق ، ص ٤٢٠ وتاليتها .

ثم يـــبين شجاعةَ الجند الفاتحين وكيف انقلب البحرُ بهم إلى أسودٍ ضارية ، فكأنه غابـــةٌ منبتةٌ للأسود والأبطال ، وفي براعة تصوير يصف لنا مشهد الدماء المختلطة بأمواج البحر التي امتزجت به :

أزجى معاويةُ السفّينَ ، تســـير ، أو ترسوُ بكلّ غضنفرٍ ضرغـــــــام

فكأنَّ بحرَ الرّوم أصبح منُبتـــــــاً بعد الفلا للغاب والآجــــــــــام

بدم الشهادة خضبوهُ ، فضاع مـــن أرجائه أرَجُ العُباب الدّامـــــي [1]

ويكشف الشاعر عن أثر ذلك الفتح الجليل لتلك البحيرة إذ أصبحت عربية اللِّسان والنســـب مكتظةً بالصائمين والقائمين يُسمع في أرجاء جزرها صوتٌ عذبٌ هو صوت الأذان :

لله بحرُ الروم وهو بحـــــــــيرةٌ عربيةُ اللّهواتِ والأرحـــــــام !

ومعاقلُ اليونان وهي محــــــاربٌ مكتّظةٌ بالصُّوم القُــــــــــوّام

لله " رودسُ " إذ تصيخُ " وقبرص" لصدى الأذانِ مُرتَّل الأنغـــام [2]

والواقـــع – كمـــا قلت سلفاً – أن استدعاء الشخصيات الإسلامية في شعره ، واســـتعراض بعض أمجاد أمته إنما كان لهدف بعث الروح الإسلامية في نفوس أبناء أمته ، وتنبيههم من غفلتهم وسباتهم ، حتى يترعوا عنهم لباسَ الذلِ والضعف والانكسار بعد أن أصيبوا بداء التخاذل والبعد عن الله .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢١ .

(٢) السابق ، ص ٤٢١ .

المناسبات الوطنية

كان محمود غنيم متمسكًا تمسكًا قويًا بوطنه الصغير (مصر) ينافح عنه ويتحدث بلسان شعبه ، يحس بما يحسونه ، ويشعر بما يشعرون به ، لأن نفسه كانت مصرية خالصة تمكنت من التعبير عن نزعته الوطنية بلغة جزلة صافية .

ومن الواجب علينا ونحن في صدد الحديث عن المناسبات الوطنية أن نحدد مفهوم الوطنـــية باعتبارها إحدى مثيرات الإبداع عند الشاعر ، فالوطنية :" هي حبُّ الوطن ، والشعور نحوه بارتباط روحي ، وهي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة ، وتجعله يحبها ، ويفخر بها ، ويعمل من أجلها ، ويضحي في سبيلها " [1] .

والمشـــاعر الوطنية الحقة هي تلك القيم النبيلة التي يحملها المواطن الحق من الدعوة إلى الحـــرية المعتدلة ، والتمسك بالكرامة والنبل ، وإباء الضيم ، ودفع الظلم ، وكراهية العـــدوان ، ومقاومـــة الاستعمار ، والتغني بحب الأرض ، والتحذير من الفرقة والخلاف وإخلاص النصح لولي الأمر ، وبذل كل ماهو غالٍ ورخيص لمصلحة الوطن .

وقد كانت تلك القيم النبيلة معاني سامية يتغنى بها الشعراء ويوظفونها قي قصائدهم العظام . وما محمود غنيم إلا واحد من أولئك الشعراء الذين استطاعوا أن يتغنوا بالأرض ويفاخروا بأمجادها .

وقـــد حـــرص شـــاعرنا بفضل ما أوتي من ملكة شعرية خصبة أن يسجل كل الأحداث الوطنية التي دارت في عصره ، وأن يخلدها في شعر نابضٍ بالحب والتضحية.

والواقع أن غنيمًا لم يترك أيّ حدث له صلة بوطنه المصري دون أن يسجله ويعلنه ، فجـــاء تعبيره صادقًا ؛ لأنه انبثق عن عاطفة وطنية صادقة ، وليس عيبًا على شاعرٍ كبير كغنيم أن يكون شعره الوطني قد قيل في مناسبات مختلفة ومتنوعة ، فما أكثر المناسبات في الحـــياة ، ولكن الشاعر استطاع أن يحقق التميّز ؛ لأنه صدر عن عاطفة صادقة . لذلك " فالشـــاعر الذي يخضع شعره للمناسبة ثم يتخلص منها ببراعة إلى موضوعات أخرى يتسع للفن لهو أقوى طاقة من شاعر آخر يستولي عليه الخيال ويستبد به ، ويجعله يشطح

(١) محمد الصادق العفيفي : الاتجاهات الوطنية في الشعر الحديث ، د.ط (بيروت : دار الكشاف ، ١٩٦٤م) ، ص ٧ .

إلى عـــالم آخـــر يخالف عالمنا مهما كان لخياله من تحليقات ، فالمناسبة ليست التي تخلق الأفكار والخواطر ، ولكنها تهيئ لها فرصة الظهور والانطلاق فحسب "[1] .

ويمكننا بعد ذلك التوضيح أن نقف عند أبرز القضايا والأحداث الوطنية التي تحدث عنها الشاعر في موطنه الأول مصر ، ومنها :

١ – ذكرى حادثة (دنشواي) :

تفجـــرت نفسُ غنيمٍ ألماً وحرقةً وهو يتذكر حادثة (دنشواي) المؤلمة التي وقعت عام (١٩٠٦م) ذلك عندما قصد خمسةٌ من جنود الاحتلال الإنجليزي بلدة (دنشواي) لصيد الحمام فأشعلت إحدى قذائفهم النار في أحد أجران القمح ، فتعرض لهم بعض أهل القـــرية وطاردوهم ، وتسببوا في قتل أحدهم مما أثار مندوب الإنجليز في مصر آنذاك فأمر بتشـــكيل محكمـــة صورية أصدرت حكمها بإعدام أربعة من أهل (دنشواي) ، وبجلد ســـبعـــــة ، وبحـــبس ثمانية ، ونُفذ الحكم وقتئذ بمرأى ومسمع من سكان البلدة عقابًا وتنكيلا [2] .

وقد أثارت تلك الواقعة حفيظة شعراء الوطنية في ذلك الوقت أمثال حافظ إبراهيم الذي تهكّم وسخر بفعل الإنجليز ، ومن ذلك قوله :

جاء جُهَّالنا بأمرٍ وجئتـــــــــــــــم	ضعف ضعيفه قسوةً واشتـــــــــدادا
أحسنوا القتل إنْ ضننتم بعفــــــوٍ	أقصاصًا أردتم أم كيـــــــــــــادا ؟
ليت شعري أتلك " محكمة التَّفـــــ	ـــتيش" عادت أم عهد نيران عادا [3]

وقـــد أعاد غنيم تلك الحادثة إلى الذاكرة في إحدى قصائده تمجيدًا وذكرى لتلك القـــرية ، فاســـتهل قصيدته بالإشادة بتلك القرية التي كانت مسرحًا للحادث فجعل من

(١) طلعت صبح السيد : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، الطبعة الأولى (الرياض : دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـــ – ١٩٩٩م) ص ١٦٦ .

(٢) انظر : محمد عبد الرحمن حسين : نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦م) ، د.ط ، (الإسكندرية : منشأة المعارف) ، ص ٧٣ .

(٣) ديوان حافظ إبراهيم ، صححه وشرحه : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الابياري ، (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـــ – ١٩٨٨م) ، ٢/٢٠ وتاليتها .

حروفها نشيدًا عذبًا ولحنًا خالدًا :

هي دنشوايُ ولا أزيـــــــــد في السمع أحرُفها نشيــــــــد!
إني لأُحني الـــــــــــرأس إذ أمشِي على هذا الصعيـــــــــد
في كربلاءَ قضى الُحسيـــــــــ ــنُ ، وكم هُنا سبطٌ شهيـــــد
كم هامة صُلبت هنـــــــــا ودمٌ تدفَّقَ من وريـــــــــد
لله أشلاءٌ ، عليهـــــــــــ ــها صرْحُ الاستقلالِ شيـــــد! [1]

ويصفُ الحدث للسامع عن قربٍ وكأنه معهم ، ويصور لنا قسوة الحكم وتعسفه ووحشيته على أهل البلدة المستضعفين :

يا صائدَ الورقاء ، سهـــــــــ ــمُك ليس بالسَّهمْ السَّديــــد
لقد اعتديت على حِمَـــــــى قومٍ أُباةِ الضيم ، صيـــــد
من جاءَ يصطاد الأســـــــو دَ من الشَّرى ، فهو المصيـــد
يا دنشواي ، وأنت عنـــــــــ ــوانُ البُطولة والصُّمُـــــود
ماذا جنيت سوى الدِّفـــــــا ع عن الحلائل والحصيـــــد ؟
هم حاكموك أمام محـــــــــ ــكمة الثعالب والقـــــرود
نصبوا المقاصِل ، والحُشُـــــو دُ العزل تنظرُ في جُمـــــود !
زفراُتها متصعّـــــــــــدا تٌ ملَّها طولُ الصعـــــــود !
وعلى المقاصل : كلُّ شيـــــــ ــيخ واهنٍ ، وفتىً جليــــد ! [2]

وبعد أن يذكر تلك المشاهد البائسة ، وأثرها في النفوس ، يقررُ أمنَ وسلامة مصر في عهـــده ، مؤكداً أنَّ عهود الرِّقِ والإقطاع قد خابت واندحرت ، وأن عهد الاستعمار قـــد خـــاب وخســـرفي ظـــلِّ الرئيس الناصري السديد الذي ضمن لهم الحرية والنهضة والإصلاح :

يا أيها العهدُ البغيـــــــــــ ــضُ ، خسئت من بين العهـــود !

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجعُ الصّدى ، ص ٧٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٧٤ .

لا كان عهدُ الرق ، والـــــــــــ إقطاع ، والملك الطريـــــــــــد !

عهدٌ به الحرُّ الكريـــــــــــــ ـــمُ يعيشُ في ذُلِّ العبيـــــــــــد

اليوم لا مستعمـــــــــــــــرٌ طاغٍ ، ولا مَلكٌ قعيـــــــــــد

الأمر في يد ناصـــــــــــرٍ لا " لمبسونَ" ولا " لُويـــــــــد"

أوطاُننا ملكٌ لنـــــــــــا فيها نعيشُ كما نُريـــــــــــد

في أرضها نبني المعـــــــــــا قل ، والمصانع ، والســـــــدود [1]

ويعـــود مخاطـــباً (دنشـــواي) مرة ثالثة مفتخرًا بمجدها الغابر وحاضرها السعيد ومؤكدا أن مأتمها بالأمس قد أصبح اليوم عيدًا لها ولمصر كلها :

يا دنشواي ، هناك مـــــــا أحرزت من ماضٍ مجيـــــــد !

قد طاب حاضرك السعيـــــــ ـــدُ، وطاب غابرك التليـــــد

ذكراك كانت مأتمـــــــــاً بالأمس ، وهي اليوم عيـــــد [2]

٢ – مبايعة الملك فاروق ملكاً :

كان عامُ (١٩٣٧م) عامًا جديدًا لمصر ، حيث قام الملك فاروق ملكًا عليها ما يقارب (خمسة عشر عامًا إلا ثلاثة أيام) بعد أن أطاحت به ثورة (١٩٥٢م) [3] .

وللنشـــوة الوطنـــية ، ولأجل مصر بادر شاعرنا كغيره من الشعراء بتهنئة الملك الجديد لتوليه مهام العرش ، مستهلاً قصيدته بذكر الباخرة المعروفة بـــ(النيل) التي أقلته مـــن رحلـــته في أوربا لمباشرة مهام ملكه مشيرًا إلى أن البحر قد غض من كبريائه عندما مشى عليه الملك في قوة ومنعة وعزة :

النيل تحمل سبط إسماعيـــــــلا أرأيت نيلاً جاء يحمل نيـــــلا ؟

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٧٥ .

(٢) السابق ، ٧٧٦ .

(٣) انظر : محمد عبد الفتاح أبو الفضل : تأملات في ثورات مصر ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، د.ط ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م) ، ١/٣٠ .

لو كانت الأملاك تحدو مركبـــــًا　　　لرأيت بين حُداهما جبريـــــــــــلا

سارت ، فغضَّ البحرُ من غلوائـــــه　　　ومشى كما يمشي الجواد ذلـــــــولا

يا بحر ، فوقك درةٌ ، هيهـــــات أن　　　تلقى لها فيما حويت مثيـــــلا ! (1)

أمـــا الشـــعب فإنهم في شوق لرؤيته ، وصبر على فراقه وعناء وجلد مما آلت إليه أوضاع البلاد :

أشرق بنورك في البلاد ، فإنمـــــا　　　صبرُ البلاد على فراقك عيـــــــلا

الشعب - يا فاروق - صاد ، نيلــه　　　من يوم بُعْدك لا يبلُّ غليـــــــلا

ما كان يسعده التجلد ساعـــــــةً　　　لو لم يكن بك قلبه مأهـــــولا (2)

ويضفي الشاعر على الملك الجديد صفات الملوك العظماء فهو أصيد يافع يشبه في شدته وبأسه الفراعنة الأول ، بل إن وجهه المشرق قد زاد التاج المطرز بالذهب بهاء ونقاء وهو على جبينه ، وتبلغ العاطفة الوطنية ذروتها حينما يفدي الملك بروحه ونفسه :

وليَ الأمور بمصر أصيدُ ، يافـــــعٌ　　　بذَّ الأوائل فتية وكهـــــــــــولا

جاشت بصدري يوم قُلِّد عرشـــــه　　　ذكرى فراعنة القـــــــرون الأولى

ما أبهج الأكليل فوق جبينـــــــــه!　　　هذا الجبين يزين الإكليـــــــلا !

أفديه من ملك أغـــــــــر وراءه　　　شعب يرتل حمده ترتيـــــــلا (3)

وهو ملك ازداد جمالاً وجلالاً بتواضعه ، وتعامله الحسن مع الفقراء والأيتام :

ملك تواضعه يزين جلالـــــــــــه　　　ليس الغشوم المستبد جليـــــــلا

يقضي لبانته اليتيم ببابـــــــــــه　　　ويرى الفقير دعاءه مقبـــــولا (4)

---

(1) الأعمال الكاملة ، صرخةُ في وادٍ ، ص ٢٠٣ .

(2) السابق ، ص ٢٠٣ .

(3) السابق ، ص ٢٠٤ .

(4) السابق ، ص ٢٠٥ .

ويؤكـــد شـــاعرنا على أنَّ الملك فاروق كان حلماً للبلاد خاصة بعد أن تمَّ عقد معاهدة الاستقرار بأمور مصر عام (١٩٣٦م) وإعلان استقلال البلاد . [(١)]

يقـــول مســـتوحيًا مضامين تلك المعاهدة ، مبينًا أثرها على أمن مصر واستقرارها وتقدمها ، وحل مشاكلها :

فاروق ، تلك عناية الله الـــــتي ... قد حققت في عهدك المأمـــــولا

إن الكنانة ظنت استقلالهـــــا ... حلمًا ، فكنت لحلمها تأويـــــلا

وهي المشاكل كلها وجدت لهـــا ... في عهدك الزاهي السعيد حلـــولا

عهد قصير ، غير أن غضونــــــه ... قد صرن في تاريخ مصر حجولا [(٢)]

ثم يصـــارح الملك بصدق ووضوح عن أمل البلاد فيه ورغبتها في الإصلاح فمصر وشـــعب مصـــر قد فدته بالروح والمهج ، وبايعته بالملك ، ووهبت له العرش ، فلابد أن يبادرها بالعطاء والبذل نفسه ، وأن يكون لها ظلاً ظليلاً ، وحكيمًا نافعًا ، وأن يقوم على جيش مصر ، ويكبح جماح الطامعين :

إن الكنانة بايعتك ، فكن لهـــــا ... ظلاً – كما كان الجدود – ظليـــلا

وهبت لعرشك مالها ، ودماءهـــــا ... إن شئت تلق كليهما مبـــــذولا

فاملأ بلادك حكمة ، ومعارفـــًا ... واجعل بلادك في المناعة غيـــــلا

فانهض بمصر وجيشها ، حتى يـــرى ... شبح المنية طيفها فيميـــــــــلا

واكبح جماح الطامعين ، وقل لـــهم : ... لا تطمعوا في أخت عزرائيـــلا [(٣)]

٣ – قيام ثورة ٢٣يوليو عام (١٩٥٢م) :

يجدر بنا في هذا المقام أن نلقي الضوء على تعريف الثورة التي تعني " قيام الأغلبية (الساحقة) المقهورة وعلى رأسها المؤسسة الوطنية بتنحية الأقلية الحاكمة ... " [(٤)] وقد

---

(١) انظر : تأملات في ثورات مصر ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ١/٣٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٠٥ .

(٣) السابق ، ص ٢٠٦ .

(٤) تأملات في ثورات مصر ، ١/١٠ .

مــرت الثورة بعدة مراحل متلاحقة تبدأ عادة من مرحلة الشعور القهري من الشعب ضد الحكام نظرًا لاستبدادهم وظلمهم ، وتنتهي بالإحاطة بالحاكم المستبد ، وكلها أمل كبير بتحقــيق نتائج إيجابية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والنزول الكبير عند رغبات الشعب .

ومـــن أبرز تلك الأحداث التي كانت تواكب الثورة ، والتي كان شاعرنا يتابعها ويرصـــدها في شعره (خلع الملك فاروق) فغنيم كان قريبًا من مركز الأحداث السياسية يـــتحدث عـــنها ، ويصـــورها للمجتمع المصري بجميع طبقاته ، لأنه كان يتكلم بلسان الشعب ويخالط الأفراد على كافة المستويات ، فعندما أحاط الجيش المصري بقصر (رأس الـــتين) الـــذي كـــان الملك فاروق يقيم فيه فترة الصيف وأرغم الملك على الاستقالة ثم الرحيل، بدأ في مصر عهد جديد مشرق مليء بالتفاؤل والأمل ، فأبى الشاعر إلا أن يعبر عن مشاعره الوطنية أصدق تعبير ، فعلى الرغم من مدائحه للملك فاروق إلا أنه هنأ مصر وشعبها عندما خلع من ملكه ؛ لأنه انحرف عن الجادة وخيب أمل الشعب فيه ، وقد بين الشـــاعر تفاصيل هذا الموقف في ثنايا القصيدة التالية . انظر إليه وهو يخاطب القدر بنهاية الملك الراحل :

تكلم أيها القدر المتـــــــــــــاح ... وللأقدار ألسنة فصـــــــــــــاح
وحدث عن نهاية كل بـــــــــاغ ... فإن حديثك الحقُ الصـــــــــراح
بربك ، عظ جبابرة إذا مـــــــــا ... تراءى الواعظون لهم أشاحـــــوا [1]

ثم يصـــور قصر (رأس التين) وهو مطوق بالكتائب والأسلحة ، ويشير إلى نهاية الملـــك وكذلـــك الأمراء المالكون بعد العز والمنعة ، وكيف أن قصورهم بعد أن كانت مكـــتظة بأفواج الناس ، أصبحت خاوية وموحشة ، وفي هذا تذكير وموعظة لأصحاب العقول :

أحقا بات " رأس التين" حِـــــــلاً ... تطوقه الكتائب والســــــــــلاح ؟

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٣٣ .

ومن دون الوصول إليه كانـــــت رءوس في الهواء بها يطـــــــاح ؟
مغاني الملك بات على ذراهـــــا يرف لكل ناعية جنـــــــــــاح
وهام المالكون بكـــــــل أرض وتلك قصورهم بقيت وراحــــــوا
قصور أوحشت من بعد أنــــس فما لسَنًا بساحتها ليـــــــــــاح
وكانت كعبة يغدى إليهـــــــا بأفواج الرعية ، أو يُــــــــراح [1]

أما سرير الملك فقد أمسى خاليا من عائله وسيده :

سرير الملك قد أمسى خـــــــلاء وقد ذهبت بعائله الريـــــــــاح [2]

ويوضح لنا بعض الأمور التي يجب على الحاكم أن يأخذ بزمامها حتى يحافظ على ملكه كـــ(العدل ، والتدبير ، واختيار الحاشية الصالحة) :

سياج الملك تدبيرٌ ، وعــــــــدلٌ - لعمرك - لا مقامــــــرة ، وراحُ
وحاشيةٌ تحفُ به ثقـــــــــــاتٌ لهم بالعلم والخلق اتشـــــــــاحُ
لهم حزمٌ ، وتجربةٌ، ونصـــــــحٌ وأعراضٌ نقياتٌ صحــــــــاحُ [3]

ويكشف الشاعر حقيقة ذلك الملك المخلوع الذي تظاهر بصلاحه أمام الناس كي يطـــيعوه ، فحقـــق بتلك الشخصية الصالحة أطماعه الإدارية والمالية إذ كان يجمع ثروته بالطرق المشروعة وغير المشروعة [4] :

تظاهر بالصلاح لناظريـــــــــــه ومن أخلاقه برىءَ الصــــــلاحُ
تساق إليه أموال الرعايــــــــــا وتسلبُ باسمه الأرض البـــــــراحُ

وبعد أن يتحدث عن الحالة الفاسدة التي كانت سببًا في الإطاحة بالملك الراحل ، يتوجه بخطابه الأدبي والوطني إلى الثوار من عسكريين ومدنيين ويصفهم بـــ(حماةِ النيل) ويمجـــد نجاح ثورتهم التي اجتثت الشر والفساد ، ويصور فرحة العرب وابتهالهم بقيامهم فهي ثورة اتخذت من الظلم وقودًا لها ومن الفساد لقاحًا فتأججت نارها واشتد أوارها :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٤ .

(٤) السابق ، ص ٣٣٤ .

حماةُ النيل ، أحرزتم لمصـــــــــــر نجاحًا لا يضارعه نجـــــــــــــاح

قد أجتحتم بثورتكم شــــــــــروراً وما للشرِّ إلا الاجتيـــــــــــاح

تهللت العربة يوم ثـــــــــــــرتم كأن العُرْب أدركهم " صـــلاح" [1]

وما كالظلم للثـــــــــــورات زاد ولا مثلُ الفساد لها لقِـــــــــاح [2]

ولم تعـــتمد هـــذه الثورة في قيامها على سفك الدماء وإراقتها ؛ بل على الثبات والعزم، أما عن مراحل قيامها فقد كانت سرًا وهمسًا في بدايتها وحقيقة ظاهرة في نهايتها:

معاركُ بالثبات كسبتموهــــــــــا ولم تطلق بساحتها قـــــــــــداحُ

ولا سالت على أرض دمـــــــــاءٌ ولا احمرّت من العلق الصِّفـــــــاحُ

بدأتم أمرها همسًا ، فأمســــــــت على شفة الزمان بها يبــــــاح [3]

ويشـــير غنـــيم في هذه القصيدة إلى قضية خطيرة وهي سوء اختيار الوزراء وما صاحبه من فسادٍ في الأحزاب ، فيوصي القادة بأخذ الحيطة والحذر في اختيار الوزراء نظراً لمــا خلفـــوه من فساد مالي في العهود الماضية ، وأن يختاروا الصالحين من أصحاب العفة والقناعة :

حماة النيل ، من لعثار شعــــــــب إذا هو قام أقعده الكســــــــــــاحُ

به مستوزرون إذا ولَـــــــــــــوه فما للشعب بل لهم الربِّــــــــاحُ

تجار سياسة ، وهُواة حكـــــــــم بأحشاء الحمى منهم جـــــــراحُ

إذا استلموا زمام الأمر ، عاثـــــوا وإن حُرموا زمام الأمر ، ناحــــــوا

دعوا أمرَالبلاد يليه قـــــــــومٌ لهم ذممٌ مطهــــــــــرة ، وراحُ

إذا فاض الثراء بمصرَ ، غابـــــــوا وإن نزل البلاءُ ، بمصر ، لا حــــوا [4]

---

(١) " صلاح " : هو صلاح الدين الأيوبي : (يوسف بن أيوب) . (٥٣٢ – ٥٨٩هـــ) . مؤسس الدولة الأيوبية ، هزم الأفرنج قرب حطين ، وفتح بيت المقدس .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٣٥ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٦ .

(٤) السابق ، ص ٣٣٦ وتاليتها .

ثم يكشف عن خطوة أخرى من خطوات الثورة المباركة وهي إلغاء (الألقاب) والأوسمة :

خطونا الخطوةَ الأولى بمصـــــــر وتتلوها بمصر خُطىً فســــــاحُ
وألغيت الفروق ، فلا وســـــــام تزانُ به الصدورُ ، ولا وشــــاحُ
تعالى الله ! صار لمصرَ وعــــــيٌ وآذانَ ليلها ، وبدا الصبـــــاحُ [1]

والواضـــح من كل هذا أن غنيمًا قد عبر عن (الثورة) تعبيرًا صادقًا وفرح وتغنى بقيامها ، وأسدى النصح للقيادة العليا ، حتى يتحقق لمصر التقدم والإصلاح ، لأنه أحس بالظـــلم والقهر والاستبداد فأراد أن يدافع عن حياض وطنه بإظهار هذا الشعور الصادق النبيل ، وهذا دليل قاطع على الوطنية الصادقة المتأصلة في نفسه .

وبعد أن تم خلع الملك فاروق ونادى مجلس الوزراء يوم ٢٦ يوليو بأحمد فؤاد ابن فـــاروق ملكاً [2] . اقتنص غنيم هذا الخبر الوطني فأنشأ مقطوعةً بعنوان (الملك الرضيع) يصـــف فيها صغر سن الملك وعظمة العرش ، ويتعجب من أمر ذلك الملك الذي لم يلبث في عرشه طويلاً ، و لم يبك عليه أحد عند خلعه :

لنا ملكٌ سامي المقام رفيـــــــعُ تبوأ دست الملك وهو رضيــــــع
أقيم له عرشٌ ، وزلزل عرشُـــــه و لم يمض في الدنيا عليه ربيـــع !
فما طاب بالسلطان نفسًا ، ولا بكى عليه بدمع العين وهو يضيـــعُ [3]

ويتعجب مرة أخرى من ذلك الشعب المسالم الذي يكل أمره لطفل رضيع ، وهو هنا ناقم على تلك الملكية الجائرة المتعفنة التي جعلت من الشعب قطعانا تباع وتشترى :

عفا الله عن شعب وديع مســـــالم يلي أمره أطفاله فيطيـــــــــــع
توارثنا الأطفالُ ، حتى كأننــــــا -لعمري- بسوق السائمات قطيع [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٢) انظر : تأملات في ثورات مصر ، ١/٩٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤١ .

(٤) السابق ، ص ٣٤١ .

٤ – إعلان (الجمهورية) :

تعـد هذه المرحلة – مرحلة إعلان الجمهورية بدلاً من الملكية – من أقوى مراحل الـثورة لما فيها من إعطاء الشعب الحرية المطلقة في المشاركة والاختيار وقد جسد شاعرنا هذه المبادرة ووصفها ببيعة (الرضوان) وعبر عن صداها في قلوب الشعب :

يابيعة الحق والرضوان ، تلك يـدى ... الحكم للشعب بعد الواحد الصمـد

قالوا غدت مصرُ جمهورية ، فسـرى ... مقالهم سريان البرءِ في الجسـد

وقلتُ : حق قديم كان مهتضمـاً ... الثورةُ انتزعته من فم الأسـد

الفرد ليس على شعب بمؤتمـن ... فليحكم الفرد لكن غير منفـرد

لا يحسب العرش أن الشعب خادمـه ... العرش –لولا سوادُ الشعب– لم يَسُدِ [١]

وبعـد أن يـتحدث الشاعر عن العرش والملك ، ويشرح حقيقتهما ، يعتذر عن مدحه للملك الراحل الذي انخدع فيه كما انخدع فيه غيره من أفراد الشعب ، ويسخر من نفسه عندما ألبسه من الأوصاف مالا يستحق :

الكل يثني على آلائه كذبـا ... وينشيء المدح فيه غيرَ معتقـد

كم كنت أضحك من نفسي وأضحكها ... إذ ألبسُ البوم ريش الطائر الغـرد

كم قلت لليل : أنت الصبح مؤتلقـا ... وقلت للدب أنت الليث ذو اللبد [٢]

ويحـيي الشـاعر أولئك البواسل من جيش مصر الذين أعلنوا الثورة وأقاموها ، وينصـحهم بأن يجعلوا العدل والإنصاف أساس دولتهم ، وألا يقعوا في الأخطاء السابقة التي أدت إلى خراب مصر :

قل للبواسل من جيش الحمى : سلمت ... أيد أصبتم بها الطغيان في الكبـد

من ينخر السوسُ نخراً في نواجـذه ... فلا دواءَ له أشفى من الـدّرد

خطوا على العدل والإنصاف دولتكـم ... وشيدوها من الشورى على عمـد

وجنبوا مصر أخطاء لها سلفـت ... فإنما خطأ الماضي صوابُ غَـدِ [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٠ وتاليتها .

ويتوجه الشاعر إلى خطاب الرئيس الجديد (جمال عبد الناصر) الذي تحمل من الأعباء الثقال ما تعيا الجبال الراسيات كـ (رضوى ، وأحد) عن حمله وينثر عليه صفات القوة والمنعة ، والقيادة الحكيمة ، والكرم والعفة :

جمالُ حُمِّلت ما تعيا الجبال بـــه   فكنت أثبت من رضوى ، ومن أحـــد
نهضت بالحكم في عزم ، وفي ثقـــة   حكم أفاد الحمى منه ، و لم تفـــدِ
لله درك من حُر يزينـــه   إيمانُ عبدٍ على الرحمن معتمـــدِ
هو الجواد بما في كفه ، فـــإذا   سألته درهمًا للشعب لم يجـــدِ
قالوا : التقشفُ ، والحرمانُ طابعـــهُ   فقلتُ: من يرد الإصلاح يقتصـــدِ [1]

وقد تغنى الشاعر بشخصية (جمال) وأشاد بها واستوحى منها كثيراً من أشعاره، انظر إليه وهو يمدح جمالاً ، معبراً عن روحه الوطنية الصادقة ، جاعلاً من شخصية جمال الزعيم العربي الذي يمثل العروبة ويحمي حماها :

جمالُ ، رسمك في لوح نقشنـــاه   لكن صاحبه في الصدر مـــأواه
إن العروبة تدري أن صاحبـــه   يرعى حماها وعين الله ترعـــاه
رسمٌ ترى الشرق طرّاً في ملامحـــه   الشرق ، لفظ وهذا الرسم معنـــاه [2]

و لم يدع غنيم حدثًا سياسيًا أو اجتماعيًا في عهد الرئيس (جمال) إلا وتحدث عنه وعلـق عليه بشعر وطني صادق ، وعاطفة وطنية حارة ، كما في قصيدته (القائد المظفر) الـتي يستنهض فيها همة الرئيس للوقوف في وجه بعض (الوصوليين) الذي تحركوا بعد الثورة ليستغلوا العهد الجديد كما استغلوا العهد القديم ، وليقدم عليهم ويباغتهم :

أقدم ، فإني أرى الإقدام قد وجبـــا   لا يحسب الليث حسبانا إذا وثبـــا
أجهز على الداء ، أجهز غير متئـــدٍ   إنا صبرنا على آلامه حقبـــا
جمالُ سيفك يرضي الحق جوهـــره   في الحق ماقرَّ في الأغماد ، أو ضربـــا
إني أرى معشراً بالغار قد لعبـــوا   فليحترق بلظاها من بها لعبـــا

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣٤١ .

قلّم أظافر أيدٍ غير طاهـــــــــــرة   بعد انتصارك مُدَّت تجمع السَّلبـــــا [1]

وكعادته ولحبه لوطنه يكرر النصح والمشورة للرئيس بأن يأخذ حذره من أصحاب الآراء الفاسدة الذين يسعون لتحقيق مصالحهم الشخصية ويريدون الاختلاف والفرقة :

لا تستشر ساسة في بحثهم غرقـــــوا   وشارو السيف ، أو قوّادك النُّجُبـــــا

لو ناقش القوم ضوء الشمس لاختلفـــوا   حتى تشتّت فيه الرأى وانشعبـــــا [2]

ثم ينتقل إلى الحديث عن حقوق الفلاح المهضومة وكيف أن الثورة أزالت عنه كل أنواع الجور والتعسف ، وأعطته حقوقه كاملة كما ينبغي :

يا طالما عبروا الفلاح قنطـــــــــرة   وصيروه إلى أطماعهم سببـــــــــا

كم أحرزوا باسمه جاهاً ، وليس لـــــه   جاهٌ ، وكم كسبوا مالاً ، وما كسبا !

يا حامل الفأس ، إن الشمس قد طلعت   أما ترى ضوءها من كوخك اقتربـــا ؟

لقد دعوت ، فما ضاع الدعاء سـدى   لكنه اخترق الأستار والُحجُبـــــــا

قد حقق الجيش للفلاح أمنيـــــــة   بل ردَّ من حقه ما كان مغتصبـــــا [3]

٥ – تأميم القناة (١٩٥٦م) :

كـــان لقـــناة السويس موقعها السياسي والاقتصادي لشعب مصر إلا أن إدارتها كانـــت في أيـــدي المســـتعمرين الأجانـــب وبالتالي " فإن إيراداتها تذهب إلى المساهمين الأوروبيين،ويحرم منها أصحاب الحق الشرعي فيها من الفلاحين الذين حفروها في بلادهم بدمائهم وعروقهم وكدهم " [4] .

لكن الجيش المصري الممثل للشعب والثورة لم يسكت عن حق الشعب الشرعي ؛ بل ربض على خط القناة حتى أعادها إلى أهلها وحماها ، بعد أن احتلها المستعمر الأجنبي ، فالقناة في نظر الشاعر قلبُ النيل النابض حتى وإن تولى أمرها غير أهلها :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٣٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٩ ، وتاليتها .

(٤) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ٢/٢٤٨ .

ربضَ الجيشُ على خطِّ القنـــــاةْ وعلى شطآنها ألقى عصـــــاه

أيها الجيشُ ، أعدها للحمـــــى فلذةً قد نزعوها من حشـــــاه

هي قلبُ النيل ، إلا أنهـــــم وضعوها بين أضلاعِ ســـــواه [1]

ويكشف الشاعر حقيقة هذه القناة ، فهي التي ساقت الحرب والموت والاستعمار إلى أهلها مع أنها في الوقت ذاته بعثت الحياة إلى بلدان الشرق والغرب الأخرى :

ساقت الموت إلى مصـــــر ، وإنْ بعثت في الشرق والغرب الحيـــاه [2]

ويتساءل الشاعر قائلاً : من حفر هذه الحفرة يا تُرى ؟ومـــن بـــنى ذلك الطريق الحـــيوي بين الشرق والغرب ؟ ويطلب من الكل أن يسألوها ، فلا شك أنها تعرف من حفـــرها ومـــن بناها كما يعرف الطفل أباه . إن الذي حفرها هو الفلاح المصري الفقير المكابد بفأسه ومعوله وعرقه ودمه :

هذه الحفرةُ من عمَّقهـــــا ؟ ذلك الجسرُ المعلَّى من بنـــاه ؟

سائلوها يُنبكُمْ ساحلهـــــا من أبوه ؟ يعرف الطفل أبـــاه

رب فلاحٍ شكت في كفِّـــــه فأسه الخرساء إذ خارت قـــواه

لم يزل يحفرها حتى جـــــرى ماؤها وهو مشوب بدمـــاه [3]

ثم يشير إلى السبب المباشر لتأميم القناة وهو رفض (أمريكا) مساعدة مصر على بناء (السد العالي) بمعونة مالية ، فوصفها بأمة (الدولار) ووسم الشعب (اليهودي) بالشعب (الآبق) :

أمةَ "الدولار" مُدي غيرنـــــا مِنْ عبيد المال واستجدى رضـــاه

أسعفي بالمال شعباً آبقـــــا لفظتهُ أرضُهُ لفظ النـــــواه

كيف يستجديك شعبٌ مـــــاؤه من لجينٍ ومن التبر ثـــــراه ؟

أمةُ "الدولار" غلّت يدهـــــا عن بني مصر به. شاهت وشـــاه

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٠٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٠٩ .

فادّكرنا حين ضنت مـــــوردًا قد تركناه مباحاً للسقـــــاه

شرب الناسُ به بل سبحـــــوا فيه والمصريُّ ما بلَّ صـــــداه [1]

ويعــــبر الشـــاعر عن فرحة الوادي وابتهاجه وطربه حينمـــا أعلن الرئيس (عـــبد الناصــــر) تأمـــيم القناة على الملأ أجمع ، فرقص الناس ، وفرحوا ، وعلت الابتسامات والضحكات فرحًا وطربًا بيوم (التأميم) عيد الوادي الأكبر :

حينما قال جمالُ : " أُمِّـــــمَــــتْ " رقص الوادي ، وغنَّت ضِفّتـــاه !

وسرت في كل عطف هـــــزَّةٌ وتمشت بسمةٌ فوق الشفـــــاه!

وأظل النيلَ عيدٌ شامـــــلٌ فيه حيا كل مصري أخــــاه

ما بنى التأميم سدًا عاليـــــًا بل بنى للنيل جاهاً أيَّ جـــاه [2]

ويخاطب الشاعر الشرق أجمع بأن يذيع هذا الخبر السعيد في كل مكان حتى يسمع صـــداه الغرب ، وليعلنها مدوية أن مصر حرة ، وأن شعبها أحرار ، وأنها لم تعد طعامًا سائغًا لجيّاع الغرب :

أيها الشرق ، أذعهُ نبــــــأً يقرعُ الآذانَ في الغرب صــــداه

أن مصراً حرةٌ في أرضهـــــا شعبُها يبرِمُ فيها ما يـــــراه

لم تعد مصرُ طعامًا سائغـــــًا لجياع الغرب من شاء طهـــاه [3]

والقصـــيدة كـــلها تعـــبيرٌ صادق عن روح الانتماء إلى الوطن ، والحب الصادق والأكيد للرئيس (عبد الناصر) الذي قاد مصر بحنكة وحكمة إلى الخير والتقدم .

٦ – مُعاهدة الجلاء :

وُقِّـــع الاتفاق النهائي على الجلاء في ١٩ أكتوبر سنة (١٩٥٤م) وقد تقرر فيه " جـــلاء القوات البريطانية جلاءً تامًا عن الأراضي المصرية خلال فترة عشرين شهرًا من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق " [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٩ ، وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٣١٠ .

(٣) السابق ، ص ٣١١ .

(٣) تأملات في ثورات مصر ، ١/١٧٧ .

وقد كان بطل الجلاء الذي تحقق على يديه هذا الاستقلال والإنجاز (جمال عبد الناصر) . يقول غنيمٌ مشيدًا بهذا الاتفاق الذي طال انتظاره، جاعلاً من ذلك اليوم يوم عيد وفرح وجلاء :

أملٌ تحقق بعد طولِ مطالـه ... بشرى الحمى بوثيقة استقلالـه
عيد الجلاء ، لأنت يوم النحـر في ... إحرامه، والفطر في إحلالـه
حققت للوادي أعزَّ رجائـه ... وأتيت بالمنشود من آمالـه
يومٌ حنى التاريخ هامته لـه ... واصطفّت الأحقاب لاستقبالـه [1]

وكعادته دائمًا يُرجع الفضل للثورة البيضاء التي لم تُلطخ فيها الدماء، وهي ثورةٌ أنقذت مصر من استبداد الملكية الظالمة ، وبطش المحتلين الغاصبين من الإنجليز :

الثورة البيضاءُ شعَّ بياضهـا ... في ظلمة الوادي شعاع هلالـه
شبت ، فما احترقت بـها دارٌ ، ولا ... شيبت بطيف دمٍ ولا بخيالـه
العاهلُ الجبار ولّى طائعـًا ... مُتعثر القدمين في أوحالـه
والغاصب المحتلُّ سلّم سيفـه ... ومضى لطِّيته بدون قتالـه [2]

ويندد غنيم بمحاولة اغتيال (عبد الناصر) بعد أن أُعتدي على حياته في وقت يستحق فيه التكريم والتمجيد ، ويرجع فضل نجاته إلى اللطف الإلهي ، والتفاف الجيش والشعب حوله :

سلم الرئيس لمصر ! ماذا يبتغـي ... مُغتاله ؟ شُلّت يدا مُغتالـه !
لطفُ الإله ، وجيش مصر ، وشعبهـا ... من عن يمين رئيسها ، وشمالـه
قل للذي غدر الرئيس : غدرت مَـنْ ... ليس ارتكاب الغدر بعض خصاله [3]

ولقد حزنت مصر على هذا الاعتداء الأليم الغاشم ، حتى إن الوادي كاد يكف عن الجريان من هول الفاجعة النكراء ، فليس من العدل والإنصاف أن يعضّ الشعب كفَّ

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٢٢ .
(٢) السابق ، ص ٣٢٢ .
(٣) السابق ، ص ٣٢٣ .

من حرَّره ، وأن يفتك النيل بمن أنقذه وجعل الحياة تدبُّ فيه :

بطل الجلاء ، رماك غرٌّ غافـــــــلٌ   فتلفتت مصرُ بقلب والـــــــــــه
وحسبت ماء النيل كاد يكف عـــن   جريانه، ويثورُ عذبٌ زلالـــــــــه
لما نجوت نجا الحمى من نكســـــة   تبقى بقاء الدهر في أجيالـــــــه
أيقال: شعبٌ عضَّ كفاً حــــررت   بالأمس هذا الشعبَ من أغلالـــه ؟
أيقالُ : أردى النيل منقذه الــــذي   بعث الحياة تدب في أوصالـــه ؟ [1]

ولكـــن الجماهير فرحت وهللت حين تأكدت من نجاة الرئيس ، فكان واقع الخبر عليها كوقع أذان بلال وحُسن صوته :

قالوا : الرئيس نجا ، فهلل معشـــرٌ   يفديه بالمكتوب من آجالـــــــه
قالوا: الرئيس نجا ، فكان لقولـــهم   وقع الأذان ، وحُسن صوت بـلاله [2]

ثم يتوجه بخطابه للمعلمين الصادقين بأن يحدثوا النشء الواعد عن الأبطال الكماة ، وأن يتخذوا من شخصية (جمال) قدوة ومثلاً لهم في استبساله ورجولته وإصراره حين رُمي في صدره ، وتناثرت القذائف من حوله و لم يقطع حبل كلامه حينما كان يخطب :

أمعلّمي الوادي ، إذا حدَّثتمـــــو   نشءَ البلاد الغضَّ عن أبطالـــــه
فلتأخذوا لهمو جمالاً قـــــــدوةً   ولتضربوا الأمثال باستبسالــــــه
رجل تحدَّى من رماه بصــــــدره   مستهزئًا بسهامه ونبالــــــــــه
رجل تناثرت القذائف حولـــــــه   مطرًا، فلم يقطع سياق مقالـــــه
قولوا لنشء النيل : هذا خــــادمٌ   لبلاده ، فانسج على منوالـــه [3]

وفي قصـــيدته الأخـــرى (مصر تناجي المعلمين) التي أنشدها في مهرجان أقامه المعلمون ، احتفالاً بعيد (الجلاء) نراه يستهلها بخطاب توجهه مصر إلى المعلمين الحاملين لواء الدين واللغة ، معتبرًا إياهم جندًا من جنود مصر الأوفياء ، جاعلاً من عيد (الجلاء) عيدًا وأنشودة وطنيةً هامة :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٢٥ .

يا منبتين رياض العلم في الـــــوادي وحاملين لواء الدين والضـــــــاد

يا مطلعين شموسي من مشارقهـــــا وباعثين القوى في عزم آســـــادي

الله يعلم هذا العيد عيدكمـــــــو من لحنكم نغمي فيه وإنشـــــادي

سبعون عامًا وأنتم تطبعون علـــــى حب الحمى وإباء الضيــــــم أولادي

إن قمتُ أشكرُ أجنادي ، فإنكمـــــو في كل حرب وسلمٍ بعض أجنادي [1]

ويطلـــب منهم أن يتمسكوا بالثقافة والمعرفة العربية وأن يردوها إلى سابق عهدها كمـــا رد الجيش أمجاد بلاده ، ويريد منهم ثورة علمية جارفة يشع نورها في كل الأرجاء تحمي السلام إذا ساد ، وتدافع عن الوطن إذا استبيح :

ردوا عليَّ ثقافاتي ، ومعرفـتـــــي كما أعاد كماة الجيش أمـــــجادي

هيهات ما عينُ شمسٍ [2] ، ما معاهدها ما عهد هارون [3] وابنيه [4] ببغداد ؟

أريدها ثورة في العلم جارفــــــةً يشع في كل شرقٍ نورها الـــــهادي

تحمي السلام إذا ساد السلام ، فإن ريع الحمى ،زلزلت أركان أطواد [5]

وفي آخـــر القصيدة يتغنى بقيادة (عبد الناصر) الذي قاد البلاد من نصر إلى نصر ويجعل العيد يحيي فيه فروسيته الفذة :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .

(٢) " عين شمس " : من ضواحي القاهرة في مصر الجديدة ، هي هليو بوليس القديمة ، بها جامعة عين شمس التي أنشئت عام ١٩٥٠م .

(٣) " هارون الرشيد " : الخليفة العباسي الخامس (١٧٠ – ١٩٣هـ) . من أشهر الخلفاء العباسيين . ابن المهدي والخيزران . ولد بالري تولى الخلافة بعد أخيه الهادي .

(٤) " ابنيه " : هما : ١. الأمين : (١٧٠ – ١٩٨هـ) خليفة عباسي . ابن هارون الرشيد وزبيدة . قتل في نزاع حول الخلافة مع أخيه المأمون .

٢. المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠ – ٢١٨هـ) الخليفة العباسي السابع . أمه جارية فارسية . قتل أخاه الأمين وخلفه . أنشأ " بيت الحكمة " في بغداد .

(٥) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤٧ .

جمال ، مازلت تحدو الركب خلفك من | نصر لآخر ، عاش الركب والحـــادي !
عيد الجلاء يحيي فيك فارســــــــه | لله عيد به توجت أعيـــــــــــادي !

٧ – حرب القناة :

أنشد غنيم قصيدته (حرب القناة) بعد انسحاب قوات العدوان الثلاثي من مدينة (بور سعيد) الباسلة ، وكادت هذه الحرب تتسع وتنتشر لولا لطف الله وعنايته بأن أنقذ الأرض من الدمار ، وفي ذلك الحدث يقول :

وقى الله البسيطة من دمـــــــار | وصان المشرقين من انفجـــــــار
وقى الله الحضارة مـــــــن زوال | وصان الآدمية من بـــــــــوار
وقى الله الزواخر شر حــــــــرب | تحولها سحابا من بخـــــــــار
تعالى الله ! كان العلم نــــــورًا | فصار لظًى شديدةَ الاستعـــــار
وصار الناس في الدنيا فراشــــــا | يُحوِّم سربه حول الشَّـــــرار [1]

ثم يشير إلى مشعل تلك الحرب وهو (إيدن) رئيس وزراء انجلترا في ذلك الوقت ويشبه بـــ(نيرون) الذي أشعل الحرب في روما متلذذا بإراقة الدماء :

تناسى الناس " نيرونا" ورومــــا | بمن قذف الورى بشواظ نـــــار
بمن أمسى يجدف وهـــــــو لاه | بنهر من دم الأحرار حــــــار
لها بالحرب "إيدن" فاستطـــــارت | فصفق للهيب المستطـــــــار [2]

وقد كادت الحرب تنتشر في أرجاء المعمورة لولا الموقف (الروسي) الذي أنذر دول الاعـــتداء بالـــتراجع ، والموقـــف (العربي) الذي أدان وساعد ، والنخوة العربية والفروســـية المبدعة والوطنية الحقة في أهالي (بور سعيد) لولا تلك المواقف وأمثالها من مواقـــف دول العـــالم الحـــر لانتصر (إيدن) وزين رأسه بتاج الملك ، ولكثر الموت في النـــاس :

وكاد أُوارها يمتد حتــــــــــــى | يهدِّد قبةَ الفلك المـــــــــدارِ

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٢ ، وتاليتها .

فلولا صيحةٌ من غاب " موسكـــو " ولولا وقفة لبني نــــــزارِ

ولولا نخوة من " بور سعيـــد " لزّين رأس " إيدن" تاجُ غـــارِ

ودك الأرض إسرافيل دكـــاً ومات الناسُ من غير احتضـــار [1]

ويشــيد شــاعرنا بموقــف (بور سعيد) في صد هذا الهجوم الثلاثي المتمثل في (إنجلــترة ســيدة البحار ، وجيش (السين) كناية عن فرنسا ،وإسرائيل التي شبهها بالغراب) :

ألم تر " بور سعيد " غداة قامــت تصدُّ هجومَ سيِّدة البحـــار ؟

وجيشُ " السين" يزحف عن يميـــن وإسرائيل تحجلُ عن يســـار ؟

وقالوا : نزهةٌ في البحر ، قلنـــا : نعم ، لكن تقودُ إلى الـــقرار [2]

ويصف هول المعركة ، وكثرة القتلى والتنكيل بهم في صور مزرية ومذهلة ، مع أن هـــناك فارقًا كبيرًا بين الجيشين نظراً للإمكانيات الحربية لجيش العدوان في الأسلحة البرية والأســطول البحري ، والطائرات الحربية المقاتلة ، ومع تلك الإمكانيات العجيبة إلا أنهم لاذوا بالفرار كالنعام بعد أن جاءوا يتباهون كالأسود الواثبة :

فكم جسدٍ غدا قوتًا لحــــوتٍ وكم رأسٍ تدحرج في مطـــارِ

وما أغنى عن الثالوث جيــــشٌ كأن جنودهَ رملُ الصحـــاري

ولا أغناه أسطولٌ عريـــضٌ يصاب البحرُ منه بالـــدُّوار

ولا أغناه سربٌ بعد ســـرب يصُكُّ أزيزه سمع الـــدّراري

أتوا كالأسد إقدامًا وفـــروا وهم مثلُ النعامة في الفـــرار [3]

ويــزيد الشــاعر تهكما وسخرية بجيوش العدوان حينما يقارن بين دمائهم ودماء الشهداء المصريين في الدناسة والطهارة ، وفي العبق والنتن وفي السمو والدناءة :

دمُ الذؤبان دنّسَ أرض مصـــرٍ وعطرها دمُ الأُسدِ الضـــواري

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٣٤٣ ، وتاليتها .

تلاقى الأحمرانِ : دمٌ خبيــــــــثٌ　　وآخرُ نفحُهُ نفحُ العَمَـــــــــــارِ
فهذا سال ممزوجًا بمســــــــــكٍ　　وذلك سال ممزوجاً بقـــــــــارِ !
وذاك مدادُ أمجادٍ ، وهـــــــــــذا　　مدادُ صحيفتي : خزيٍ ، وعـــارِ ! [1]

ويؤكـــد الشاعر على إصرار مصرَ وشعبها الأقوياء ضد المستعمر الطاغي ، ويقرر أنها لم تعد تباهي بطيب أصلها ، وكرم أهلها ؛ بل بأن السلاح صار لهوًا بأيديهم ، ولعبة في أيدي أطفالهم ، وصار المدفع الرشاش في أيدي الفتيات الحسان أجمل وأبهى من السوار في معاصمهن ، والخنجر في البنان أزهى من الذهب والأحجار الكريمة ، وأن الكفوف قد صـــارت مخضـــبة بدماء الأعداء ، وأن القرويات قد حملن السلاح للدفاع بدلاً من حمل الجرار للشراب :

لعمرُك ، لم تعد مصر تباهـــــــــــي　　بطيب الأصل ، أو كرم النِّجـــــــار
لقد صار السلاح بمصر لهـــــــــوًا　　وتسلية لأطفالٍ صغـــــــــــــــارِ
فلا يرمي بها كرةً وليــــــــــــــدٌ　　ولكن لعبُهُ رميُ الجمـــــــــــــار
وصار المدفع الرشاش أشهـــــــــى　　إلى أيدي الحسان من الســـــــوارِ
وزان الخنجرُ الماضي بنانـــــــــاً　　تزين بالعقيق وبالنضــــــــــــــار
فكم كفٍ مخضبة كساهـــــــــــــا　　دمُ الأعداء صبغة الاحمـــــــــرار
وكم قروية حملت سلاحًـــــــــــــا　　وما اعتادت سوى حمل الجـــــرار [2]

فـــإذا ما تحقق السلم ورفرف ظله فلن يكون لهم شعار سواه ، وإلا فهم الذائدون المحاربون إذا استبيح الوطن وانتهك العرض :

إذا ما السلم رفّ ندىً وظـــــــــلاً　　فليس لنا سواه من شعــــــــــــار

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .
(٢) السابق ، ص ٣٤٤ .

فإنْ جارت علينا الشُّهبُ يومـــــــًـــــا فنحن الذائدون عن الذِّمــــــــار [1]

ويكشـــف الشـــاعر عن سبب حرب القناة وأن المحرك الأول لها كان تأميـــم (قـــناة الســـويس) مما أثار غضب الإنجليز وعلى رأسهم رئيس وزرائهم في ذلك الوقت مستر (إيدن) :

أَمن أجل القناة تثور طفـــــــــلاً ؟ لحاك الله من طفلٍ مثـــــــــــارِ !

عجبنا : كيف ثرت وأنت تنمـــــــى إلى شعب له صبرُ الحمــــــــار ؟!

ومالك والقناةَ تذود عنهـــــــا ؟ متى ذاد الغرابُ عن الثِّمـــــار ؟ [2]

ويذكـــرهم بأمجـــاد مصر السابقة وانتصاراتها المتلاحقة في بعض المعارك الطاحنة كموقعة (رشيد) التي انهزم فيها الأسطول الإنجليزي أمام المصريين ، وكوقوف مصر في وجه (التتار) في موقعة (عين جالوت) بعد اجتياحهم لبغداد أيام العباسيين :

رشيد أسلمتك " لبُرْ سعيـــــــــد " فسرت من اندحار لاندحـــــــــار

حلفْتُ، لتُنقذنَّ الشرق منكـــــــــم بلادٌ أنقذته من التتــــــــــــار [3]

وفي (ذكـــرى العـــدوان الثلاثي) والاحتفال بعيد النصر على الأعداء نجد غنيماً يقف شامخًا بقصيدته الرائعة في تلك المناسبة الوطنية العظيمة لوقوف مصر في وجه ثلاث دول قوية (إنجلترة ، وفرنسا ، وإسرائيل) عام (١٩٥٦م) . وفيها يبارك لمصر أعيادها ، ويذكرها بأمجادها :

وقفت أبارك أعيادهــــــــــــــا وأتلو على الكون أمجادهــــــــــا

وأمجاد مصر تهزُّ الوجـــــــود ويستعذب الدهر إنشادهـــــــا

ألا قل لمن طاف حول الفضــــاء ورام الكواكب فارتادهـــــــا

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٣٤٦ .

سل النجم ، يخبرك : أناَّ قديمـــــــــاً بلغنا الشموس وآرادهـــــــــــا [1]

ثم يـــتحدث الشـــاعر عن وقائع المعركة الكبرى التي خاضتها مصر ، فقد صور المعركة ووصف تأهب الشعب المصري لها بقوله :

ويوم القناة دهى المعتديـــــــــــــن على حُرُماتِ الحمى ما دهــــــــــى

سماواتُ " لندن " قد أرعـــــــــدت فما رهبت مصرُ إرعادهـــــــــا

وقواتُ " باريس " قد أوعـــــــــدت فما خشيت مصر إيعادهـــــــــــا

وخلفَ ركاب الخميسين ساقـــــــت عصابة صهيون أوغادهــــــــــا

سل الحلف - حلف الشياطين - كيف رأى غاب مصر وآسادهـــــــا ؟

جيوشٌ تدك بآلاتهـــــــــــــــــا رأت في الكنانة أندادهــــــــــــا

لقد عبَّأت مصر يوم القنــــــــــاة من الحق والحقد أجنادهــــــــا

وغيٌ ما استطاع العدو المغــــــــير بغير الهزيمة إخمادهــــــــــــا

لقد حسبتها السموات " بـــــــدراً " فساقت إلى مصر أمدادهـــــا [2]

ثم يشـــير إلى معـــايير النصـــر التي جعلت من المصريين منتصرين في نظره، وهي الاعـــتقاد الجازم بأن النصر من عند الله ، ثم وقفة بعض الدول العربية لمساعدتها كدمشق وبغداد :

إذا ادَّرعت أمة باليقيــــــــــــــــن تولى المهيمن انجادهـــــــــــــــا

و لم أنسَ أن العروبة كانـــــــــــت سواعد مصر وأعضادهـــــــــــا

و لم أنس جلِّقها حين مـــــــــــدّت يديها ، و لم أنس بغدادهـــــــا [3]

والقصـــيدة كلها فخر بالعروبة ، وتغنٍ بالروح الوطنية ومدح لمصر بحسبها ملاذا للعروبة تحمي حماها وترعى لغتها ، ثم يتجه إلى مدح (عبد الناصر) باعتباره زعيمًا للعروبة يضمد جراحها ويدافع عنها :

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٧٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٧٨ .

(٣) السابق ، ص ٧٨٠ .

وساد العروبة روح الوئـــــــــــام	وأنعم به حينما سادهـــــــــــا !
ومصر ملاذُ العروبة ؛ تحمـــــــــــي	حماها ، وترعى لها ضادهـــــــــــا
وتدفع عنها العوادي حـــــــــــين	تنوب ، وتحمل ما آدهـــــــــــا
وتدري العروبة أن جمـــــــــــالاً	إذا جرحت ، كان ضمَّادهـــــا [1]

٨ – بناء (السد العالي) :

كان مشروع السد العالي من أوليات واهتمامات عبدالناصر إذ " اعتبرته ثورة ٢٣ يولـــيو في مقدمة مهامها لتحقيق التنمية الزراعية ولتحقيق الرخاء بعد توفير مياه الفيضان التي تلقى في البحر " [2] . ولم يأت بناء السد بين يوم وليلة ؛ بل كانت تعقد المفاوضات بـــين (أمريكا) من جهة ومصر من جهة ، وبين الاتحاد (السوفيتي) سابقاً من جهة ومصر مـــن جهـــة اخرى ، وذلك حول التكاليف الإنشائية للمشروع ، وأملت أمريكا شروطًا قوبلـــت بالرفض من الجانب المصري لأنها "قد تؤدي إلى سيطرة الغرب على اقتصاد مصر ثم تنـــتهي بالإطاحـــة في الـــنهاية باستقلالها كما حدث لمصر في عهد الخديوي إسماعيل وضخامة قروضه" [3] .

وعقدت المفاوضات وأجريت المراسلات والوساطات بعد ذلك وصرَّحت الإدارة الأمريكـــية أخيرًا أن مصر لا تستطيع أن تأخذ قرضًا من البنك الدولي لضعف اقتصادها، وبالتالي فإنها لن تقدر ذاتيًا على تمويل المشروع لضخامة التكلفة فغامر عبد الناصر مغامرة قوية بتأميم قناة السويس لبناء السد فتحقق الحلم وأصبح واقعًا.

وقـــد كـــان غنيم قريبًا من تلك الأحداث والمفاوضات فأنشا قصيدته (من وحي الســـد) يشير فيها منذ البداية بأن بناء السد قام على أساسين قويين هما:العزم والإيمان ، ويفتخر بأن المصريين القدامى ما داموا شيدوا أهرامًا شامخة ، فلن يعجزهم اليوم بناء سد ، وفي هـــذا تـــنديد بأمـــريكا التي رفضت تقديم قروض مالية لإنشائه لتعسفها في إمـــلاء شروطها :

(١) المصدر السابق ، ص ٧٨٠ .

(٢) تأملات في ثورات مصر ، ١/١٩٤ .

(٣) السابق : ١/١٩٥ .

على أساسين من : عزم وإيمـــــــان نبنيه ، لا من : جرانيتٍ وصَـــــوَّان
ما كاليقين ولا كالعزم إن صدقـــــا مُخطِّطٌ فوق ظهر الأرض أو بـــان
إن الأُلى رفعوا الأهرام شامـــــخةً هيهات يعجزهم إنشاءُ خَـــزَّان ! (1)

ثم يفـتخر بإنجـازات الرئـيس جمـال ، وعـزمه على بناء السد ويشبهه بقوة فرعون وعظمته :

أطلَّ من قبره فرعون مبتسمـــــًا وقال : إن جمالاً توأمي الثانـــــي
بنى الحياة جمالٌ والرخاء معـــًا لكن" خوفو " بنى قبرًا لجثمـــان
من أطلق النيل أمسى وهو يحبســـه جمالُ يثني عليك المطلق العانـــي (2)

ويـرد غنـيم بروح وطنية على من زعم أن مصر غير مؤهلة اقتصاديًا لبناء هذا المشروع الضخم ، بأن العزم والنية الخالصة كانت موقدًا قويًا للرئيس عبد الناصر :

يا باني السد ، قد فندت ما زعمــوا بالأمس عن مصر من إفك وبهتـــانِ
أقسمت ، لم تبتن الخزان منفـــردًا بل الكرامة والخزان فـــــي آنِ
هيهات يعجزك البنيان من حجـــر وأنت بنَّاءُ دولات وأوطـــــانِ
أسست سدًا به كانت معلقـــــةً كرامة العُرب من أبناء عدنـــانِ (3)

ويتجه بخطابه للنيل ويقول له : لقد كنا نشكو منك فيما مضى أيها النيل في حالة الجفاف وحالة الفيضان ، أما اليوم فلم نعد نأبه بالأمرين لوجود سد كبير يحمينا :

قد كان يشكوك صادينا وغارقنـــا يانيل ، حلاَّك في واديك ضـــدَّان !
ما عدت ، يانيل ، بعد اليوم تظمئنـــا أو عدت تطغى علينا أي طغيـــان (4)

ويجسد من (السد) شخصًا آخر يخاطبه ويتمنى منه أن يكون مصدر رخاء ونعمة عـــلى شعب مصر ، فماؤه الذي يحويه كأنه ذهبٌ ، بل إنه أغلى من الياقوت والمرجان ، فأصبح بهذا قد غطى على عجائب الدنيا السبع وبقي منفردًا بالذكر والتّميُّز :

---

(1) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤٨ .

(2) السابق ، ص ٣٤٨ ، وتاليتها .

(3) السابق ، ص ٣٤٩ .

(4) السابق ، ص ٣٤٩ .

يا أيها السد ، بشر بالرخاء ، فمــــا حويت ماءً ، ولكن ذوب عِقْيـــــان

ما أنت حرز مياه فاض زاخرهــــــا بل أنت كنزٌ يواقيت ومرجـــــان

قالوا : العجائب سبعٌ ، قلت : ويحكمو ما هذه السبع إلا سدُّ أُسْـــوانِ [1]

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٩ .

المناسبات القومية

عـــندما ندير وجهة الحديث إلى المناسبات القومية والتي كانت مثيرًا قويًا لإبداع الشـــاعر نرى أن محمودًا لم يكن يعيش لوطنه الصغير مصر ، وإنما كان يعيش لمواطنيه في الوطـــن العربي الكبير ، فيمتد بصره من المحيط إلى الخليج ليشارك في أغلب الأحداث التي ألـــمَّت بالشعوب العربية .

ونحن هنا حينما نتحدث عن القومية لا نعني بها المفهوم الضيق الذي يقصرها على الإقليمـــية الضـــيقة ، وإنمـــا نقصـــد منها " التجربة الإنسانية التي تتجاوز كل الحدود والعقـــبات المصـــطنعة الـــتي تعرقـــلها وتقف في طريقها ، وترتكز فوق اللغة والتاريخ على أساس عقائدي " [١]

وقـــد تبين لنا من خلال استقراء دواوين الشاعر الثلاثة أن تلك المناسبات القومية المـــثيرة لإبداعـــه صـــادفت عاطفة صادقة لديه تقوم وترتكز على حب الدين والعروبة فتفاعلـــت معـــه وامتزجت وأنتجت شعرًا قوميًا وإنسانيًا يحمل في طياته الانتماء الصادق والأكيد للوطن العربي .

وكان من الطبيعي جدًا أن تكون عناصر القومية العربية التي صدر عنها محمود في شـــعره هـــي نفسها الموجودة عند شعراء العصر الحديث في البلدان العربية الأخرى من " إلحـــاحهم الشـــديد عـــلى وحدة الأصل العربي ، ووحدة اللغة وماضي العرب المجيد وتاريخهم الحافل ، وعلى آلامهم وآمالهم المشتركة ، ونزوعهم الشديد نحو وحدة أقطارهم وشعوبهم " [٢] .

وقد كان شعر غنيم القومي صدىً لكثير من الأحداث والمناسبات التي حدثت في الوطـــن العربي ينفعل بها ويصهرها في تجربته الواعية إلى مرحلة التصوير والإبداع ، وكل همـــه من ذلك الشعر استنهاض الهمم وتنبيه النفوس ، والدعوة إلى التضامن والتسامح بين

---

(١) محمد الصادق عفيفي : التجربة الإبداعية عند محمود هاشم رشيد ، الطبعة الأولى ، (جدة : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، ص ١٧٩ .

(٢) عمر الدّقاق : الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، الطبعة الرابعة ، (بيروت : دار الشرق العربي ، ١٩٨٥م) ، ص ٤٤٨ .

أبـــناء الشعوب العربية ، والوقوف في وجه العدو المحتل . والنماذج التي سوف أقدمها من شعر غنيم في المناسبات القومية ما هي إلا غيضٌ من فيض ، فالمجال ضيق ، والمهم من ذلك هو أن نمكن القارئ من التعرف عن قرب على سمو التجربة الإبداعية عند غنيم .

١ – الدعوة إلى الوحدة العربية :

شارك غنيم بشعره في مختلف مجالات الحياة المعاصرة ، وعبر في هدوءٍ وعقلانية عن قضـــايا أمته العربية ، فدافع عنها ، وحاول أن يلتمس الحلول العاجلة للرقي بها ، فامتزج بأحداثهـــا وعبر عن آمالها وآلامها وعن أفراحها وأتراحها ، وتحدث عن مناسباتها القومية المختلفة .

فهـــو ينشد في شعره ما يسمى بـــ(الوحدة والتلاحم) بين أبناء الدول العربية ، ويـــتمنى دائمًا لو ترجع (الدولة الإسلامية) العظمى التي طالما حلم بها في ظل الظروف الصّـــعبة التي يمر بها المجتمع الإسلامي والعربي في عصره ، ونلمح ذلك في قصيدته الرائعة (وقفة على طلل) والتي يتذكر فيها عظمة الإسلام وأمجاد المسلمين :

أنّى اتجهت إلى الإسلام في بلـــــــد ... تجده – كالطير – مقصوصًا جناحاه

ويحَ العروبة كان الكون مسرحهـــاً ... فأصبحت تتوارى في زوايـــــــــاه

كم صرّفتنا يدٌ كنا نصرفهـــــــــا ... وبات يملكنا شعبٌ ملكنـــــــــاه

كم بالعراق ، وكم بالهند ذو شجـــنٍ ... شكا ؛ فرددت الأهرام شكـــواه !

بني العمومة ، إن القرح مسكمـــو ... ومسَّنا ، نحن في الآلام أشبـــــاه !

يا أهل "يثرب" أدمت مقلتيَّ يـــدٌ ... بدريةٌ تسألُ المصريَّ جـــــــدواه

الدين والضاد من مغناكم انبعثـــــا ... فطبَّقا الشرقَ : أقصاه ، وأدنـــــاه

لسنا نمد لكم أيماننا صلـــــــــةً ... لكنما هو دينٌ ما قضينـــــــاه [1]

وهـــو يـــتألم حرقةً وأسىً على ما ضاع من بلاد المسلمين كالأندلس وفلسطين ، فكـــان يتمنى لو ترجع تلك الأمجاد ويحلم بعودة الدولة الإسلامية ، لأن في تحقيقها رفعة للإسلام والمسلمين.

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٧٩ .

ومــن أبرع وأروع ما ردده في الوحدة العربية قصيدته التي تغنى بها عندما تحققت الوحــدة بــين مصــر وسوريا ، والتي وُقِّعَتَ في فبراير سنة (١٩٥٨م) ففرح بها وابتهج بتحققها فعليًا على أرض الواقع المعاصر :

عُرسانِ: في بنت المعزِّ ، وجِلِّقــــاً ـــ هزًّا بلحنهما الشجيِّ المشرقـــا

الماء في بَرَدى جرى مترنمـــا ـــ وعلى حُداء النيل قام مصفِّقـــا

نهران ما سالا نميراً سائغـــاً ـــ بل منهما المجد الأثيلُ تدفقـــا [1]

ثم يخاطب العروبة بأن تشاركهما فرحتهما وفخرهما بهذه الوحدة المباركة :

قل للعروبة : يا عروبةُ كبِّـــري! ـــ مجدُ المعزِّ [2] بمجد مروان [3] التقى

أخوان بينها المشاعر أُلِّفـــت ـــ ما كان للأخوين أن يتفرقـــا

الضاد أمهما ، ويعرب والـــد ـــ أرأيت أنجب منهما أو أعرقـــا ؟

ماض يزين ، وحاضر يزهى بـــه ـــ كالكَرْم طاب جَنىً ، وطاب معتَّقـــا

أخوان في حلو الحياة ، ومرهـــا ـــ يتقاسمان بها السعادة ، والشَّقـــا [4]

ويشير إلى أن الصلات بين البلدين قديمة ووثيقة من عهد الفراعنة :

لم يفصل التاريخ يومًا بيننـــا ـــ لكنه عقد الصلاتِ ووثقـــا

من عهد فرعونٍ ونحن وأنتمـــو ـــ بلدٌ ، وعند الروع نبدو فيلقـــا [5]

وتــتأجج المشاعر العربية لديه عندما يجعل الدولتين تتشاركان في الإحساس والألم بما يحل فيهما من مصائب ونكبات ، فهما مشتركتان في وحدة الآلام والآمال :

قد كان ماضينا لماضيكم صـــدىً ـــ ومصيركم بمصيرنا متعلقـــا

إن أرَّقت أجفانَ مصر مُلمَّـــةٌ ـــ ترَ كلَّ جفنٍ في دمشق مؤرقـــا

وإذا أصاب دمشق مكروه تـــرى ـــ أحشاء مصر تكاد أن تتمزقـــا [6]

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١٣

(٢) " المعز لدين الله " : مؤسس الدولة الفاطمية في مصر .

(٣) " مروان " : هو مروان بن الحكم يعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية بعد معاوية .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١٣ .

(٥) السابق ، ص ٣١٤ .

(٦) السابق ، ص ٣١٤ .

ثم يتحدث عن عزيمة الشعبين وإصرارهما على التمسك بالحرية والاستقلال وتحطيم القـــيود المفروضة عليهما ، ويفتح صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإسلامي العريق للدولتين ، ويتذكر معاركهما الطاحنة مع الأعداء كموقعتي (عين جالوت، وحطين)

شعبان ضاقا بالقيود ، ومن لـــــه ... ماضيهما لم يحي إلاَّ مطلقـــــــا

والله ما أزْرَت بنا أطواقُنــــــــا ... الليث ليث ، مطلقًا ومطوَّقـــــا

قيد لبسناه فلم تُرهَقْ بـــــــــه ... سيقاننا ، بل عاد منها مرهقـــا

إن ضاق في أقدامنا ، فلعلــــــه ... قدكان في قدمي " لويس" [1] أضيقا

أيام أقبل نحو مصر فاتحـــــــًا ... مصرًا؛ فغادرها أسيرًا معتقـــا

يا رُبَّ يومٍ فيه مصر وسوريـــــا ... ردا" التتار" فكان يومًا أبلقـــا

لما هوت بغداد تحت خيولهـــــم ... وجرى الفرات دمًا صبيبًا مهرقـا

في " عين جالوت " " غضبنا غضبة " ... كشفت عن الشرق البلاءَ المحدقـــا

يا رُبَّ يوم جيش مصر وسوريـــا ... صدًّا الصليبيين فيه فوفِّقـــــا

أبلى صلاحُ الدين فيه بجحفــــلٍ ... يجد الشهادة بالمجاهد أليقـــــا

"حطين" تشهد أننا عـــــربٌ ، إذا ... فِرق الأسودُ من الردى ، لن نفرقا [2]

والشـــاعر قد تغنى بالوحدة الكبرى للم الدول العربية تحت كلمة واحدة ، ومن ذلك قصيدته (الوحدة الكبرى) التي يقول فيها :

أيها العُرب أرهفوا الآذانـــــــا ... هل سمعتم – كما سمعت – الأذانـا

هاتف علوي الدعاء إلى الوحـــــ ... ـــدة ، من عالم الخلود دعانــــا

وحدة لم تشن فيها حـــــروب ... لا ولا سالت الدما غدرانـــــا

قد أقمنا في كل صدر لها حفـــ ... ـــلاً ،وفي كلِّ مهجة مهْرجانـــا

حقَّقتنا إرادةً حرة فـــــــي ... أممٍ حرةٍ تعاف الهوانـــــا [3]

---

(١) " لويس التاسع " : ملك فرنسا الذي أسر أثناء الحرب الصليبية في دار ابن لقمان بالمنصورة .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١٤ ، وتاليتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٩٢ .

ثم ينادي وفود العرب المجتمعة في مصر بأن ينهضوا بالوحدة ، ويعملوا على تحقيقها :

يا حماة الذمار في سفح " أورا ... س" وأُسدَ العرين في نجرانا [1]

يا بني العم في العقيق ، ونجد ... وبني الخال في ربا عَمَّانا [2]

أزفت ساعة النهوض فهيا ... ليس باليعربي من يتوانى

فُتحت دراةُ الخلود، فإن زر ... تم وجدتم ببابها رضوانا

باسم الثغر قبل أن يفتح البا ... ب، لمن زار يفتح الأحضانا [3]

ونراه كثيراً ما يدعو إلى لم الشمل ، وإذابة الحدود الإقليمية ، ونبذ الخلافات الحزبية ، واتخاذ الدين أساس العروبة ، ولغة الضاد لسانها :

شملتنا عناية الله حتى ... جعلتنا بفضله إخوانا

قد محونا من الوجود حدوداً ... وتخوماً تفرق الأوطانا

واتخذنا حب العروبة ديناً ... يجمع المرسلين والأديانا

وحفرنا في باطن الأرض جُبّاً ... ودفنا الأحقاد والشَّنآنا

إن من خص كل قومٍ بلسْنٍ ... جعل الضاد للكرام لسانا [4]

ويوضح أن تلك الخلافات وذلك الشقاق لم ينتج عنهما إلا الفرقة والشتات بين أبناء القومية الواحدة ، فتمكن العدو من أرضنا واستباح حقوقنا الشرعية ، ونحن نقف عاجزين متفرجين لا نعرف كيف نتصرف :

ما جنينا من الخلاف ورودا ... بل جنينا القتَاد والسَّعْدانا

---

(١) "أوراس" : منطقة جبلية ، تحصن فيها المجاهدون الجزائريون ، وفيها كانت المفاوضات . "ونجران" : موضع بالبحرين ، وآخر قرب دمشق ، وثالث بين الكوفة وواسط ، ولعله المراد هنا .

(٢) "العقيق" : موضع بالمدينة ، وباليمامة وبالطائف ، وبتهامة ، وبنجد ، ولعله يقصد هنا الأول . "ونجد" : قسمٌ من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق . أكثر الشعراء القول في طيب ترابه ، وجودة هوائه ، وحسن نباته . "وعَمَّان" : عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ، هي فيلادلفيا القديمة . من آثارها القلعة ومسرح روماني . وهي مركز ثقافي وتجاري وصناعي .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٩٣ .

(٤) السابق ، ص ٦٩٤ .

حَسْبُنا أنَّ عصبةً لفظتهـــــــــا   كرةُ الأرض تستبيح حمانـــــــــا
ولو أنَّا لدى الزحف صفـــــــــا   ما دهانا من الأسى ما دهانـــــــا
بل قذفنا العدو في موج البحــــــــــ   ـــــــر وقتنا من لحمه العِقْبانا [1]

ولمحمـــود غنـــيم مجموعة من الأناشيد القومية التي تنمي في الشباب والناشئة حب العـــروبة والتمسك بالوحدة والدعوة الصريحة إلى تأكيد الانتماء لهذا الوطن العربي الكبير وذلك كما في نشيد (الكشاف العربي) الذي يقول فيه :

بُوركت يا أرض العروبة موطنـــا   الله أكبر! إن فجرك أذَّنـــــــا
وأطلَّ في الآفاق لماح السَّنـــــا   أمجادك الأولى سأحييها أنـــــا

أنا نسل من خطَّ الحضارة وابتنى

أنا بلسم الشاكي، ومنهال الظَّمِـــي   وأبو اليتيم ، وكنز مالِ المعـــــدمِ
تجري المروءة من قديم في دمـــــي   لم لا ألست إلى العروبة أنتمـــي ؟

مَنْ مثلُ أسلافي ومثلى مَعْدِنا ؟ [2]

ثم يفتخر بأن اللغة العربية أمه ، ويعرب والده :

الضَّاد لي أمٌّ ، ويعربُ والـــــــد   يفنى الزمان ، ومجد يعرب خالـــــد
أبداً يظلِّلنا لواءٌ واحـــــــــدُ   ضُمُّوا الصفوف إلى الصفوف وجاهدوا

تباً لكل يد تفرق بيننـــــا [3]

ولا يكتفي غنيم بتلك الأناشيد التي خصصها للدول العربية وحدها، بل إن العروبة عنده تشمل بلاد الشرق كلها ، فنراه ينشد للشباب الآسيوي والأفريقي معًا ، ويجعلهما أمة واحدة ، ليؤلف بينهما ، وليذيب كل النعرات التعصبية والحدود الإقليمية ، داعيًا إلى المساواة بينهما ، فلا فرق بين أبيض وأسود في المعاملة والحقوق إلا بالتقوى :

اسلمى يا أمم الشرق ، وســــودي   وابلغي الأَوْجَ بتوحيد الجهـــــود
لا عداك النصرُ خفَّاق البنـــــود   أنت ظلُّ الله في هذا الوجـــــود

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٦١ ، وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٦٢ .

وبشير الأمن فيه والســــــلام

يا شباب الشرق،سودوا مثلما ساد الجدود   صُحُفُ الماضي شهودٌ: أننا سدنا الأنام

* * *

هاهنا فجر جديدٌ طلعــــــــــا   وشباب للأذان استمعـــــــــــا

بين أفريقيا وآسيا جمعــــــــــا   أَلَّفَ الأحرار في الشرق معـــــــا

ألفةً بين كرام وكـــــــرام

نحن شعب واحد يبغي الخلـــــود   لم تفرق بين أرضينا الحـــــدود

ليس في شرعتنا بيض وســــود   كلنا شرق ، عن الشرق نـــــذود

نقبل الموت ، ونأبى نضـــــام

ياشباب الشرق، سودوا مثلما ساد الجدود   صحف الماضي شهود : أننا سدنا الأنام[1]

* * *

والواقــع أن غنــيماً قــد دعا العرب في شعره القويم إلى التمسك بالدين واللغة والعــروبة دون أي تعصــب حزبي أو عرقي أو سياسي فكان ديدنه اجتماع العرب على كــلمة واحــدة ، والرجوع إلى مجد الدولة الإسلامية الأولى ، والتمسك به والنهج على منواله ، فحلَّق بشعره في أرجاء الوطن العربي الفسيح ، وأنشد وتغنى بالبلاد العربية مروراً بالجزائــر والسودان والعراق والشام والخليج ، وهذا يدل على حبه وعشقه للبلاد العربية آسيوية كانت أم إفريقية .

ففــي إفريقيا تغنى بمدينة (طرابلس) الليبية وبجمالها ، وبكرم أهلها ، يقول واصفاً طبيعتها في قصيدته (جمال طرابلس) ويقارنها بطبيعة المدن الإيطالية :

هذي " طرابلس" أم هذه " نَبُلــى " ؟   البر مبتسم ، والبحر في جَــــذَل

والشمس ضاحكة ترخي أشعتهـــا   شعراً من التبر لكن غير منجـــدل

هنا الحياة ، هنا سر الجمال، هنـــا   موج الخلود على شط مـــن الأزل

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢ وتاليتها .

مدينة أنت ، يا "أويَا"[1] — فديتك — أم هيفاء ترفل في زاه من الحلـــــــل

هب النسيم عليها عاطراً أرجـــــا رخو العزيمة ، يشكو كثرة العلــــل

القيظ يخشى بفصل الصيف جانبهــا فإن يزرها ، عَلَتْهُ حمرة الخجــــل

والماء يطغى ، وتستشري عجاجتـــه حتى إذا جاءها ، يمشي على مهــل [2]

ولا يقصـــر حديـــثه عن طبيعتها الساحرة وجمالها الفتان ؛ بل يتغنى بمكارم أهلها وأخلاقهم الرفيعة ، وكرمهم الفياض ، ونفوسهم الطاهرة النبيلة :

يا أمة ورثت مجد العروبة ، لـــو قست النجوم بها في المجد لم تُقَـــسِ

لا ضيف أكرم من ضيفٍ يجاوركـــم بالدار ، والأهل ، والأحباب مؤتنـــس

ماذا لقينا لديكم من مؤانســـــةٍ دلت على كرم في النفس منغــــرس ؟

فيكم من البدو أخلاق مبــــرّأة من كل ما حوت الأمصار من دنس [3]

وحين سافر إلى (الخرطوم) في مهمةٍ ثقافية ألقى قصيدته (النيل والسودان) يصف فيها النيل والسودان ويجعل من السودان نفحةً من نفحات الجنة :

جيرة النيل ، أرضكم فوق ظهـــر الأرض نفحٌ من جنة الرضـــــوان

سحب دمعها يسيل سجامـــــا يا لدمعٍ يجري بلا أحـــــزان !

أمةٌ أمها الطبيعة ، والنيـــــــــل أبوها ، الأب الأبر الحـــاني

وشعاع تزجيه شمس ضحـــوك ذات دلٍّ ومبسمٍ فتــــــان

وكنوز لم يكشف الستر عنهـــا وأراضٍ عذراءُ غير عـــوان [4]

ثم يخاطـــب النيل ويخبره أن شطآنه السودانية رمز للخلود ، وأن شعبه ذا البشرة السمراء يتمتع بأفضل الخصال الحسية والمعنوية :

أيها النيل ، إن شطك رمز الخـــــلد في ذلك الوجود الفانـــــي

أيها النيل ، حول شطك شعـــبٌ يتحلى بسمرة الأبـــــدان

---

(١) " أُويَا " : اسم طرابلس القديم .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٦٦ .

(٣) السابق ، ص ٣٦٣ ، وتاليتها .

(٤) السابق ، ص ٥٩٩ .

ذو خصال مثل القواضب بيـــــض   ووجوه في سمرة المُــــــــــرّان [1]

ويشـــير في آخر القصيدة إلى الوشائج القوية التي تجمع بين البلدين فهما مشتركان في الماء ، والدم ، والدين ، واللغة :

إن مصراً وإن سودان مصـــــــــر   في رضاع وفي دم أخـــــــــوان

وهما – منذ كون الله هذا الكـــــــ   ـــون – شعب ولا أقول اثنـــان

ربط الله بيننا بربا طيـــــــــــــ   ـــــن وثيقين : الضاد ، والقرآن [2]

وينـــتقل الشـــاعر بقيثارة شعره إلى أجواء الخليج العربي فيتغنى بدولة (الكويت) وبجمالها الأخّاذ وطبيعتها الساحرة وذلك عندما قام بزيارتها :

قم ، حي فاتنة الجمـــــــــال   بالشعر كالسحر الحـــــــــلال

حي الكويت ، وقل لهــــــا :   يا درة بين الرمـــــــــــال

يا واحة قد خطها الـــــــــــ   ـــــرحمن في وسط التلال

جنات خلدٍ في لظى الــــــــــ   ـــــصحراء وارفة الظلال [3]

ثم يصف بعض المظاهر الحضارية التي تتميز بها الكويت كإضاءة الشوارع بأعمدة إنارة متميزة :

ولقد دخلتك في الدجـــــــى   فأريتني بيض الليـــــــالـــي

يا بلدةً – يحمر – مـــــــن   خجلٍ بها وجه الهـــــــلال

لم لا ، وأعمدة الضيــــــــا   ء بها بدور في الكمـــــال ؟ [4]

ولا ينس الشاعر أهل الكويت فتراه يشيد ببطولتهم وشجاعتهم وصدق فعالهم :

قالوا: بلاد الزيت ، قلـــــــــ   ـــت : بلاد أبطال الرجـــــال

الذائدين عن الذمـــــــــا   ر، الصادقين لدى النضــــال

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٥٩٩ ، وتاليتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٠١ .

(٤) السابق ، ص ٧٠٢ .

التابعين مقاهــــــــــــــــــــم قبل التكلم بالفعـــــــــــــــال [1]

وحقـــيقة الأمر أن الشاعر قد تجول بشعره في معظم البلدان العربية يتضح ذلك في حشـــد كبير من قصائده مثل (بغداد ، والبصرة ، وتحية لبنان) التي ليست سوى نماذج للتعـــبير عن حبه وإخلاصه للبلاد العربية ، وتغنيه بطبيعتها الساحرة ، وأخلاقيات أهلها الذين ينحدرون من أصل عربي ويجمعهم الدين والعرق واللغة .

٣ – فلسطين المحتلة :

بـــدأت عداوة اليهود للمسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام وانتشاره ، وتتمثل تلك العـــداوة في معارضة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتكذيبه ، ومحاولة قتله وتهديده ، ومناصـــبة العـــداء للمسلمين أجمعين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [2] .

ونظـــراً لتأصل هذه العداوة المريرة في عمق التاريخ فقد امتدت وبلغت ذروتها في العصر الحديث حين أعلن اليهود قيام دولة " إسرائيل " عام ١٩٤٨م.

وكـــان هذا الصراع مع اليهود باعثًا قويًا للشعراء ، ومنهلاً ينهلون منه أشعارهم وإبداعاتهم ، فوقفوا مناضلين ومدافعين بشعرهم تجاه هذا الاحتلال الغاشم لدولة فلسطين وتصوير فضائح ومجازر اليهود وما ارتكبوه ضد هذا الشعب الأعزل من السلاح من تهجير وتدمير وتخريب .

وقد أسهم غنيم كغيره من شعراء العصر الحديث في تصوير الحدث بقصائد رائعة يندد فيها بالمحتل الغاشم ، ويصف فيها الأوضاع العصيبة التي تمر بها الأرض الفلسطينية ، ويستنهض فيها نخوة العرب لمساعدة إخوانهم ، فلم يقف إذاً بعيداً عن ذلك الصراع ، بل عايشه وامتزج به وسافر إلى(غزة) وقابل اللاجئين وتحدث عن أوضاعهم ، وندد بالهيئات

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٨٢ .

الدولـــية كمجلـــس الأمن وعصبة الأمم التي وقفت مكتوفة اليدين ، واكتفت بالمشاهدة والاستنكار .

وقـــد بـــدأت مشاعره تتحرك تجاه هذه القضية بعد إعلان قيام الدولة الإسرائيلية فـــتحدث عـــن هذه المأساة الكبيرة والفاجعة العظيمة التي ابتلي بها المسلمون ، وقصيدته (يـــا أخت عمورية) ما هي إلا صرخات وعبرات أطلقها لكل المسلمين والعرب مستنكراً فـــيها الوضـــع المتأزم والخطير في منطقة الشرق الأوسط ، فقد بدأها بالدعوة إلى الجهاد المقـــدس ضد إسرائيل ، ورد القوة بالقوة بدلاً من التشدق بالخطب العصماء التي لا تقدم ولا تؤخر:

قلنا ، وأصغى السامعون طويـــــــلا ... خلوا المنابر للسيوف قليـــــــــــلا

سقنا الأدلة كالصباح لهم ، فمـــــا ... أغنت عن الحق الصراح فتيــــــلا

من يستدل على الحقوق ، فلن يـــرى ... مثل الحسام على الحقوق دليـــــــلا

لغة الخصوم من الرجوم حروفهـــــا ... فليقرءوا منها الغداة فصـــــــــولا

ولقد بحثت عن السلام ، فلم أجـــد ... كإراقة الدم بالسلام كفيــــــــلا [1]

ويـــندفع الشاعر في مواجهة إسرائيل بالسؤال عن ملكهم الذي يدّعونه ويبحثون عـــنه ، مؤكداً أن تلك الدعوات ماهي إلا أحلام وتأويلات ، ويعيرهم بأنهم شعب ضائع ليس له مكان في الوجود ، وأن ولادتهم ومجيئهم كان عن طريق (انجلترا وأمريكا):

يا آل إسرائيل ، أين الملك ؟ هـــــل ... مضت الرياح بملك إسرائيـــــــــل ؟

أتحققت آمالكم في دولـــــــــــــة ... تمتد عرضاً في البلاد وطـــــــولا ؟

خدعتكم الأحلام في سنة الكـــــرى ... ما أكذب الأحلام والتأويـــــــــــلا

هي بنية قامت بغير دعامـــــــــــة ... هي دولة قد أنشئت لتـــــــــــزولا

قل للأولى نفخوا بها من روحهـــم : ... هيهات قد ولد الجنين قتيـــــلا ! [2]

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧١ .

(٢) السابق ، ص ٣٧٢ .

وتـــزداد عاطفـــة الشاعر حرقة عندما يرثي المدن الفلسطينية كمدينة حيفاء التي نكبت ووقعت في براثن الاحتلال ، فانتهكت أراضيها وشرد أهله:

" حيفا " فديتك ! ما لجفنك ساهدا　　وللحنك الشادي استحال عويـــــلا

ما بال أهلك شردوا ، وشراك قـــد　　أمسى بغير ليوثة مأهـــــــــــولا ؟

أعزز على أبناء يعرب أن يـــــروا　　عَلماً يرفُّ على حماك دخيـــلا ! [1]

ثم ينادي (فلسطين) الدولة المنكوبة ويشبهها بـــ(عمورية) التي اغتصبها الروم أيام الدولـــة العباســـية ، وعـــاثوا فـــيها وقـــتلوا وشردوا ، فصاحت إحدى نسائها قائلة : وامعتصـــماه!! فـــبلغ الخبر الخليفة المعتصم الذي سارع في نجدتها ففتحها وأنقذها ، وما صرخة غنيم هنا إلا ليستنهض همم المسلمين ويشعل نار الغيرة في نفوسهم ، فيهبوا لتحرير فلســـطين ، ويذكرهم في الوقت نفسه ببطولاتهم الباسلة في الحروب والغزوات الماضية ، ليثير نخوتهم وحميتهم :

يا أخت " عمورية " لبيك ! قـــد　　دقت حماتك للحروب طبـــــولا

ناديت " معتصمًا"؟ فكان غياثـــه　　جيشًا شروبًا للدماء ، أكـــــولا

ما كان بالألفاظ جرس جوابـــــه　　بل كان قعقعةً وكان صليـــــلا

وأزيز أسرابٍ تصب شواظهـــــا　　فوق الحصون ، فتستحيل طلـــولا

لن يغفر العرب الأباة لغـــــادرٍ　　هتك الحرائر والدم المطلـــــــولا

إنَّا لقوم ليس يمحي عارهـــــــم　　حتى يرى بدمائهم مغســــــــولا

إنَّا جعلنا أرضنا للمعتـــــــــدي　　قبرًا ، وظلاً للتزيل ظليــــــــــلا

وليشهد التاريخ " لليرمـــــوك " أو　　" ذي قار" في العصر الحديث مثيـــلا

وليعلم الثقلان : أنَّا لم نـــــــزل　　نحمي ، كما حمت الجدود الغيلا [2]

ويفـــتخر الشاعر بالأبطال والقادة العظام في تاريخنا الإسلامي أمثال (ركن الدين، وصلاح الدين ، وخالد بن الوليد ، وطارق ، وأبي عبيدة) الذين حققوا الانتصارات في غزواتهم الإسلامية ، ويثني على جنود النيل الذين هبوا لمساعدة إخوانهم في فلسطين :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٧٣ .

لمَّا رأيت النيِّل عبّأَ جيشـــه أتبعته التكبير والتهليـــلا

وذكرت " ركن الدين " في حملاتـه إذ كان يحدو الجيش والأسطـولا

فلطالما دك القلاع بعزمـــه ولطالما رد الجيوش فلـــولا

جيش الصلاحيين سار ، كأنـني أبصرت بين صفوفه جبريـــلا

وكأنني " بابن الوليد " و " طـارق " و" أبي عبيدة " يركبون خيـولا

قلبت طرفي في الجنود ، فلم أجـد إلا فروعًا يتبعون أصـولا

يتسابقون إلى اللقاء ، كأنمـا هو نزهة بين الرياض أصيـلا (١)

ولم يكـتف الشـاعر بإلقاء قصائده تجاه القضية وهو في مصر ، بل إنه سافر إلى (غـزة) وشـاهد الموقف بنفسه وصور لنا معاناة الشعب على أرض الواقع وكأنه وسيلة إعلامـية متنقلة ، فنقل لنا مشهدًا مؤلمًا من مشاهد مآسي الشعب الفلسطيني وهو مشهد (اللاجـئين) الذيـن شردهم العدو الإسرائيلي الغادر فسكنوا الخيام والعرى ، فبكى من حالهم وتحدث عن معاناتهم :

قم حَيِّ حيَّ اللاجئيـن واذرف به الدمع السخيـن !

حيٌّ به شبح الـردى في كل زاوية كميـن

قرَّحت منا ، يا فلسـ ـطين الحشا قبل الجفـون

قد كنت مبكىً لليهـو د فصرت مبكى المسلميـن

لهفي على الشُّم الأبـا ة عن الديار مشرديـن

سكنوا العراء ، ودورهـم منهم على مرأى العيـون

قد أوشكت شرفاتها تومي إليهم باليميـن

يرنو إليهم صخرهـا فيذوب من فرط الحنيـن ! (٢)

ويسـلط الشاعر غضبه وهو في (غَزَّة) على اليهود المحتلين ويشهر بهم ويهجوهم عـلى المـلأ بأنهم شعب مشرد ليس لـه وطن يأوي إليه ، فهم نكرة مجهولة على ظهر البسيطة :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٨٤ .

الهائمون بكل أفـــــــــــــ ـــــــــــــق دنسوا البلد الأمين
لا الطير يعرف ذلك الـــــــو جه الغريب ، ولا الغصـــــــون
الأرض تنكرهم بهـــــــــا والريحُ ، والغيث الهتـــــــون
لا جادهم غيـــــــــث ، ولا ساغوا بها العذب المعـــــين [1]

والواقع ومن خلال تتبعي لديوان الشاعر يتبين أنه لم يكد يترك أي مناسبة ثقافية أو اجتماعـــية ســـواء كان ذلك في بلده أم في البلدان العربية الأخرى إلا تحدث فيها عن النكـــبة الفلسطينية وما لحق بأهلها من أذىً ومذلة . مستعرضًا من خلالها قضية اللاجئين التي شغلت العرب والمسلمين حتى اليوم ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قصيدته (تحـــية وقضية) التي ألقاها خلال زيارته لمكة المكرمة ، وقصائده (بغداد، وانتصار الجزائر، ومهرجان الجزائر) خير دليل على تلك القصائد التي عرض فيها للقضية الفلسطينية ، فعندما نـــزل ضـــيفاً في (بغداد) استثمر الموقف وتعرض للقضية ، وهاجم الإسرائيليين ووصفهم بالخزي والبغي، وتحدث عن مشكلة اللاجئين :

البغي أوجد إسرائيل من عـــــدمٍ ولن يدوم لإسرائيل إيجـــــــاد
فليعلم الغرب أن الشرق لافظهـــم وإن أتتهم من الشيطان أمـــداد
أبناء يعرب ، ذودوا عن محارمكـــم إن الكريم عن الأعـــــراض ذواد
اللاجئون جراح في جوانحنـــــا تدمى ، فهل لجراح العُرب ضمـــاد ؟
اللاجئون سقام في مفاصلنـــــا ولا شفاء له إلا إذا عــــــادوا
ألقوا بصهيون في عرض الفلاة فهـــم من عهد فرعون أفّاقون ، شُـــرّاد [2]

والحقـــيقة أن عرضه لتفاصيل القضية الفلسطينية ومشكلة اللاجئين في المهرجانات الأدبية والمنابر الثقافية ما هو إلا لبعث الحياة في نفوس أبناء الأمة ، وتذكيرهم بقضيتهم ، ودفعهم من سباتهم وغفلتهم ، وما تذكيره أبناء أمته بماضيهم المجيد وببطولاتهم السابقة إلا لإثارة هممهم وبث الحماسة في نفوسهم .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٧٥ .

وعلى هامش المعركة لم يكتف الشاعر بمهاجمة إسرائيل وحدها ، بل صعَّد هجاءه إلى الهيئات الدولية ، وهاجمهم بكل صراحة وصدق ، ومن تلك الهيئات الدولية (مجلس الأمن) الذي لم ينشأ إلا لحماية الدول الضعيفة وزرع الأمن والاستقرار في مناطق العالم ، إلا أن الشاعر لم يجد منه إلا التدليس والخداع فلا سلام لديه ولا استجابة ، والقصيدة في حد ذاتها تعبير عن خيبة العرب في مجلس الأمن والدول الكبرى الصديقة لإسرائيل :

يا مجلس الأمن ، جد أنت أم لعبُ ؟	وصورةٌ حَيَّةٌ ، أم هيكل خشــــب ؟
أسطورة أنت في العصر الحديث ، غداً	تروي أحاديثها السُّمار والكتــــب
مبناك دار لحفظ الأمن ساهــــرةٌ	عليه ، أم منتدى تلقى به الخطــب ؟
في كل يوم تدين الغاصبين ؛ فـــلا	بالحكم دانوا ، ولا ردُّوا الذي اغتصبوا
ما بال خدك من لكم اليهود لـــه	كأنما هو بالحِنَّاء مختضــــب ؟ [1]

ثم يســخر باســتهزاءٍ من أحكام وقوانين ذلك المجلس وبمحكمته وقضاته الموالين لإسرائيل فما يصدرونه من أحكام وقرارات ما هو إلا فقاعات وحبر على ورق :

لمجلس الأمن أحكام تذوب ، كمــا	ذابت فقاقيعُ كأس حَفَّها حَبَــــب
يا طول ما ضحكت بيضُ الصحائف	من أحكامه ، وشكت أقلامُ من كتبوا !
ما شاهد الناس قبل اليوم محكمــةً	لم تمحُ إثماً من الآثام يُرتكــــب
ولا قضاة يهابون الجناة؛ فهــــم	يُغْضُون إن أزهقوا الأرواح أو نهبوا [2]

وقــد لاحظت أن الشاعر لم يترك حادثة في هذه القضية تمر دون التعليق عليها أو الإشارة لها ، فعندما وجهت (إسرائيل) إلى (بريطانيا) إنذارًا تطلبها فيه: أن تُعدِّل قانونها بحيــث لا يسمح للفلسطينيين أن يزاولوا فيها نشاطهم . اقتنص غنيمٌ هذا الإنذار ليسخر مــنهم في قصيدته (كلب بلفور) التي جعل فيها (إسرائيل) كلبًا متمردًا على صاحبه الذي رباه وأعطاه وأكله، و(بلفور) هذا هو وزير خارجية بريطانيا الذي " أصدر وعده المشئوم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٩٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٩٢ وتاليتها .

ســـنة ١٩١٧م " [١] بالسماح بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . انظر إليه وهو يلقي اللائمة على بريطانيا بسخرية وتهكم :

من سمَّن الكلب أمسى منه معقــورا ... يا جيرة "المنش" هذا كلب " بلفورا"

الذنب ذنبكمو ، والكلب كلبكمــو ... مازال يَسْمنُ حتى بات مَسْعُـــــورا

لولاكمو، لم يجد ناباً ولا ظُفُـــــرا ... ولا رأت عينه – لولاكم- النـــورا

وكيف يزجر هذا الكلب زاجــــرُهُ ... وليس عن عضٍّ من ربَّاه مزجـــورا ؟

عضَّ اليمينَ التي كم أطعمت فمـــه ... وكم سقته النَّمير العذب مقطورا [٢]

هذا وإذا كانت (إسرائيل) قد أنذرت بريطانيا وخذلتها وأساءت المعاملة معها فإنها غدًا سوف تغدر بأمريكا وتخذلها :

وسوف يَعقرُ أمريكا بفيه غـــــدًا ... إن لم تُعدُّوا له قيدًا وساجـــــورا

وسوف ينبح من لاقى ويجرحــــه ... مادام يلقى له ناباً وأظفــــورا [٣]

وما دام الشاعر قد وصف (إسرائيل) بالكلب المسعور الغادر ، فإن من المفارقات العجيـــبة في نظره أن يتحول العبد إلى سيد يأمر وينهى، والسيد إلى عبدٍ مطيعٍ وهذا هو حال إسرائيل مع بريطانيا :

دار الزمان ، فصار العبد يأمـــر ، أو ... ينهى ، ومولاه منهياً ، ومأمــــورا

ماكان في شرعكم أمتٌ ولا عِـــوَجُ ... لكن تجنَّوا عليه وادّعـــوا زورا [٤]

ومن محصلة ما سبق أخلص إلى التنويه بالدور الفاعل الذي قام به غنيم تجاه القضية الفلسطينية التي مازالت انتفاضتها قائمة حتى اليوم ، فامتزج بأحداثها وتحدث عن كل ما يتصل بها من موضوعات كقضية اللاجئين ، والتنديد بما اقترفه العدو الإسرائيلي من جرائم ، والـــتحقير بمجلـــس الأمـــن ومحكمته والهيئات الدولية الأخرى ، والدول العظمى التي

---

(١) انظر : عبد الرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ، الطبعة الأولى ، (سوريا : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ، ص ٢٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٩٥ .

(٣) السابق ، ص ٧٩٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٩٧ .

ساعدت إسرائيل وأقامتها ، كما وجـــــدت لـــــه شعرًا جميلاً في بكاء فلسطين ، ودفـــع العرب إلى مناصرتها ورفع راية الجهاد ، وقام أيضاً بإعلان هذه القضية في المحافل الدولية والمناسبات الثقافية في الأقطار العربية كمكة وبغداد والجزائر ، وقد أسهمت هذه القصـــائد في تعميق الشعور الديني والعربي بالخطر الصهيوني ، وتبصير العرب بما يحيق بهم من مخاطر ودمار ، كما أنها ساعدت على إحياء الشعور بالوحدة والتآلف بين المجتمعات العربـــية والإســـلامية ، وهكـــذا كان " أكثرُ ما قيل في أحداث متسمًا بروح الاستنفار والاستنهاض وبث الحمية والقوة في النفوس ، كما أن ذلك الشعر لم يكن من جهة أخرى يخاطـــب فلســـطين وحدهــــا أو شـــعبًا آخـــر بعينه ، وإنما كان يتجه إلى الأمة العربية وشعوبها قاطبة " [1] .

وأســـتطيع القول بأن شعر غنيم في فلسطين يدخل ضمن ما يسمى بأدب الأرض المحتلة ذلك الأدب الذي يحمل " أغنيات الحاضر المناضل ، والغد المنفتح المنتصر ، يحملها في جناحـــيه نسر مارد ينطلق بها من وطننا الأسير ليزرع بها أنوار الحب والإيمان بالأرض والإنسان " [2] .

٣ – انتصار الجزائر :

قُـــدِّر لغنـــيم أن يعيش في زمن الاستعمار وتأجج الثورات حتى إنه سُمِّي بشاعر (الثورة) فلم يكن يعيش بمعزل عن قضايا وطنه العربي الكبير ، فكما شارك في نصـــرة القضـــية الفلســـطينية وعايشـــها ، نـــراه يشـــارك (الجزائـــر) فرحـــتها باستقلالها عـــام ١٩٦٢م ، فقـــد اندلعت ثورتها ضد الفرنسيين سنة ١٩٥٤م في " ليلة أول تشرين الثاني ، ليلة القدر الكبير كما سماها مفدي زكريا فكان لكل رجل وامرأة ولكل ولد حظه من الجهاد " [3] حتى نالوا استقلالهم وطردوا عدوهم فكانت الثورة محركة لعاطفة الشاعر

---

(١) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، ص ٣٧٨ .

(٢) عبد الرحمن ياغي : في الأدب الفلسطيني الحديث ، قبل النكبة وبعدها ، الطبعة الأولى ، (الكويت : شركة كاظمة للنشر والتوزيع والترجمة ، ١٩٨٣م) ، ص ١٠٩ .

(٣) محمد بن عمرو الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، د.ط ، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت) ، ص ٣٢٤ .

فـــأثنى على أبناء الجزائر الأقوياء الذين ضربوا ببسالتهم وبطولتهم أروع المثل في التضحية والفداء :

قم ، نادِ : حيَّ على الفـــلاح ... الفجر – فجر السلـــم – لاح
ولكل غاشية مــــــــدى ... ولكل داجيةٍ صبــــــاح
كفَّ المجاهد في الجـــــزا ... ئر عن مواصلة الكفــــاح
ألقى السلاح ، ولم تـــزل ... يده تشد على الســـــلاح
جند الصليبيـــــين في ... أوراس هادهُم صـــــلاح
إن يصدقوا فالسلــــم ، أو ... فالسيف إن كذبت سجاح [1]

وقـــد عاد هذا الحق إلى أهله وأصحابه بالقوة ورفع السلاح لا عن طيب نفس أو تدخلات من مجلس الأمن ، فما ذهب بالقوة لا يسترد إلا بالقوة :

حق إلى أربابــــــــه ... ردته أطراف الرمـــــاح
ما سلَّم العادي بـــــه ... عن طيب نفس أو سمـــاح
كفلت لهم عزماتهـــــم ... لا مجلس الأمن النجـــاح
دقُّوا عليه بابــــــــه ... وبوجهه عنهم أشـــاح [2]

وإذا كـــان هذا النصر قد تحقق بسواعد الرجال الأوفياء من أبناء الجزائر فإن المرأة الجزائرية قد شاركتهم في تحقيق الاستقلال فاشتبكت مع الأعداء وجابهتهم ، بل وتحدتهم في النزال واستقبلت الموت بوجه كريم أغر :

كم من غزال في الجـــزا ... ئر علَّم الكبش النطـــاح
بيض ، لها بالبيض والسُّمـــ ... ـر : انتطاق ، واتِّشـــاح
تستقبل الموت الـــزُّؤا ... م بأوجه غُرٍّ صبِـــاح [3]

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٧٧ .

(٢) السابق ، ص ٦٧٧ .

(٣) السابق ، ص ٦٧٨ .

ويضرب لنا مثلاً في كفاح المرأة الجزائرية ، ويشيد بالموقف البطولي الذي قامت به البطلة (جميلة بوحريد) تلك المرأة المسلمة التي قيدت وسيقت إلى السجون الاستعمارية بدون ذنب :

لك ، يا جميلة ، سيـــــرة ... مثل الزهور لها نفـــــاح

أنا لست أدري : من زئيـــــر كان صوتك أم صـــداح ؟

حَسْبُ الفرنسيـــــين أن ... يخشوا مساورة المـــــلاح

قابلت حكمهمو عليـــــك بكل بشر وارتيـــــاح

ألبستهم عارا ، وبعـــــض العار لا يمحوه مـــــاح

السن تضحك ، والمحيـــــا مشرق : والوجه ضـــــاح

حتى إذا الجلاد نـــــادى : ياجميلة ، لا بـــــراح

أشعلتها ناراً عليـــــه ، فاسترحت ، وما استراح ! [1]

ويستنكر فعال تلك الدولة العظمى التي تدعو إلى العدالة وهي بعيدة عنها كل البعد ، ويتساءل كيف تأتي العدالة وتتحقق من دولة فاسدة تنتهك الحقوق ولا تقيم العدل :

أين الذين على العـــــدا ... لة يكثرون من النـــــواح ؟

هل للألى نصحوا بتحـــــقيق المساواة انتصـــــاح

ما بالهم لم يوح غيـــــرهمو بالاستبـــــداد واح ؟

فضحت معاملة الجـــــزائر دجلهم أي افتضـــــاح

قالوا : العدالة بنت مـــــاء السين ، قلنا : من سفـــاح

أئذا غزا النازي فرنـــــسا لا تكف عن النّبـــــاح ؟

لكن من يغزو الجـــــزائر ما عليه من جُنـــــاح [2]

(١) المصدر السابق ، ص ٦٧٨ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٦٧٩ وتاليتها .

ثم يشـــير إلى أن مـــا تحقق من نصر للجزائر يعد نصرًا للبلاد العربية قاطبة وليس للجزائر وحدها :

للعُرْب أجمع قد تحقـــــــــــ ـــــق ذلك النصر المتــــاح

وطن العروبة ليس للـــــــــــ ـــــراعين بالكلأ المبـــاح [1]

٤ – نكبة أجادير :

من الدلالات الأكيدة على حب الشاعر لوطنه العربي الكبير وقوفه إلى جانب إخوانه العرب في محنهم ونكباتهم ، ومن ذلك وصفه للزلزال الشنيع الذي دمر مدينة (أجادير) المغربية سنة (١٩٥٩م) وقد هز ذلك الزلزال نفس شاعرنا فوقف يصف ما تعرضت له تلك المدينة من أبشع أنواع الدمار ، ويجسد تلك الفاجعة في صور موحية تشع بالمعاناة والإحساس المرير لما أصاب تلك المدينة الواقعة على الشاطئ الأندلسي :

ودون "أجادير" خطب يُصِــمُّ وَيشغَلُ طارقه بالهــــــــــا

"أجادير" هل حان يوم النشور وزلزلت الأرض زلزالهـــا ؟

وهل بعث الله من في القبــور وأخرجت الأرض أثقالهـــا

عروسُ المدائن ماذا دهاهـــا بليل فمزق أوصالهــــــا ؟

وأرَّق بالهمِّ أسحارهـــــــا وجلَّل بالغيم آصالهـــا ؟ [2]

ثم يصف هول المنظر الذي أحدثه الزلزال من موت وتشريد وتدمير :

تهاوت منازلها معــــــولات فرددت البيد إعوالهــــــا

و لم يفلت الموت شبابهـــا و لم يعتق الموت كهالهـــا

و لم يرهب الموت أُسد الشرى فغال الأسود و أشبالهـــا

و لم يرحم الموت ذات ســوار قضت وهي تحضن أطفالهـا

تود لو أن رسول المنايـــا ترفق بالطفل واغتالهـــا [3]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٨٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٥٩ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٦٠ .

ويلجأ الشاعر إلى ربه ويعترف بأن ذلك مقدر في علم الغيب ، وأن له في ذلك حكمة ربانية ، ويطلب من الله الرحمة والشفقة على عباده :

تباركت ربي ! برأت النفوس وقدَّرت في الغيب آجالهـــا "
وكم لك في الكون من حكمة عن العقل أحكمت أقفالهـــا
حنانيك ربي ! تفشَّى الدَّمـــارُ على الأرض واجتاح نُزَّالها !
تشقَّقت الأرض عن جِنِّهـــا وساقت إلى الأنس أغوالها (١)

ويستنجد الشاعر بإخوانه العرب لإغاثة "أجادير" وأن يقدموا لأهلها المساعدة والعون من خلال تبرعهم بالأموال والإعمار والأطباء :

"أجاديرُ" راع الوجود أساهـــا ونال العروبة ما نالهـــــا !
ألا في سبيل العروبة بـــــانٍ يقوِّم بالفن ميَّالهــــــــا !
وكف طبيبٍ تكف دمـــاءً بنيها ، وتحقن سيالهـــا !
ومال يجود به أريحـــــيٌّ على أسرة فقدت مالهـــا !
فآلُ " أجادير " إخواننـــــا بأرواحنا نفتدي آلهـــــا (٢)

والحقيقة أن تلك القصيدة ما هي إلا صورة لنفسية شاعرنا الحزينة ، وقد ساعدتنا كـــثيراً على كشف هويته القومية العربية في ظل هذا التوتر النفسي والشعور الانفعالي لما حل بإخوانه العرب في مدينة أجادير .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٢) السابق ، ص ٣٦٠ .

المناسبات الاجتماعية

أولاً : الشاعرُ والعلاقات الإنسانية :

أ – المدح :

يُعَـــدُّ المدح من العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تربط الشاعر بطبقات مجتمعه عـــلى كافة المستويات ، إذ يرمزُ إلى المحبة والاحترام من قبل ذلك الشاعر . والمديح عند النقاد من أهم الأغراض الشعـــــرية وأبرزها شيوعًا وانتشاراً في أدبنا العربي ووجـــد له قبولاً وصدىَ عند الشعراء الأقدمين والمحدثين . وقد عدَّه بعض النقاد القدامى من أركان الشعر الأربعة وهي " المدح" ، والهجاءُ ، والنسيب ، والرِّثا " [1] . وباعث المدح عندهم (الرَّغـــبة) " فمع الرغبة يكون المدح والشكر" [2] وللمدح أقسامٌ " بحسب الممدوحين من أصناف الناس في الارتفاع والاتّضاع ، وضروب الصناعات ، والتَّبدي والتّحضّر". [3]

وإذا تصـــفحنا ديـــوان غنيم وجدناه قد مدح الممدوح حسب طبقته الاجتماعية ووظيفـــته في الحـــياة . فـــنراه يمـــدح الطبقة الحاكمة في مصر ، أو مايطلق عليهم اليوم بـــــ(صُـــنّاع القرار) ويمدح الوزراء والرِّجال العظماء ، كما أنه مدح الأدباء من شعراء وكُـــتّاب، وأخـــيراً نجـــده يمدح الأصدقاء والزملاء كلاً بحسب وظيفته ومترلته ومكانته الاجتماعـــية فـــأثنى علـــيهم وعدّد مناقبهم وآثارهم العظيمة ، وأبرز جهودهم وأعمالهم للمجتمع .

ومدْحُ غنيمٍ عامة قد يكون نابعًا من محبة صادقة لذلك الممدوح ، وقد يكون من طرف اللسان رغبة منه في تحقيق مصلحةٍ خاصةٍ أو منفعةٍ عامةٍ لصالح مجتمعه .

وغنيم قد تناول في مدحه سائر الطبقات فها هو يمدح الطبقة الحاكمة وأقصدُ بها مـــدحَ مـــن كان على رأس السلطة المصرية وقتئذ ، وأبرز الشخصيات التي مدحها غنيمٌ شخصـــية الملـــك (فاروق) الذي حظي بنصيبٍ وافرٍ من مدائحه . فقد هنّأه بالحكم في قصـــيدته (مبايعة الملك فاروق) التي يبلغ عدد أبياتها واحداً وستين بيتًا ، وقد مرَّت معنا

---

(١) ابن رشيق : العمدة . ١٢٠/١ .

(٢) السابق ، ١٢٠/١ .

(٣) ابن جعفر ، قدامة : نقد الشعر ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د.ت) ، ص ٨٢ .

مســبقًا في المناسبات الوطنية . أمَّا المناسبة الأخرى التي هنأه فيها فقد كانت في يوم عيد (ميلاده) ويبلغ عددُ أبياتها اثنين وستين بيتًا . انظر إليه وهو يصف يومَ ولادته : فهو يومٌ أغرُّ ساطعٌ قد أعار الشمس بعض سطوعه وضيائه ، يومٌ قد انفرد عن غيره من الأيام بالمجد والسلام والصدارة :

يومُ أعار الشمسَ بعض أياتِـــــه ... روت النجومُ الزهرُ عن آياتـــــه
أحنى له التاريخ مفرِق رأســـــه ... وأحلَّه في الصَّدر من صفحاتـــــه
يومٌ تفرّد في الزمان بمجـــــده ... كتفرُّد الفاروق بين لداتـــــه
يا يوم مولده ، تعال مبشـــــرًا ... ضلَّ السلام من الآنام ، فهاتـــــه
يا يوم مولده طلعتَ بكوكـــــب ... ما انشقت الأبراجُ عن هالاتـــــه
وجلوت للدنيا مُحيّاً ناضـــــرًا ... تتميَّز الأحداق في قسماتـــــه [1]

ثم يتحدث عن صلاح الملك فاروق ويجعله (حامياً للإسلام) ويسبغ عليه صفات الـــتقوى والصلاح ، والمحافظة على الصلاة ، ويشير إلى قُدسية موكبه وخشوعه وهو غاد للصلاة ، وكأنه موكبُ عمرَ بنِ الخطاب (الفاروق) :

ملكٌ إذا الإسلامُ عدَّ حُماتـــــه ... كان الطليعة في صفوف حماتـــــه
نورُ الصّلاح يشيع في قسماتـــــه ... والشعبُ يُسعده صلاحُ ولاتـــــه
إنَّ القساورَ في المغاور تتقـــــي ... من يتقي الرحمنَ حقَّ تقاتـــــه
من يَرَض ربُّ العرش في ملكوتـــه ... عنه ، تفانى الناس في مرضاتـــــه
الله أكبر ! هل بصُرت بركبـــــه ... يمشي الهوينى غادياً لصلاتـــــه ؟
والشعب يدعو الله خلفَ ركابـــه ... حتى يهزَّ العرش من دعواتـــــه
فكأنه فاروقُ يثربَ نفسُـــــهُ ... يسعى بموكبه إلى جُمعاتـــــه [2]

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٠٧ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٩ .

وفي نهايـــة القصــــيدة يترجم الشاعرُ مشاعرُ الحب والولاء والود للملك فاروق ، ويزيد في مدحه حتى يجعله حامي النيل وراعيه وملاذه وقت الشدائد :

فاروق ، لو فتّشت بين قلوبنـــــا ... لم تلقَ قلبًا لستَ في طيّاتـــــــــــه

لا قلبَ إلاَّ أحرفُ اسمك لحُنُــــــهُ ... إن دقَّ ، رتَّلهُنَّ في دقاتـــــــــــه

إن كان وادي النيل ينبتُ عسجـــدًا ... فلأنت يا فاروقُ ، خيرُ نباتـــــــه

مازلت ترعاه بمقلة ساهـــــــــــر ... يقظٍ ، ويغرق في لذيذ سباتـــــه

فإذا شكا واديك ، كنت مـــــلاذه ... وإذا بكى ، كفكفت مِن عبراتــه [1]

وعندما تزوج الملك (فاروق) وزُفَّت إليه عرسُه ، كان الشاعرُ أول المهنئين لـــه ، فـــراح يصـــف فرحة مصرَ بذلك اليوم وكأنه يوم قد جُمعت فيه أعيادُ مصر كلها كعيد الفطر والأضحى والنيروز والميلاد . انظر إليه وهو يرسم هذه الفرحة التي عمّت الأرجاء :

طربت لعُرسك مصرُ ، يا ابن فـؤادِ ... فكأن عرسَك ملتقى الأعيــــــــــاد

بالفطر ، والأضحى الكنانةُ تحتفـــي ... فيه ، وبالنيروز ، والميـــــــــــلاد

في كلِّ قلبٍ مهرجانٌ قائــــــــمٌ ... وبكلِّ أُذْنٍ قام يهتف شــــــــــــاد

ملك قد اقترن السرورُ بعهـــــــده ... فكأنما كانا على ميعـــــــــــاد [2]

ثم يصف ليل زواجه وقد اكتست الظلمة نورًا متوهجًا مستمدًا من أضواء الزينات وتوهج المصابيح :

أوَ ما ترى قلب الدُّجى متوهِّجًـــــا ... يحكي فواد الصبِّ يومَ بعـــــــاد ؟

نُقشت حواشي الليل نقشُ صحيفـــةٍ ... بالنور ، لا بيراعةٍ ومـــــــــــداد

لم تبد أنجمه لترسل ضوءَهـــــــا ... لكن لتشهده من الشّهـــــــاد [3]

ويسترسل في مدح الملك ويطلق عليه لقب (ثالث العُمَرين) ويعني أبا بكر وعُمرَ عـــلى ســـبيل التغليب ، ويصفه بـــ(الزهد) ، ويأمل منه أن يكون القدوة المثلى للذين

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٢) السابق ، ص ٢١١ .

(٣) السابق ، ص ٢١١ .

حرصوا على الدنيا وملذاتها ، فيهتدي بهديه مَنْ ضلَّ وانحرف من الناس :

يا ثالث العُمرين ، أنت أريتنــــا	بالعين ما يُروى عن الزُّهّـــــاد
قد جئت في جيلٍ يُصلّي جاهـــدًا	ويصومُ ، لا لله ، بل للـــــزّاد
حرصوا على الدنيا . وكلُّ جديـدة	تبلى ، وكلُّ ذخيرة لنفـــــاد
فلعل أنفسهم بهديك تهتـــــدي	فتروجَ سوقُ الروح بعد كســاد [1]

ويســبغ عليه مرّة أخرى الصفات الدينية الجليلة فهو (عمادُ الدين) الذي يقوم علــيه وينهض به ويرى فيه مرة أخرى (خليفة المسلمين) الذي سيعيد الخلافة الإسلامية إلى ما كانت عليه في عهد بني أمية وبني العباس :

وهي الحنيفةُ : دين كل حضــارة	وعدالة ، وهداية ، ورشـــاد
شاء المهيمنُ أن تكون عمادهــا	ما كان يتركها بغير عمـــاد
اختلت في بُرد الزّفاف ، وفي غـد	تختال في بُرد النبي الهـــادي
إنَّ الخلافة كلما ذكر اسمهــا	شخصت إليك حواضرُ ، وبــواد
من ذا سواك يعيدُ عهد أميـــة	بدمشقَ والعباسِ في بغــداد [2]

ومــن الأمــور الغريبة في مدح غنيمٍ ما يسمى بــ(المفارقات) في مدحه فنجده خلال حكم الملك (فاروق) متعلقاً به يرى فيه الخليفة المصلح والقائد العظيم ، ويمدحه بــأجلِّ الصفات وأعظمها ، وما أن تقوم الثورة ويُخْلع الملك فاروق حتى نراه ينقم عليه ويصــف عهده بالظلم ، ويصفه بالملك المستبد الطاغية . الذي كان يتستر وراء الصلاح والتقوى . انظر إليه وهو يطلق عليه صفات التقوى والصلاح والزهد :

ملك يتوج مفرقيه بالتقـــى	نورُ الصلاح عليه أبلجُ ، بــاد
عجبي له يخشى الزمانُ نَزَالــه	وعليه تبدو خشيةُ العُبّـــاد [3]

ثم ينقم عليه بعد الثورة ويعترف بملء فمه قائلاً : إن مدحه لم يكن في مكانه فكم

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) السابق ، ص ٢١٣ .

(٣) السابق ، ص ٢١٤ .

ألبسه من الصفات مالا يستحق ، ويعللُّ بأن ذلك المدحَ إنما كان لأجل الإصلاح والنصح والإرشاد والتوجيه :

الكــلُّ يــثني عــلى آلائــه كذبــاً ... ويُنشــيءُ المــدحَ فــيه غــير مُعتقِدِ
كم كنت أضحك من نفسي وأضْحكها ... إذ أُلْــبسُ الــبومَ ريــش الطائر الغَرِدِ
كــم قلــتُ لليل : أنت الصبحُ مؤتلقا ... وقلــتُ للــدُّب : أنت الليثُ ذو اللِّبَدِ
اســتغفر الله ! لــيس المينُ من شيمي ... ولــيس شعري سوى مادار في خلدي
لكــن مــن المدح نصح خف مسمعه ... عــلى الطُّغــاة وتوجــيه إلى الرشــدِ
كم من شحيحٍ تساخت أو سخت يدهُ ... إنْ أنــت شبهته بالبحر ذي الزَّبدِ [1]

وربمــا كان لتأثير المتنبي وأحمد شوقي دورُ كبير في نفس الشاعر وإبداعه والسير على منهجيهما في غرض المدح .

وإذا كــان غنــيمٌ مدح الملك (فاروق) وأثنى عليه ، فإنه قد أُعجب بشخصية رئاســية أخــرى في الدولــة عقــب قــيام الــثورة ألا وهي شخصية الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) الذي تولى رئاسة مصر عقب الإطاحة بفاروق وإعلان الجمهورية .

و لم يترك الشاعر حدثًا سياسيًا ولا وطنيًا في عهد جمال إلا وذكره وأثنى فيه على الرئيس .

فعــندما تحقق (الجلاءُ) والاستقلال لمصر ، نجده يقتنص مناسبة الحدث ويمدح الرئــيس الذي سعى لتحقيق الاستقلال ويشبهه بــ(عيسى) المسيح الذي يترل في آخر الزمان ويقضي على المسيخ الدجال ، ويصفه بــ(بطل الجلاء) :

بطــلَ الجلاء ، لأنت في هذا الحمى ... عيســى الــذي يقضي على دَجَّاله
علَّمتــــنا أن الثـــبات تمـــيمةٌ ... في الــردع تــنجي المرءَ من أغواله
مــا كــان رامــيك الأثيمُ بطائشٍ ... لكــن ثــباتُك كــان ســرَّ خباله
مــا أنت في الوادي ؟ أبعضُ رجاله ... أم أنــت بعــض تِلاله وجباله ؟ [2]

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٥ .

وعندما أُعلنت الجمهورية يتوجه بخطابه لـ(جمال) يَنشده العدل والرشاد ،ويأمل منه أن يستلَّ السخائم من القلوب كالحقد والحسد الدفين ، وأنْ يرفق بالجيل الصّاعد ، ويوفر لهم العيش الناعمَ والحياة الهادئة ، وأن يوحِّد الرأي بين أبناء الوطن الواحد ، ويدعوه أن يتسلح بسلاح الخُلق والدين والعلم ، حتى يسود العدل ويزول الاستبداد :

جمالُ ، أدمى الطريقُ الحَزْنُ أَرجُلَنا ... فسر بنا في الطريق اللاَّحب الجددِ

سُلَّ السخائم ، من بعض النفوس ، فلا ... أضرَّ من خصلتين : الحقد ، والحسد

وارفُق بجيل قضى أيامه شظفاً ... فبات يحلم بعد الضيق بالرَّغدِ

ووحدِ الرأيَ ، كم أزرى الخلاف بنا ... لا يدرك المجد شعبٌ غير متحد !

ودرِّع الشعب إنْ خطبٌ ألّم به ... درعاً من الخلق ، لا درعاً من الزَّرد

الدِّينُ أقومُ ما سُست الأمور به ... والعلمُ أفضل ما أعددت من عُدد[1]

وقد تغنّ الشاعرُ بشخصية جمال وأشاد بها واستوحاها في كثير من أشعاره . انظر إليه وهو يمدح جمالاً بهذه القصيدة التي كتبها على إحدى صور الرئيس المعلقة معبرًا فيها عن روحه الوطنية الصادقة مستشعرًا فيها شخصية الزعيم العربي الذي يمثلُ العروبة ويحمي حماها :

جمالُ ، رسُمك في لوحٍ نقشْناه ... لكنَّ صاحبَه في الصّدر مأواهُ

للحقِّ نورٌ تجلىّ حول جبهته ... وللذكاءِ شُعاعٌ في مُحيَّاهُ

إن لاح للنيل ، حيَّته الشواطيءُ ، أو ... للصخر من جانب الأهرامِ ، حيَّاه

إنَّ العروبة تدري أنَّ صاحبهُ ... يرعى حماها وعينُ الله ترعاه

رسمٌ ترى الشرق طرّا في ملامحه ... الشرقُ لفظٌ ، وهذا الرّسم معناهُ [2]

ولا أريد أن أطيل في مقام مدح الرئيس جمال لأنَّ ما كتب عن الثورة وأحداثها في المناسبات الوطنية كان يخص شخصية جمال ، فالشاعرُ لا يذكر حدثًا وطنيًا إلاَّ ويستوحي فيه شخصية ذلك الرئيس العربي الشجاع .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣٤١ .

وإذا كان الشاعرُ قد مدح أصحاب الكلمة من طبقة الحكام في مصر وأثنى عليهم ، فإنه قد مدح عددًا من الوزراء المعنيين في الدولة إما من أجل التقرب منهم والتودد إليهم أو لعـرض قضـية عامة لديهم عن طريق تهنئة شعرية تقام في مناسبة خاصة . ، وأكثر الوزراء الذين مدحهم كانوا ممن تولوا وزارة المعارف (التربية والتعليم) بحكم قربه منهم لكونه معلمًا للغة العربية في بداية الأمر ، ثم مفتشًا لها في الوزارة .

فمـن الـوزراء المصـريين الذين مدحهم والتصق بهم ، الوزير الأديب (إبراهيم دسـوقي أباظة) الذي ينتسب إلى الأسرة (الأباظية) التي تغنى الشاعر بها ومدح أعيانها والتصق بهم في كثير من المناسبات . ففي قصيدته (تهنئة بوسام) يهنيء الشاعر الوزير قبل الـثورة وقـبل إلغاء الرتب والألقاب بحصوله على (الباشوية) التي ترمز إلى المجد والعلا والرفعة والتي لا ينالها إلاّ السادة الأمجاد :

خَطَـرَتْ بغُصـن قوامهـا المـيّاد ... تختـالُ في وشْـيٍ مـن الأبـراد
حسـناءُ مـن رُتَـبِ العلا والمجد ، لا ... تُهـدى لغـير السـادة الأمجاد [1]

ثم يشـير إلى أن هذه الرتبة (الباشوية) لم يسع إليها جاهدًا وإنما أتت إليه منقادةً طائعة :

شقَّـتْ صفوف المعجبين بحسنها ... وسـعت إلـيك بخطوها المتهادي
مـا كنـت مـن خُطَّابهـا ، لكنها ... كانـت لإبراهـيم بالمرصـاد [2]

وهذا اللقب الرفيعُ الذي التصق باسم الوزير الأباظي ليس بغريب عليه فهو ملازم لـه كملازمـة الغناء لرَنَّة الأعواد ، بل إن الألقاب الرفيعة تزهو حوله وتتباهى بمقارنته ، وهـي رتـبةٌ يسـتحقها الوزير نظرًا لجهوده وعطائه ، فالرتب العالية لا تعطى للخامل الكسول ، وإنما تكون وسامًا تقديريًا لأصحاب النباهة والعطاء :

لقـبٌ رفيعٌ ، قارن اسمك مثلما ... قُـرن الغـناء بـرنة الأعـواد
بمقـامك الألقـاب تـزهو ، مثـلما ... تزهـو العقود بنضرة الأجياد

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٢٠ .

مـــا أجمـــل الرتـــبَ الرفـــيعةَ موقعًا ... في الـــنفس إذ تُهدى إلى الأنداد !

لا تـــرفعُ الرُّتـــبُ الرّفـــيعةُ خـــاملا ... كم من وسامٍ فوق صدر جماد ! [1]

ثم يمـــدح ممدوحه بطيب الخلق ، وصفاء النفس ، وهمة الأبطال ، وعدم اغتراره بعـــراقة بيـــته ، وحســـب أسرته الأصيلة ، وأن ما حققه من مجد وسيادة يرجع إلى همته وعصاميته ، فبأخلاقه أحبه الناس ، وبتواضعه وعفويته أتى إليه طالبوه ، دونما استئذان من حُجّاب أو أجناد :

أقســـمتُ ، مـــازانَ الوسام كوجهه ... وكصـــدره الخـــالي مـــن الأحقـــاد

خُلـــقٌ أَرقُّ مـــن النســـيم ، وهمـــةٌ ... عـــند النضـــال كهمـــة الآســـاد

لم تُـــزْههِ يومـــاً عـــراقةُ بيـــته ... ولـــوَ أنـــه أرســـى مـــن الأطـــواد

مـــا ســـاد بالحســـب العريق ، وإنما ... نـــزع الســـيادة بعـــد طول جهاد

هـــذا العصـــاميُّ العظـــاميُّ الـــذي ... أكـــبرت فـــيه تقـــابل الأضـــداد

نجـــمٌ يقـــربه تواضـــع نفســـه ... فـــتخاله فـــردًا مـــن الأفـــراد

مـــن راح يقـــرعُ بابـــه ، لم يثـــنه ... جـــيشٌ مـــن الحجَّاب والأجناد [2]

وفي ختام القصيدة يثني الشاعر على الأسرة (الأباظية) ويشير إلى ما تميزت به من رفعـــة عالـــية ، ومكانـــة مرموقة في اللغة والأدب وذلك بفضل من أنجبتهم من الشعراء والفحول والكتّاب المرموقين ، الذين جعلوا من بيوتهم صوالين ثقافية ، وأندية أدبية يلجها الشعراء والكتاب والمثقفون :

يـــا آل إبراهـــيم ، إن المجـــد في ... أبـــياتكم كالمـــاءِ ، أو كالـــزاد

إني أرى الأدبَ الرَّفـــيع شـــعاركم ... أنـــتم ، لعمـــر الله ، فخـــرُ الضاد

كـــم شـــاعرٍ فـــيكم كشاعر كندةٍ ... ما غاب عن (خلف) ، وعن حماد[3]

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٠.

(٢) السابق ، ص٢٢١.

(٣) السابق ، ص٢٢١

وله في الوزير قصائد أخرى جميلة تمشي على هذا النسق من المدح كقصيدة (ظل الحكم) وقصـــيدة (بحر ، وبحر) التي تتضح فيها علاقة الشاعر بالدسوقي الوزير الأديب الذي كـــان يحـــتفي بالأدباء ويكرمهم حتى لقب بـــ(أبي الأدباء) وكان " صاحب المدرسة الأدبية الحديثة التي تسمى [جماعة أدباء العروبة] " (١)

ومـــن الـــوزراء الأدباء الذين مدحهم شاعرنا عميد الأدب العربي الدكتور : طه حســـين ، الـــذي كان وزيراً للمعارف المصرية سنة (١٩٥٠م) . وذلك في حفلٍ أقامه المعـــلمون بناديهم تكريماً له . فيتمنى في بداية قصيدته (تحية العميد) أن يعود المتنبي مرة أخرى فيصوغ قصائده في ابن العميد ، لأنه كان يرى الموقف صعباً بالنسبة له ، ولكنه مع ذلـــك شـــاعر يمدح كاتباً والمتنبي شاعر يمدح كاتباً فالأمر سواء . ولكن لا موازنة بين ممدوحين فعميدُ الأدب أجل قدرًا وأدبًا من ابن العميد الكاتب :

أعـــد ، يـــا شـــعرُ أحمد ،من جديدٍ ... يصـــوغُ ثـــناءهُ في ابـــن العمـــيد
وأقســـمُ ، مـــا رفعـــتُ بـــذاك طه ... فـــأين ابـــنُ العميد من العميد ؟ (٢)

ثم يتوجه إلى ممدوحه فيضفي عليه لقبَ (وزير الدولتين) العلم والأدب ، ويعتذر الشـــاعرُ عـــن تقصيره في شعره وأدبه لأنه يُحلّق في مملكة العلم والأدب التي يتزعمها طه حسين فهو أمير للقول ، عاهلٌ للفصحى ، فكيف يتأتى لغنيمٍ أن يطير في رياضها ولكن يكفيه أن يكون جندياً من بعض جنوده في اللغة والأدب :

وزيـــرَ الدولـــتين ، إلـــيك أُزجـــي ... نشـــيدي ، ماعسى يُجدي نشيدي ؟
أمـــيرُ القـــول أنت ، فكيف أسعى ... إلى الـــلآلِ بـــالدرِّ الفـــريد
ومـــا أنـــأى سمـــاءَك عـــن جناحي ... ومـــا أغـــنى رياضـــك عن ورودي
لـــئن تـــك عاهلَ الفصحى المفدى ... فحســـبي : أنـــني بعـــضُ الجنود (٣)

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ١٩١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٣٧ .

(٣) السابق ، ص ٥٣٧ .

ثم يعـــدد بعضًا من مناقب الوزير الفاضلة كدعوته إلى مجّانية التعليم وإلغاء الرسوم الدراسية التي كانت عبئًا على الفقراء والمحتاجين :

ومـــثلك مـــن محـــا الطـــبقات محواً | ومـــن ســـاوى المسَّـــودُ بالمســـود
نشـــيد بذكـــر أقـــوامٍ فـــيعلو | وتُعـــلى أنـــت مـــن قدر المُشيد [1]

ويصف فرحة المعلمين في ذلك اليوم الذي أُعلن فيه تولي طه حسين زمام الوزارة فكـــم مـــن عين بكت من السرور ابتهاجا وفرحا بذلك اليوم الأغرّ الذي صار يوم عيد للوزارة ، وذلك لما لطه من خبرة واسعة في قضايا التعليم ، وفي إيجاد الحلول للمشكلات التي تقف عقبة في وجه المعلمين :

ولمـــاّ أنْ وليـــت الأمـــرَ ، قـــرَّت | عـــيون لم تـــذُق طعـــم الهجـــود
وهـــنأ بعضـــنا بعضـــاً ، كأنّـــا | تبادلـــنا الـــتهانيء يـــوم عـــيد
وقلـــنا : جـــاء حـــلال القضـــايا | ومقـــتحم الحواجـــز والسُّـــدود
ومـــن أمســـىله طـــه ظهـــيراً | فقـــد آوى إلى ركـــن شـــديد [2]

ثم يعدد بعض الصفات الكريمة التي يتحلى بها ذلك الوزير ومنها (الإباء ، الكرامة ، عِـــزَّة الـــنفس ، حب الرفعة ، الشموخ) وهي من الصفات التقليدية في غرض المدح العربي :

طُبعـــت عـــلى الإبـــاء ، فكن ولياً | عـــلى شـــمٍّ أُبـــاة الضـــيم صِـــيد
تلقيـــنا الكـــرامة عـــنك درســـاً | ومـــا أقســـاه مـــن درس مفـــيد
لقـــد عرفـــتك مصـــرُ أعـــزَّ نفساً | إذا هـــان الـــورى هـــون العبـــيد
وأرفـــعَ أهـــلها هامـــاً إذا مـــا | تقوّســـت الظهـــورُ مـــن السجود
وأشمـــخَ أهـــلها أنفـــاً إذا مـــا | تمرَّغـــت الأنـــوفُ على الصعيد [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .
(٢) السابق ، ص ٥٣٩ .
(٣) السابق ، ص ٥٣٩ .

ولا ينسى الشاعر أن يصف قلم ذلك الوزير بأسلوبه في كتاباته الذي كأنه وحي جديـــد يهبط من السماء فيضيء من خلاله أرجاء الفكر وقت المحن فهو قوي لاذع كأنه سيفٌ قاطعٌ :

لـــــك القلم الذي إن مسّ طرساً	حســبنا الوحـــي يهـــبط من جديد
إذا لــيلُ الخطـــوب دَجـــا دجـــاهُ	أضـــاءَ بأحـــرف كالليـــل ســـود
قصـــيرُ حـــين تشـــبره ، ويـــرمي	فـــيدركُ غايـــة الشَّـــأو البعـــيد
إذا هـــو ثـــار فـــوق الطـــرس يوماً	فقل : يا أرض — ويحك — لا تميدي
لـــه مـــن غـــير فحـــش قارصاتٌ	كأطـــراف الأســـنة في الجلـــود
أحـــدُّ مـــن الظـــبا وقعًـــا ، وأندى	عـــلى الأكـــباد مـــن ماءٍ برود [1]

وفي قصيدته الأخرى (أسماؤهم رتب) التي بعث بها إلى طه حسين حينما أخطأته رتبة (الباشوية) في العصر الماضي ، يذكر الشاعر أن أدبه وفضله وألقابه تغنيه عن ذلك اللقـــب وتفوقـــه ؛ بل وتطغى عليه . انظر إليه وهو يعبر عن ذلك المعنى متخذًا من اسم (طه) أغنية ورمزًا لمعاني المجد والشرف :

طـــهَ . ولاسمـــكَ مـــن حرفـــيه أُغنيةٌ	تُوحـــي بكـــلِّ معـــاني المجـــد والحسبِ
مـــن كـــان مـــثلك ، لم ينهض به لقب	لكـــنَّ محـــض اسمـــه يطغى على اللَّقبِ
حـــرفانِ خفَّـــا عـــلى الأسماع وانطبعا	على القلوب ، وهزَّ الشرق من طرب [2]

ثم يـــبالغ في مـــدح ذلك الوزير ويرى أن الغايات والمقاصد والحاجات تسعى إليه وتأتيه طائعة إذا سعى إليها غيره ، ومادام الأمر كذلك فإن هذا اللقب سوف يأتي إليه منقاداً :

مـــن كـــان يســـعى إلى الغايات يطلُبها	فقد سعت خلفك الغايات في الطلب [3]

ومع أن غنيمًا كان يعيب على طه حسين هجومه على القديم حينما كان طالبًا ، إلاَّ أننا نراه هنا يشيد بأدبه حين أصبح في يوم من الأيام معلِّما ضمن معلمي وزارته فيعلي من شأنه ويجعله ناهضًا بالأدب باعثًا له في زمن كسد فيه الشعر واغترب فيه الشعراء ، ثم

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٢) السابق ، ص ٥٤٢ .

(٣) السابق ، ص ٥٤٢ .

يعلنها بصراحة وثقةٍ زائدة أنَّ الأدباء راضون بالوضع الرَاهن للأدب على مافيه من مشاق ومتاعب بفضل جهوده وتفانيه :

يـــا مُـــنهض الأدب المهضوم في زمنٍ	تعـــيشُ فـــيه القـــوافي عيش مغترب
وباعـــث الـــروح في أجساد صائبةٍ	لايؤمـــنون بغـــير القـــوت والذهب
الـــيوم كـــل أديـــب عـــن صناعته	راضٍ ، وما كان أشقى حرفة الأدب!
الضـــادُ تعـــتز — ياطه — إذا ذَكرت	ماضَـــمَّ بيـــنكما من لُحمة النسب
إنَّ الشـــعوب إذا أدلـــت بحجَّـــتها	فأبلغت ، كان طه حُجَّةَ العـــرب [1]

والحقـــيقة أنني من خلال قراءتي للقصيدة السابقة تبين أنَّ العميدَ كان أغنيةً جميلةً ومادة غنيةً أمدت غنيماً بالمعاني والأفكار ، فهو شخصية أدبية تستحق الإعجاب والتقدير نظراً لما بذله من جهود مضنية في الأدب والفكر والتربية والتعليم ، ولولا جهوده الجبارة مالُقِّب بـــ(عميد الأدب العربي).

و لم تقتصـــر مدائحه وتهانيه على وزراء مصر فقط ، بل امتدت أيادي المدح إلى بعض وزراء الدول العربية الشقيقة إما تهنئة في حفل تكريم مثلاً ، و إما كلمة شكر تقديرًا لمعروف أسداه الممدوح للشاعر . فهذا وزير خارجية (ليبيا) الأستاذ : صالح مسعود الذي أســـدى للشاعر خدمة جليلة وهي دعوته للحج عام (١٩٦٨م) خاصة وأن ظروف الحج كانـــت صـــعبة في ذلـــك الوقت فلم يكن يقوم به إلا الغني المقتدر . فنراه يبدأ قصيدته بالدعوة لذلك الوزير بأن يحفظه الله ، ويرعاه ، ويديمه على شهامته ومعروفه :

حفـــــظ الله صـــــالحاً وأدامـــــه	ماعدته — ولا عداها — الشهامه [2]

ثم يـــبدأ في إضفاء الصفات الحميدة على ذلك الوزير الصالح فهو عربي من الطراز الأول القديم الذين تتباهى بهم قبائل نجدٍ وتهامة ، بل هو مفخرة لليبيا وللشرق أجمع ، لعلو همته ، وحسن طبعه ، وأريحية نفسه ، وإتباعه القول بالفعل :

عـــربيٌ عـــلى مُحـــيَّاهُ تـــبدو	مـــن سمـــات العُرْب الأوالي علامه
لـــيس مـــن نجـــدٍ ، أو تهامة ، لكن	تتـــباهى نجـــد بـــه ، وتهامـــه

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٠ .

بـــل بأمـــثال صـــالح يـــتحدى شـــعب ليبـــيا ، ويرفع الشرق هامه

إنمـــــا صـــــالحٌ بقـــــية قـــــومٍ بالمعـــــالي نفوســـــهم مســـــتهامه

يصـــنعون الجمـــيل طبعًا ، وإن هم لم يُـــثابوا علـــيه يـــوم القـــيامه

أريحـــــيٌّ ؛ يكـــــاد يمـــــنح أرْبـــــا ب الخطايـــا صـــلاتَهُ ، وصـــيامه

يتـــبعُ القـــولَ بالفعـــال ، وكم من قـــاتلٍ تـــنقُص الفعـــال كلامه [1]

ولا يتوقف شاعرنا عند هذا الحد في تمجيد الوزير وإطرائه ، بل يجعله يتفوق على (حاتم الطائي ، وكعب بن آمة) اللذين يضرب بهما المثل في السماحة والجود ، وذلك لما قـــام به من إحسان عظيم يتمثل في دعوة الشاعر إلى الحج الأكبر والوقوف بعرفة وزيارة المصـــطفى ، وفي آخـــر الختام يدعو الشاعر لذلك الوزير الصالح بالسلامة والعافية ، وأن يكتب الله له الأجر والمثوبة :

يـــا ابـــن مســـعود ، قد أتيت بما لم يـــرو عـــن حـــاتم ، وكعب بن آمه

أنـــت قـــد طـــرت بي إلى عرفاتِ وإلى المصـــطفى ؛ فـــزرت مقامـــه

لـــك ، يا صاح ، نصفُ أجر طوافي ووقـــوفي ، وإن أبيـــت اقتســـامه

أســـأل الله ذا الجـــلال الســـلامة لـــك في كـــلِّ رحلـــة وإقامـــه [2]

والواقـــع أن غنـــيمًا لم يمدح الوزراء وحدهم ، بل مدح المديرين والرؤساء الذين تعاقـــبوا عـــلى رئاسة جماعة دار العلوم ، تلك الدار التي طالما تغنى بها وذكرها في شعره اعـــترافاً ووفـــاءً لدورها الكبير في توجيهه وتعليمه وتثقيفه . فعندما حل الأستاذ : سعد اللبان محل الأستاذ : نجيب حتاته في رئاسة جماعة دار العلوم ، أقيم حفل لتكريمهما يُودع فـــيه الأول ويستقبل فيه الثاني . وكلاهما جديران بذلك المنصب . يقول الشاعر في هذا المعـــنى بعـــد أن فنَّد مقال الحساد الذين رأوا أن الدار بعد حتاته فقيرة بالرجال ، وطلب منهم ألا يشغلوا جذوة الخلاف :

قلـــت : يـــاقومُ ، ويحكم ، إنَّ فينا مـــن حُمـــاة الشـــرى عداد الرِّمال

واستعضـــنا عـــن شبلِ غابٍ بشبلٍ لـــيرى الـــناسُ كـــثرةِ الأشـــبال

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٠ .

صدق الظنُّ في نجيب ، وسعد ... والمواضي تبينُ عند الصِّقال

قد أخذنا عن الرئيسين درسًا ... في سُموٍّ الأخلاق عند النّضال

أخمدوا جذوة الخلاف بخُلْقٍ ... يُطفيء النار كالنمير الزُّلال [1]

فهما رئيسان جليلان ، فالرئيس السابق كان موضع الإجلال والتقدير والوقار تشهد له بذلك جهوده المضنية في خدمة دار العلوم وطلابها ، فقد أسهم وشارك ، ووجه وعلم ، وبذل الغالي والرخيص في تعميرها وبنائها فكم أحبها وعشقها منذ أن كان طالباً إلى أن صار رئيسًا فيها :

قُلْ لمن كرَّموا نجيباً : نجيبٌ ... - قد عرفناه – موضع الإجلال

رجلٌ أنفهُ يزيدُ ارتفاعاً ... إذا تَشَمُّ الثرى أنوفُ الرجال

جدَّ في خدمة الجماعة حتى ... شغلته عن نفسه والآل

ساهرًا في سبيلها ، مستعينًا ... بالنفيسين : وقته ، والمالِ

إن جحدنا جهوده ، شهدت بضـ ... ـع وعشرٌ من السنين الخوالي

إنَّ هذا البناءَ - وهو جمادٌ - ... شارك الناطقين في الاحتفال

فنجيب أطلَّ منه هلالاً ... ثم آوى إليه بعد الكمال [2]

أما الرئيسُ الجديدُ لجماعة دار العلوم الأستاذ : (سعد اللبَّان) فليس بأقل شأناً وقدرًا من خلفه، فقد اختير بالإجماع والتأييد من رجال ثقاةٍ يزنون الكلام بالمثقال وهذا يوجب الاختصار في مدحه ، لأن أعماله في الدار هي التي ستمدحه وتزكيه ، وأن الثقة فيه معقودة وكبيرة وكما أن مهر الحرائر الغيد غالٍ فكذلك مهرُ الدار غالٍ :

إيه ، ياسعدُ ، أحرف اسمك فيهن ... لدار العلوم أطيب فال

أنت ، ياسعدُ ، نلت تأييدَ قومٍ ... يزنون الكلام بالمثقال

فاقبل العُذرَ حين اختصرُ القو ... ل ، ودعني أحكُمْ على الأعمال

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٥٧ .

(٢) السابق ، ص ٥٥٨ .

ثقـةُ الـدار فـيك تطلـب مهـرًا   إنَّ مهـر الحرائـر الغـيد غال [1]

وإذا كان شاعرنا قد مدح الرؤساء والوزراء والمديرين فإنه لم ينس طبقة الأدباء والشعراء ومـن أبـرزهم (طه حسين ، وقد مرَّ معنا ضمن طبقة الوزراء ، وتوفيق الحكيم ، و إبراهـيم نـاجي ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، ومحمد سعيد العريان، وكامل كيلاني ، والشاعر أحمد السقاف ، ومحمد عمر الطوانسي) وهو مدح يقوم على المحبة والاحترام .

ومـن النماذج الشعرية على ذلك ماقاله في مدح (توفيق الحكيم) وذلك عندما منح الرئيس جمال عبد الناصر ، توفيق الحكيم وسامًا تقديرًا لأدبه وتشجيعًا له على ماقدمه من جهود أدبية . فاستغل الشاعر هذه المناسبة ومدح فيها (توفيقًا) بعد أن أثنى على صنيع الرئـيس جمـال الذي يُقدر الأدباء والمفكرين ، ويرد على من هاجم (توفيقًا) في بعض الصـحف الرَّسمية مما أدى إلى تقديم استقالته فكان هذا التكريم والتقدير وسامًا للاعتذار لـه وردًا لاعتباره ، كما ألقى الشاعر اللائمة على من يعيب الأدب والشعر وعدَّ ذلك من قبيح القول وقلة الجهل ، يقول في مدحه ، وتكريم أدبه :

"توفـيق" يهنيك تقديرُ الرئيس ، وإن   تكـن قضـيت حقوق الفنِّ محتسبا
أتقنـت فـنك لم تطلـب به عرضا   ولم تـتاجر بـه في السوق مكتسبا
حـتى سـعى نحـوك التقدير متئدا   ولم تكـن أنـت للـتقدير مرتقـيا
إن المواهـب مثل الطيب لو حبست   في قُمقـمٍ لرأيـنا ريحهـا غلـبا
أنـت الأديـبُ ولم أعثر على لقبٍ   في معجـم المجد يحكي ذلك اللقبا [2]

وللشـاعر قصـيدة بعنوان (ليالي القاهرة) أنشدها في حفل تكريم الشاعر إبراهيم نـاجي بمناسبة ظهور ديوانه " ليالي القاهرة" فاستوحى الشاعر عنوان قصيدته من الديوان نفسـه ، فهـي قصائدٌ تشبه الليالي المضيئة بالأنوار الساطعة إلا أن ليالي الديوان خالدُةٌ والأخرى فانية . وهي ليال قد راقت للقراء وخاصة الشعراء :

ياللـيالي الوضـاءَ   ذاتِ السَّـنا والـرُّواءَ
تـبقى ومالليـالي   وأهلِهـا مـن بَقـاء

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٤٥ .

مـــن كـــل لـــيلة صـــفو	ليســـت بـــذات مســـاء
نـــاجي . ليالـــيك راقـــت	بحُسْـــنها كـــل راء
نالـــت رضـــائي . وطـــوبى	لمـــن يـــنال رضـــائي [1]

ويتابع غنيم تقديره لشعر ناجي فهو سمحٌ غير متكلفٍ ، متسمٌ بالجزالة والرصانة كشعر أبي تمام ، وسهلٌ سلس كشعر البهاء زهير ، فهو يمكن أن يسمى بالسهل الممتع ، ويعترف كذلك بإعجابه بشعر ناجي حتى ذلك الشعر الذي قاله في هجائه ومداعبته :

نـــاجي ، قريضُـــك سمـــحٌ	فـــيه جمـــال الأداء
جـــزلٌ كشـــعر حبيـــبٍ	ســـهلٌ كشـــعر الـــبهاء
وكـــلُّ لفـــظٍ ومعـــنًى	فـــيه كخمـــرٍ ومـــاءِ [2]

وقصائدُ ناجي حورٌ أصيلة كالحرائر من النساء ، وقوافيه كذلك حرةٌ تنأى عن أن تهان وتسام في سوق الإماء :

بـــناتُ فكـــرِك حُـــورٌ	حرائـــرٌ في النِّســـاء
ليســـت بســـوق القـــوافي	تُســـامُ ســـوم الإمـــاء [3]

ثم يمازحه ويداعبه ويجعل شعر ناجي كشعره في الرِّقة والصَّفاءِ ، ويزيد في مداعبته أكـثر عندما يجعله خليفةً له في دولة الشعر ، ويأمره بأن ينهج نهجه ويسير على منواله في نظم القصائد ، حتى يكون جديرًا بحمل اللواء :

لم ألـــقَ غـــيركَ طـــيرًا	مُحلِّقـــًا في سمـــائي
كـــأن شـــعرك شـــعري	في رقَّـــة وصـــفاءِ
أنـــت الخلـــيفةُ بعـــدي	في دولـــةِ الشُّـــعراء
فلـــتحذُ في الشـــعر حـــذوي	ولتغـــترف مـــن إنـــائي
حـــتى تكـــون جديـــرًا	غدًا بحـــمل اللـــواء [4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٦ .

(٢) السابق ، ص٥٤٧.

(٣) السابق ، ص٥٤٧.

(٤) السابق،ص٥٤٧.

والحـــق أن هـــذه القصيدة ليست مدحًا للمثالية الخلقية للممدوح وإنما هي مدح وإطراء وتكــريم لشـــعره وشاعريته المبدعة التي استطاعت أن تحلق في سماء الشعر ودولته . ولأن غنيما يتمتع بهذه الروح الطيبة والحسنة بالنسبة لجميع الفئات والطبقات فإنه لم يبخل على أصـــدقائه بالمدح والثناء فمرة يشكر هذا وتارة يهنئ ذاك . وهذه كلمة تقدير وإعجاب يبعث بها إلى صديقه القاضي (محمود عيسى) الذي يعمل محاميًا في ساحة العدل والقضاء ، فهو محامٍ يعمل دائبًا لإظهار الحق والعدل ، مؤيدًا مرافعاته بحجج قوية وبيان عذب :

أنـــت لـــلحق أنـــت ، خـــير طريق ... يـــا ابـــن عيسى ، وأنت عونُ الفريق

قـــد عهدنـــاك في جمـــيع قضـــايا ... ك حلـــيفَ الـــنجاح والتّوفـــيق

لـــك في ساحة العدالة ، يامحـــــــ ... ـــمودُ جـــولات ومِـــدْرهٍ منطـــيق

يشـــفع الحـــقَّ بالدلـــيل مصـــوغاً ... في بـــيان كأنـــه مـــن رحـــيق [1]

ونظراً لما كان الشاعر يتمتع به من وفاءٍ وإخلاص لأصدقائه فإننا نجده بعد مماقم يلـــتزم ذلـــك أيضًا مع أبنائهم من بعدهم ، وهذه هي قمة الوفاء والالتزام . ومن ذلك ماكتـــبه في ابـــن صديقه الدكتور : (أسامة حسن علوان) أحد أطباء الأعصاب والذي وصفه بأنه حاكمٌ على هذه النوعية من الأمراض ؛ بل هو بابتسامته وحنانه يشفي المرضى ويعـــالج الأســـقام ، وقد نذر نفسه لخدمتهم ومعالجتهم وكأنه في شفائه لهم عيسى عليه السلام الذي يشفي الأسقام :

يكتـــبُ الله لـــلمريض السَّـــلامة ... حـــين تأســـو المريض كف أسامة

ملـــك حـــاكم عـــلى دولـــة الأعـــ ... ـــصـــابِ ، يُمضي في ملكها أحكامه

دائـــم البشـــر إذ يعـــالج مرضـــا ... ه ، وقـــد تُـــبرئُ المـــريض ابتسامه

لـــيس ملكـــاً لنفســـه هـــو ، لكـــن ... هـــو مِلْـــك كـــلّ شـــاكٍ ســـقامه

لكـــأنَّ المســـيحَ أوصـــى أســـامه ... بشـــفاءِ المرضـــى ، فقـــام مقامه ! [2]

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٤٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٤٨ .

ب – الرِّثاء :

إذا كـــان المدح من أهم مايربط الشاعر بطبقات مجتمعه ، فإن الرِّثاء أعظم قدرًا ومكانًـــا ، لأنه يقوم على مدح الإنسان بعد وفاته فيكون أبلغ في الصدق وأدق . والرثاء كمـــا هـــو معروف لون قديم من ألوان الشعر العربي وهو " فن يصور به الشاعر الموت ومدى الفجيعة به بلغة يغلب عليها الحزن " (١).

وفي اعـــتقادي أن الرِّثاء والمدح يصبان في معين واحدهو الثناء " فليس بين المرثية والمدحـــة فصل إلاَّ أن يذكر في اللفظ ما يدلُّ على أنه لهالك ، مثل :" كان" و"تولىّ" و" قضـــى نحبه" وما أشبه ذلك ، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقصُ منه لأنَّ تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته " (٢)

ورثـــاء غنيم عامة محرك للعواطف الإنسانية المتأججة خاصة عندما يذكر فضائل المرثي ويبرز صفاته وآثاره ومكارمه وأخلاقه ، وهو رثاء يمتزج بذكر فلسفة الموت والحياة وأن الموت نهاية حتمية لكل مخلوق على وجه البسيطة . وقد تنوعت شخصياتُ غنيمٍ في رثائه كما تنوعت في مدائحه فنراه يرثي الحكام ، وينعي الزعماء الأبطال ، ويبكي الوزراء النـــبلاء ، والعلماء الفضلاء ، والرفاق الأوفياء من أدباء وشعراء وزملاءٍ وأصدقاء. كما وجدنا عنده رثاءً للفنانين والطيارين والمعلمين . كل ذلك نجده في قصائد مكتوبة بالدموع والزفرات الباكية .

فمن مراثيه للقادة الحكام من أبناء وطنه المصري مرثيته الباكية في الرئيس (جمال عـــبد الناصـــر) الـــتي تزيد على التسعين بيتًا . وقد كان غنيم من أولئك الشعراء الذين أعجـــبوا بعبد الناصر وتغنوا به وبأفعاله في أشعارهم . فكان موته فجيعة مؤلمة ليس لمصر وحدها بل للعالم العربي أجمع .

وقصـــيدته (رويدك ياجمال) تبين مدى إعجاب الشاعر بالحاكم ومدى ما يوليه لـــــه في قلـــبه من حبٍ وتقدير وانتماءٍ وولاء . وهي قصيدة تحمل بُعْدًا فلسفيًا رائعًا إذ

---

(١) أحمد الشايب ، الأسلوب ، الطبعة التاسعة ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٥م) ، ص ٨٥ .

(٢) نقد الشعر ، ص ١٠٠ .

يصف فيها عزيمة جمال التي استطاعت أن تحمل من الأعباءِ والخطوب ما تعجز الجبال عن حملــه مــع ما يعانيه من شدة المرض وقلّة التّحمُّل . وكيف لقلبه النابض أن يشكو وقد توزعته هموم المحزونين والمكروبين من أبناء شعبه وأبناء وطنه العربي ، وكيف لقلبه الكبير أن يهدأ ويسكت وقلوب الشعب لا يهدأ وجيبها ولا ينقطع صراخها :

نهضــت بمــا تــنوء بــه الجبالُ ... فكــيف يطــول عمــرُك ياجمال ؟

رويــدك ، يــا جمال ، فأنت تشكوُ ... وللجســد الــذي يشــكو احتمال

فــتىً لم يســتكن للــداء لمــّـا ... غــزاه، كــأن غــزوته احــتلال

أيشــكو قلــبك الخفــاق ضــيقًا ... وقلــبك لا يحــيط بــه خــيال ؟

وفــيه لكــل محــزون مكــانٌ ... وفــيه لكــل مكــروب مجــال ؟

أيســكت ، والقلــوب لهــا وجيبُ ... وييــبس ، والــرياض لها اخضلال ؟

أيعْــوزُهُ دمٌ ، ولــنا عــروقٌ ... جرت فيها دماءٌ لا تكــال ؟ [1]

ثم يــزداد أنــين الشاعر وبكاؤه لجمال الذي شد الرحال والرحيل لم يحن وقته ، ورسالته في الحياة لم تنته بعد ؟ فلكم علمهم الصبر الجميل ، ولكن أين الصبر بعد فراقه ؟ فالمصاب جلل لا تمسحه دموع ، والمجد والعز لا يمكن للأشعار أن توفيهّا حقها :

عــلام تشــدُّ رحلــك يــا جمال ؟ ... رويــدك ! لم يحــن لــك الارتحال

رســالتك الــتي أنفقــت فــيها ... حــياتك ، مــا أتــيح لها الكمال

لكــم علمتــنا صــبرًا جمــيلاً ... وأيــن الصّــبرُ بعــدك والجمال ؟

مُصــابك لا تخفّفُــهُ دمــوعٌ ... ومجــدك لا يصــوِّره مقــال [2]

ويمزج غنيم مظاهر الطبيعة برثائه ، فالترابُ الذي يعلو قبره قد راح يبكي ويصرخ ، وماء النيل قد سال وجرى حزينًا على فراقه . نظراً لما قدمه من أعمال جليلة ومنجزات حضارية باهرة كبناء السد ، وتأميم القناة :

كــأني بالــتُّراب علــيك يــبكي ... ويصــرخ فــوق قــبرك إذ يهــال

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٠١ .

(٢) السابق ، ص ٨٠١ .

جـرى النـيل الحـزين عليك دمعًا وسـالَ دمًـا على البطل " القنال"
صـخور السـدِّ بعـدك ناطقات : بـأن لا شـيءَ في الدنـيا محـال
بحـيرة ناصـرٍ مـاذا دهاهـا ؟ دمـوعٌ تلـك أو مـاءٌ زلال ؟ (١)

وجمـال لـيس رجلاً سياسيًا أو حاكمًا وطنيًا فحسب ؛ بل هو خطيب مفّوه لا يشق له غبار . يرتجل خطبه ارتجالا فيُسمع دويُّها في كل الأنحاء :

صَـمَتَّ ، وكم خطابٍ منك دوَّى بأسمـاع الـورى وهـو ارتجـال !
إذا أطلقـته أصـغى جَـنوب إلـيه ، وأرهـف الأُذنَ الشـمال
وشـرُّ الصـمت صـمتٌ من بليغ لـه في المحفـل الُخطُـبُ الطـوّال
حديـث لا تكلُّـفَ فـيه ، بـادٍ ولا بـادٍ .. علـيه الافـتعال
إذا ألقيـته وسـط احـتفال تكهـرب أو تمغطـس الاحتفال (٢)

ثم يصـف الشـاعر الجمـوع الـتي احتشدت لتشيع جنازته وقد حفتهم المهابة والإجـلال ، وأذاهم الحزن حتى غدوا سيلاً عارمًا . ولغزارة تلك الدموع لم يروا الموقف على حقيقته فقد غطى على أبصارهم ، فكانوا بين مصدق ومكذب لموته ، ولكن شكّهم كان في غير محله ، فقد تيقنوا أنه الموت لا محالة ففوضوا أمرهم إلى مولاهم .ويتابع وصف ذلـك المنظر عند جنازته فعندما مالوا بالرئيس في قبره ومثواه مال معهم جبل المقطم من شدة الموقف وهول المصيبة :

وشُـيِّع نعشُـه في مهـرجانٍ تحـف بـه المهابـةُ والجـلال
ومـاج الـناس حـول النعَش موجا كـأن الحـزن ذوّبهـم ، فسـالوا
مشـينا ، لا نصـدق مـا نـراه وكـيف نـرى وللدَّمـع انهمال ؟
نكـذبُ موتـه ، ونشـك فـيه ولاشـك ، هـناك ولا احـتمال
فـلمَّا طاشـت الآمـال قلـنا - على مضـض - : إلى الله المآل
ومـالوا بالرئـيس ليدفـنوه فهـل مـال المقطم حين مالوا ؟ (٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٢ .
(٢) السابق ، ص ٨٠٢ .
(٣) السابق ، ص ٨٠٣ .

ونظراً لما يتصف به من مكانة عالية ومنزلة رفيعة فقد نعاه الناسُ شرقًا وغربًا ، لأنه لم يرث السيادة عن أحدٍ من الأجداد ، وإنما نالها بالكفاح والعزم والعصامية :

نعـــاه الـــناس في شـــرقٍ وغـــربٍ   كأنهمـــــــو لـــه صحـــــبٌ وآلُ

ومـــا ورث الســـيادة عـــن جدودٍ   ولا شـــهر اسمـــه عـــمٌ وخـــالُ

إذا فخـــر العصـــاميون يومـــًـــا   بأنفســـهم ، فأنـــت لهـــم مثال [1]

وأخـــيراً يفلسف غنيم نظريته حول حتمية الموت ، ويؤكد أنه حق لا مهرب منه وأن الإنســـان لا ينفعه طبٌ ولا داءٌ إذا حان أجله واقترب ، فكم من إنسان لبس القطن والصوف لدفع البرد ، ولكن البرد ما برح أنْ أصابه ودب في أوصاله :

تعـــالى الله ! إن المـــوت حـــق   ومـــا للطـــب في المـــوت احتيال !

وكـــم مـــتدثر صُـــوفًا وقطـــنًا   حـــذار الـــبرد أدركه السُّلال ! [2]

وللرجال العظماء نصيب في ديوانه فقد ذكرهم بعد وفاتهم تخليدًا لذكراهم العطرة ، وتذكيرًا بأفعالهم العظيمة ، وآثارهم الجليلة ، ليحّرك المشاعر ويؤجج العواطف الإنسانية في نفـــوس أبـــناء أمـــته ليقتدوا بأولئك العظماء في أفعالهم وليحققوا ما حققوه من أمجاد وتضحيات في سبيل رفعة الأمة وعلو شأنها .

ومن أبرزهم ذكرًا عبد الرحمن الكواكبي رائد العروبة ، وبطل الرِّيف الأمير المجاهد عـــبد الكـــريم ، وشـــهيد الـــثورة الأول الطالب : مصطفى ماهر ، وأحمد ماهر باشا ، والزعـــيمان الوطنيان محمد فريد ومصطفى كامل . وسأقتصر في حديثي هذا على نموذج واحـــد من ذكر الرجال العظماء حتى لا يطول بنا المقام . ففي بداية حياته الشعرية نجده ينظم شعرًا وطنيًا وهو طالب بالمعهد الأحمدي بطنطا في رثاء الزعيم الوطني (محمد فريد) سنة (١٩١٩م) وهي قصيدة لم نحصل عليها في الديوان ولا نعلم السبب في ذلك ، فنراه يبدأها بالحكمة والدعوة إلى الصبر والتجلد لفقد هذا الزعيم الوطني :

قضـــى نحـــبه مـــنها فـــريد وودعا   فـــيا مصر أجرى نيلك اليوم مدمعا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٣ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٨٠٤ .

قضـــى وقضــاء الله لا شـــك واقع   ومـــا المـــرؤ إلا أن يعـــيش فيصرعا
أرى العيش مهما طال ظل سحابـــة   إذا أومضـــت لا بـــد أن تتقشعا [1]

ويقـــيمُ (الحزب الوطني) سنة (١٩٤٧م) حفلاً لذكرى الزعيم الوطني (مصطفى كـــامل) فينشئ الشاعر قصيدته (على الأعراف) فبعد أن تحدث فيها عن أوضاع وطنه وعن الاستعمار وآثاره المدمرة والمعاهدات والمواثيق الزائفة وموقف مجلس الأمن المتعسف من مصر حيث التجأت إليه و لم ينصفها حقها . شرع في ذكر ذلك الزعيم الوطني مسبغا عليه لقب (بطل الجلاء) داعياً لقبره بالسقيا والغيث العظيم :

بطـــلَ الجـــلاء ، سقت ضريحك ديمة   تســـقي الرياض بهاطل وكاف ! [2]

وعـــلى الرغم من مرور أربعين عامًا مضت على وفاته إلا أن ذكره وحبه مازال عالقًا بشغاف القلوب ، فسيرته العظيمة أصبحت وكأنها قرآنٌ يتلى بين صفوف الشباب يستمدون منها قوهم ، فتشتعل منها دماؤهم المتأججة :

درجـــت عليك الأربعون ، و لم تزل   مـــن كـــل قلـــب عالقـــا بشغاف
لـــك ســـيرة يـــتلو الشباب فصولها   كـــالآي من " ياسين" و" الأحقاف"
ســـور ترتـــلها فتشـــعل في الدمـــا   مـــا تشـــعل الـــنيران في الألياف [3]

ثم يـــناديه ويخبره أن غرسه قد أثمر ومازال يُسقى بدماء الأحرار ، وأن ماخلفه من مـــبادئ وطنـــية قـــد توارثهـــا رجال الحزب الوطني الأمجاد الذين استطاعوا أن يتلافوا مـــا حدث من انشقاق بينهم ، انظر إليه وهو يلقبه بـــ (سيد الشهداء) من باب المبالغة والتكريم :

يـــا ســـيد الشهداء ، غرسك لم نزل   نســـقيه مـــن دمـــنا لـــيوم قطاف
وتـــراثك الوطـــني في يـــد معشـــر   لا واهـــن عـــزمًا ، ولا وقّـــاف
نفـــر مـــن الأشراف إن جدَّ الحمى   في البحـــث عـــن نفر من الأشراف

(١) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨١ .
(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٢٨ .
(٣) السابق ، ص ٤٢٩ .

رجعـــوا إلى أعـــراقهم ، فـــتجمعوا   بعـــد الخـــلاف تجمـــع الأُلاَّف [1]

هذا هو (مصطفى كامل) الزعيم الوطني الذي ناضل لأمته وشعبه في سبيل تحقيق الحـــرية والعدل والاستقرار . أفلا يستحق بعد كل هذا الصنيع أن يتذكره الأبناء ويطربه الشعراء على ما قدم من إنجاز ؟ !

ونواصـــل قراءتـــنا في ديـــوان غنيم الذي يضم مجموعة كبيرة من قصائد الرثاء وبالتحديد فيما يخص رثاء الوزراء ، وللبيت الأباظي مع غنيم الحظ الأوفر من ذلك سواء كـــان في باب المدح أم في باب الرثاء . فهذا هو كاتب مقدمة ديوانه (صرخة في واد) ورئـــيس البيت الأباظي معالي الوزير الأديب (إبراهيم دسوقي أباظة) يطويه الموت وينتقل إلى الرفيق الأعلى فيحرك موته مشاعر الشاعر فيأتي بقصيدة رثائية رائعة يمزج فيها مظاهر الطبـــيعة برثاء الممدوح . فالروض قد جفت أزهاره ، ونفرت طيوره ، وانتهت ألحانه ، والبحر قد نضب ماؤه ، وسكن عبابه ، والطود خر أساسه ، والغيث قد أخلف ماطره ، فرحل برحيله كل قاصد إليه ، وانفض من مجلسه كل سامر لديه :

ألا ، مـــا لهـــذا الروض صوَّح زاهره   وذابـــت أغانـــيه وأجفـــلَ طائره ؟
ألا ، مـــالهذا الـــبحرِ غـــيضَ عبابه   وُعطِّـــل مرســـاه وأسكت هادره ؟
ألا ، مـــالهذا الطـــود خرَّ أساسه ؟   ألا ، مـــالهذا الغيث أخلف ما طره ؟
ألا أيهـــا الوفَّـــادُ ، حُلُّـــوا رحالكم   طوى الموت إبراهيم وانفضَّ سامره[2]

ثم يتوجه غنيم إلى قصر ذلك الوزير ليصف ما حل به من خراب وتغيير بعد موت صـــاحبه فقـــد ظهـــرت عليه الكآبة وغشيته السآمة ، وقطعت ستائره ، وتجهم وجه ، وأوحشـــت غرفه ، وفزع أهله وأصحابه ، ورحل زواره ومرتادوه فكأنه مسجد قديم لا تقام به الشعائر والصلوات :

سلوا القصر : ما للقصر غشَّى سماءه   قَـــتامٌ ، وقُـــدَّت من حداد ستائره ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٤٨٧ .

وماذا به من وحشة وتجهُّم | وكان به فيض من البشر غامره ؟
سلام على القصر الذي ريع أهلُه | فريعت له من كل قصر حرائره
أطوف به في صمته ، وكأنه | مُصلّى عتيق لا تقام شعائره [1]

ثم يتناول الشاعر بعض مآثر الفقيد – بعد أن دعاله بالسلام –ومنها الكرم والسماحة والنبل والوفاء ، ويؤكد على أنه كان عونًا له على النوائب ومساعدا له في محنه ، ويذكر لذلك قصة أحد أبنائه عندما اعتقلته الشرطة ظلمًا في العهد البائد بسبب تدينه . فما كان من الفقيد إلا أن يقف مع الشاعر في كربته ويرد ابنه إليه مكرّمًا معززًا :

سلام على وجه أغرَّ ، كأنه | سراج وضئ ، ساطع الضوء ، باهره
سلام على ثاو ثوت معه العلا | وضمَّت عتاق المكرمات مقابره
على من تداعى حائط المجد بعده | وأقفر من ربع المروءة عامره
سلام على من كنت أسطو ببأسه | على الدهر إن دارت علي دوائره
ولم أنس عهدا ، عهد (نيرون) دونه | إذا أحصيت يوم الحساب كبائره
أوى السجن فيه كل شيخ مهدم | وكل صبي ناعمات أظافره
قضى حقبة في أسره لي ناشئٌ | غريرُ الصِّبا ، لم يتق الله آسره
ولم يقترف ذنبًا ، ولم يجن مأثماً | سوى أنه بالدين شُدّت أواصره
فناديت إبراهيم ، والأمر حازب | وصدري بالآلام يزخر زاخره
فرد على يعقوبَ يوسفَ بعدما | تيقَّن أن الذئب في الغاب عاقره [2]

فوقوف الدسوقي الوزير مع الشاعر في محنته هذه رفع أسهم الحب والتقدير في نفس الشاعر مما جعل ذلك الوزير مصدرًا قويًا للمدح والرثاء . ويصف الشاعر لحظة تلقيه نبأ وفاة الوزير ، حيث غيمت السماء بالحزن ، وانفطر القلب بالأسى وامتلأ بالجراح :

ولما نعى الناعي الدسوقي ، أمسكت | سماء الحمى حزنا ، وسالت محاجره
وقالت لقلبي : جل خطبك ، فانفطر | فهذا الذي –ياقلب– كنت تحاذره ؟

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٤٨٧ وتاليتها .

بقلبي جراح غائرات ، ومثلها بقلب الحمى ، والجرح أرداه غائره

وكيف يعزي في خسائره الحمى إذا هو كانت في الرجال خسائره ؟[1]

ثم يزداد بكاء الشاعر وأسفه على الفقيد فقد ضاع بعده الأدب والفكر . فمن يحاضر بعد مماته ؟ ومن يكرم الشعراء بعد رحيله ؟ إنه لخسارة فادحة على أهل الشعر والأدب :

وهل بعد إبراهيم من متكلم يحاضرنا ، أو من سميع نحاضره ؟

لقد كان حصناً للأديب ، فإن يمت فكل أديب تاعس الجد عاثره

مضى ناظم الشعر الرصين قلائدا وناقده نقد البصير ، وناشره ! [2]

ولعلماء الدين في رثائه نصيب كبير فعلى سواعدهم يقوم أمر الدين وينتشر الإسلام . ومن ذلك قصيدته (فقيد الإسلام) التي ألقاها في حفل تأبين المرحوم الشيخ (مصطفى عبد الرزاق) شيخ الجامع الأزهر ، فبموته طويت المروءة والندى ، وبكى لأجله محبوه وأعداؤه ، وتعطل منبره الذي كان منبعًا للفصحى ، وقوض موته صرحًا عاليًا للإسلام :

طوى موتك اثنين : المروءة ، والندى وأبكى فريقين : الأحبة والعدا !!

وعطل للفصحى يراعاً ، ومنبراً وقوض للإسلام صرحًا ممردا [3]

ثم يشير إلى أن خبر نعيه عندما سرى ليلاً كان كجمرة أوشكت أن تحوِّل الليل إلى نار ملتهبة ، وقد هزَّ خبر وفاته ربوع الشرق فمن هوله تذكر الناس موت الإمام المصلح محمد عبده :

سرى في حواشي الليل نعيك جمرة فأوشك فحم الليل أن يتوقدا

تساقط همسًا من شفاة رواته فأبرق مابين الضلوع وأرعدا

وهزّ ربوع الشرق ، حتى تساءلت من الهول : هل يوم الإمام تجددا [4]

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

(٢) السابق ، ص ٤٩١ .

(٣) السابق ، ص ٥١٩ .

(٤) السابق ، ص ٥١٩ .

ثم يعزي الأزهر الذي فقد سيفاً من سيوفه البتارة ، ويشير إلى بعض مواقف رجاله الذين اتهموه بالتقصير في الإدارة ، ويوضح أنَّ ما وقع من خلل وقصور أثناء توليِّه الرئاسة يرجع إلى قصر المدة الزمنية التي قضاها فيه ، فهو رجل يحب الإصلاح ويسعى دائباً لإسعاد الأزهر وتقدمه ، ومع ذلك فإن من الصعوبة بمكان أن يُسدَّ فراغه في الأزهر فلا بديل له ولا مثيل :

هل الأزهر المعمور يعرف من نعى — وأيَّ سيوف الله في الترب أغمدا ؟
لقد كنت سيفاً لا يفل بكفه — وقد تظلم الكف الحسام المهندا
وكنت حريا أن تشقَّ لأهله — سبيل العلا ، لو كان أمهلك الردى
أتيت طبيباً آسياً لجراحه — فوالله ، ماقصرت ، بل قصر المدى
توليته حينًا ، فلم تجن مغنما — - معاذا العلا- بل كنت تشقى ليسعدا
تركت مكاناً لا يُسَدُّ فراغُه — وخلَّفت من يسعى وراءك مجهدا (1)

ويسترسل الشاعر في ذكر صفات ذلك الشيخ الأزهري فهو مثال للطهر والزهد ، والعلم والوقار ، والنبل والعطاء :

طَهُرتَ فأعرى طهرك المحض معشراً — وولَّد في بعض النفوس التمرُّدا
وكنت مثال الزهد لا عن خصاصة — إذا خَرَّ بعضُ الناس للمال سجدا
رفعت لواء الشرق في الغرب،واكتسى — بك المظهر الشرقي عزاً وسؤددا (2)

وإذا كانت تلك الصفات المعنوية قد زادته رزانة وتقى فإن مظهره الخارجي قد ازدان وابتهج بالزِّيِّ الأزهري المتعارف عليه والمتمثل في لبس الجبة والعمامة اللتين شَمَتَ منهما فئة من الناس وقتئذ :

وزانك ثوب زانه النبل ، والتُّقى — فلحمته هذا ، وذاك له سدى
لقد غضَّ من شأن العمامة معشر — فسدت لها بين السماكين مقعدا (3)

---

(1) المصدر السابق ، ص ٥١٩ وتاليتها .

(2) السابق ، ص ٥٢٠ .

(3) السابق ، ص ٥٢٠ ، وتاليتها .

ثم يسـهب الشـاعر في مدحه بالصفات الحسنة ، فهو لم يتخذ من منصبه تجارة وقوتًا يتكسب من ورائها ؛ بل كان أعف الناس نفسًا ، وأنزههم يدًا ، كالجبل الثقيل في رزانـته وعقله ، يتخذ من الصمت المحكم حكمة وبلاغة ، فإذا ما تكلم نطق عدلاً وقال صدقًا ، محياه طلق وبشاشته دائمة حتى وإن تجهمت الأمور من حوله وتكدرت :

إذا اتخـذ الـناس المناصـب متجراً — فما اقتات منها قوت يوم ولا ارتدى
سلوا ساسة الوادي: أما كان مصطفى — أعفهمـو نفسًـا ، وأنـزههم يدا ؟
هـو الجبل الراسي ، حجا ، ورزانة — إذا الحـادث الطـاغي أقـام وأقعدا
صموت ، إذا ما الصمت كان بلاغة — فإن قال، راش القول سهمًا مسددا[1]

وعـند رثـاء الأدبـاء من الشعراء والكتاب نراه يبكي لفقرهم وفراقهم ، لأنهم يقومـون بأمر اللغة والشعر والفكر والأدب ، فبموتهم يضمحل الأدب وتتعطل الفصحى ومن أبرز الأدباء الذين رثاهم (العقاد ، وناجي ، والجارم) .

فعندما توفى العقاد رثاه بقصيدة باكية جعل عنوانها (فيلسوف الشرق) يشير فيها إلى أن الشـرق قـد جـزع لفـراقه ، وبكـى لموته ، وأسال الدمع لرحيله ، ويلقبه بـــ (فيلسوف الشرق) لمكانته الفكرية والأدبية وما طرحه من آراء فلسفية ، فلا أحد حينئذ يلوم من يبكي على فراقه :

جـزع الشـرق ، وأجرى أدمعه ! — ليـت شعري : أي خطب روعه ؟
لا تلومـوه عـلى تذرافهـا — فيلسـوف الشرق خلى موضعه [2]

ثم يزداد حزن الشاعر لفراقه ورحيله ويطلب من ذويه أن يكفنوه مع كتبه وأوراقه وأقلامه ، ويحتار الشاعر في وصفه له بم يصفه ويلقبه ؟ وأين القبر الذي سيسعه ؟

كفـنوا العقـاد في أسـفاره — وادفـنوا المـرقم والطـرس معـه
لسـت أدري : أشـهاباً كـان أم — عيـلما ، أم راهـبًا في صـومعه ؟
عـالم ، بـل عـالم في رجـل — ليـت شعري ، أي قبر وسعه ؟ [3]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٠٧ .

(٣) السابق ، ص ٨٠٧ .

وإذا كـان عُمْر الناس يقاس بالسنين فإن عمر العقاد يقاس بما قدمه في مجال العلم والفكر والأدب والنقد:

سـائلوا العلـة : هـل أودت بـه   رغـم سـبعين وخمـس مسرعه ؟
لا تقيسـوا باللـيالي عمـره   بـل سلوا : في أي شيء قطعه ؟ [1]

ويـتحدث غنيم عن بعض ما تميز به أستاذه العقاد الذي تتلمذ على يديه وحضر مجالسه فكان يتميز بالإقناع ، أي إقناع السائل بالإجابة عما يشكل عليه من أسئلة :

لم يسـله سـائل عـن معضـل   حـير الأفهـام إلا أقـنعه [2]

وذلـك لمـا يمتلكه من قلم مرهف ، وحجج بينة ، ومقدرة كاملة على استدعاء الألفاظ التي تأتي طوعًا لمعانيه وأفكاره فهو (ملك في دولة الألفاظ):

وسـلاحاه : يـراع مـرهف   ودلـيل بـين ، مـا أنصـعه !
ذو يـراع حـين يأسـو علـة   يـزدري كـل طبيـبٍ مبضـعه
دولـة الألفـاظ في خدمـته   إن دعـا اللفظـة ، جاءت طيعة [3]

وللعقـاد قـلم ناقد فهو في يده كالسيف الباتر ، وهو عصامي عيوف النفس ذو كرامة ورهبة وقوة ومنعة :

قـلم العقـاد سـيف باتـر   لم يجـرده ابـتغاء المـنفعه
لم يجـرعه كـئوس الشـهد ، بـل   كـم كـئوس مـن زعاف جرعه
العصـامي الـذي يـأبى سـوى   كفِّـه نحـو العـلا أن تدفعـه
العـيوف الـنفس ؛ لـو ألبسـه   غـيره ثـوب خلـود خلعـه
يـابس ، بـل شـامس ، لم تستطع   رغـبة أو رهـبة أن تخضـعه [4]

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٧ .
(٢) السابق ، ص ٨٠٧ .
(٣) السابق ، ص ٨٠٧ .
(٤) السابق ، ص ٨٠٨ .

والعقـــاد كاتـــب مـــبدع تـــلمحه في أســـلوبه وإذا كـــان الأمـــر كما يقول النقاد :" الأسلوب هو الرجل" فإن العقاد كان كذلك ، وعن ملامح أسلوبه وخصائصه يقول غنيم :

كاتـــــب تـــــلمح في أســــلوبه: وجهـــه ، بـــل يـــده ، بـــل أصبعه

ذو بـــيان لم يقلـــده الحـــلى مـــن رأى الأســـلوب فلاًّ ؛ شجعه

لم يوشَّــــع بجمــــان قولـــــه بـــل بفكـــر فـــيه عمـــق وشّعه [1]

والعقـــاد عـــبقري مـــن العباقرة المعدودين ، لذلك فقد بكت عليه (العبقريات) وحزنت لفراقه لأنها منتزعة من أوصافه وصفاته :

عـــبقري العـــبقريات قضـــى فهـــي مـــن حـــزن علـــيه جـــزعه

إن بكـــته العـــبقريات دمـــاً فهـــي مـــن أوصـــافه منـــتزعه [2]

والعقـــاد قـــد طلـــق الدنيا فلم يتزوج أو يعقد ، وإنما تزوج العلم وأنار الفكر ، واصطفى الموسوعات والكتب ، وعاش في الحياة كالنحلة يطلب العلم كما تطلب النحلة العسل :

طلـــق الدنـــيا ثلاثـــاً ، واصطفى مـــن بـــنات الفكـــر حـــورًا أربعه

مـــا بـــنى إلا بموســـوعاتها وتبـــناها ، فكانـــت مـــنعه [3]

ولئن مات عباس فإن آثاره باقية من بعده تُطلب وتجنى فله من الله الأجر والثواب نظير ما قدم :

مـــات عـــباس ! وتـــبقى أمـــم تجـــتني مـــن بعـــده مـــا زرعـــه

مـــات عـــباس ! جـــزاه ربـــه رحمـــة عـــن كـــل معنى أبدعه [4]

وفي ذكرى الأربعين لوفاة الطبيب الدكتور (إبراهيم ناجي) نراه يندب فقده وفقد بعـــض أصـــدقائه الذين فجع بموتهم ، ويؤكد أن الموت حق وأنه سوف يلحق بهم راضيًا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٩ .

(٢) السابق ، ص ٨١٠ .

(٣) السابق ، ص ٨١٠ .

(٤) السابق ، ص ٨١٠ .

كان أم كارهًا ، ونراه يتبرم لفقدهم . فلقد خلفوه وحيدًا بعد أن سلب الموت منه البهجة والإشراق والأمل ، وأصبح نهاره مسودًا كئيبًا :

فـــيم الـــبقاء وهـــؤلاء رفـــاقي ... يتســـاقطون تســـاقط الأوراق ؟
ســبق الرفاق ، وسوف ألحق راضيًا ... أوكارهًـــا . مـــرحى بيوم لحاقي !
ســبق الـــرفاق وخلفـــوني ، بعدما ... ســـلبوا صـــباحي بهجـــة الإشراق
ســـلبوا ســـواد العـــين ، ثم طلوا به ... وجـــه الـــنهار ، فصار ليل محاق [1]

ثم يـــتوجه إلى خطـــاب صـــديقه الشاعر (ناجي) ويطلب منه أن يناجي أحبته وأصـــدقاءه في باطن الأرض وأن ينقل إليهم أشواقه الحارة ، ويصف لهم ماحل لـــه بعد فراقهم من حزن ويأس ، ويذكرهم أنه لازال على عهده وميثاقه معهم :

نـــاجي ، بـــبطن الأرض ناج أحبتي ... وانقـــل إليهم – في الثرى– أشواقي
صـــف للأحـــبة مـــا لقيـــنا بعدهم ... واذكـــر لهـــم أنـــا على الميثاق [2]

ثم يبين لنا حالته بعد فقد (ناجي) الذي بكاه طويلاً وفقد مدامعه بفقده ، وأنفقها في وداع أحبـــته ، ومـــا أصـــعب جفاف العين من الدمع على المحزون ، لكن الشاعر لم يستسلم حينما أمر أحداقه أن تبكيه حتى تذوب حبوبها :

ولقـــد فقدتـــك ، فافتقدت مدامعي ... فوجدتهـــا نزحـــت مـــن الآمـــاق
أنفقـــت دمعـــي في وداع أحـــبتي ... يفـــنى كـــثير المـــال بالإنفـــاق
فلتـــبك أحداقـــي بـــذوب حبوبها ... إن لم تجـــد بدموعهـــا أحدقـــي [3]

ويتحدث عن دور إبراهيم بوصفه طبيب ماهر استطاع أن يشفي المرضى بابتسامته ولطفه ومهارته الفائقة في الطب ، فيقول :

مـــات الـــذي يأســـو الجراح بطبه ... وببشـــره . والبشـــر طـــب واق
يســـتقبل المرضـــى بوجـــه باســـم ... صـــاف صـــفاء مدامـــع العشـــاق
ودعابـــة تقضي على الأشجان ، ما ... جرحـــت ، ولا نـــدت عن الأذواق

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٤٩٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٩٤ .

رفّـاءُ أجسـام يـرم قديمهـا بأنـامل مـثل الخـيوط رقـاق [1]

هذا هو إبراهيم الإنسان الطبيب . ولكن أين إبراهيم الشاعر؟ وكيف تميز شعره ؟ وهل شعره كطبه ؟ وأين مكانه بين الشعراء ؟ عن هذا ما يجيبك غنيم بقوله :

قالوا : شفى الأبدان . قلت : وشعره طـب الـنفوس ، وصحة الأخلاق
ياكاسـي الأدب الرفـيع مطارفـًا يبـلى الـزمان بـلى ، وهنَّ بواق
ومقلـد الشـعر الحديـث قوافـيًا تسـري مـن الأعمـاق للأعماق
خفّـت ، وخف على المسامع وقعها فشـدا شـآميٌّ بهـا ، وعـراقي
أبقـى مـن الهـرمين ، إلا أنها مـنحوتة مـن سـائل رقـراق [2]

ثم يـبلور فلسـفته تجاه الموت ويرى أنه راحة من العناء والإرهاق ، وأنه موعد للتلاقي بين الأحباب والأصدقاء :

نم آمـنا ! يكفـيك مـا عانيت في دنـياك مـن عنـت ومن إرهاق !
لا تحسـبن المـوت بيـنا ، إنـه بـين الأحـبة موعـد وتلاقـي [3]

وله في الحياة فلسفته الخاصة ، وينصح غيره بالأخذ بها والتعامل معها ، فلا أسف عـلى الحياة لأنها دار النفاق والشقاق والتفاخر . دار حاربت الفضيلة ، وقيدت الإنسان بسلاسـلها فهي أشبه بالقفص الذي لا ينجو منه المسجون إلا بالفرار . فكذلك الحياة لا يسـتطيع الإنسان أن يفر منها بالموت . وعلى هذه الشاكلة فإبراهيم ماهو إلا طير قد فر من قفص الحياة :

لا تأسـفن عـلى الحـياة ، فإنهـا كانـت – ومازالـت – مجال نفاق
بـين الحـياة وبـين كـل فضـيلة حـرب عـلى قـدم تقـوم وساق
يهنـيك أنـت حللـت دار مثوبة وحللـت دار تـناحر وشـقاق
إن الحـياة – كما علمت – سلاسل مـن فضـة دارت عـلى الأعناق
حلّـق بـروحك في سمـاء حـرة لم تخلـق الأطـيار للأطـواق

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

(٢) السابق ، ص ٤٩٦ .

(٣) السابق ، ص ٤٩٦ .

مـــا أنـــت إلا صـــادحٌ قـــد فرَّ من قفـــص الحـــياة ، وفاز بالإطلاق [1]

وهـــناك فئة هامة من فئات المثقفين في الشعب لم يغفلها غنيم في مراثيه ، تلك هي فئة الصحفيين . فقد كان للصحافة دور كبير في الحركة الأدبية المصرية في ذلك الوقـــت ، ومن ثمّ كان غنيم يتصل بها وينشر من خلالها أشعاره وآراءه النقدية والأدبية . ممـــا حدا به إلى التعرف على أعلام الصحافة في عصره فنشأت بينهم صداقات وعلاقات أدبـــية ، ومـــن بين أولئك الصحفيين الذين رثاهم عند موتهم الأستاذ (جبرائيل تكلا) رئـــيس تحريـــر (الأهرام) في مقطوعة قصيرة يبين فيها مآثر الفقيد ودوره البارز في تطوير الصحافة المصرية وخاصة جريدة الأهرام ، فهو أمير للصحافة ودعامة من دعائمها الرصينة وبان من البناة الأقدمين لها شأنه في ذلك شأن (خوفو) باني الأهرامات :

يـــا صـــاحب الأهرام ، ذكرك خالد كخلـــود ذكـــر مشـــيد الأهـــرام

خوفـــو ، وجـــبرائيل بينهما — وإن بعـــد المـــدى — رحم من الأرحام

ملـــك الصـــحافة أين غاب أميره ؟ أرمـــاه عـــن دســـت الإمارة رام ؟

قـــد كنت ، يا تكلا ، دعامة ملكها فتركـــته ملكـــًا بغـــير دعـــام

طـــوت المـــنون بمصر ناشر صحفها بيضـــًا مـــبرأة مـــن الآثـــام

لـــو أدرجـــوه بصـــحفه أغنـــتهمو ببياضـــها عـــن خضـــرة الأعلام [2]

وتتعدد جوانب مراثي غنيم ويتسع مداها حتى تشمل فئة أخرى لعبت دورًا مهمًا في تغذيـــة أحاســـيس الشـــعب ومشاعره ، آلا وهي فئة الفنانين . فقد كان غنيم يتمتع بعلاقـــات حســـنه مع جميع فئات مجتمعه المصري فلم تكن علاقاته قاصرة على الوزراء والرؤســـاء والأدباء والعلماء فقط ، بل تعدقما إلى طبقات الشعب المختلفة ومن بينها تلك الطـــبقة . ففي الاحتفال بذكرى المرحوم داود حسني (الموسيقار) شارك شاعرنا بقصيدة رثائـــية يبين فيها مآثر ذلك الفقيد تجاه الفن الذي يبكى عليه الآن ، فداود قد أحيا هذا

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٧ .

(٢) السابق ، ص ٥٢٦ .

الفن وأصبح أستاذه، ويطلب غنيم من محبيه أن يغنوا لــه في يوم ذكراه بفن أصيل لا قبح فيه ولا تقريع للآذان :

داود يبكـــيك فــن كنــت تبكـــيه ... كأنمـــا دمعـــه ديـــن يؤديـــه

لم ألــق في مصــر فــنّانًا يــزاولــه ... إلا تلقــى عــلى "حســني" مباديه

غــنوا عــلى قــبره يوم احتفالكمو ... بذكـــره ، ذاك بعــد الموت يشجيه

وجنــبوا سمــع " داود" النشاز ، فما ... زال " النشار" بجوف القبر يؤذيه ! [1]

ولكـــون غنيم شاعرًا يطرب للشيء الجميل ويمتلك أذنًا موسيقية وحسًا مرهفًا ؛ فإنه يعشق الفن والطرب والغناء الأصيل ، حيث يقول :

إن الحــياة بــلا لهــو ولا طـــرب ... داء نقاســيه ، بــل مــوت نعانــيه

الطـــير يســـجع إن هاجــت بلابله ... والركــب يحــدوه في البيداء حاديه

والوحــش يــأنس بالأنغــام نافره ... والخــل إن صــد بالألحان تصبيه [2]

وإذا كان شاعرنا قد رثا الروؤساء والوزراء والعلماء والأدباء والصحفيين والفنانين فإنــه قــد رثا الزملاء والأصدقاء ، تعظيمًا لشأنهم ووفاءً لصداقتهم وحبًا لهم ، وما أكثر أصــدقاءه الذيــن رثاهم وبكاهم ، ولكني سوف اكتفي بنموذجين اثنين فقط . الأول : مراثــيه في صديقه أيام الدراسة والطفولة (عبد اللطيف عبد الخالق) ، والآخر : مرثية في زميله وصديقه (محمود الخفيف) .

فبعــنوان (رفــيق الصبا) التي أنشأها أيام الدراسة في رثاء زميله الشاعر الطالب (عبد اللطيف عبد الخالق) الذي توفي قتيلاً بيد مجرم يجاوره في السكن نراه يبين فيها عظم المصيبة وكبر الفادحة التي مني بها بفقد زميله ، ويوضح أثرها في النفوس ، ويشبه صديقه بالــنجم في التألق والسيف في العزيمة والإمضاء إضافة إلى كونه كان حرًا كريمًا أبيًا عاش غريبًا في دنياه :

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٨٩ .

(٢) السابق ، ص ١٨٩ .

الله في هـــــول المصـــــاب ... جـــزع الشـــباب عـــلى الشباب!!
نجـــم تــــألق بــــرهة ... وخــــبا كمــــا ذاب الحـــباب
ومهـــندٌ، قـــد كـــان فيـــ ... ـــه لقومـــه أمـــر ، فخـــاب
ماكـــــاد يشـــحذ غـــربه ... حـــتى تضـــمنه القـــراب
حـــرٌ ، كـــريمٌ ، عـــاش في الـــد ... نـــيا غريـــبًا ، ثم آب [1]

ثم يتعجب من ذلك الجسم الذي سوف يسكن التراب وهو من معدن كريم الأصل:

ســـكن الـــتراب ، وإنـــه ... هـــو معـــدن الذهـــب اللـــباب

وكأن غنيماً في شدة حزنه على صديقه يعترض على القدر الذي وافى ذلك الشاب الصغير وهو لا يزال في مقتبل العمر ، لكنه يتراجع ويقول : إن الله هو مقسم الأعمار فلا عتاب ولا اعتراض :

ربـــــاه معـــــذرة ، ألا ... مـــا للمـــنون وللشـــباب ؟
أكـــــذا يودعـــــنا ، ولم ... يـــبلغ مـــن العمـــر النصـــاب ؟
لكـــــنه ســـــبحانه ... (قســـم الحظوظ فلا عتاب) ! [2]

ونظـــرة غنـــيم من الحياة هي نظرة المشتكي الصاخب على الدنيا وتقلباتها وتغير أحوالها :

عـــبد اللطـــيف ، رحلـــت عـــن ... جـــو تشـــبع بالضـــباب
وتركـــت داراً ، حلوهـــا ... مـــر ، وصـــيبها ســـراب
ســـيان : مـــن ســـكن اليـــبا ... ب بهـــا ، ومـــن ســـكن القـــباب
الكـــل مـــنها في عـــذا ... ب ، والمنـــية مـــنه قـــاب
والـــناس في الدنـــيا كـــركـ ... ـــب ، ســـفينة وســـط العـــباب
إن تـــنج مـــن غـــرق بهـــم ... لم يســـلموا مـــن الاضـــطراب [3]

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٢٧ .
(٢) السابق ، ص ٥٢٧ .
(٣) السابق ، ص ٥٢٨ .

ثم يصــف لنا حالة صديقه عند موته وهو ملطخ بالدماء من جراء الاعتداء عليه بسكين جار له أرداه قتيلاً بسبب خلاف وقع بينهما على المسكن :

لهفــي علــيه شــاخص العيـــ ـــنين مُصـــفرَّ الإهـــاب !
متخضـــبًا بـــدم الشـــبا ب يـــروع مـــن أثـــر الخضـــاب
في حجـــرة مشـــئومة ســـكنٌ يجـــرُّ إلى خـــراب [1]

وكــان خــبر قتله صبيحة الامتحان فجيعة للشاعر أفقده صوابه ، وظل يكتب والدمــوع تنسكب مع المداد ويداه ترتجفان على الورق من هول المصيبة ، وكان يتمثل شبح الجريمة مع كل سؤال في الامتحان وجوابه :

خـــبر صـــبيحة الامـــتحا ن أتـــى ، فـــأفقدني الصـــواب !
فظللـــت أكتـــب ، والدمـــو ع مـــع المـــداد لهـــا انســـكاب
ويـــداي تـــرتجفان في القـــر طـــاس مـــن هـــول المصـــاب
وكأنمـــا شـــبح الجـــر يمـــة في الســـؤال وفي الجـــواب [2]

ثم يهــاجم الجاني ويستنكر عليه فعلته الدنية ويحتقرها فهو لم يرع حق الله في هذا الطالــب الضــعيف المسالم الذي لا يملك في الدفاع عن نفسه سوى أدواته المدرسية من كتب وأقلام :

يـــا أيهـــا الجـــاني ، مـــتى صـــالت عـــلى الأســـد الكلاب ؟
هـــلا رعيـــت الله في تلـــك الأفـــانين الـــرطاب ؟
الله في هـــــذا المســـــا لم ! ليـــت كفـــك في تـــباب !
أيـــذود مديـــتك الصـــقيـ ـــلة بـــاليراع أم الكـــتاب [3]

ويتحســر الشــاعرعلى تلك الصحبة القديمة مع الفقيد أيام مدرسة (دار القضاء الشــرعي) ، ويخاطــب ذلك المجرم بأن فعلته تلك أنهت حياة شاب يافع غض العود لم

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٥٢٨ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٥٣٠ .

تعركه الحياة ، وأنهت صداقة حميمة كانت تربطه بالفقيد أيام الصبا :

أذويـــــت غصـــــنًا ناضــــرًا	وســلبت كـــترًا مـــن رغـــاب
وفجعــــتني ، والدهــــر لا	يــــنفك ذا ظفـــــر ونـــــاب
في صـــــاحب كـــــم رقّ لي	عـــيش بجانـــــبه وطـــــاب
أيـــــام تجمعـــــني بــــــه	دار مــــــباركة الـــــــرحاب
(دار القضــــاء) وأيــــن مـــنـــ	ـــك الدار أم أين الصحاب ؟ [1]

أمـــا زمـــيله وصـــديقه (محمـــود الخفـــيف) فقـــد رثـــاه بقصـــيدة بعنوان (دمعة على الخفيف) تفيض أسى وحرقة على فراقه وموته ، يقول فيها :

مـــن كنـــت بالأمس في شعري أداعبه	مـــا بالـــه الـــيوم قد أصبحت أرثيه ؟
يـــأبى عـــلي قريضـــي أن يصـــدقني	إن قلت : أصبح بطنُ الأرض يوريه !
أرثـــي الخفـــيف بشـــعري أم أفاكهه	لا ، بل أسوق لـــــه إحدى الأفاكيه
تشـــابه الحـــزن عندي والسرور؛ فما	أدري فكاهـــات دهـــري من مآسيه
محمـــود ، شـــعرك حسبي إذ تفارقني	فأنـــت في كـــل بيـــت حـــين أرويه
رنـــات صـــوتك تســـري من مطالعه	وحســـن سمـــتك يـــبدو مـــن قوافيه
محمـــود ، سامحك الرحمن! كنت ندى	على فؤادي ، فكيف اليوم تصميه ؟! [2]

فالأبـــيات الســـابقة كما هو واضح ندب لصاحبه الذي كان يداعبه في أشعاره ومســـامراته ، لكنه فجأة أصبح يرثيه بعد أن كان يداعبه ويسليه . وصديقه الخفيف إن فارقه وابتعد عنه إلا أن أشعاره باقية خالدة لم تفارقه ، ويتضح من النص أن أجواء الحزن والأسى سيطرت عليه من بدايته إلى نهايته .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨١١ .

مراث إنسانية :

❖ رثاء (طيَّارَين) :

شـــارك غنيم بشعره في شتى مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة ، ويعد الرثاء من الروابط الإنسانية التي ربطت الشاعر بمجتمعه وبيئته ، ومن هذه الناحية لم يكن غنيم يترك حدثا في المجتمع إلا صوره وجسده لنا في صور شعرية جميلة ،حتى لو لم يكن هناك سابق معرفة له بمن يرثيه .

فعندما سقطت طائرة مصرية في بداية عهد مصر للطيران وأسفر ذلك عن مصرع طـــياريها أنشأ غنيم هذه القصيدة معبرًا فيها عن حزنه العميق جراء الحادث الأليم ، راثيًا فيها طياريها البطلين ، ومواسيًا فيها مصر ومعزيًا لها في فقدهما :

يـــا مصـــر ، قـــد عـــز العـــزاء	نفـــىَ ، وأنـــت لـــك الـــبقاء
نســـــران ليســـــا كالنســـــو	ر ، رماهمـــــا ســـــهم القضـــــاء
ســـــقطا ، فأجفلـــــت الـــــريا	ح ، وضـــجّ ســـكان الســـماء
وبكاهمـــــا المـــــزن الهـــــتو	ن ، وحـــق لـــلجار الـــبكاء !
وتلفتـــــت قمـــــم الجـــــبا	ل بعـــين مـــن فقـــد الـــرجاء [1]

فالتحســـر عـــلى سقوطهما واضح في الأبيات السابقة ، حيث جفلت من هوله الرياح ، وبكت عليهما السماء ، وحزنت لفراقهما السحب الممطرة فهما نسران أرخصا روحيهما للشهادة والفداء .

❖ رثاء (مُعَلِّمَين) :

لم يكـــن شـــاعرنا بعيدًا عن أعين الشعب المصري سواء من كان يعيش في داخل مصر أم يعيش في خارج رقعتها بحثًا عن لقمة العيش أو تمثيلاً لها للعمل في الدول الأخرى المجـــاورة ، وهنا يقودنا الحديث إلى قصيدته (سبق القضاء) التي قالها في رثاء الدكتورين (ســـيف ، وعـــزمي) المصريين المدرسين في العراق عندما اعتدى عليهما طالب عراقي ؛ لرســـوبه في الامتحان على يديهما ، فتوفي الأول وجرح الثاني ، ثم انتحر الطالب.وهذه

---

(١) الأعمال الكاملة ، ضرخة في واد ، ص ١٩١ .

القصيدة الرائعة تشير إلى قوة ارتباط الشاعر بشعبه ، وتدل على نزعته الوطنية تجاه وطنه العـــربي الكبير . انظر إليه وهو يندد ببعض الصحف التي هولت في طريقة تناولها للحادث وبالغت في التنكيل والنيل من الشعب العراقي ، مبينًا لهم أن ذلك قضاء وقدر :

أمـــرٌ بـــه ســـبق القضـــاء الجاري ... مـــا حـــيلة الإنســـان في الأقدار ؟

لا تـــأخذوا بالذنـــب غـــير جـــناته ... إن الصـــواب تـــلمُّسُ الأعـــذار

الـــرزء يذهـــب بـــالعقول جلالـــه ... فحـــذار من شطط المقال ، حذار !

إن تســـرفوا في الاتهـــام ، جنيـــتمو ... أنـــتم عـــلى القطـــر الشقيق الجار

هـــي أمـــة ، وزَرَ امـــرؤ من أهلها ... أفتـــثقلون الكـــل بـــالأوزار ؟

الله يعـــلم ، أنهـــم مـــا أضـــمروا ... للنـــيل غـــير الحـــب والإكـــبار

قالوا : العراق ، ومصر ، قلنا : بل هما ... مصـــران ، بل مصر من الأمصار [(1)]

فمن خلال الأبيات يتضح لنا تعقل الشاعر وتفهمه للموقف ومحاولته تهدية الأمور وتلطيف الأجواء الأخوية بين البلدين فهما شقيقان متحدان لا يزعزع كيانهما زلة جاهل مهما عظم شأنها .

ثم يشير إلى الفقيد الذي بطشت به يد ذلك السفيه ، ويصفه بـــ (شهيد العلم) ويعده من شهداء مصر الأبرار الذين ماتوا لأجل العلم والتعليم :

هـــذا شـــهيد العـــلم ، عـــزَّزنا به ... مـــن راح مـــن شـــهدائنا الأبـــرار

خُلـــق الجهـــاد لـــنا ، سواء عندنا ... مـــن بـــالحديد يمـــوت ، أو بالنار

والعـــلم مختلف الضحايا ، كم طوى ... مـــن ســـابح ، وقضـــى على طيار

يـــارُبَّ مختـــرع يـــروح ضـــحيةً ... للكشـــف عـــن ســـر من الأسرار

ومعـــلم قـــد راح يـــبذل نفســـه ... بـــذل الكـــرام لناشـــئين صغار [(2)]

وفي آخـــر المطـــاف أقول : إنَّ غنيمًا قد رثى العديد من جميع فئات مجتمعه من زعمـــاء ووزراء ومصلحين وعلماء وأدباء وفنانين وصحفيين ، وبكاهم في قصائد حزينة

---

(1) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(2) السابق ، ص ١٩٤ .

باكـــية تـــنم عن مدى وفائه للمرثي لا من أجل غرض دنيوي يبتغيه من أهل ذلك المرثي وأسرته ، يقول في ذلك :

أُشـــيّع مـــن حانـــت منيَّـــته قبلي وفاءً له لا للأقارب والأهـــــــل [(١)]

والطريف في رثاء غنيم أنني وجدت عنده ما يسمى بـــ(رثاء النفس) قبل الموت ، وهـــذا لا يـــأتي إلا مـــن إحساس بقرب الأجل وكثرة الموتى من الأصدقاء والزملاء ، والاقتناع التام بقضية الموت يقول :

سيعلم أهلي — بعد فقدي — مكانتي فتبكي دمًا عرسي ، ويبكي دمًا نجلي!

إذا ولـــدي نـــاءوا بأعـــباء نسلهم درى ولدي كم حملوني من ثقلي [(٢)]

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥٠ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٠ .

ج – الدعابة والفكاهة :

عرفت المجتمعات البشرية عامة والعربية خاصة الفكاهة والدعابة والطرفة . كما اشتهرت مجموعة من الناس بالطرائف والنوادر " فيعجب بهم الناس حكامًا ومحكومين ، ويتوقون إلى سماع نوادرهم ، بل قد ينال بعضهم مركزًا مهما فيلحق بحاشية الحاكم ، ويصير من ندمائه" [1] .

والفكاهة بصفة عامة ظاهرة اجتماعية أحبها الناس وتداولوها ويقصد بها " كل باعث على الضحك من فنون القول ، وإن اختلف الاسم" [2] فلفظة (الفكاهة) تعني إذن " لفظ المضحك دون تمييز بين أنواعه من تهريج ودعابة وتهكم وغيره ، لأن جميع هذه الأنواع مهما اختلف أسبابها وبواعثها ودلالاتها ، ترجع إلى أصل واحد في تعريف المضحك " [3] فالضحك والدعابة والابتسامة ما هي إلا " ظواهر نفسية من فصيلة واحدة ، وكلها تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقظة ، التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس ، فتتلمس في اللهو ترويحًا ، وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيراً مايثقل كاهلها " [4] .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الجانب هو ما علاقة الفكاهة والضحك بالإنسان والمجتمع ؟

وللإجابة على هذا السؤال فإنني سوف أورد ما قاله الحوفي في هذا الجانب . فأما أثر الضحك في الفرد فإنه " يتناول نفسيته وأعضاءه ، فقد اعتبره الفلاسفة مظهراً من مظاهر السرور والانشراح ، أو وسيلة لترويح النفس من متاعب العقل ، أو تنفيسًا عن

---

(١) رياض قزيحة : الفكاهة في الأدب الأندلسي ، الطبعة الأولى ، (صيدا – بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) ص ٧٨ .

(٢) أحمد محمد الحوفي ، الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، د.ط ، (القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م) ص ٧ .

(٣) الفكاهة في الأدب الأندلسي ، ص ٧٢ .

(٤) السابق ، ص ٧٢ .

الطاقة الحيوية الزائدة على الحاجة ، أو سلسلة أعمال عكسية تساعد على تشنج الحاجز وتقوية الجهاز الصوتي والتنفسي " [1] .

هذا مختصر الحديث عن أثر الضحك والفكاهة في حياة الإنسان الممتلئة بالهم والنصب . أما عن أثرها في المجتمع فهي قائمة على " أن الناس مترابطون في سرّائهم وفي ضرائهم ترابطًا اجتماعيًا وثيقًا بطريق المشاركة الوجدانية ، وهذه المشاركة ذات حدين ، لأنها الدعامة التي لا يتم تكوين المجتمع الإنساني بغيرها ، ولكنها مع ذلك تحملنا على التألم لألم جيراننا وإخواننا والإشفاق عليهم ، والرثاء لحالهم " [2] .

ومما تقدم يتبين لنا في جلاء أثر الضحكة والفكاهة على الفرد والمجتمع . فهي مزيلة للهم والكدر عند كل الفئات ، فالفقير يحتاج إلى النكتة والدعابة نظراً لما يعترضه من آفات ومضايقات في سبيل الحياة ، والغني محتاج إليها أيضاً لأن فيها تسلية ومرح لإزالة ما ينغص حياته ، وليشغل بها أوقات الفراغ التي ابتلى بها الكثير من الأغنياء . فالفكاهة وسيلة لأن ينفس الإنسان عن نفسه بعض مايحمل من أثقال المجتمع من هموم وأكدار ، بل إنها علاج ممارس لأن يسترد الإنسان نشاطه وحيويته .

وأدبنا العربي زاخر بالفكاهة على مر عصوره الأدبية في مختلف بيئاته المتناثرة . وشاعرنا غنيم ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالروح الفكاهية الدعوبة وجبلوا على حب المرح والفكاهة . وقد ذكر الحوفي في كتابه عدة عوامل صبغت طبع المصريين بالمرح والفكاهة منذ القدم وأهم هذه العوامل في نظره البيئة الطبيعية التي عاش فيها المصريون ، والتدين الذي كان له أثره العظيم في الرضا والسماحة واجتلاب المسرة والفكاهة ، والمحافظة على العادات والتقاليد الاجتماعية المصرية [3]. وغنيم كان واحداً من أولئك الشعراء المصريين الذين عرفوا بالفكاهة والدعابة وبساطة الروح ، لأنه كان " ضيق الحال ، كثير العيال ، دائم الشكوى والأنين من المرتب القليل المحدود ووطأة الغلاء

---

(١) الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، ص ١١ .

(٢) السابق ، ص ١٢ .

(٣) انظر : الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، ص ٢٥٦ .

والأسعار ، وسخف الأصدقاء ، وحقد الزملاء " [1] . لذلك يرى المتصفح لديوانه ذلك الكم الهائل من الفكاهة والدعابة التي تعد لوناً من ألوان شعره الاجتماعي ، ومصدراً مهماً من المصادر التي ساعدته على إبداعه وتميزه ، وتفوقه بين أقرانه وكان ذلك " نتاج سمرولهو وعبث حلو بينه وبين أصدقائه " [2] فكانت تلك المداعبات مع زملائه وأصدقائه الشعراء رصيدًا شعريًا رائعًا أضيف إلى الشعر العربي فيما عرف بالأدب الفكاهي .

وسأعرض هنا نماذج من شعره الفكاهي ، تؤيد في جلاء أن غنيماً كان ذا نفس فكاهية مرحة كما أن ريشته استطاعت أن تلعب باللفظ وبالمعنى في قدرة فائقة وتصوير دقيق .

فعلى الرغم من أن ديوانه (صرخة في واد) يمثل " ثورة شاعر على الملكية وفسادها في مصر قبل الثورة "[3] إلا أنه مليء بالفكاهة والنقد الاجتماعي اللاذع المصبوغ بطابع الدعابة والمرح . فمن ذلك مثلاً قصيدته (راتبي) التي يمزج فيها الفكاهة بشكواه وسخطه من قلة الراتب وسوء حاله وهي صورة ناطقة بفساد الملكية ، واستبداد الحكام قبل الثورة:

ولي راتب كالماء ، تحويه راحتي	فيفلت من بين الأصابع هاربا
إذا استأذن الشهر ، التفت فلم أجد	إلى جانبي إلا غريمًا مطالبا
فأمسيت ، أرجو نعيه يوم وضعه	وليس الذي يمضي من العمر آئبا [4]

ثم انظر إلى قصيدته (بيوت الشعراء!) التي يكشف فيها ما آل إليه وضع الشعراء من آفة وإهمال وقلة حيلة ، لأن مواردهم ضيقة ، ولأن الحكام والأغنياء قد استبدوا بالمادة وبالعيش الرغيد :

كسوت الناس خزًّا من ثنائي	وبتُّ من البلى أرفو كسائي
أأنشىء كل يوم ألف بيت	وأسكن بعد ذلك بالكراء ؟
فلو طاب المقام ببيت شعر	إذا لأقمت في أعلى بناء

---

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٢٤٤ .

(٢) دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص ١٢ .

(٣) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٥١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٤١ .

إذا لمـــلأت شـــط النـــيل ورداً فـــلم تـــرى فـــيه شـــبراً من فضاء
إذا لملكـــت أحـــياء بمصـــر تـــناطح دورهـــا هـــام الســـماء
ألا ، مـــن يشـــتري أبـــيات شعري بكـــوخ شـــيد مـــن طـــين وماء ؟
فلـــيس الطـــين أكـــرم مـــن فؤادي ولـــيس المـــاء أغـــلى من دمائي [1]

فمن خلال تلك الأبيات السابقة التي تحمل روح الفكاهة تتبين لنا الحالة البائسة التي يمر بها الشعراء والتي يمثلها غنيم في شخصه .

والفكاهـــة قـــد تتناول موضوع البخل الذي كان شائعًا في الأوساط الاجتماعية والـــذي كـــان صورة لأخلاق بعض الناس . ولكن الشاعر قد وظفه في شعره الفكاهي لـــيمازح بـــه صديقه الشاعر (محمد الأسمر) وذلك لإزالة مايعتري حياهما من منغصات ومشكلات ، يقول :

صـــم إذا مـــا الضـــيف جـــاءك وامـــنح الضـــيف عشـــاءك
واجعـــل الصـــوف غطـــاء الضـــــيف ، والســـقف غطـــاءك
لا تصـــن زادك في الشـــعـــــري ، وفي المـــريخ مـــاءك
لا تكـــن كـــزا شـــحيحًا يكـــــره الله لقـــــاءك
يـــا صـــديقي قـــد فحصـــنا ك ، فكـــان الـــبخل داءك
خـــذ نقـــيع الجـــود ، واشـــربـــه تجـــد فـــيه دواءك
أنـــت بالـــبخل مـــريض نســـأل الله شـــفاءك
كنـــت بـــالأمس ســـخياً رحـــم الله ســـخاءك [2]

وعندما قرأ (الأسمر) تلك الأبيات ، رد عليه في جريدة الأهرام بأبيات منها :

يـــا صـــديقي أنـــت في شـــعـــعـــرك لم تلـــبس رداءك
يـــا كـــريم العصـــر ، مـــا أجـــمـــل في الجـــود ادعـــاءك
شـــذّ مـــا اتعبـــت شـــيطان قوافـــيك وراءك ! [3]

(1) المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(2) السابق ، ص ٢٦٠ .

(3) السابق ، ص ٢٦٢ .

فلما قرأها غنيم أجاب صديقه الأسمر بهذه الأبيات :

أيهـــــا المـــــنكر جـــــودي	رحـــــــم الله حـــــــياءك
أنـــــا ، لـــــولا أن يقولـــــوا:	مَـــــنَّ ، أظهـــــرتُ افـــــتراءك
هـــــل تناســـــيت ســـــخائي	وتناســـــيت ثـــــناءك
كـــــم نظمـــــت الشـــــعر في مـــــد	حـــــي ، فأجزلـــــت عطـــــاءك
وعـــــلى جـــــودى – بعـــــد اللـــــ	ـــــه – علقـــــت رجـــــاءك [1]

وعندما نطوي صفحات ديوانه (صرخة في واد) ونحلق في فضاء ديوانه الثاني (في ظلال الثورة) نجد الفكاهة إحدى ملامحه الفنية فهو " ذو نزعة مرحة ساخرة ، تماثل تمامًا تلك النزعة التي عرف بها الشعراء المصريون قديمًا ، إنه يداعب إخوانه في أسلوب رصين ، ويرسم لهم صوراً هزلية ضاحكة ، قلَّ أن يأتي بمثلها كثير من الشعراء " [2]. انظر إليه وهو يداعـــب الوزير الأباظي حينما ألقى قصيدة على إثر مأدبة من مآدب (العدس) التي اشتهر بها ذلك الوزير :

عـــدس الوزيـــر ألـــذُّ عـــند المأكل	مـــن ألـــف ديـــك بالـــبهار متبل
لا يذكـــر الـــرومي وهـــو محمـــر	بجـــواره ، أيـــن ابنُ هند من علي ؟
عـــدس تحـــداه الكـــباب ، فـــبذَّه	ورمـــى الحمـــام ، فصابه في المقتل
حـــبٌّ كحـــب الكهـــرمان مفصّلٌ	صـــاغ الغـــواني مـــن فرائده الحلي
وضـــعوه في طبق ، فقلت لصاحبي:	ماضـــر لـــو جـــاءوا به في مرجل ؟
قـــالوا لـــنا : عدس ، فافزعني اسمه	لم لا ، ومـــنه قـــد تكوَّن هيكلي ؟
حـــتى ظفـــرتُ لـــدى الوزير بأكله	فلعقـــت مـــن بعد الملاعق أُنملي [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٨ .

(٣) السابق ، ص ٥٧٦ .

ومـــن الفكاهة والدعابة التي تحمل في طياتها هجاء ساخرًا بالإنسان والذي يعرف بالرسم (الكاريكتوري) أي التهكم والسخرية من خلقة الإنسان أو ما يسمى بـــ(العيوب الجسدية) قوله في رجل كبير الأنف :

لي صـــــاحب ظلّـــــه خفـــــيف ... لأنفـــــه دانـــــت الأنـــــوف

أنـــف له قمّـــةٌ ، وســـفحٌ ... فـــيه المغـــارات ، والكهـــوف

إن قامـــت الحـــروب غـــاب فـــيه ... مـــن خـــوف غارتها ألـــوف

ســـألته : أهـــو صـــنع ربي ؟ ... فقـــال : لا : بـــل بـــناه خوفو [1]

ومداعبات غنيم مع أصدقائه مستمرة وقائمة ويعد صديقه (العوضي الوكيل) من أبـــرز من كان يداعبهم ويمازحهم ، فحين صدر قرار حظر تحريم ذبح الماشية بضعة أيام شكا صديقه (العوضي) ذلك فداعبه غنيم بأبيات يقول فيها :

قـــرار الذبـــائح لمـــا صـــدر ... بكـــى ابـــن الوكـــيل بدمـــع المطر

وأُقســـم ، ماشـــمّ ريـــح الـــلحوم ... ولا ذاقهـــا مـــرة في العمـــر

وهـــل يـــأكل الكبش لحم الشياه ؟ ... وهـــل يـــأكل الـــثور لحم البقر ؟

ومـــا أنـــت واللحم ، ياابن الوكيل ... بحســـبك أكـــلُ لحـــوم البشـــر [2]

فهـــذه الأبيات تدل دلالة واضحة على أن مداعبات غنيم مع أصدقائه تحمل معنى للهجاء الساخر المفعم بالتهكم والتنكيل .

وعـــندما نقلب صفحات ديوانه الأخير (رجع الصدى) نجد عددًا لا بأس به من القصائد والمقطوعات التي تحمل روح الفكاهة والدعابة :" فجانب الفكاهة واضح في هذا الديوان ، كما كان واضحًا في ديوانيه السابقين ، وربما انفرد هذا الديوان بفكاهة ملحمية طويلـــة كمـــا تصـــوره فكاهة " بط الماحي" ، وهي تدل على نفس طويل وإلحاح على الفكاهة " [3]. فالقصيدة التي أنشأها في "بط الماحي" تشبه القصة أو الملحمة عن هذا البط ، وتـــبدأ هـــذه المساجلة الشعرية الفكاهية عندما وقف الشاعر الظريف : (عبد السلام

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨١ .

(٢) السابق ، ص ٥٨٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ، ص ٦٥٢ .

شهاب) في إحدى الندوات التي نوقش فيها ديوان الماحي ، بإلقاء زجلٍ فكاهي بدأه بقوله :

ديوان الماحي الدمياطي سبحان الوهاب العاطي !
ولبيت الماحي صيت في تربية البط الزغاط [1]

فلما سمع غنيم تلك الأبيات تحركت شهوته إلى أكل البط ، فأرسل إلى صديقه الماحي قائلاً :

قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا فأكلنا بالأُذن حتى شبعنا
غير أن الأفواه تنطق همًّا : ماعرفنا لذلك البط معنى
يأبا مصطفى ، عليك سلام أفيرضيك أن شبعت وجعنا ؟
جد علينا ولو بطيف جناح لا تدعنا نشكو الطّوى ، لا تدعنا
نحن في عهد أزمة وغلاء قد رهنا فيه المتاع وبعنا
نحن قوم لنا العفاف شعار إن سُقينا حساء بط قنعنا
وإذا نالنا كريم بإحسان شكرنا صنيعه وأذعنا
ونذيق البخيل هجوًا وبيلا مثل عبد السلام ضربًا وطعنا [2]

فذكر البط قد أثار شهوة الطعام لديه فتخيل أنه قد أكل عن طريق السماع لا عن طريق الحقيقة والواقع .

ولكن الماحي رد على غنيم مباشرة يستنكر ما قاله (عبد السلام) ويؤكد أن ما قاله ليس إلا مبالغة وادعاء :

يا أخي ، ياغنيم ، رفقا بحالي إن عبد السلام بات يغالي
لا تصدق ماقاله ، ياصديقي إنه شاعر رحيب الخيال
لم يزرني ولم أزره ، ولكن هاجه الشوق للطعام الغالي [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧١ .
(٢) السابق ، ص ٨٧١ .
(٣) السابق ، ص ٨٧٢ .

ويبين أن الحصول على (البط) في تلك الفترة بات من المحال لارتفاع الأسعار وعسر الحال :

فغداء البط والدجاج -كما تعـ ـلم- ضربين من ضروب المحال [1]

ولكنه مع ذلك سوف يستجيب لصديقه ويدعوه على مأدبة من (البط) في أقرب الأوقات :

لك عندي وللصديق شهاب أسمن البط في قريب الليالي [2]

لكن تلك الدعوة إلى تلك المائدة الشهية دعوة متهافتة غير مؤكدة وصريحة ، فبعث غنيم إلى الماحي بأبيات يطلب منه أن يؤكد الدعوة ويوثقها رسميًا حتى يتم المراد :

أيها الشاعر الرقيق الحال أنا لم أدر أن جيبك خالي

أنت قد بت تدعي الفقير حتى كدت أهدي إليك قوت عيالي

ما طلبنا إليك ذبح فصيليـ ـن ، وفحلين من فحول الجمال

بل طلبنا جناح أنثى من البط إلى الله نشتكي من هزال

فعلام الأسى ، وطول التشاكي والتباكي على الزمان الخالي ؟

لست ممن يدعو الضيوف بقلب بل بقول ممزق الأوصال

والكريم الكريم يدعو بقلب ثابت ثابت ثبات الجبال [3]

ويقرأ (الماحي) هذه الأبيات لكنها لم تؤثر فيه ، حيث أجابه بأبيات لا تؤكد الدعوة إلى تلك المائدة المنتظرة ، بل إنها مثل سابقتها تماماً فقال :

يا صديقي ، لقد عهدتك عدلاً منصفًا في المقال والأفعال

أنا لا أشتكي – كما قلت –فقرًا لا ، ولا البخل خصلة من خصالي

هل أجاريك في دعابتك الحرّ ى ، وأنت المداعب المتغالي

لا ،وحسبي أن أعود إلى دعـ وتك اليوم ، صادقًا في سؤالي

مع ، من شئت من محبيك ، أنّي لا أماري ، ولست بالبخال

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٨٧٢ .

(٣) السابق ، ص ٨٧٢ .

فاقـــترح يـــاأخي – فديتك – يوماً واختبر–إن شككت–صدق مقالي [1]

ويـــرد غنـــيم على هذه الأبيات بمقطوعات قصيرة يؤكد فيها استمراره في تنفيذ ماهدد به:

بـــا لله ، يـــاذات المحـــيّا الضـــاحي قـــد طال بي ليلي ، وأنت صباحي !

قالـــت : أتطمـــع في الوصال ودونه قُـــبَلُ النجوم وأكل بط الماحي ؟ [2]

وقوله :

ويـــلاه ! ليـــلي بالعـــراق مريضـــة قـــد أصـــبحت في عـــالم الأرواح !

كـــيف الســـبيل إلى الـــدواء ، وإنما قـــبل النجوم وأكل بط الماحي ! [3]

وأخيرًا يستجيب (الماحي) لمحمود غنيم ويذبح بطه بعد تلك الملحمة الشعرية التي نشبت بينهما ، فيأكل غنيم من ذلك البط ، ويشكر صديقه الماحي على تلك المأدبة :

يقولـــون : مـــا للشعر غاض معينه وكنت تقول الشعر في البط محكما ؟

فقلـــت لهم : قد كان جوعي ملهمي فـــلما أكلـــت البط ، لم ألق ملهما

فـــلا شـــكر لـــلماحي إذا لم يُثنهّا فـــإن هـــو ثنىّ كان أسخى وأكرما

وإلا فإنّـــــا قـــــائلون لـــــبطه : " إلى حيث ألقت رحلها أم قشعما"

وأهـــون مـــن هـــذا لديّ : لو انني حفـــرت بظفري في الجنادل منجما

لـــه الله بطـــــاً صـــدته بقصـــائد تكاد تصيد النجم من كبد السما ![4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٨٧٤ .

(٣) السابق ، ص ٨٧٤ .

(٤) السابق ، ص ٨٧٦ .

د – المهاداة :

كانت (الهدية) وما زالت رمزًا من رموز المودة والإخاء ، ودلالة أكيدة على المحبة والوفاء بين أفراد المجتمع ، وهي من أجلّ الروابط الإنسانية في كل المجتمعات ، وقد كان لوقـــع الهديـــة في نفس شاعرنا أثره الفعال فمن خلالها تتأجج العواطف وتثار المشاعر . والهدايـــا في ديوانه تأخذ وجهين أولهما : إهداء للشاعر من قبل أصدقائه كتاب وأدباء ، وثانيهما : إهداء من الشاعر نفسه لمن يعز عليه من الأصدقاء والزملاء . وعادة ما تكون تلـــك الهدايا مقرونة بقصائد ومقطوعات شعرية يعبر فيها الشاعر عن عظيم امتنانه وبالغ شـــكره لذلـــك الشخص . فعندما أهدى الدكتور : عبد الوهاب عزام نسخة من كتابه (رحـــلات عزام) إلى الشاعر كتب إليه غنيم قصيدة رائعة يمدح فيها عزامًا ، وينوه بكتابه الذي يشتمل على تجارب عزام في رحلاته بين البلدان ، يقول في وصف الكتاب :

نظمـــت الـــبلاد ، فكانـــت كتابا ... فســـافر مـــن لايحـــث الـــركابا
تجـــوب البســـطة ركـــناً ، فركـــنا ... إذا ماتلونـــاه بابـــاً ، فـــبابا
كـــأني غـــداة أطـــالع فـــيه ... أشـــق الوهـــاد ، وأعلـــو الهضـــابا
وأمســـح مـــاء الجـــبين ، وأنفـــ ... ـــض مـــن فضـــلات الغبار الثيابا
ربـــوع تلـــوح وراء حـــروف ... تـــريك مآذنهـــا والقـــبابا
تكـــاد تظـــن الحـــروف رســـوما ... وتحســـب حســـن البيان خضابا [1]

ويقول في مدح (عزام) :

لـــك الله مـــن " ســـندباد" حديث ... يســـوق إليـــنا الحديـــث العجابـــا
أرى الســـندباد بـــوادي الخـــيال ... يهـــيم ، وتـــنقل أنـــت الصـــوابا
تســـوق الحقـــيقة في روعـــة ... وتـــرمي القشور ، وتروي اللُّبابا [2]

وهذا الأديب الكبير الشاعرعزيز أباظة يهدي الشاعر نسخة من رواية (قيس ولبنى) فـــيرد عليه الشاعر بمقطوعة شعرية يعبر فيها عن عميق شكـــــره وامتنانه لـــهذه الهدية القيمة .

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٧٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٤ .

ويصـــف فيها القيمة الأدبية لهذه الرواية من حيث براعة أسلوبها وحسن معانيها وتناغم ألفاظها وقوة تراكيبها وطريقة عرضها :

جلـــوت للضـــاد في زاه مـــن الحلل ... خـــريدة مـــن بنات الأعصر الأول

بعثـــت قيسًـــا ولبنى ، يخطران على ... أرض الجزيـــرة بـــين الشـــاء والإبل

كانـــا أحاديـــث للأسمـــاع فاتـــنة ... فأصـــبحا فتـــنة الأسمـــاع والمقـــل

روايـــة لم يـــنل قـــيس بطولـــتها ... بـــل أظهـــرتك لنا في صورة البطل

لـــو لم تـــنص عـــلى المأثور عنه ، لما ... فرقـــت بيـــنكم في رقـــة الغـــزل

عـــبارة كرضـــاب الغـــيد ســـائغة ... في مـــنطق كقـــوام الغـــيد معتدل

مـــالا تصـــوره الألـــوان زاهـــية ... صورته أنت في " مستفعلن" فعل [1]

وللدواويـــن الشـــعرية متزلتها عند الشاعر فهذا الشاعر (علي محمود طه) يهدي الشـــاعر نســـختين من ديوانه " الملاح التائه" ، واحدة بعد الأخرى إلا أنها قد ضاعت كلـــتاهما بالـــبريد ، فكتب غنيم لمحمود طه هذه الأبيات يبين فيهما ما حدث من ضياع للهديـــتين اللتين كان شغوفاً بوصولهما ولكن حدث ما حدث ، ثم يشير إلى ما يتميز به شعر (علي محمود طه) من عمق في الفكرة ووضوح في الأسلوب ، فيقول :

بعثـــــت بملاّحـــــك الـــــتّائه ... وطوّقـــــت جـــــيدي بإهدائـــــه

ولكـــنه تـــاه في ظـــلمات الـــ ... محـــيط ، وضـــلّ بأحشـــائه

ألا مالشـــعرك في الـــبحر تـــاه ... وشـــعرك أعمـــق مـــن مائـــه ؟

كـــأني بـــه ضـــلّ بـــين الـــلآلي ... فـــلألأ لاؤهـــا مـــثل لألائـــه

لـــه الله ! كـــيف اهـــتدى للجميع ... وأخطـــأ أشـــوقَ قَـــرّائه ؟

تُـــرى : هـــل ألحّ علـــيه الحـــياءُ ... فأعـــرض خشـــيةَ إطـــرائه ؟ [2]

أما النوع الآخر من الإهداء فيتمثل في إهداء الشاعر لغيره من الأقران والأصحاب دواويـــنه الشـــعرية باعثًا معها بمقطوعات وقصائد تعبر في جلاء عن صدق محبته ووفائه والـــتزامه بعـــرى الصداقة . فعندما قدَّم غنيم ديوانه هدية لمعالي الشيخ : (عبدالله الجابر

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٦ .

الصباح) أنشأ قصيدة يعبر فيها عن شكره لذلك الشيخ الذي غمره بجمائله وأفضاله ، ويصور فيها مدى ما يكنه له من محبة وتقدير ، ويشير إلى أن أفضل هدية يمكن أن تقدم له هي ما فاض به خاطره من شعر مكنون يتمثل في ذلك الديوان العزيز إلى نفسه :

لما رأيت جميل عطفك غامري ... ورأيت فضلك فوق شكر الشاكر
عبرت عن شكري بذوب حشاشتي ... وعميق إحساسي ، وفيض خواطري
أهدي إليك –ولا أمن – أعز ما ... ملكت يدي ، والشعر كنز الشاعر
قدمت ديواني إليك ، وحسبه ... شرف القبول من الأمير الجابر
فإذا قبلت ، فتلك عندي منّة ... أخرى ، وشكرٌ ماله من آخر [1]

ولا يزال التواصل والإهداء مستمرًا بين الشاعر وغيره من الأصحاب والأحباب فنراه يهدي ديوانه كذلك للأمير القاسمي ، ويعطره بباقة من الأبيات في مدح ذلك الأمير ويعقبها بالتنويه عن قيمة هذه الهدية :

إلى الأمير القاسم ... ذي الفضل والمكارم
رب القريض النابغي ... والسخاء الحاتمي
صقر قريش كلها ... أمية ، وهاشم
إلى الذي عزَّت به ... أرض المُعزِّ الفاطمي
أبعث شعري واجمًا ... مطأطئَ الجماجم
ماقيمة الأصداف عند ... صائد القوائم ؟
فاعجب لها هدية ... لشاعر من ناظم ! [2]

والواقع أن هذه الهدايا كانت مثيرًا لإبداع الشاعر ودلالة أكيدة على علاقاته القوية مع أصدقائه وأصحابه سواء كانوا من داخل مصر أم من خارجها كما مر مع الشيخ الأمير الصباح ، والأمير القاسمي اللذين يعدان من أمراء الخليج العربي .

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٣٨ .

(٢) السابق ، ص ٨٣٩ .

ثانياً : متفرقات اجتماعية:

استطاع غنيم بفضل ما أوتي من موهبة شعرية غزيرة أن يضمن شعره واقع مايدور حولـــــه من أمور الحياة ، وأن يعبر بصدق عن قضايا أمته أجمل تعبير . وحاول أن يدلي بآرائه في حل مشكلاتها وما يحل بها من أفراح وأتراح ولذا " فقد تناول الشاعر في شعره جمـــيع الأغـــراض ، وطرق كل الموضوعات وما يتصل منها بالتعبير عن ذاته ، وما يتعلق بالجوانب الاجتماعية والدينية والقومية ، والوقوف عند مظاهر الوجود ، ومناجاة الطبيعة ، واســـتلهامها وعبر عن الآمه وأحلامه كما عبر عن آلام أمته وأمالها في شعر عذب يغزو القلوب ويستحوذ على النفوس" [١] .

ومن أهم الموضوعات الاجتماعية التي طرقها وناقشها وحاول أن يضع لها حلولاً ناجحـــة مشكلات الشباب وما يواجهه من أخطار وتحديات يمكن أن تعصف به وتقضي علـــيه ولكون غنيم معلماً ثم موجهاً فقد استطاع أن يقترب من الشباب ويعرف ما يدور حـــوله من مغريات يمكن أن تقتلعه وتجتثه فكان بمثابة الموجه لهم ينصحهم ويرشدهم إلى الطريق السليم ، وينبههم إلى ما يدور حولهم من أحداث وتحديات . انظر إليه وهو ينتقد بعض الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي أصيب بها بعض الشباب وهي مغالاتهم وتماديهم في التأنق والنعومة التي تصل إلى حد التشبه بالنساء وما ظهر من (موضات) وتسريحات غربية ابتلى بها بعض الشباب :

شـــباب النـــيل ، يـــازين الشـــباب	ويـــا أشـــبال آســـاد غضـــاب
معـــي : عتـــب أوجهـــه إلـــيكم	وقـــد تصـــفو المـــودة بالعـــتاب
أرى مـــنكم فـــريقًا حـــين يمشـــي	يحـــكُّ بأنفـــه ، ظهـــر الســـحاب
تفـــنَّن في محاكـــاة العـــذارى	وخـــالفهُنَّ في وضـــع الـــنقاب
وأرســـل شـــعره المضغوط ، يحكي	ومـــيض الـــبرق ، أو لمـــع الشهاب
تداعـــبه الصَّـــبا فـــيموج موجًـــا	كمـــا هـــبَّ النســـيم على العباب
لـــه حُلَـــلٌ تحـــاكي الطـــيف لونا	بـــأزرار مـــن الذهـــب اللـــباب

---

(١) دموع على الشاعر محمود غنيم ، كلمة د. كامل السوافيري ، ص ٣٠ .

وفـيها جسـمه انصـبَّ انصـبابا فمـا تـدري الثياب من الإهاب [1]

والقصيدة كلها تهكمٌ وسخريةٌ بالشباب المتأنق المتنعم الذي لايعرف من الأعمال إلا (ربطـة العنق) ولا من الخوف إلا خوفه مما يمكن أن يثور على ثيابه من غبار ، وعند مخاطبته بحديث فيه قسوة يتأوه ويتنهد في الكلام :

ولـيس بمحكـم عمـلاً شـريفًا ويحكـم وضـع أربطـة الـرِّقاب
ولا يخشـى عـلى شـيء ، ويخشى إذا ثـار الغـبار عـلى الثـياب
إذا خاطبـته في غـير لـين تـأوَّه ، أو تـنهَّد في الخطـاب [2]

والشباب في نظر غنيم مستقبل الأمة وعمادها وصوتها الذي تصدح به ، وساعدها الذي عليه تقوم ، وكفها الذي به تشفى وتطيب :

نـشء الكـنانة ، أنت نعم الداعي فاقـرع بصـوتك كـلّ سمع واع
اجهـر بصوت الحق . ضل الحق في هـذا الـزمان مـنافذ الأسمـاع
صـوت الشـباب مـبرأ كضميره مـن كـل شـائبة وكـل خداع
نـشء الكـنانة ، أنت أنت ذراعها لا خـير في جسـد بغـير ذراع
وعـلى يديك إذا شكا شاكي الحمى بـرء السـقيم بـه من الأوجاع [3]

ولكـن ما هو الشباب المثالي عند غنيم ؟ وما توجهاته ؟ وما عدته لتحقيق تلك التوجهات ؟ هذا ما يجبك عنه غنيم بقوله :

إن الشـباب تحضُّـرٌ وتوثُّـب لـيس الشـباب بلـذَّة ومـتاع
إن لم يُعـدَّ المـرءُ فـيه نفسـه لغـد ، أضـاع العمـر أيَّ ضياع
لا يخدعـنكم الشـباب ، فإنـه لـيمر مـثل الـبرق في الإسـراع
أنـتم جـنود لـلحمى فتشـجعوا فالنصـر لم يكتـب لغـير شجاع
أقسـمت ، ماعـتدَّ الشـباب بعدة كصـحيفة في كفـه ويـراع [4]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٩٠ .

(٢) السابق ، ص ٩٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٥ .

(٤) السابق ، ص ٤٤٥ .

وفي قصيدته (أيها النشء)الموجهة إلى الشباب الناشئ نراه يحثهم على طلب العلم في مقتبل العمر وبدايته ، وأن يأخذوا العلم من الكتب المفيدة ، فالتحصيل والتعليم في الصغر كالنقش على الحجر ، وبالعلم ينتصر الشعب وبالعلم يصان الوطن :

تعلموا في ربيع العمر واقتنصوا ... من كل سفر مفيد خير مافيه

وحصّلوا ، إنما التّحصيل في صغر ... نقش على الصخر لا يمحوه ماحيه

الشعب إن ينتصر بالعلم ينصره ... والشعب إن يدّرع بالعلم يحميه [1]

ولم ينس غنيم في صدد حديثه عن الشباب أن يتحدث عن (الفتاة) ويجعلها الأساس الأول في دعم الرجل وتربيته فوراء كل رجل عظيم أمرأة عظيمة حسب الحكمة المشهورة ، لكننا نجد غنيماً على الرغم من محافظته وتدينه يدعو (الفتاة) للخروج إلى ميادين العلم والمعرفة ، لأنها أصبحت في زمن يجب عليها أن تنزع الستار وترفع الخدر وتسير إلى جانب الفتى في معترك الحياة وتنافسه في كل المجالات العلمية والمهنية:

قل للفتاة : لقد أصبحت في زمن ... للستر والخدر لم تخلق غوانيه

سيري جوار الفتى في كل معترك ... وفي مجال العلا والعلم باريه

إن الحمى بفتاه والفتاة معاً ... كل عليه له دين يؤديه

الطفل يرضع من أخلاق مرضعه ... قبل اللبّان التي تنصب في فيه

ما أنتجت أمة من أهلها طفلاً ... إلا ومن خلفه أنثى تربيه [2]

ولشدة حبه للشباب وتعلقه بهم وحرصه عليهم ، نراه ينظم لهم أناشيد حماسية ، فهناك نشيد للرياضة ، ونشيد للجامعة ، ونشيد للصحة ، وهذه الأناشيد تقال إما برغبة منه أو بطلبٍ من الجهات المعنية كالجامعات والمدارس .

فيقول في النشيد الرياضي الذي يدعو إلى الاهتمام بالرياضة وممارستها ،لأنها تغرس النظام ، وتقوي الأجسام ، وتنمي المواهب والأفكار كما تواتر في نصائح السابقين (العقل السليم في الجسم السليم) :

إلى الأمام سر ، إلى الأمام ... أسود بالتدريب ، والنظام

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦١٠ .

(٢) السابق ، ص ٦١٠ .

لي عـــزمة قـــدَّت مـــن الأهـــرام   ســـرُّ الحـــياة صـــحة الأجســـام

إلى الأمام سر إلى الأمـــــــــــام

ســـــلاحنا رياضـــــة الأبـــــدان   أخلاقـــــنا متيـــــنة البنـــــيان

دروعـــــنا مـــــن قـــــوة الإيمـــــان   بـــــاهي بـــــنا ، يأمـــــة العـــــربان

فنحن جند الحرب والســـــــــــلام

إلى الأمام سر إلى الأمـــــام ... الخ (١)

ويقول في النشيد (الجامعي) الذي يحفز فيه همم الشباب ، ويدعوهم إلى التمسك بمآثر الأباء ومكارمهم التي ورثوها عن أسلافهم وينصحهم بالأخذ بأساليب العلم والتحلي بالأخلاق الفاضلة :

هـــلمو ، يـــا شـــباب الجامعـــات   نشـــق طـــريق يعـــرب في الحـــياة

نُحيِّـــيي مجـــد آبـــاء أُبـــاة   لـــنا ســـنوا طـــريق المكـــرمات

هلموا ، يا شباب الجامعـــــــــات

لـــنا كـــرم الشـــمائل مـــن قـــديم   ورثـــناه كـــريماً عـــن كـــريم

نصـــون العـــلم بـــالخلق القـــويم   ونســـمو بـــالخلال الصـــالحات

هلموا ، ياشباب الجامعـــــــات (٢)

وفي النشيد (الصحي) الذي يدعو إلى الاهتمام بالصحة والعمل على نشرها وأن تكون شعاراً للجميع يقول :

ياشـــباب العـــلم في الـــوادي الآمين   أشـــرق الصـــبح ، فهـــزوا النائمين

إن هـــذا العهـــد عهـــد الفائـــزين   لـــيس فـــيه مقعـــد للعاجـــزين

* * *

إنمـــا الصـــحة عـــنوان الحـــياة   فانشـــروها نضـــرة فـــوق الحـــياه

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٦٣ وتاليتها .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٥٣ وتاليتها .

وارسموهـــا بســـمة فـــوق الشـــفاه وابعـــثوها رحمـــة للعـــالمين [1]

ومـــن الظواهـــر الاجتماعـــية التي نقدها غنيم وتحدث عنها في شعره (الحضارة الـــزائفة) فثار عليها وهاجمها ؛ لأن الناس فهموها فهما زائفا وقلدوا فيها الغرب طواعية دون تفكـــير ، وانطلقـــوا وراءهـــم يقلدونهم في كل شيء حتى في أساليب المعيشة التي أصبحت مشكلة معقدة بسبب ما يسمى بـــ (الاتكيت) المتبع في الآداب الرسمية وما إليها ، يقول في ذلك الجانب :

إني أرى الـــناس مـــا زادوا رفاهـــية في العـــيش ، زادوه تعقيداً وإشكالا
كـــم هـــان أمـــر فقلدنـــاه طائفة مـــن الحواشـــي وحملـــناه أثقالا [2]

ويتعجـــب الشاعر من تلك الحضارة التي طغت على عقول الناس وسيطرت على عاداتهم وتقاليدهم فحرمتهم من هدوء البال الذي كان ينعم به أسلافهم:

يـــا طالمـــا حدثـــتني النفس قائلة : أنحـــن أنعـــم أم أجدادنـــا بـــالا ؟
كانـــت حـــياتهم تضـــفي بساطتها علـــيهمو من هدوء البال سربالا [3]

ويدلـــل عـــلى هذا ببعض المفارقات العجيبة بين أسلوب القضاء في عهد أجداده وأســـلوبه اليوم ، مشيراً إلى مافرضه (تحديث القضاء) من (روتين) ممل يتسبب في تأجيل الأحكام والتراخي في إصدارها مما ينتج عنه تأخير الحقوق وإنهاك المظلوم :

كـــم لـــلمحاكم أحكـــام يقوم بها في الـــبدو فيصـــله ، والقول ما قالا
لا الحـــق ضـــاع إذا مـــاعيَّ مدْرهُهُ ولاترقُّـــبُ يـــوم الفيصـــل قد طالا
قـــدَّرتم الوقـــت تقديـــر الشحيح به فكدتمـــو تمـــلأون اللـــيل أعمـــالا
أثخنـــتم الوقت بالأعمال ، ويحكمو هـــلا أضفتم إلى الآجال آجالا ! [4]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٣.
(٢) السابق ، ص٧٤.
(٣) السابق ، ص٧٤.
(٤) السابق ، ص٧٤.

ثم يـــندد بالوسائل الحربية الحديثة التي أثقلت كاهل كوكب الأرض فامتلأ منها البحر والجو والبر ، وكثر عن طريقها القتل وتعددت أشكاله ، وتنوعت الجرائم ونفذت بجميع أشكالها تحت سمع العلم الحديث وبصره ، بل بدعمٍ وتأييد منه :

يـــارُبَّ حـــرب بغير العلم مااتّقدت ورُبَّ جـــيش بغـــير العـــلم ماصالا

في المـــاء والجـــو آلات مســـخرة تصـــوِّر المـــوت ألوانـــًـــا وأشكالا

لـــنا جـــرائم لم يســـبق بهـــا زمن باتـــت تُزلـــزل ركـــن الأمن زلزالا

كـــم وضَّـــحَ العلم منهاجًا لمختلسٍ وبـــات يحمي من القانون مغتالا [١]

ويـــبدو أن غنـــيمًا قد سئم تلك الحضارة الزائفة والمدنية المعقدة التي أثقلت على الناس حياتهم فبدل أن يطوعوها في خدمتهم أصبحوا لها عبيدًا ، فالحضارة في نظره وحش كاســـر ، ليس لها من اسمها إلا بريق زائف وسراب خادع ، لذلك نراه يدعو الناس إلى الـــلجوء إلى الطبـــيعة الفاتنة والعودة إلى حجرها الدافئ حتى يعيشوا في رغد من العيش وتعود إلى محياهم الابتسامة وإلى نفوسهم السعادة والصفاء والود :

هـــي الطبـــيعة ، مابـــرَّ الأنـــامُ بها أُمًّـــا ، وبـــرَّت بهـــم من قبل أنجالا

هل تشهرون عليها الحرب-ويحكمو- وكـــم طوت قبل هذا الجيل أجيالا ؟

عـــودوا إلى حجرها إن شئتمو رغدًا كمـــا نشـــأتم بهـــذا الحجر أطفالا

صـــوتُ الهـــزار وصوت العود أيهما أشـــجاهما أثـــرًا في الـــنّفس فعَّالا ؟

أقســـمتُ ، مانظـــرت عيني بحاضرة كالرَّمل أصفر ، أو كالماء سلسالا [٢]

فالحضارة إذاً " ليست كلها نعمًا ومباهج ، فكما تكون سبيلاً للرقي والهناء تكون أيضًـــا ســـبيلاً للتقهقر والشقاء ، ومن أسباب التقهقر والشقاء ماجرته الحضارة معها من ألوان الترف والرخاء والخلاعة " [٣] .

والواقـــع أن الحضـــارة قد جرت معها الاهتمام بـــ (المادة) التي اندفع الكثير من الـــناس إلى حـــبها وجمعها واعتبارها أساس الحياة والأخلاق ، فتبدلت القيم من جرائها

(١) المصدر السابق ، ص ٧٤ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٧٥ .

(٣) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٢١٦ .

وأصبحت الحاكم الذي يحتكم إليه . يقول غنيم معبرًا عن موقفه من (المادة) التي سيطرت على قلوب الناس :

فتَّشتُ بين الناس عن زاهد ... فلم تقع عيني على واحد
ما أزهدَ المرءَ إذا لم يجد ... وأبعد الزهد عن الواجد !
المجد : إما سطوة ، أو غنى ... ما العاجز المعدم بالماجد
فقيمة الشعب- إذا قستها ... بقيمة الصادر والوارد
وقيمة الفرد بما يملك الـ ... ـفرد من الطارف والتَّالد [1]

ومن الآثار الخطيرة التي تولدت عن حب (المادة) ضياع الأطفال الفقراءَ الذين حولهم الجوع إلى مردة مرعبين ، وتفوق الجانب المادي على الجانب المعنوي عند الناس فأصبحت أخلاقهم تقاس بالمادة وكثرتها :

كم طفلةٍ أودعَ من هرة ... حوَّلها الجوع إلى مارد !
قد يُحسدُ المرء على رزقه ... ولا أرى للخُلق من حاسد [2]

وفي قصيدته (قومي بين الشرق والغرب) نجده يثور على الحضارة الغربية التي افتتن بها كثير من الشرقيين . انظر إليه وهو يحذر العرب من تلك الحضارات المزيفة :

قومي ، لأنتم عبرة الأقوام ... هل تنسبون ليافث أو سام
أبناء عمي من نزار ويعرب ... ليسوا بأعراب ولا أعجام
يترسمون الغرب حتى يوشكوا ... أن يعبدوه عبادة الأصنام
ماقلدوهم مبصرين ، وإنما ... تبعوا نظامهمو بغير نظام
للغرب عادات مسممة ، سرت ... في الشرق مسرى الداء في الأجسام
إني رأيت جيوشه لم تغزنا ... في الحرب ، بل في مشرب وطعام
لاتأمنوا المستعمرين ؛ فكم لهم ... حرب تقنع وجهها بسلام
حرب على لغة البلاد وعادها ... ليست تشن بمدفع وحسام

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٧ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

والشـــعب إن ســـلمت له أخلاقـــه ولســـانه ، لم يخـــش قطـــع الهام [1]

وتفاديا للارتماء في أحضان الغرب يدعو الشاعر قومه للاستمساك بدينهم الرباني ، والمحافظـــة عـــلى لغتهم العربية ، وأن يوحدوا صفوفهم وكلمتهم ويرجعوا بأمورهم إلى الإسلام وتعاليمه السمحة :

أبـــني نـــزار ويعـــرب ، أوصيكمو بذخيرتـــين ، الضـــاد ، والإســـلام

المســـلمون — عـــلى شتات ديارهم فـــرض الإلـــه خضـــوعهم لإمـــام

الله بالجمعـــات وحَّـــد بيـــنهم وبحـــج بيـــت في الحجـــاز حـــرام

ديـــن ابـــن عـــبد الله ديـــن باسمه قـــبض الرشـــيد على الورى بزمام

هـــو دولـــة كـــبرى ، وملك شامخ لا محـــض تكـــبير ، ومحض صيام [2]

و لم يقف غنيم بعيدًا عن شعبه بل عايشهم وتداخل معهم وتعرف على مستوياتهم المعيشـــية وكـــافح المفاسد الاجتماعية الخطيرة التي ظهرت وانتشرت في عصره وخاصة (الجهـــل ،والفقر ، والمرض) وسماها بالأعداء الثلاثة ونادى بمحاربتها ومقاتلتها وبيَّن أن الحرب معها لاتقل أهمية عن الحروب التي تستعمل فيها كافة الأسلحة :

ليســـت الحـــرب في امتشاق السلاح بـــين سمـــر القـــنا وبـــيض الصفاح

إنمـــا الحـــرب : حرب جهل ، وفقر وســـقام هـــذا مجـــال الكفـــاح [3]

فغنـــيم ينشـــد الإصلاح الاجتماعي حتى يعيش الناس في رخاء ، فدعا إلى محاربة الجهـــل ومكافحـــته بالعلم ، لأن الجهل عدو النجاح والتقدم ، وأن يحمل الناس مشعل الثقافة في الأرياف والقرى لأنها بأمس الحاجة إليها لكثرة الجهل فيها بين الناس ويمكن أن يعد ذلك دعوة مبكرة إلى (محو الأمية) و(محاربة الجهل) :

ياجـــنود الحمـــى ، لقد أزف الوقـــ ـت ، فهـــيَّا بـــنا إلى الإصـــلاح

كـــافحوا الجهـــل في ثـــبات وعزم قهـــر هـــذا العدوان نصف النجاح

واحملـــوا مشـــعل الـــثقافة حـــتى يشـــعر الـــريف بابـــتلاج الصباح

(١) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) السابق ، ص ٩٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٦ .

إن أمضـــى الســـلاح في ساحة الحر　　　ب ســـلاح الأقـــلام والألـــواح [1]

ثم يدعوهـــم إلى مكافحـــة العـــدو الثاني والمتمثل في (الفقر) الذي يعتصر الناس وخاصة في الأرياف متمثلا فيما يمر به الفلاح من ضيق العيش ، ومرارة الحياة فيناشد أهل السماحة والكرم بالوقوف إلى جانبهم :

يارجـــال الـــبلاد ، مصـــر تنادي:　　　أيـــن أهـــل الندى وأهل السماح ؟

كـــافحوا الفقـــر في الكـــنانة ، حتى　　　تطـــردوه مـــن مـــترل الفـــلاح [2]

ثم يدعوهـــم إلى محاربة العدو الثالث ومكافحته بشتى الوسائل الممكنة والمتمثل في (المرض) الذي انتشر في كل البلاد وخالط الأصحاء ، وحلّ في الأكل والشراب ، يقول :

كـــافحوا الـــداء ، فهو ضيف ثقيل　　　حـــلّ بالـــزاد والـــنمير القـــراح

وامـــنحوا الشعب صحة الجسم حتى　　　يظفـــر الشعب بالعقول الصحاح [3]

وفي آخر القصيدة يكرر غنيم معاداته لتلك الآفات الاجتماعية المدمرة ويؤكد على شن حملات قوية لمحاربتها وإبادتها في المدن والقرى والهجر :

تلـــك أعداؤنـــا الـــثلاثة — ولاكـــا　　　نـــت- غزت مصر من جميع النواحي

فخـــذوا حذركـــم ، وشـــنوا عليها　　　الحرب،في المدن،في القرى،في الضواحي

فـــإذا ماجلـــت ، فقولـــوا : انتصرنا　　　وأقـــيموا معـــالم الأفـــراح [4]

وقـــد وقف غنيم محاربًا لـــ(الرذيلة) بجميع أنواعها وألوانها وهذه الرذيلة النكراء قد انتشرت بسبب الحرب والجهل المدقع الذي حل بالبشرية في تلك الفترة ، ونادى غنيم بالتمســـك بـــالأخلاق الفاضلة الحميدة التي تحقق للإنسان إنسانيته وكرامته وحبه للسلم والســـلام ، انظـــر إليه وهو يستنكر على الناس تخبطهم العشوائي في الحروب والبعد عن الأخلاق :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٦ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٤٤٧ .

(٣) السابق ، ص ٤٤٧ .

(٤) السابق ، ص ٤٤٧ .

مــا بــال عصــر النور أمسى أهله يســرون في لــيل بغــير صــباح ؟
لو سادت الأخلاق ما انقلب الورى ذوبــان فــتك ، أو كــباش نطاح
أو غـــررت بالعـــالمين مـــبادىءٌ تــزري بإفك مسيلم ، وسجاح [1]

ثم يبين رأيه في (المُلْك) ويرى أن أساس الملك وقوامه الأخلاق لا الحروب المدمرة والمجازر الوحشية :

الملــك بــالأخلاق يــبنى أســه لا بالمجــازر والــدم الســفاح [2]

ثم يبين رأيه في (الرذيلة بقوله) :

قل للطبيب : دع الجسوم إذا شكت مــن للــنفوس ودائهــا المــلحاح
إن الــرذيلة شــر مانعــيا بــه وأشــده خطــرًا عــلى الأرواح [3]

ومن المخاطر الاجتماعية التي ناقشها غنيم ووقف منها موقفًا حازمًا مايسمى بـــ (التبشير) وخطره الذي استشرى في مصر ، حتى كاد يؤدي إلى فتنة عمياء :

خطـــر تغلغـــل في الحمـــى باســـم المســـيح ومـــريما
إني أعـــيذ عـــرا المـــود ة بينـــنا أن تفصـــما
مــن عــقّ مصــر ، يعــق أحمـــ ـــمد والمســيح كلــيهما
أكـــبرت عيســـى أن يكـــو ن إلى المطـــامع ســـلما
فلطالمـــا نشـــر الســـلا م ، وباسمـــه جـــرت الدمـــا [4]

وقــد نــدد غنيم ببعض البدع والخرافات التي تصاحب الموالد ومن ذلك قصيدته (حفــل المولــد) التي أنشأها في مولد السيد (البدوي) وهي من النقد الاجتماعي اللاذع الذي يحمل في طياته السخرية والتهكم على مايقع في الموالد من بدع وخزعبلات :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٣ .
(٢) السابق ، ص ٤٤٣ .
(٣) السابق ، ص ٤٤٣ .
(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٩٢ .

لهفـــي عـــلى بلـــد بعـــا   دات الجـــــدود مقـــــيد !
باســـم الصـــلاح يشـــوهو   ن جمــــال ديــــن محمــــد
مــــاكل ســـيّال اللُّعـــا   ب مـــن الـــثقاة الـــزهد
هـــم قدســـوا الـــبدوي تقـــ   ـــديس المســـيح وأحمـــد
كـــم لائـــذ عـــند الخطـــو   ب بـــه ، وكـــم مســـتنجد !
هـــب أحمـــدًا قطـــبًا يغـــو   ص بـــرجله في الجـــلمد
أو آيــــة في عــــلمه   وذكائــــه المــــتوقد
أتكـــرم الأبطـــال بـــالـ   ـتهـــريج حـــول المســـجد ؟
إن الموالـــد مـــرتع   خصـــب لكـــل معـــربد [(١)]

وعندما اشتد الخلاف بين الأحزاب ، وتفاقمت المهاترات الصحفية ، عبر غنيم عن ذلـك بكل جرءة وصدق وذلك في قصيدته (معترك السباب) التي سخر فيها بأبناء قومه الذيـن دبَّ فـيما بينهم الجدل والتنابز والتناحر ، ولكنهم ظلّوا واقفين جبناء في أوقات الحـروب عـندما كانـت البلاد محتاجة لهم فنتج عن تلك المهاترات التخاذل والانقسام والضعف بين أبناء الوطن فهم كالنعام في الحروب وكالأسود المتوحشة في التعاير والتنابز :

قومـــي نعـــام في الحـــرو   ب، وفي التَّـــنابز أُســـد غـــاب
يتراشـــقون بكـــل مـــنـ   ـديـــة كمســـموم الحـــراب
الشـــمل محلـــول العـــرا   والصـــحف حاســـرة الـــنقاب
والشـــعب يـــندب- قـــائلا-   هـــذا النِّضـــال على حسابي !! [(٢)]

ثم يشـير إلى عفـن تلـك التهم المتبادلة بين تلك الأحزاب وإلى انتشار رائحتها الكريهة في أوساط الشعب ، فدعاهم إلى ضبط النفس ، والكفِّ عن تلك المهاترات التي انتشرت بكل مافيها من صدق أو كذب ، وأن يغضوا من أصواقم ، ولا يعلنوا فضائحهم على الملأ وخاصة على النشء الذي يعيش في تخبط واضح من جراء تلك الاختلافات ، ثم يبين أن المنتصر في تلك الحلبة من يجعل السكوت له منبرًا وسلمًا :

---

(١) المصدر السابق ،ص ٢٧٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٣ .

هَــــمٌّ تصــــــب ، كأنهـــــا غيــــث تدفَّــق مــــن ســــحاب
ليســــت روائحهــــا كـــــريح الزهـــــر أو ريــــح المـــــلاب
لــــو ألقيـــت وســـط العــبا ب ، لعكَّــــرت صــفو العــــباب
غضـــوا الحديـــث ، فلســــتمو يــــــاقوت في أرض يـــــباب
أســـــراركم ســـــربت إلى جيرانكـــــم مـــــن كـــــل بــــاب
وحديـــــثكم يــــتلوه نــــشء طاهـــــر غـــــضٌّ الإهـــــاب
حــــرب الخــــنا والفحـــش فـــا رســــها العــــييُّ عــــن الجــــواب [1]

ثم يـــزيد في هجائه لتلك الأحزاب المتقاتلة للوصول إلى السلطة وصنع القرار بأنها أحـــزاب هوجـــاء طائشـــة ، زرعت الفرقة بين الأصحاب وسقت البلاد كؤوس الذل والدمار،غايتها تحقيق المآرب الشخصية فقط :

إني أرى حزبـــــــــــــــــية هوجــــــاء طائشـــــة الصــــواب
رمــــت الأقــــارب بالشـــــتا ت ، وفرقَّــــت بـــين الصـــحاب
ســـــقت الـــــبلاد بكفهـــــا كأســـين : مـــن سُــمٍّ ، وصــاب
حزبــــــية قامــــــت عــــــلى أس مــــــن الشـــــهوات نـــــاب
حــــــارت وحــــــار رجالهـــــا بـــــين المــــروق والانتســـــاب
ومـــــن المـــــبادىء مايــــبد ل مـــثل تــــبديل الثـــياب [2]

إذاً أســـتطيع القـــول بأن غنيمًا أسهم في حلِّ قضايا مجتمعه عندما انتاب الشارع المصـــري موجـــة اختلاف الأحزاب وما أحدثته من فرقة بين الأفراد الذين عانوا من هذا الـــتمزق الاجتماعي الخطير . وقد عالج غنيم هذا الموقف مرة أخرى من خلال أرجوزته الثائرة " تراشق القادة" التي أنشأها عندما كثرت الخلافات الحزبية في العهد البائد وفاضت أنهـــار الجرائد بالسباب والمهاترات سنة (١٩٥٠م) وتمَّ نشرها في ديوانه الثاني (في ظلال الثورة) .وغنيم قد وصف ذلك المنظر الشنيع ، حيث ترامى القادة بالحجارة ، وتشجاروا في وقـــت كانت البلاد تعج فيه بالنكبات والأحداث . والأرجوزة برمتها لا تختلف عن

(١) المصدر السابق ، ص ٨٣ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٨٥ .

سابقتها في معالجة القضية ونصح الأطراف المعنية بأخذ الحيطة والحذر وعدم إثارة القلاقل والفتن :

تراشـــق القـــادة بالأحجـــار
وأمعـــنوا في الكـــيد والشـــجار
والفلـــك تحـــت رحمـــة الأقـــدار
بـــين الـــرياح الهـــوج والتـــيار
اطـــووا ثـــيابكم عـــلى الأقـــذار
لاتطلعـــوا الـــناس عـــلى الأســـرار
بغســـلها في وضـــح الـــنهار
يـــا ساســـة أشـــبه بالـــتجار
النـــيل صـــار كعـــبة الأنضـــار
يـــرمقه العـــالم باحـــتقار
الهـــاهمو هـــذا الحديـــث الســـاري
عـــن الوغـــى ووقعهـــا المـــثار [١]

والواقع أن غنيمًا يمثل روح الشاعر الثائر لمجتمعه ولأمته ولوطنه . وهنا لا أستطيع الإلمام بكل الجوانب الاجتماعية في شعره خوف الإطالة وأكتفي بما قدمت لأن ذلك يفي بغرض البحث .

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٠ .

المناسبات الثقافية

يرى المتأمل في شعر غنيم بكل وضوح ذلك البعد الثقافي الذي يصدر عنه الشاعر في أغلب أشعاره ، وهذا البعد الثقافي قد جعل غنيمًا يسهم ويشارك في أغلب المناسبات الثقافية والأدبية التي كانت تعقد في مجتمعه المصري الذي كان زاخرًا باللقاءات والندوات والمهرجانات الحافلة بالفكر والأدب آنذاك ، و لم تكن تلك الندوات والمهرجانات وحدها التي يشارك فيها ، بل له إسهاماته الثقافية البناءة في المجلات والصحف، كـ(الرسالة ، والأسبوعية ، والأهرام ، والسياسة) ، ومع أنه كان معلمًا ثم مفتشاً إلا أن تلك الوظيفة لم تمنعه من تلك المشاركات في الندوات واللقاءات ، فلم تقيده بأغلالها وروتينها المملّ ؛ بل كان يشارك بإنجازاته في الحقول الأدبية والثقافية .

والواقع أن تلك المناسبات الثقافية التي شارك فيها كانت مثيرًا لعواطفه وإبداعه فأنتج شعرًا جميًلا مليئًا بالصور والتعبيرات التي تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها ، وتتمثل المناسبات الثقافية عند محمود غنيم في :

أولاً : المهرجانات والندوات الأدبية :

كان للجلسات الأدبية التي يحضرها الشاعر وقع كبير في وجدانه ، وتأثير واضح في توجهاته وأفكاره ، فكان حريصاً على المشاركة والحضور ، ففي قصيدته (سمر الأدباء) التي أنشأها على إثر جلسة من الجلسات الأدبية ، التي كانت تعقد في جريدة الدستور تعبير واضح عما يدور في تلك الجلسات الأدبية من الإثارات العلمية والنقاشات الأدبية التي يثيرها أعضاء تلك المجالس :

من هؤلاء المعشرُ السُّمَّار ... بحديثهم تتعطّر الأسحار ؟

رقد الورى ، وَحَمى عيونَهم الكرى ... جدلٌ تردَّد بينهم وحوار

سُهْدٌ كسهد العاشقين ، وإنما ... أَصْبَتهُمُو ببناتها الأفكار [1]

ثم يشير إلى ما يتمتع به أولئك الأدباء في تلك الجلسة من الفصاحة والبيان ، وما يتطارحونه ويتداولونه من أقوال بليغة تشبه في حسنها كؤوس الخمر حين تدار :

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٢٦ .

كلفـــوا ، ولكـــن بالبـــيان وسحره ومـــن البـــيان : عـــرائسٌ أبكـــار
يـــتطارحون القـــول فـــيما بيـــنهم يحكـــي كُـــئُوس الرَّاح حين تُدار [1]

ويرى أن تلك الكوكبة من الأدباء قد أحبوا شعر كبار الأدباء كالبحتري وبشار ، وجابوا الأقطار وتدارسوا آداب الممالك والأمصار :

أحـــيوا لـــنا العظـــم الرميم : فتارةً معـــنا الولـــيد ، وتـــارة بشـــار
وتذاكـــروا أدب الممالك ، فانطوت في حجـــرة جمعـــتهم الأقطـــار
يتـــنقلون عـــلى ضفاف " السين" لم يـــنقل ركـــابهمو إلـــيه قطـــار
بيـــنا تـــراهم في " دمشق" ، إذا بهم نحو العراق — بلا جناح- طاروا [2]

وفي آخـــر القصـــيدة يوضح لنا مضامين تلك الأمسيات الأدبية التي كان يحييها الأدباء في ذلك المجلس الأدبي ، ويخاطب النابغة بأن يقوم من منامه ليرى ذلك المجلس الذي يشبه سوق عكاظ الذي كان يعج بالشعر والشعراء . ويرى غنيم أن الناس الذين يعتد بهم ثلاث فئات فقط كاتب وشاعر وناقد وما عداهم لا شيء :

يـــا رُبَّ لـــيلٍ حـــالك يُحـــيونه بـــروائع الآداب ، فهـــو نهـــار
قـــم يازياد [3] ،عكاظ جُدِّد عهدها وتنوشـــدت في ســـوقها الأشـــعار
مـــا الـــناس إلا : كاتـــبٌ أو شاعرٌ أو نـــاقدٌ ، وســـواهمو أصـــفار [4]

وبهـــذا أستطيع أن أقول إنَّ الجلسات الأدبية التي كانت تعقد بين الفينة والأخرى ميدان فسيح لإبداع الشاعر وتصويره .

وإذا ما انتقلت إلى (المهرجانات) الثقافية والأدبية اتضح لنا اهتمام الشاعر وتفاعله معها ، وقد شارك الشاعر في تلك المهرجانات على المستوى المحلي والدولي على السواء ، ففي دمشق يشارك الشاعر في مهرجان (البحتري) بقصيدة (دالية) تقديراً لذكرى رحيله

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) السابق ، ص ١٢٧ .

(٣) "زياد" : يريد به النابغة الذبياني ؛ وقد كانت تنصب له في عكاظ قبة ، ويتولى الفصل والمفاصلة بين الشعراء .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٢٧ .

وإعجاباً منه بشعر البحتري الذي طالما قدَّره ونهج على منواله ، انظر إليه وهو يحيي ذلك المهرجان بهذا الوصف الرائع للبحتري ، وبما يمتلكه من أساليب رائعة :

حــين غنَّــت دمشــقُ شعرَ الوليدِ ... قالــت الطــيرُ : يا دمشق ، أعيدي
رددي ، يــا دمشــق ، لحــنًا وعته ... أذنٌ الدهــر مــنذ عهــد عهــيد
شــاعر أعجــز الفحــول بشــعر ... ســلسٍ طــيِّعٍ ، عصــيٍ ، عنــيد
كــان شــيطانه مــربدًا ، ولكــن ... يــتراءى للعــين غــير مــريد
شــاعرٌ ، بــل مصــورٌ ، بــل مغنٍ ... مــا قوافــيه غــير أوتــار عــود
فــاعلٌ بــالكلام مــا فعــل الصــا ... ئــغ في حــب لؤلــؤٍ منضــود [1]

ثم يأســى الشــاعر على الشعر العربي الأصيل الذي خرج عنه دعاة التجديد من الشعراء إلى ما يسمى بالشعر (الحر) الذي يقوم على التخلص من الوزن والقافية :

هــل درى البحــتريُّ أن أناســًا ... بعــده شــوَّهوا جمــال القصيد ؟
قــد جزيــنا عــلى ارتكاب الخطايا ... بأنــاس جــاءوا بشــعر جديــد
زعمــوه حــرًّا ، ورقُّ الجــواري ... بعــض أوصــافه ، وذلُّ العبــيد
عصــبة تحســب القــوافي غُــلاًّ ... وتعــدُّ الأوزان بعــض القــيود
لهــم الله . كــلٌّ عــيٌّ لديهــم ... مظهــرٌ مــن مظاهــر الــتجديد
مــا أراهــم يلقــون شعرًا ، ولكن ... يحصــبون الأسمــاع بالجــلمود
قلــدوا كــل نــاعقٍ أجــنبيٍّ ... ورمونــا بوصــمة التقلــيد
إن يكــن طــابع الأصالة في الشعــ ... ــر جمــودًا ، فمرحبًا بالجمود [2]

وفي مهرجان الشعر الذي أقيم ببغداد يشارك شاعرنا برائعة من شعره ، تشف عما أوتي مــن قــدرات شــعرية ، لأن المكان الذي يلقي فيه كان موطنًا من مواطن الشعر والشــعراء ، ومكمنًا من مكامن الفكر والأدب والثقافة ، يقول واصفًا بغداد جاعلا منها عاصمةً للكون :

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٦٣٠ ، وتاليتها .

بغداد قرة عين الشرق ،بغداد | لحن تغَّنى به الإسلام والضاد
الدهرُ يعرفها للكون عاصمةً | تقودهُ كيفما شاءت ، فينقاد
فاض الفرات حضارات ،فكان له | بها مع الماء إرغاء وإزباد
وسال دجلةُ قبل الماء معرفةً | منها ارتوت مُهَجٌ ظمأى وأكباد [1]

وإلى جانب تلك الحضارات العريقة كان الشعر ولا يزال مزدهرًا في بغداد فهي أساسه ومنشأه :

ما كان للشعر في بدو وحاضرة | لولا رواتك ، يابغدادُ ، إنشاد
الشعرُ ، أنت التي علَّمت وازنَهُ | أن القوافي أسبابٌ وأوتاد
دوَّنت ما نظم الأسلاف من درر | لولاك بادت غواليها كما بادوا [2]

ثم يشير إلى ما تميزت به بغداد من ازدهار حركة التأليف والترجمة ، والأخذ بأسباب المعرفة فهي موسوعة ثقافية وعلمية كبيرة ، بالإضافة إلى أخذها بأساليب الحضارة الجديدة :

كم من معارفَ قد أحييت داثرها | وكم لعلمٍ جديدٍ فيك ميلاد
لولاك ما كان للفصحى مذاهبها | وللحديث روايات وإسناد
العيش فيها كموج البحر مصطخب | فيه تلاقت من الألوان أضداد
للَّهو فيها حوانيت وأندية | وللصلاة محاريب وعُبَّاد
وللثقافة تأليف وترجمة | وللغناء مزاميرُ وأعوادُ [3]

وبهذا أستطيع القول إن غنيمًا قد شارك في عديدٍ من المجالس الأدبية التي كانت تعقد آنذاك كما هو الحال في تلك الجلسات الأدبية التي كانت تعقد في جريدة (الدستور) وأسهم في المهرجانات الشعرية في مصر وخارج مصر كمهرجان (الوليد) الذي عقد في دمشق ، ومهرجان (الشعر) الذي عقد في بغداد ، أو مهرجان (إحياء ذكرى شوقي)

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ٦٧١ وتاليتها .
(٢) السابق ، ص ٦٧٢ .
(٣) السابق ، ص ٦٧٢ .

الـــذي عقـــد في القاهرة ، فكان لتلك المهرجانات الأدبية وقعها في قلب الشاعر ، حيث أخرج شعرًا رائعًا يحمل بين طياته المعاني الرائعة ، والصور المبدعة .

والواقع أن تلك المهرجانات الثقافية لم تقتصر على الأدب ، بل إنها تعدته إلى مجال التربية والتعليم ذلك لأن غنيمًا كان أحد رواد التربية والتعليم في مصر ، فلم يكن الشعر بمعـــزل عن عمله ورسالته ، بل كانا متلازمين ومتصاحبين كلٌّ ينهل من معين الآخر ولا ينبغي أن ننسى من بين تلك المهرجانات الثقافية الرائعة مهرجان عيد (العلم) الذي شارك فـــيه بقصيدته (البائية) التي يترجم فيها مشاعر الفرح والغبطة لكل من ينتسب إلى التعليم من مربين وطلاب :

عـــيدٌ تـــألَّقَ لا شمـــسٌ ، ولا شهبُ	لكـــن كواكـــبهُ : الأقـــلامُ والكتبُ
والعـــلم روح مـــن الـــرحمن مُقتبسٌ	ونـــوره مـــن ضـــياء الله مكتســـب
الـــنشءُ في مهـــرجان العـــلم مبتهج	كأنـــه طـــيرُ روض هـــزَّه الطـــرب
همـــو طـــيور الحمى في يومهم ، وغدًا	همـــو ليوث ، إذا ريع الحمى ، وثبوا
يـــا بـــارك الله في مصـــر جهـــابذةً	يعطـــون مـــن دمهـــم للنشء ماطلبوا
تـــبني لمصـــر – بـــلا منٍّ- سواعدهم	جـــيلاً إلى الشـــرق والإسلام ينتسب
للعـــلم والوطـــن الغـــالي مواهـــبهم	تهدي ، ولو سئلوا أرواحهم ، وهبوا [1]

ثانياً : تحايا الوفود الثقافية :

كانـــت القاهرة موئلاً رائدًا للفكر والمفكرين ، ومركزاً مهماً للثقافة العربية يأتيها أهـــل العلم والفكر والأدب من كل صوب لينهلوا من معينها الصافي ويشاهدوا حضاراتها المختلفة ، وكان يُطلبُ من غنيم في كثير من المناسبات الثقافية الترحيب بالوفود المشاركة في المهـــرجانات المخـــتلفة نظراً لما يتمتع به من شاعرية قوية وثقافات متعددة يعرف من خلالها كيف يمدح تلك الوفود المشاركة ، ومن النماذج على ذلك قصيدته التي ألقاها في نادي دار العلوم في حفلٍ أقيم تكريماً لبعض الوفود السودانية يحيي فيها السودان وما يتمتع به أبناؤه من اهتمامات علمية وأدبية :

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٠٧ .

يــا جــيرة النيل ، حيَّا الله مقدمكم   لســنا نعدُّكمــو في مصــرَ ضيفانا
لقــد نزلــتم بــرهطٍ من عشيرتكم   وزرتمــو بــدلَ الأوطــان أوطانــا
لَّمــا نزلــتم عــلى الفصحى بدارها   كــادت ترحب آساساً وجدرانا [1]

وحينما نزل وفد ثقافي من لبنان إلى مصر ، أقامت جماعة دار العلوم حفلة تكريم لهــم وكلّفت شاعرنا أن يلقي قصيدة ترحيبية بمقدمهم فتحركت قريحته بقصيدة (نونية) يحــيي فيها لبنان ويمجد تاريخه الذي استطاع على امتداده أن يحقق جهوداً فعالة في خدمة الثقافة والفكر والأدب :

يــا جيرةَ الأرز ، لن ننسى أياديكم   ولــيس للفضــل عــند الحر نسيان
إن الصــحافة أنــتم أسُّ نهضــتها   لولاكمــو ، لم تقم للصحف عمدان
لكــم عــلى النــيل أهرام دِعامتُها   ســحر الــبلاغة ، لا صخر وصوان
إن كــان للضــاد آداب تتــيه بهــا   فــإن فارســها الســباق زيــدان
للضــاد شــاد اليســوعيُّون مكتبة   لم تحوهــا زمــن المــأمون بغدان ؟
رســل الثقافة ، مرحى ، نحن في زمن   أمضــى ســلاح به : علم وعرفان
إن وحَّــدت بــين أقــوام ثقافتهم   فلــن تُفــرِّق ذات الــبين بُلدان [2]

وهــذا وفد ثقافي آخر يهبط مصر ، فيكرمه المعلمون في ناديهم بالجزيرة ، ويلقي غنــيم كعادته قصيدة ترحيبية بذلك الوفد يكشف فيها عن صدق عاطفته وميله الجاد إلى الــثقافة والفكــر ، وذلــك في قصيدته (رسل الثقافة) التي يبحث فيها عدة أمور مهمة كــالدعوة إلى الوحدة العربية ، والوقوف في وجوه الأعداء ، والدعوة الجادة إلى الأخذ بأساليب العلوم الجديدة :

رُسْــلَ الــثقافة،مرحــباً بوفودكم   مصــر تتــيه بكــم عــلى الأمصار
مــا زال نهــر النــيل يحسب نفسه   فــوق البســيطة عــاهل الأنهــار
حــتى رأى عــلماءكم في شــطّه   فــإذا بــه يجــري أمــام بحــار

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧٥ ، وتاليتها .

مصـــرٌ تديـــن بديـــنها ولســـانها | لكمـــو ، ومـــا تَرْوي من الأشعار
هـــي أُمّـــةٌ تـــرعى الجمـــيل لأهله | حفـــظُ الجمـــيل ســـجيَّةُ الأحـــرار
دعَّمـــتمو صـــرح الإخاء ، وليس ما | تـــبني يمـــين العـــلم بالمـــنهار
العـــلمُ لا تـــبني الممـــالك نفســـها | إلاَّ بـــه في عهـــد الاســـتقرار
العـــلمُ ألـــزمُ للشـــعوب — إذا دعا | داعي الحروب– من النمير الجاري [1]

ثالثاً : الإشادة بـــ (المجلات الأدبية والدواوين الشعرية) :

كان لغنيمٍ إسهاماته الجيدة في إبراز المجلات الأدبية والدواوين الشعرية في شعره ، وذلـــك نـــاتج عن إعجابه بها وبما تحويه من آداب وأشعار وأفكار نيرة ، ومن النماذج الشـــعرية عـــلى ذلك قصيدته (تحية الرسالة) التي أنشأها تحية لمجلة الرسالة الغراء بمناسبة مـــرور بضع سنوات على إنشائها ، فهي مجلة شقَّت الصفوف إلى الأمام وهتفت بالعروبة والأدب كالطير في شدوه ، والليث في وثبه :

مشـــت مثل "جان درك" بين العرب | تشـــدُّ عـــراهم بـــأقوى ســـبب
تشـــقُّ الصـــفوف بعـــزم ، وتهتـــ | ـــف باسم العروبة ، واسم الأدب
إذا هتفـــت ، قلـــتَ : طـــيرٌ شـــدا | وإن وثبـــت ، قلـــت : ليث وثب
تبشـــر بالضـــاد بـــين بنـــيها | وأكـــرم بحـــرمة هـــذا النســـب !
ومـــا وحَّـــد الجمـــع مـــثل اللسان | ولا اتحـــد الجمـــع إلا غلـــب
إذا اتحـــد الفكـــر في معشـــر | تجمَّـــعَ مـــن شملـــه ما انشعب [2]

وهذه المجلة تعد سفارة بين البلاد فهي أجدر من غيرها بحمل هذا اللقب :

وقـــالوا : الرسالة ، قلت : وهل ثَمَّ | أجـــدرُ مـــنها بهـــذا اللقـــب ؟
مشـــت بالســـفارة بـــين الـــبلاد | تخطَّـــى الوهـــاد ، وتـــرقى الهضب
فأقســـم ، مـــا قصَّـــرت في الأداء | وإن قصَّـــر القـــوم عمـــا وجـــب
مـــتى يعـــرف الـــناس أن الفـــتى | – بـــلا أدب — دمـــيةٌ من خشب ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخةُ في واد ، ص ٢١٨ .

فما هـو شـعر ونـثر ، ولكـن هـو الروح للجسم ، وهو العصب
يُمِـدُّ الشـعوب بكـل قواهـا وتذهـب شـوكتها إن ذهـب [1]

وكـان غنـيمٌ بحكم عمله وحبه للاطلاع يتابع بكل اهتمام ما يصدرعلىالساحة الأدبية من دواوين شعرية فيحرص على قراءتها واقتنائها ونقدها ، انظر إليه وهو يشارك في تكـريم الدكتور (إبراهيم ناجي) بمناسبة ظهور ديوانه (ليالي القاهرة) وقد مرت الأبيات معنا مسبقًا في باب المدح ، ومنها :

يـا للـيالي الوضـاء ذات السـنا والـرواء
تـبقى ومـا للـيالي وأهـلها مـن بقـاء [2]

وكعادتـه مع زملائه وأصدقائه نجده يطلع على دواوينهم ، ويشارك في مناسبات ظهورهـا ، انظر إليه وهويحيي ديوان صديق دراسته في مدرسة القضاء الشرعي الأستاذ فرحات عبد الخالق :

لله شـعرُك إنـه لمـن العـروبة في الصـميم
لا بالمهـلهل نسـجُه عـند السَّـماع ، ولا السَّـقيم
لله درُّك راصـفًا لـبقًا ودرُّك مـن حكـيم
علَّمـت بالشـعر الشـبا ب مـبادىء الخلـق الكـريم
وطبعـت أنفسـهم بـه طـبعًا عـلى الـذَّوق السـليم [3]

وكـان لـلجوائز التي يحصل عليها نتيجة أعماله الأدبية التي يقدمها أثر في نفسه فهـاهو يلقي قصيدته (من يد الرئيس) بمناسبة الجائزة التي تسلمها عن ديوانه (في ظلال الثورة) من يد الرئيس جمال عبد الناصر تشجيعاً للشعر والشعراء :

قـل للرئـيس : رفعت موضع شاعر يطـريك مـن قلـبٍ ، بحبك عامر
نـيل الجوائـز مـن يديـك جوائزٌ أخـرى تفـوز بهـا يمـين الظافر

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٥٥٢ .

هـــذا جمـــالٌ صـــافحت يدهُ يدي والقلـــب يخفق عن جناحي طائر [1]

ثم يثني على تلك الجائزة التي تسلمها من يد الرئيس قائلاً :

أغـــلى الجوائـــز مـــن جمال : نظرةٌ مـــنه ، تقـــرُّ بهـــا عـــيونُ الـــناظر

أغـــلى الجوائـــز مـــن جمال : قُبْلَةٌ طُبِعـــت على هذا الجبين الطاهر [2]

وخلاصة القول في كل ماسبق أن تلك المناسبات و المهرجانات الأدبية والثقافية ، وتلك المجالس الأدبية التي كان يحضرها غنيمٌ كانت مثيراً لإبداعه إضافة إلى ماسبق ذكره من استقبال الوفود والمشاركات في المهرجانات الثقافية ، وما كان يظهر على الساحة من دواويـــن شعرية ومجلات أدبية ، فإسهاماته ومشاركاته جعلته شاعراً للمهرجانات الثقافية واستقبال الوفود الرّسمية فقال في ذلك أشعاراً رائعة تدل على ثقافة قائلها وحسن اطلاعه وما يتسم به من صدق العاطفة وعمق التجربة .

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨١٩ .

(٢) السابق ، ص ٨١٩ .

الفصل الثالث

آليات التشكيل

* المبحث الأول :البناء الفني للقصيدة.
* المبحث الثاني: المعجم الشعري .
* المبحث الثالث: الأسلوب .
* المبحث الرابع : الموسيقى .
* المبحث الخامس: الصورة .

البناء الفني للقصيدة

احتذى محمود غنيم في شعره حذو شعراء النهج القديم في بناء القصيدة العربية من حيث شكلها وهيكلها الفني أما المضمون والمحتوى فكان جديداً ومتطورًا في معظم قصائده وستحاول الصفحات القادمة دراسة إطار القصيدة عنده ، فتتناول مقدمات قصائده ، والطريقة التي كان يختمها بها ، ومدى تحقق الوحدة العضوية في شعره ،

أ – المطلع :

كانت مطالع القصائد من الأمور المهمة التي حظيت بعناية النقاد القدامى . فمن المعروف أن القصيدة الجاهلية كانت تبدأ في معظم أحوالها بالوقوف على الطلل البالي والبكاء على الديار الخوالي فكان من النتائج الحتمية لنظام مقدمات القصيدة العربية أنْ " وقـرَ في أذهان العامة أن مطلع القصيدة العربية الجاهلية لابد أن تبدأ بالوقوف على الأطلال ؛ وبكاء الدمن والآثار ... " [١].

واستمر نظام القصيدة على هذه الحال حتى جاء العصر العباسي فبدأ المولدون من الشعراء أمثال بشار وأبي نواس في الدعوة إلى التجديد في شكل القصيدة ونبذ الوقوف على الأطلال واعتبار ذلك التقليد المتوارث سخيفاً ومستهجناً.

ولكي نعطي فكرة مضيئة عن أهمية المطالع لابد من الوقوف على أقوال بعض النقاد القدامى الذين أشاروا إليها في تراثهم النقدي . فأبو هلال العسكري يدعو الكتاب إلى الإحساس في الابتداءات ؛ لأنهن دلائل البيان في نظره[٢].

وينضم إليه ابن رشيق القيرواني ، الذي يؤكد على الشاعر أن " يجوّد ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع " [٣] وعليه أن يتوخى الصحة وأن تكون مقدماته خالية من العيوب اللغوية [٤] .

---

(١) عباس بيومي عجلان : عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، ب.ط . (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ، ١٩٨٥م) ص ٣٥٩ .

(٢) انظر: العسكري ، أبو هلال : الصناعتين . تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الأولى . (القاهرة : ١٩٥٢م) ، ص ٤٣١١

(٣) العمدة ، ١/٢١٨ .

(٤) انظر حول أقوال النقاد القدامى في ذلك : يوسف بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم . الطبعة الثانية . (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م) ص٢٠٧ و ٢١٠.

وعـــند الوقوف المتأني على مطالع محمود غنيم يتبين لنا بوضوح تخليه عن المقدمات التقليدية ، وحرصه على أن تكون مطالعه متوافقة ومتجانسة مع الغرض الذي أنشئت من أجله القصيدة ومن أمثلة ذلك قوله مستهلاً إحدى قصائده :

أهلاً بمطلعك السعيـــــــــــــــد يا غُرة العام الجديـــــــــــــد [1]

فالذي يقرأ هذا المطلع يدرك تماماً أن القصيدة في استقبال العام الهجري الجديد .

وقوله في مطلع قصيدة له:

فيم البقاءُ وهؤلاء رفاقـــــــــي يتساقطون تساقـــطُ الأوراق؟ [2]

فهذا المطلع يشير لقارئه أن القصيدة في غرض الرثاء وفقد الأصدقاء.

وقد اتسمت بعض مطالع الشاعر بسمات رائعة منها شيوع الترعة الدينية وتلونها بها . ومن الأمثلة على ذلك قوله في مطلع قصيدة (أرض النبوة):

صوتٌ من العالم العلـــــوي ناداني لبيك لبيـــــك ! لا آنٍ ، ولاواني[3]

وقوله في مطلع قصيدة (انتصار الجزائر):

قُم ، نادِ : حي على الفـــــــلاح الفجرُ - فجرُ السلـــــم - لاح [4]

فيبدو لنا بجلاء تلون تلك المقدمات بالطابع الديني كما يتضح لنا التّلاؤم القائم بين مطلع القصيدة والموضوع.

وتعــدُ الجــزالة سمـــة واضحةً في مطالع قصائده الوطنية كقوله في مطلع قصيدته (لا نكسة) والتي يتحدث فيها عن هزيمة العرب ضد إسرائيل:

من قال :إن الليث ولّى مدبــــــــرا ؟ الأسد إن وثبت ، تعود القهقـــــــرى

إن الشجاع يفرُ في ساح الوغـــــــى ليكر من بعد الفرار مُظفّـــــــــــرا[5]

ويـــبدو التلاؤم واضحًا بين مطالعه وما يقصد إليه ، يتضح ذلك في قصيدته (ظلعٌ وشيب) التي يشكو فيها همومه وما اعترضه من مضايقات في حياته :

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٥٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٩٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦١ .

(٤) السابق ، ص ٦٧٧ .

(٥) المصدر السابق ، ٧٦١ .

وأصبرُ في الحياة على هـــــموم   تضيقُ ببعضها ذرعُ الحليـــــــم

طريقي كله صخـــــــرٌ، وإني   لأعثر بالحصاة علـــــى الأديم[1]

وقد تأتي بعض المطالع عنده متضمنة دعاء ، كقوله في مدح (عبد الرحمن البيلي) وزير المالية آنذاك:

حرسَ المالَ سيدُ الأمنــــــاء   ورعــــاه . رعَتَهُ عين السمــاءِ! [2]

فهو يدعو لممدوحه في هذا المطلع بالرعاية والحفظ.

وقد يأتي بعضها في صورة دعاء ، ومن ذلك قوله في مطلع نشيد (الطيران):

اسلمي للشرق ، يا أم النســــور   أنت للعقبان - يامصرُ – وكــــور [3]

فهو يدعو لبلده مصر في هذا المطلع بالسلامة.

وإذا كـــان حـــازم القرطاجني قد عد أحسن المطالع ما أتى فيه البيت الثاني مناسباً لـــلأول:"فيتناصـــر بذلـــك حسن المبدأ " [4] فإن غنيماً قد حقق ذلك المبدأ في كثيرٍ من مطالعه. كقوله يصف (مضيفة الطائرة) [5] حينما عاد من رحلة طويلة بطريق الجو:

سائلوا الركب ركب أخت العــقاب   يقطعُ الجوَ فوق متن السحـــــاب

ماشعوري وقد أضاءت شعـــــوري   بدبيب الهوى ، وطيش الشبـــــاب؟

فالبيـــت الأول في المطلـــع هنا يشكل وحدة متكاملة إلا أنه مرتبطٌ مباشرةً بالبيت الثاني .

وقد يكون ذلك الارتباط بواسطة التعلق أو العطفَ . فالتعّلق كما في قوله:

مالي وللنجم يرعاني وأرعــــاه ؟   أمس كلانا يعافُ الغمض جفنـــاه

لي فيك – ياليلُ – آهاتٌ أرددهـــا   أوَّاهُ لو أجـــدت المحزونَ أواه ! [6]

---

(١) السابق،٧٤٢.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٥٦٠ .

(٣) السابق ، ص ٤٥٦ .

(٤) القـــرطاجني ، حـــازم : مـــنهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، الطبعة الثانية . (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١م) ، ص ٣٠٧ .

(٥) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٤٧٧ .

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٩ .

ومن أمثلة العطف قوله :

سرى في الكنانة مسرى النغـــــم فأصغت له لَبَنَاتُ الــــــــــــهرم

وهزَّ أبا الهول في خـــــــدره فأرهفَ أُذنيه، ثم ابتســـــــــم[1]

والملاحظ على مطالع غنيم أن المطالع الخبرية قد جاءت أكثر من المطالع الإنشائية . وتتمـــثل تلك المطالع الإنشائية عنده في أسلوب الاستفهام الذي جاء في مقدمة الأساليب الإنشائية . يليه أسلوب الأمر ثم النداء الذي احتل المرتبة الثالثة . كما أن هذه المطالع قد جاءت مصرعةً في الأغلب الأعم في ديوانه بينما غير المصرع جاء بنسبة ضئيلة تمامًا .

وإذا ما عاودنا النظر مرة أخرى في مطالع قصائده التي جاءت متناسبة مع موضوعها نجد أن غنيماً قد حاول أن ينهج منهج الشعراء القدامى في الوقوف على الأطلال وهذا ما بـــدا لنا واضحاً في قصيدته (أجادير) التي بكاها بعد أن أصابها زلزالٌ قوي دمرَّ المنازل وشرد الأهالي . ولعل الوقوف على أطلال تلك المدينة المنكوبة ذكره بالوقوف على أطلال الديار البالية يقول:

وقفتُ أسائلها : ماهلـــــــــــا؟ وأبكي على البعُد أطـــــــــــــلالها!

سألتُ الرسومَ ، كأن الرســـــومَ تجيبُ على البعد سؤالـــــــــها [2]

ولكن الناظر بعين البصيرة يدرك تماماً أن الشاعر لم يتخذ هذه المقدمة الطللية هدفاً لذاتها، و لم يقصد بها التقليد وإنما جاءت موظفة تماماً لخدمة غرضه الشعري ومايرمي إليه.

ب - الخاتمة :

اهـــتم النقاد القدامى بخاتمة القصيدة وبينوا أهميتها وقيمتها ، وأنها لا تقل أهمية عن المقدمة لأنها " أبقى في السمع ، وألصقُ بالنفس ، لقرب العهد بها ، فإن حسُنت حسن ، وإن قبحُـــت قـــبح الكلام " [3] وقد اشترط النقاد في الخاتمة أن تكون في كل غرض بما يناســبه ، ســـارةً في المديح والتهاني ، وحزينةً في الرثاء والتعازي [4] . كما رأوا " أن تحديد القصيدة بيد الشاعر نفسه" [5]

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ٣١٧ .

(٢) السابق ، ص٣٥٩.

(٣) العمدة ، ١/٢١٧ .

(٤) انظر : منهاج البلغاء ، ص ٣٠٦ .

(٥) بناء القصيدة في النقد العربي القديم . ص٢١٣ .

ونرى أنَّ هذا التحديد قد يكون ظاهراً في المسرحية والمقالة ولكنه في الشعر عسير لأنه مرتبطٌ بانتهاء التجربة الشعورية المتدفقة.

وإذا مـا انتقلـنا إلى البحث عن طبيعة الخاتمة عند غنيم لنتبين مدى تحقق ما ذكره النقاد عن خاتمة القصيدة . فإننا لا نجد غنيماً يتقيد بنوعٍ خاص من الختام؛ بل إنه حرص كل الحرص على أن تكون خاتمته متناسبة مع موضوع القصيدة .

فالقصـائد الوطنية عنده غالباً ما تنتهي بالتصميم والمقاومة والاستبسال والدعوة إلى الوقوف في وجه العدو الغاشم ومن ذلك قصيدة (لا نكسة) التي يقول في ختامها :

شُنوا عليهم كل يومٍ غـــارةً — في كل واد ، في المدائن ، في القُـــرى
وقفوا لهم في كل دربٍ ، واكمنـوا — تحت السُفُوحِ ، وحلقوا فوق الـــذُرا
لاتتركوهم ينعمون بروضـــة — في القدس ، أو يجنون كرماً مثمـــراً
إن يطعموا، وجدوا الطعام مسمـماً — أويشربوا ، وجدوا الشراب مُكـــدَّرا
أو يرقدوا،حلموا بضرٍّ منكمـــو — قد هـــبَّ من تحت السرير مُشمِّـــرا
وثقوا بأنا لا حقون بكم غـــداً — ولســوف نُعلنُه جهـاداً أكـــبرا [1]

وربما تكون الخاتمة حديثاً عن النفس الإنسانية . كقوله في ختام قصيـدته (فلسفة الألم) ، التي ثار فيها إثر أزمة نفسية لازمته :

أعددتُ للحادثاتِ إن نزلـــت — صبراً كريماً،بحملها قمـــــن
لاتذهب الحادثاتُ فطنتـــهُ — إنْ هي طاشت بفطنةِ الفطـــن
يسير وسط الرعود متئِـــداً — كأنه سائرٌ بـــــلا أُذُن
تزينه عزةُ الملوك، علـــى — جفاف زاد ، وملبس خشـــن
يشكو البلى ثوبه العتيـــق ، ولا — تشوبُـــــهُ ذرةٌ من الدَّرن
ما أهون النفسَ و النفيـــس إذا — ما بقى العرضُ غير ممتهـــن ! [2]

وقـد تنـتهى الخاتمة عنده بسياق دعاء وتضرع إلى الله . كقوله في خاتمة قصيدة (العيد والأزمة) :

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٦٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٤٧٠.

جيرةَ الكعبة، اضرعـــــــوا | إن وقفتم عـــلى الجبـــــــــــل
وأسألوا اللطف في الـــــــذي | قـــــــــــــــدَّر الله في الأزل
اسألوا الله: هل لـــــــــما | حلَّ بالعالمين حــــــــــــلٌّ ؟
اسألوه ، لعلـــــــــــــــه | مستجيبٌ لمن ســـــــــأل [1]

وربمـــا تكـــون نهاية القصيدة جزءًا من القصيدة نفسها وليس هناك مايدل على أن هناك خاتمة . كقوله في نهاية قصيدة (الريف) :

في الريف فتيانٌ تسيل جباههـــــم | عرقاً فيصبح لؤلؤاً مثقوبـــــــــــا
لافتيةٌ مردٌ بأيد بضَّـــــــــــــة | في كل يوم يلبسون قشيبـــــــــا
بذلوا لمصرٍ فوق مافي وسعهـــــم | ورضوا بما دون الكفاف نصيبـــا [2]

وقـــد تنتهي الخاتمة عنده بنصيحة مثمرة وحكمة رائعة . كقوله في خاتمة قصيدته (في ربا الخلد) أثناء مخاطبة نفسه :

اهزلي ؛ فالحياةُ ، يانفسُ ، هـــــزل | إن مــــــن جدَ عاش غيرَ سعيـــــد
يسبحُ المرءُ في محيط الأمـــــــاني | والمنايــــــا منه كحبل الوريــــــد
ضلَ من يكفيه قليلٌ من الــــــزا | دِ ، ولا يكتفي بملك الرشيــــــــد
كلُ وجه له التراب نقـــــابٌ | غير وجه المهيمن المعبـــــــــود [3]

وخلاصة القول في خواتم غنيمٍ أنها قد جاءت مناسبة للقصيدة ومتوافقة مع غرضها وموضوعها الذي قصده .

ج – الوحدة العضوية :

كانـــت قضـــية الوحدة العضوية من القضايا النقدية التي أشار إليها النقاد القدامى وتناولهاالـــنقاد المعاصـــرون فباتت من أبرز القضايا النقدية المعاصرة . ويقصد بها "وحدة الموضـــوع ، ووحـــدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية ، لكل جزء وظيفته فيها .ويؤدي

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٢٥٦.

(٢) السابق ، ص١٥١.

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٥١٥.

بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر " [١] .

فالقصـــيدة الشعرية من خلال هذا التحديد لمفهوم الوحدة لابد أن تقوم على وحدة عضـــوية تستلزم من الشاعر وحدة في الموضوع والمشاعر ، وترتيباً في الصور والأفكار . فتنتظمُ بذلك أجزاء القصيدة وتتسق أوصالها .

وقد أكدَ أغلب النقاد المعاصرين على وجوب توافر الوحدة في القصيدة ، فهذا عبد الرحمن شكري يُصرُّ على تحقيق (مظاهر الوحدة العضوية) ويرى " أن قيمة كل بيتٍ من القصيدة يتحدد في الصلة التي بين معناه وموضوع القصيدة ، ومن أجل ذلك لا يصح أن نحكم على البيت بالنظرة الأولى ؛ بل بالنظرة التأملية الفنية . فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء كامل ، لا من حيث هي أبيات مستقلة " [٢] .

وذهـــب العقاد مذهب شكري في أهمية الوحدة العضوية وضرورة تحققها في بناء القصـــيدة الشـــعرية وأشـــار إلى أن القصيدة كالإنسان في اتصال أجزائه بعضها ببعض وتماســـكها تماســـكاً قويـــاً . فلكل جزءٍ دوره الفاعل ووظيفته الكاملة في بناء الجسم . والقصـــيدة في نظـــره "ينبغي أن تكون عملاً فنياً ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانســـة ، كمـــا يكمـــل التمـــثال بأعضائه ، والصورة بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامـــه،بحيـــث إذا اخـــتلف الوضـــع أو تغـــيرت النســـبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها " [٣] .

وهذه الوحدة القائمة على تلاحم البناء وانسجام التشكيلات الفنية في القصيدة تستلزم ترتيـــباً منطقياً للأفكار . فتقتضي " استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصـــيدة ، قبل الانتقال إلى الفكرة التالية ؛بحيث لايصح الرجوع - بعد - إلى الفكرة الأولى في القصيدة ، وإلا بدأ الفكر مضطرباً ، واختلفت بنية القصيدة " [٤] .

---

(١) النقد الأدبي الحديث . ص ٣٧٣ .

(٢) إبراهيم الحاوى : حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي . الطبعة الأولى (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ ــ ١٩٨٤م) ص ٧٠ .

(٣) عباس محمود العقاد ، وإبراهيم المازني : الديوان في الأدب والنقد . الطبعة الثالثة ٢/١٢٠ .

(٤) النقد الأدبي الحديث. ص ٣٧٥.

وإذا كانت الوحدة العضوية قد لقيت استحساناً وقبولاً عند عدد كبير من النقاد المعاصرين إلا أن البعض منهم قد عدها تقييداً للأديب وتضييقاً عليه ورأوا أنَّ المطالبة بها " لا تكون إلا في فنون الأدب الموضوعي كفن المسرحية ، وفن القصة والأقصوصة ، وأما في شعر القصائد فلا ينبغي أن يطالب بها إلا في الشعر الموضوعي ذي الطابع الواقعي الذي تنبني القصيدة فيه على قصة قصيرة أو دراما سريعة " [١] .

وقد أرجع النقاد السبب في عدم المطالبة بالوحدة العضوية في الشعر الغنائي إلى ما يحمله ذلك الشعر من انفعالات متعددة ومتتالية تختلف باختلاف نوعها وقوتها وضعفها [٢] .

وعلى العموم فإنّ الوحدة العضوية في القصيدة هي " الرباطُ الذي يضم التجربة ، والصور ، والانفعالات ، والموسيقى ، والألفاظ في وشاحٍ خفي أثيري ، وبهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة" [٣] .

وبعد هذه الإضاءة حول مفهوم الوحدة العضوية نحاول أن نتساءل عن مدى تحققها في قصائد محمود غنيم؟ وللإجابة عن ذلك التساؤل أقول إن الأغلب الأعّم من قصائد محمود غنيم قد تحقق فيه عنصر الوحدة العضوية المشتملة على وحدة الموضوع ووحدة المشاعر ، ونستطيع أن نلمحها في شعره " ابتداءً من دوران أبيات القصيدة دوراناً منطقياً شعرياً ، وتَنَقُّل هذه الأبيات تنقُّلاً فكرياً ، ويأتى هذا الدوران المنطقي من توافر التجربة الشعرية وعرضها عرضاً جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة " [٤] .

ولكن الوحدة العضوية تتجلى لنا رؤيتها في قصائده ذات الطابع القصصي المعتمد على تتبع الحدث واستقصائه . وخير مايمثل ذلك قصائده (رياء [٥] ، قصة البعث [٦] ،

---

(١) محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون. د.ط. ، (بيروت : دار القلم للطباعة والنشر ، د.ت) ص٩١.

(٢) انظر : بدوي طبانة : قضايا النقد الأدبي . د.ط ، (المطبعة الفنية الحديثة ، د . ت) . ص ٤٨ .

(٣) مصطفى عبد اللطيف السحرتي : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث . الطبعة الثانية (جدة : مطبعة تهامة ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م) ص ٨١ .

(٤) السابق ، ص ٨١ .

(٥) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٦٥ .

(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٧ .

أغنية الإسراء [1] ، الركب المقدس [2]) .

ونظــرًا لطــول القصائد السابقة وضيق المقام فإنني لن أعرض جميعًا وإنما سأقصر الحديث على نموذجٍ واحدٍ لنتعرف من خلاله على ملامح الوحدة العضوية في هذا النوع من القصائد .

ففــي قصــيدة (قصة البعث) نجده يقص علينا في أسلوب قصصي رائع قصة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من لدن مولاه إلى بني البشر ، ويصورها لنا لحظة بلحظة منذُ لحظــة المــيلاد وبزوغ فجره ، مروراً بالأحداث المواكبة للبعثة حتى أحداث الهجرة وما أعقــبها من حوادث وغزوات . ففي بداية القصيدة نراه يستهل حديثه عن لحظة الميلاد الــتي كانت لحظة نورٍ للبشرية جمعاء بشرت بها الكتب السماوية السابقة . ثم يصور لنا الحالة الصعبة التي كانت أم الرسول تمر بها من فقر وترمل فقد ولدت وليدها وهي في أيام الحداد على زوجها . ولكن الرعاية الإلهية تولتها وتولت مولودها بالعناية والرعاية ، يقول فيها :

أي نجم في سماء العــــــــــرب	صار في الأفق حديث الشهــب ؟
أيها التاريخ ، بالنور اكتــــــب	قصة البعث لشعــــــب ونبي

ولد المختار وضاء الجبـــــــين

يا له فخراً جديداً ظهــــــــرا	روت التوراة عنه خـــــبرا !
سائل الإنجيل : ماذا سطــــــرا	عن نبي عربي النســـــــب

يغمر الأرض سناه بعد حـــــين ؟

ولدته مولد العافي الفقـــــــير	حرة تبكي على فقد العــــشير
فتولته يد المولى القــــــــدير	واحتفى الرسل به في مـــوكب

بين حور قاصرات الطرف عـــين [3]

ثم يشير إلى نشأة الرسول الصالحة التي عُرف بها منذ صغره ، فلم يتعلق بعبادة صنم أو توسل بولي ؛ بل كانت الحكمة مطيته ، والصدق ديدنه ، والأمانة منهجه حتى لقبه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٦٦٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٧ .

قومــــــه بـــ(الأمين) :

ناشيءٌ لم يقضِ في اللهو صبــــــاه	عرف الله ؛ و لم يعـــــــرف سواه
ما انحنى للآت يوماً ، أو منـــــاه	دانت الحكمةُ طراً لصـــــــبي

من قريش لقبوهُ بالأمــــــــــــين [1]

ويعــرض لنا بأسلوب رائع قصة الحجر الأسود ، حينما اختصمت القبائل القرشية بشــأن مــن يضعه في مكانه بعد ماجددوا بناء الكعبة . فقام الرسول بحل التراع وفض الخصــام ، حيــث خلع رداءه ، وأشار عليهم بوضع الحجر فيه وأمر كل قبيلة بأن تأخذ بطرفه حتى يشتركوا جميعاً في حمله وبذلك ينحل التراع :

هل رأت "مكة" في يوم الحجـــــر	وعيونُ القوم ترمي بالشــــــرر
كيف ثارت فتنة بين الأســــــر	ثم ساد الحلمُ بعد الغضـــــب

حين مدَّ الثوب " طه" باليمين؟ [2]

ويصف لنا ماكان يفعله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من تعبدٍ وتنسك في غــار حراء . وما حصل له من خوفٍ ووجل حينما أنزلت عليه أول آية في القرآن :"اقرأ باسم ربك الذى خلق " بواسطة جبريل عليه السلام :

أيها الناسكُ في غار حـــــــراء	أرهف السمع رويداً للنـــــداء
هاتفٌ من عند ربِّ العرش جـــاء	يالصوت من وراءِ السحـــــبُ

هتفَ :"اقرأ" باسم رب العالمين! [3]

ويعرض لنا موقف مشركي مكة حين أعرضوا عن الرسول وصموا آذانهم عن سماع القرآن . فأخذوا يساومون الرسول على ترك دعوته والتخلي عنها مقابل ما يدفعون له من مــال وما يتوج به من جاه ، ولكن الرسول لم يقبل تلك المفاوضات المغرضة فأصر على دعوته ومضى قدما في نشرها متخذاً من الزهد شعاراً له :

---

(١) المصدر السابق، ص٣٩٨.

(٢) السابق ، ص ٣٩٨ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٨ وتاليتها .

ويح أهل الشرك عُباد الصنم إن دُعوا للحق ، لاذو بالصمم

ساوموا المختار في الله ؛ فلم يرضَ بالجاه ، ولا بالنّشَب

إنما الزهد شعارُ المصلحين [1]

و يقصُّ لنا غنيمٌ طرفًا من تضحيات الصحابة - رضوان الله عليهم - في سبيل التّمسك بالدعوة وترك عبادة الأوثان . فمنهم من ضحى بولده ومنهم من ضحى بماله . ومنهم من تحمل قسوة العذاب ومرارته :

رُبَّ عبدٍ في سبيل الله قد فقد المال ، وضحى بالولد

كلما سيم الأذى ، قال : " أحد " صهروا جُثمانه في اللهب

فوقى جُثمانه بردُ اليقين ! [2]

وفي أفكارٍ مرتبة وتسلسل منطقي يصور لنا تلك المكيدة الخبيثة التي دبرها كفار قريش لقتل رسول الله ومن ثم القضاء على دعوته ولكن الله سلم ولطف فأنجى رسوله ، وجعله يخرج مروراً من بين أيديهم دون أن يشعر به أحد بعد أن حثا في وجوههم التراب :

خاب جمعٌ بالرسول ائتمرا ولمن أرسله عين ترى

نثر التُّرب عليهم ، وانبرى فإذا أبصارهم ف حجب

ما الذي أغشى عيون المشركين ؟ [3]

ويستلهم غنيم الحدث الأعظم في تاريخ السيرة النبوية المظفرة وهو هجرته عليه السلام إلى المدينة . ويسرد قصة الرسول مع صاحبه أبي بكر وهما في غار ثور وما أعقب ذلك من أحداث متسلسلة ، ثم يصور لنا مشاعر الأنصار وفرحهم وابتهاجهم بمقدم الرسول إلى يثرب . فضمن شعره بعض نشيد الأنصار حينما أنشدوه أمام الرسول :

سائل " الصديق " : ماذا روعه وإلهُ العرش في الغار معه ؟

فضله — سبحانه — ما أوسعه ! حل ركب المصطفى في " يثرب "

فتلقوه لقاء الفاتحين

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٩ .

لح علينا من ثنيات الـــــــوداع وادعنا للحقِّ ، يا أكـــــــرم داع

أيها المبعوثُ بالأمر المطـــــــاع ثبْ بنا فوق الرواسي ، نثـــــب

وخض البحر ، نخضهُ أجمعـــــين [1]

ويصـــور شاعرنا بعضاً من جوانب السيرة المباركة التي حدثت بعد الهجرة ومنها اســتلهامه لغزوة بدر المشهورة التي الهزم فيها الشرك وأصبح للمسلمين بعدها شأن عظيم يحسب له ألف حساب :

والتقى الجمعان في بدر ؛ فمـــا ثبتَّ الله لباغٍ قدمـــــــــــــا

أرأيت الشرك كيف الهزمـــا ؟ من بسيف الله يضرب، يغلـــــب

ولمن ينصرهُ النصرُ المبـــــين

حدثي،"يابدر"، عن صيد كماة طلبوا الموت؛ ففازوا بالحيـــــــاة

لم تزل سيرتُهم بعد الممــــات قصص الدهر ، ونجوى الحِقَـــب

ولها في مسمع الدنيـــا رنين [2]

ثم يـــتغنى شـــاعرنا بأمجـــاد الأمة الإسلامية وما قدمه الرعيل الأول من تضحيات وانتصـــارات في سبيل نشر الهداية والنور للبشرية جمعاء، وما حققه المسلمون الأوائل من انتصارات على (الفرس والروم) أعظم دولتين في تلك المرحلة فانطلقوا يبلغون رسالة ربهم في أرجاء المعمورة قاصدين تأسيس حضارة جديدة مبنية على العدل والمساواة .

قلم الإسلام أظفار الطغـــــاة فابتنى للعُرب جاهاً أي جـــــــاه

ومضى يبعثُ في الأرض الحيــاة فأظل الأرض عصرٌ ذهـــــــــبي

سائل "المأمونَ" عنه ، و"الأمين"

مَن رأى شعباً شتيتاً من رعــاه أصبحت تحنى له الـــــــدنيا الجباه

أم في المشرق "كسرى"فغــزاه وتحـــــــــــدى "قيصراً" في المغرب

ناشراً أعلامه فوق السفـــــن

بدويٌ علمَ الدنيا الحضـــارة تخذ الإِنصاف والشـــــورى شعاره

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٠ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٠

فإذا الدنيا :ابتسامٌ، ونضـــاره　　　يتــــــــــــــساوى أهلها في الحسب

لم لا ، والكلُ من ماءٍ وطين ؟ [1]

ويلتفــت الشـــاعر إلى توجيه أبناء أمته بأن يكونوا قدوةً للحضارت الأخرى ، وأن ينكبوا على سيرة الرسول وينشروا تعاليمه بين الأمم :

يابني العُرب وأشبـــــــــــال الأُلى　　　فسروا معنى التآخي للمــــــــــــــلا

اجعلوا سيرة "طه" مثـــــــــــــــــلا　　　تزحموا نجمَ السما بالمنكـــــــــــــب

إننا شعبٌ له التوحيدُ ديـــــــــن [2]

فهذه القصيدة التي استعرض فيها الشاعرُ بعض أحداث السيرة النبوية ماهي إلا قصة كاملـــة متسلسلة الأحداث . متلاحمة البناء منسجمة التشكيلات . ساعدت على إعطاء القصـــيدة وحــــدة وتماسكاً بين أجزائها . فموضوعها يدور حول البعث وأثره في انتشار الإسلام ، وأفكارها متسلسلة تسلسلاً منطقياً .

وتتجلى الوحدة العضوية عند شاعرنا أيضاً في قصائده التي لاتحمل الطابع القصصي كالتي يتحدث فيها عن همومه وأحزانه ومعاناته ، وخير ما يمثل ذلك قصيدة (كأس تفيض) التي يشـــكو فيها سوء حاله وطول غربته في (كوم حمادة) تلك القرية النائية التي كانت لـــه كالسجن حينما عين هناك مدرساً في بداية حياته الوظيفية فقضت على طموحاته وآماله وأمانيه . تلك الأماني التي هي أنعم وأرق من القوارير ، يقول :

لك الله ؛ لاتشكو ، ولاتتـــــــــــبرم　　　فؤادك فياضٌ ، وفكك مُلجـــــــــمُ !

يفيضُ لسان المرء إن ضاق صـــــدره　　　ويطفح زيت الكيل ، والكيل مفعــم

تعللتُ دهراً بالمنى ، فإذا هـــــــا　　　قواريرُ من مسِّ الصَّبا تتحطـــــــــــم

حملنا على الأقدار ، وهي بريئـــــــةٌ　　　وقلنا : هي الأقدار تعطى ، وتحرم [3]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٢) السابق . ص ٤٠١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٣ .

فالشـــاعر منذ البداية يعترف بأنه يحمل بين طيات نفسه معاناة جسيمة وألمًا محضًا للواقــع الــذي يعيش فيه إذ قضى على طموحاته وأمانيه ، ثم يتساءل عن الحظوظ وعن واقعهـــا ، فهو يعيش حالة سيئة مضنية مع الإحساس الدائم بأنه منتقصُ وغريبٌ في تلك القرية النائية ، وأنه جامدٌ رتيب لايتحرك من مكانه ، بينما غيره من الناس قد استطاع أن يحقق ما يريد بفضل الشهرة والثروة والمحاباة :

لعمرك ، ما أدري : على أي منطق ... أشاهد في مصر الحظوظ تُقســـــّـم ؟
فكم رصد الأفلاك في مصر أكمــةٌ ... وزلزل أعواد المنابر أبكـــــــم
أقمتُ بمصرٍ ، عاثر الجد ، ساكنــاً ... كما سكنت أهرامها ، والمقطـــــم
وقفت مكاني لاأريم ، وأخمصــــي ... على الشوك من طول السُرى تتـــورم!
كأني إطارٌ دائر حول نفســـــه ... يطول به المسعى ولا يتقـــــدم !
فمن يك ذا قربى وصهــــرٍ ، فأنني ... بمصـــــــرَ وحيدٌ؛ لاقريبٌ، ولاحمُ
وما أنا ممن تخطىء العين مثلــــه ... ولكن تعامى القـــوم عني ، أوعُموا [1]

ثم ينتقل إلى الحديث عن الأيام البائسة التي قضاها في تلك القرية يصور فيها حياته، ويصف فيها معاناته. فحياته جامدة رتيبة منحصرة بين الدار والمدرسة. وإحساسه بالغربة فـــيها دائـــم ومستمر وإن كان جسمه مستقرًا فيها . ويقرر أنه معدود من الموتى إذا عُد الأحياء لذلك فإن الترحم عليه جائزٌ كما يترحم على الأموات وهو قابعٌ في هذا المكان :

أيذوي شبابي بين جدران قريـــة ... بباب كأنَ الصمت فيها مخيــــــم ؟
أكادُ من الصمت الذي هو شاملي ... إذا حُسب الأحياءُ ، لم أكُ منهمـــو
وعاشرتُ أهليها سنــــين ، وإنني ... غريبٌ بإحساس وروحي عنهمــــو
يقولون: خضراء المرابع نــــضرة ... فقلت : هبوها ،لست شاةً تُســــّومَ
على رسلكم ، إني أقيم بقفـــرة ... يجوز على الأحياء فيها الترحـــــم
سئمت بها لوناً من العيش واحداً ... فداري بها داري، وصحبي همو همـــو
حياة كسطح الماء،والماء راكــــدٌ ... فلا أنا مســـــرورٌ، ولا متألم [2]

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٢٣ .

ولكن ماهي الحياة التي يبحث عنها غنيم ؟ إنه يتمنى حياةً سعيدة تشعُ بهجة وفرحاً حياة تناسب فكره وخياله ، بما تزخر به من مجالس العلم والفكر والأدب . حياة ممزوجة بالسعادة حينا وبالشقاء حيناً آخر .

إنه يتمنى أن يعيش في "بنت المعز" مصر حتى يتمكن من تحقيق أمانيه وطموحاته . وإن لم يستطع الإقامة فيها فحسبه أن يحج إليها كل عام كأمنية الحاج الذي يتمنى أن يحج بيت الله :

وما أبتغي إلا حياة عميقـــــــــــــةً ... تسرُّ ، فأرضى ، أو تسوء ؛ فأنقـــــم

حياة كلجِّ البحر، والبحر زاخـــــــــر ... تـــــــدوّى بها الأنواء ،والرعد يهزم

حياة بها : جدٌّ ، ولهو ؛ بها : رضـــــاً ... وسخط ، لها طعمان : شهد، وعـــلقم

فمن مبلغٌ " بنت المعـــــــــز " بأنَ لي ... فؤاداً عليها كالطيور يـــــــــحوم ؟

وأني من سبع خلون محافـــــــــــظ ... على العهد ، إن خان العهود مُتيِّـــــم

فإن أنأَ عن مصرٍ فحســـــــبي : أنني ... أحج إليها كل عـــــام ، وأُحرم (1)

ثم يصـــور لنا جانباً آخر من حياته في تلك القرية وهو الجانب الوظيفي . فيصف معاناتـــه مع تلاميذه ومدى تبرمه منهم فكان يترل إلى مستواهم العقلي والإدراكي بعقلٍ صغير يناسب عقولهم . يحاول أن يتقمص الأدوار المختلفة حتى يوصل المعلومة إلى أذهاهم . وهـــو في الوقـــت نفسه يخشى على نفسه أن يرجع طفلاً صغيراً لكثرة ما يؤدي دور الطفولة أمامهم .

ونظـــرًا لما تورثه تلك المشاهد المضنية والمواقف المتكررة والمعاناة الدائمة من سآمة وكدر فإنه يرثي المعلم المعذب . ويرى أنه أجدر بالرثاء من غيره . ويتمنى أن يعود تلميذًا صغيرًا يتردد على دور العلم للدراسة وطلب المعرفة:

لعمرك، إني قد برمت بفتيـــــــة ... أروح وأغدو كل يوم إليهمــــــــو

صغارٌ، نربيهم بمثل عقولهـــــــــم ... ونبنيهمو، لكننا نتهـــــــــــــرَم

لأوشك أن أرتد طفلاً ؛ لطول مـــا ... أمثل دور الطفل بين يديهمـــــو

فصولٌ بدأناها ، وسوف نعيدهـــــا ... دواليك ، واللحنُ المكرر يُســـــأم

فمن كان يرثي قلبه لمعـــــــــذَّب ... فأجدُر شخص بالرثاء المعلـــــــم !

---

(1) المصدر السابق ،ص ٢٣٤ .

وماكنت أُعني بالنتيجة يافــــعاً فصرت بها في هدأة الليل أحلـــم
وددت لو اني عدت للدرس ناشـئًا أسير ، وفي يمناي : لوح ، ومرقم [1]

ثم يقـــرر الشاعر أنه ذو نفس أبيه تمنعه من أن يهين نفسه للعظماء وأن يتردد على قصورهم لقضاء حاجاته وتأمين مطالبه. بينما غيره يهدر ماء وجهه لمالٍ يناله أو مصلحة يقضيها ولو فعل غنيمٌ مثلهم لما كان قابعاً في أركان هذه القرية المعزولة :

وكأن ترى الحَر الأبيةَ نفســـهُ يضيع له حقٌ ، وآخرُ يهضَـــم
ينال المنى من يقطع السبل ملحفـا ويغشى بيوت الناس ، والناس نـــوَّم
فلو أن نفسي طاوعتني فرضتُهـــا على الهون ، لم أخسر وغيرىَ يغنـــمُ
ألا فليسُد مَن شاء ، حسبـــي أنني ضننتُ بماء الوجه حين تكرَّمـــوا
ولم أتغزل في الكرام وفضلهـــم وغيري بهم - لا بالكواعب - مغــرم
وإني لمغبون إذا صرت قيصـــرًا وطوَّق بالنعماء جيدىَ منُعـــم [2]

فهـــذه القصـــيدة كما ترى قد تحقّقت فيها مظاهر الوحدة العضوية ، من خلال إحســـاس واحـــد ودقات شعورية متلاحقة تعبر عن معاناةٍ ذاتية ووجدانية - نتج عنها تسلسل الأفكار وتضافر الألفاظ والصور .

وتتجلى مظاهر هذه الوحدة العضوية في بعض قصائده ذات الطابع الغزلي كقصيدة (مضـــيفة الطائـــرة) التي يصف فيها إحدى مضيفات الطائرة حينما كان عائداً على متن طائرة في رحلة طويلة .

فتشـــعر - عـــند قراءتها - منذ اللحظة الأولى بوحدة الموضوع الذى انتظمت فيه أبيات القصيدة إلى جانب الصور والألفاظ الموحية التي سايرت الجو العام للقصيدة . يقول الشاعر :

سائلوا الركب ركب أخت العقـــاب يقطعُ الجوَ فوقَ متن السحَـــــاب
ما شعوري وقد أضاءت شعــــوري بدبيب الهوى ، وطيش الشبـــاب ؟
سحرتني مضيفة ذاتُ وجـــــــه باسم الثغر ، حالمٍ ، جـــــذاب
لم يدق الفؤاد في الجو خوفـــــاً أو سروراً بقرب يوم الإيـــــاب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٥ .

لا ، ولكن دَق الفؤاد التياعـــــــاً … عند مرأى تلك الثنايا العــــــذاب

غادةٌ تبعثُ السلام إلى الــــــــنف … س ، وتنسي الغريبَ طول الغيـــــاب (م)

ليت شعري مضيفةٌ هـــــــذه أم … بسناها كشافةٌ للضبـــــــــــاب؟

قال جاري :أتلك في الجو تقضـــــي … عمرها بين جيئة وذهـــــــــاب؟

قلت : هل تحسب العصافير يومـــاً … لركوب الهواءِ أي حســــــــاب

قد بلغنا عدناً ، وتلك — لعمــــري … هي إحدى الكواعب الأتــــــــراب

قد بلغنا السماء حقاً ، وهـــــــذا … كوكبٌ جاءَ حاملَ الأكـــــــواب

أقبلت تحملُ الشراب بكـــــــــف … رخصة ، ضاعفت جمالَ الشـــــراب

قهوةٌ أغدقت عليهـــــــــا قليلاً … من سواد العيون والأهـــــــــداب

وشرابٌ معصفر اللون ، يحكـــــى … خدها أو بنانها العُنـــــــــّـابي

يا فتاتي ، ما للشراب ومـــــــالي؟ … أنا أشتاق رشفةً من رضُـــــاب ! [1]

فالشاعر قد استطاع أن يحقق في الأبيات السابقة من خلال تعبيره عن وجدانه المُتقد كثيراً من التماسك والتلاحم البناء في القصيدة .

وقد استهل الشاعر قصيدته بسؤال ركب الطائرة من حوله عن أحاسيسه ومشاعره تجـــاه ما ألم به من هوى وطيش وهو في هذه المرحلة المتقدمة من السن وقد ظهرت عليه بوادر الشيب .

ثم يـــبين لنا بعضًا من صفات تلك المضيفة التي سحرته بجمالها الفتان فثغرها باسم ووجها جذابٌ ، جعلت قلبه يدق لوعة والتياعاً لمرأى ذلك الوجه الحالم والثنايا العذاب ، فأدخلت في نفسه أنساً وأنسته طول الغربة .

ثم يتســاءل عـــن أمر تلك المضيفة أحقيقةُ هي مضيفة أم كشافٌ يضيء الضباب المـــتراكم في الجـــو لما ينبعث من جبينها من نورٍ وضياء . ويسترسل الشاعر في كشف الصورة عن تلك المضيفة عن طريق ما يطرحه من تساؤلات حولها ، فقد سببـــــت لـــه اضطراباً نفسياً في داخله وأعادت له تباريح الهوى وطيش الشباب .

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٧ وتاليتها .

وقـــد اســـتطاع الشـــاعر من خلال هذه الأبيات أن يعطينا صورة كاملة عن تلك المضيفة عن طريق تلك الصور وتلك التساؤلات التي زادت القصيدة تماسكاً والتحاماً .

كمـــا كان لدقة اختيار الألفاظ أثره في ترابط أوصال القصيدة "فوضع الكلمات في مكانها الواجب ، ونقاء الألفاظ ودقة اختيارها لمما يؤصل الوحدة ، ويضفي عليها رونقاً وخاصة إذا كانت الألفاظ حية لم يبلها كثرة الاستعمـــــــال" [1] .

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث (بتصرف) . ص٨٥ .

المعجم الشعري

المعجم الشعري

يجـــدر بنا قبل أن نتحدث عن معجم الشاعر أن نلقي قليلاً من الضوء حول مفهوم اللغة الشعرية والفرق بينها وبين لغة التخاطب اليومية . فاللغة الشعرية بما تحمله من ألفاظ وعـــبارات لغـــة " تصـــدر عن نفوسٍ شاعرة ، نفوس حساسة ، تولد فيها حقائق الحياة والوجـــود ومظاهـــر الكون — انطباعات عاطفية ، تثير مشاعرها ، وتحرك خيالها الذي يستطيع أن يقتنص الصـــــور البيانية التي يسكنها انطباعته وأحاسيس وجدانه " [١]

فاللغة الشعرية إذن هي لغة العاطفة والأحاسيس لغة مليئةٌ بالحركة والإثارة يطوعها الشاعرُ تطويعاً كاملاً للتعبير عن مشاعره وأحاسيســـــــــه وانطباعته وتجاربه الشخصية ، فينتج عنده لغة مميزة ذات طابعٍ وخصوصية تميـــــــزه عن غيره .

وخلاصة القول : إن لغة الشعر يقصد بها : " بعث صور إيحائية ، وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة " [٢] وذلك بما يبثّه فيها مـــن صور وإبداعات خيالية . ولكون هذه اللغة عنصرًا مهمًا من عناصر الشكل ، فإن الشاعر المبدع هو الذي يستطيع أن يمتلك لغة موحية تختص به وتميزه عن غيره "لأن لكل شاعر معجمه الذي يظهر لنا عن طريقه مفهومه للكون المحيط به ويحدد علاقاته بالآخرين ، ولعل هذا لا يكاد ينطبق إلا على الشاعر المبدع الذي لا نرى فيه صورة غيره ، وإن كنا نؤمـــن بوجودها في مسيرة الشاعر قبل أن يتم له النضج " [٣]

فهـــذه اللغـــة الـــتي شكلها الشاعر تعد معجماً شعرياً خاصاً به يعرف من خلالها أسلوب الشاعر وطريقة أدائه ، ولعل من أهم ما يميز معجم الشاعر عن غيره من الشعراء " نوعـــية هـــذه الألفاظ التي يختارها الشاعر والمضمار التي تدور حوله ؛ لأن ذلك يعكس نفسيته وطبيعة تجربته ، والأمر الثاني هو طريقة الشاعر في التعامل مع هذه الألفاظ

---

(١) محمد مندور : الأدب وفنونه ، د.ط (القاهرة : الفجالة . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٩٦م) ص ٣٧ (بتصرف)

(٢) النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٥٧ .

(٣) مفرح إدريس سيد : " الا تجاه الإسلامي في شعر محمد بن على السنوسي " ، (مكة المكرمة : مطابع جامعة أم القرى ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م) ص ٢٦٤ .

، وكيفية تركيبه لها " [1]

وعند الحديث عن معجم محمود غنيم لابد من الوقوف عند أبرز الروافد التي شكلت معجمه الشعري وأول ما يلفت نظرنا :

١- **ثقافته الواسعة** : وتتمثل في ذلك المخزون الشعري الضخم الذي وقف عليه وحفظه وتمثله في كثير من أشعاره ، بالإضافة إلى دراسته واطلاعه على كتب التراث العربي فكوّنت لديه قاعدة ثقافية واسعة استمد منها أشعاره وساعدته على استقامة لسانه ، فجاءت لغته سليمة فصيحة ، تنم عن الأصالة والوضوح مع تمكن كبير بالثبات على الأساليب العربية القديمة وعدم الخروج عنها .

ولو دققنا النظر في ألفاظ غنيم لوجدناها تتسم بالوضوح والشفافية لكنها تختلف باختلاف الغرض الشعري الذي تدور حوله فالألفاظ الجزلة القوية تظهر في قصائد الفخر والمدح والحماسة والوطنية والقومية لتناسب المقام الذي تقال فيه .

بينما تظهر الألفاظ السهلة الرقيقة في مواطن الغزل والرثاء والمناجاة والوصف . فكأن هذا التنويع في الألفاظ يؤكد ما ذهب إليه النقاد قديماً حينما رأوا أن : " تُقَسِّم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديُحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزْلك بمنزلة جدِّك ، ولا تعريضُك مثل تصريحك ؛ بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطِّف إذا تغزّلت ، وتُفخِّم إذا افتخرت " [2]

وعلى هذا فألفاظ محمود غنيم ليست على وتيرةٍ واحدة ، بل تقوى في مواطن وتسهل في مواطن أخرى تبعاً لتغير الحال واختلاف المقام .

فعند حديثه عن الحرب مثلاً نقف على ألفاظ جزلة وقوية تتناسب مع الموقف والتجربة . ومن ذلك قصيدته (شبح الحرب) التي يقول فيها :

---

(١) كمال أحمد غنيم : عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، د.ت) ص ١٠٨ .

(٢) الجرجاني ، القاضي على بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، د.ط . تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي . (بيروت : المكتبة العصرية ، د.ت) ص ٢٤ .

هو الموتُ إنْ قامت على ساقها الحرب وإلاَّ ، فحسبُ الناس : ما يفعل الرعبُ

يلوح لهم في الصحّو والنوم طيفهـــا ودون انتظار الخطب أن يقع الخطـــبُ

كأني بها قامت ، وشبَّ أُوارهـــــا وقد جفت الأقلام ، وانطوت الكتـــب

وغيً : لا الدروع السابغات موانـــع أذاها ، ولا مُجدٍ بها الصارم العضـــبُ

تثلّم حدُّ السيف ، وانقصف القنـــا وأصبح لا طعنٌ هناك ولا ضـــــربُ

كأني بها ترمي مدافعها ، فــــــلا يطيش لها سهم ، ولا مضربٌ ينبـــو[1]

فالناظر في هذه الأبيات يحس وكأنها من عيون الشعر العربي القديم لما تتمتع به من ألفاظ قوية فخمة .مثل : (الموت ، الحرب ، الرعب ، الخطب ، الوغى ، شبّ ، أذاها ، طعن ، ضرب ، يطيش) بالإضافة إلى ما شتملت عليه من أسماء للأسلحة القديمة التي تدل على القوة مثل : (الدروع ، الصّارم ، السيف ، القنا) . وكأنما أراد الشاعر هنا أن يبين ضخامة مخزونه الثقافي اللغوي الذي استمدّ منه قاموسه الشعري .

وديوانه (في ظلال الثورة) حافلٌ بالألفاظ القوية الفخمة المليئة بالإثارة والحركة . ولنستمع إليه وهو يمدح الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر في معرض حديثه عـــن (تأميم القناة) :

دولةٌ حاكمُها من أهلهـــــــــا شعبُها الحُرُّ من الشعب اصطفـــــاه

كادحٌ ، ما أترفته نعمـــــــــةٌ عرك الدهرَ طويـــــــــلاً وبلاه

ما رأى في مهده ملعقـــــــةً من نضارٍ خالصٍ تملأُ فـــــــاه

لا على سلطانه يخشـــــــى ، ولا يرهبُ الفقر إذا الفقر اعتـــــراه

رُبَّ ميدانٍ به هَجّـــــــــرَ ، أو خندقٍ في ظلمة الليل احتــــواه

واجه الموت ؛ فلم يحفل : ومـــــن واجه الموت يواجه ما عـــــداه[2]

فنـــلمس في الأبيات السابقة — كما في بقية القصيدة — حشدًا من الألفاظ الجزلة الفخمـــة التي تواكب الموقف وتناسب الحدث ، مثل (كادحٌ ، عرك ، بلاه ، سلطانه ، يخشى ، يرهب ، الموت) . فهو يعمدُ إلى ما يناسب غرضه من الألفاظ الرصينة القوية .

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٥٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١١ .

وفي وصـــفه للأشـــياء الرقـــيقة يختار الألفاظ العذبة السهلة التي تتلاءم مع رهافة الموضـــوع ورقة الغرض ، وهذا من باب التلاؤم بين اللفظ والمعنى . كما في قوله واصفاً الفتيات وهن يسبحن على شواطئ الإسكندرية في وقت الصيف :

رُبَّ ثغر يداعبُ الأمواجـــــــا　　ينثر الماء كاللجين المــــــــذاب
تشتهيه النفوسُ ملحاً أجاجـــــــاً　　خارجاً من تلك الثنايا العــــذاب
ربّ ساقين غاصتا في المـــــــاءِ　　كلجين ينسابُ وسط لجيــــــن
بدتا آيتين في الإغــــــــراءِ　　وهما فيه نصفُ عار يتيــــــن
إنّ فوق الرمال غيداً نيامـــــــاً　　كالأفاعي ، لينٌ بغير عظـــــام
ليس سُمّاً لعابها ؛ بل مدامـــــاً　　هو : برءُ السقيم ، ريُّ الظامـــي [1]

فنلمح في تلك اللوحة الرائعة ألفاظاً سهلةً رشيقةً تلائم ذلك المشهد الرائع للفتيات . مثل قوله : (يداعب ، الأمواجا ، الثنايا العذاب ، لجين ، ينسابُ ، غيداً ، نياما ، لينٌ ، مداماً) وهذه الألفاظ تنمّ في وضوح عن رقة طبع الشاعر ورهافة حسّه .

وتتجلى تلك الألفاظ السهلة الرقيقة في مراثيه أيضاً كقصيـــدة (فقيد الإسلام) في رثاء الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الأزهر حينئذ :

حملنا على الأعناق بالأمس نعشـــهُ　　وقد كان يُزجيه زفيرٌ تصعّــــدا !
فكم ثمّ عينٌ سال كالعين ماؤهـــــا　　وكم ثم خدّ بالدموع تخــــددا
وسار به ركب الفناء ، ومن يســـر　　به الركبُ في تلك المجاهل أبعــدا
وحطوا على جسر المنية رحلـــــه　　ومالوا به برجاً منيعاً مشيــــدا
فخلت فؤادي كفَّ عن خفقانـــــه　　وخلتُ دمي بين العروق تجمّــدّا
فيا ضيعة الآمال من بعد مصطفى !　　لقد كان للآمال في مصرَ معقــدا
فتىً ما أوته – بل أواها – مناصـــبُ　　تقلد من عليائها ما تقلـــدَّا [2]

فألفاظ الأبيات السابقة سهلة رقيقة تلائم حالة الأسى والحزن التي غلبت على الشاعر . وتلمّسها في قوله : (زفيرٌ تصعّداً ، سال كالعين ، ماؤها ، ركب الفناء ، جسر المنية ، فؤادي ، خفقانه ، ضيعة الآمال) .

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٤٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ٥٢١ وتاليتها .

وتتجلى عذوبة الألفاظ وسهولتها في مناجاته وتسبيحاته ، استمع إليه وهو يقول :

سبحانك اللهم ! ما أعدلـــــــك ! نحنُ العبيد نحن ، والملك لـــــــك

تعنو لك الحيتان في لجّهـــــــا وكل نجمٍ سابحٍ في الفلـــــــك

ربِّ إليك المنتهى والـــــمآب وقولك الصدقُ ، وفصل الخطـــاب

ودينك الحق المبينُ الـــــذي يهدي إلى نهج الهدى والصـــواب [(١)]

وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يحقق الوضوح في اختيار الألفاظ السهلة والقريبة مـــن الأذهان في معظم قصائده إلاّ أن شعره لم يخل من بعض الألفاظ الغامضة التي يحتاج لبيانها وفهم معانيها الرجوع إلى المعاجم اللغوية . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

لفظ (شؤبوب) وهو (الدفعة من المطر) يقول :

كم ثاكل لم تدر أين ترى ابنهـــــا فتعيره من دمعها شؤبوبـــا ! [(٢)]

و لفظ (اللغوب) بمعنى (التعب) يقول :

سهرانُ ، لا يشكو اللغــــــو (م) بَ ، ويشتكي منه اللغـــوب [(٣)]

و لفظ (شعُوب) وهو علمٌ يطلق على (المنيّة) يقول :

ولقد تمد إليــــــــــــه في حرم الفصول يداً شعُـــوب [(٤)]

و لفظ (خلوف) (جمع خِلْف ، وهو – للناقة ونحوها – بمعنى الضّرع) ، يقول :

سمحت براتبه خلــــــــو (م) ف ، مالها أبداً ثقـــــوب [(٥)]

و (الرّسغ) (وهو ما بين السّاق والقدم) يقول :

ولقد أردت السير فيك مهنئــــــاً فوجدت رسغي مثقّلا بحديـــد [(٦)]

و (الجؤذر) وهو (ولد البقرة المتوحشة) . و (الرَّبرب) وهو (القطيع) يقول :

كنت تغتالُ جؤذراً كلَّ عـــامٍ فلم اغتلت ربرباً في ثـــوان ؟ [(٧)]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٢٢٢ .

(٤) السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) السابق ، ص ٢٢٤ .

(٦) السابق ، ص ٢٣٩ .

(٧) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٤ .

و (الصَّهيود) بمعنى (اللاَّفحة الحارة) :

هو ظلُّ الحياة ، نأوي إليـــــــه   واحةً في صحرائها الصهيـــــود [1]

٢ – الائتناس بألفاظ القرآن الكريم :

كان لنشأة غنيم الدينية وحفظه للقرآن الكريم أثرٌ واضح وجليٌ في شعره ، حيث استمد منه كثيراً من ألفاظه . فالقرآن الكريم يعد رافدا قوياً لمعظم الشعراء الإسلاميين الذين استطاعوا أن يغذوا قاموسهم الشعري من كلماته وعباراته . والمتصفح لديوان غنيم يجد كمّـاً هائلا من ذلك المعجم القرآني . ومن مظاهر تأثره بألفاظ القرآن الكريم قوله :

يا زاعم العفة في حبِّـــــــــــه   ما تبتغي من كاعب ناهـــد ؟ [2]

فلفظة (كاعب) مفرد ورد جمعه في قوله تعالى : ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [3] .

وقوله في قصيدة (شبح الحرب) :

ولا أنفَ إلاَّ عالق بكمامـــــــة   ولا دار إلاَّ شُقَّ في جوفها جُـبُّ [4]

تتماثل فيه كلمة (جُبّ) مع نظيرها في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ [5] .

وقوله في قصيدة (معترك السبّاب) :

حزبان : ذاك علـــــــى أرا (م)   ئكه ، وذلك في ارتقــــاب [6]

تتفق فيه لفظة (أرائك) مع مثيلتها في قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ . [7]

وقوله في قصيدة (ذكرى محمد) :

تخدوا القصور مساكناً وتسربلـــوا   بالخزِّ ، لا الأوبار والأصـــواف [8]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

(٣) سورة النبأ ، الآية ٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٥٩ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ١٠.

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٤ .

(٧) سورة الكهف ، الآية ٣١ .

(٨) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٩ .

يذكرنا بلفظة (سرابيل) في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾[1]

وقوله في قصيدة (تحية فريال) :

كالبدر يجلو ظلمة الشكـــــوك   أو كَذُكاءَ ساعة الدّلــــوك [2]

ينقلنا إلى لفظة (دلوك) في قوله تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ [3] .

وقوله في قصيدة (الأسد السجين) :

إن تطعموا الرئبال من فضلاتكـم   شهداً ، تجرَّع شهدكم غسلينا [4]

يعود بذاكرتنا إلى لفظة (غسلين) في قوله تعالى ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [5] .

وقوله في قصيدة (إلى القمر) :

أرى أرضا تضيق بساكنيهـــا   وبحرًا كله سفنٌ تمـــــور [6]

توافـــق فــيه لفظة (تمور) مع نظيرها في قوله تعالى ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [7] .

وقوله في قصيدة (أسطول معاوية) :

أزجى معاوية السفينَ ، تســيرُ ، أو   ترسو بكل غضنفرٍ ضرغـــام [8]

تــتآلف فــيه لفظة (أزجى) مع مضارعها في قوله تعـــالى ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾ [9] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢١٥ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٧٨ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٤٦ .

(٥) سورة الحاقة ، الآية ٣٦ .

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٧٢ .

(٧) سورة الملك ، الآية ١٦ .

(٨) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٢١ .

(٩) سورة الإسراء ، الآية ٦٦ .

٣- غنيمٌ وألفاظ الحضارة الجديدة :

لغنـــيم ألفـــاظ اســـتمدها مـــن واقع الحياة الحضارية الجديدة في عهده ، فكانت الفضـــاءات العربـــية تعج بألفاظ الحياة العصرية الجديدة المتداولة بين أبناء المجتمعات التي استوعبوها عن طريق الصحافة والبعثات والاستعمار — وهذا الاستيعاب أدى إلى التعايش مع هذه الألفاظ حتى أصبحت وكأنها كلمات فصيحة وقد كان غنيم من أولئك الشعراء الذين أدخلوا في أشعارهم بعض الألفاظ الأجنبية . والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

لفظة (الميكروب) كقوله في قصيدة (فجر السلام) :

أقسمت ، ما قاد الجيوش كقائـــد حشد الجهود وكافح " المكروبا " [١]

و لفظـــة (البـــترول) وهـــو مـــا يسمى بالذهب الأسود . كقوله في قصيـــدة (محنة فرنســـا) :

الزيت والبترول من آلائهـــــا والعلمُ ينضح إن خبت أكوارها [٢]

لفظة (الرّيخ) ويقصد به (دولة الألمان) كقوله في قصيدة (الهلال الأحمر) :

" الرّيخ " يحسب أنـــــــه آوى إلى ركن مشيـــــــــد [٣]

و لفظـــة (المنطاد) وهو جهاز كان يستخدم للطيران بتأثير غاز الهيدروجين قبل اختراع الطائرات ، كقوله :

ما بارح الأســـماع وقـــــ (م) ـــع فجيعـــــة " المنطاد راء " [٤]

ولفظة (النيازك) التي يشير بها هنا إلى (الصواريخ) كقوله في معرض حديثه عن زفاف الفاروق :

قذفوا" النيازك "في الفضاء ، فخلتها مشبوبةً من عزمه الوقّـــاد [٥]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٥٦ .

(٤) السابق ، ص ١٩٢ .

(٥) السابق ، ٢١١ .

و لفظـــة (الردنجوت) وهو زيٌّ معين عبارة عن سترة طويلة مشقوقة الذيل ، كقوله في قصيدة (الردّ نجوت) :

" الردنجوت " يا جناب الوزيـــــر   ليس يقوى عليه جيبُ الفقير [1]

و لفظـــة (المترو) و (السيجار) كقوله في قصيدة (من وحي الكأس) عند حديثه عن شخصية (علي بك) الذي كان مغرماً بشرب الخمرة :

وربما قابل " المترو " فقبلــــــــــه   في وجنتيه ، وحيَّاه " بسيجار " [2]

و لفظة (البنسلين) وهو (دواء معروف) كقوله في قصيدة (الطبيب يس) :

يتولى مرضاه بالعطف حــــــــتى   ليخالون عطفه " بنسلينـــــا " [3]

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٧٩ .

(٣) السابق ، ص ٥٥٥ .

الأسلـــوب

الأسلوب

مفهومه :

تحدثـــت في الصفحات السابقة عن لغة الشاعر ومعجمه الشعري ، واللغة كما هو معروف ترتبط بالأسلوب ارتباطاً تاماً وقوياً. بحيث لا تكاد تنفك عنه بحال من الأحوال . ويمكن تعريف (الأسلوب) لغة -كما جاء في لسان العرب - بأنه" الطريق ، والوجه ، والمذهـــب ، والأسلوب : الطريق تأخذ فيه " [1] وقد تنبه النقاد القدامى إلى الأسلوب ، وأشـــاروا إليـــه وحاولوا أن يضعوا له تعريفـــــاً خاصاً . فهذا عبد القاهر الجرجاني يعـــرفه بقوله : " "والأسلـــــوب " الضرب من النظم والطريقة فيه " . [2] وفي العصر الحديـــث أُلفـــت كثيرٌ من الكتب حول الأسلوب وتناوله النقاد من زوايا مختلفة وتبيانت أراءهـــم فيه . فعرفه البعض بأنه (الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداءِ الأفكار وعرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني) [3] . أو هـــو بعبارة أوضح (الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ، ويبين بها عما يجـــول في نفســـه من العواطف والانفعالات) . [4] فالأسلوب إذن الطريقة الخاصة التي يســـتعين بها الكاتب أو الشاعر في نقل أفكـــــــاره وصياغة معانيه معتمداً في ذلك على اختيار الألفاظ ، وتآخي العبارات .

وكما أوضحتِ سلفاً فإنه يجب أن ترتقي . لغة الأديب عن لغة الحياة اليومية أو لغة العامـــة ؛ لأن الكـــلام الفصـــيح "مـــا ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوي الوحشي " [5] .

ولابد في الوقت نفسه أن يستقل الأديب بأسلوبه الخاص الذي يعرف به ويميزه عن غيره وهذا موافقٌ لما قاله المفكر الفرنسي " بوفون" - (١٧٠٧- ١٧٨٨م) في عبارته

---

(١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٠م) ، ٧/٢٢٥ .

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز . الطبعة الثالثة . تحقيق ودراسة : محمود محمد شاكر .

(القاهرة : مطبعة المدني ، جدة : دار المدني ، ١٤١٣ هـــ - ١٩٩٢ م) . ص ٤٦٨ وتاليها .

(٣) أحمد الشايب : الأسلوب ، ص ٤٦ .

(٤) أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص٤٥١ .

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٤ .

المشهورة " الأسلوب هو الرجل " أو الأُسلوب هو الإنسان نفسه " [1] .

ولقد وفق محمود غنيم في تطبيق هذه القاعدة على نفسه عندما اختط لنفسه أسلوباً خاصاً صاغ به أفكاره وصهر فيه تجربته وعواطفه . فتميز أسلوبه بفصاحة اللفظ ، وصحة التراكيب ، ووضوح العبارات وتآلفها ، فضلا عن أنه اتسم بعدة سمات بارزة متفاوتة في الظهور أضفت عليه قدرًا كبيرًا من النَّصاعة والحيوية ، ومن أهمها وأبرزها :

١- الاقتباس :

وهو " أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه " [2] .

أي من غير إشارة أ كيدة على أ نه منه . وقد تأثر الشعراء عموماً بأسلوب القرآن الكريم ، ويتجـــلى ذلك التّأثر من خلال اقتباسهم الألفاظ والعبارات القرآنية كما فعل محمود غنـــيم في كثير من أساليبه . ويأتي الاقتباس عنده على عدة صور وأشكال فهناك ائتناس بـــاللفظ القـــرآني – كما مر معنا في الحديث عن معجمه الشعري – وهناك اقتباسٌ لمعنى معـــين من معاني القران الكريم . كما أن هناك اقتباسًا لآية كاملة من القرآن أولبنية لفظية فـــيها ، ولكن الشاعر كان يتعامل معها تعاملاً خاصاً حسب ما تقتضيه القصيدة فتجده يلجأ إلى الحذف أو الإضافة أو التقديم والتأخير في الجملة القرآنية نفسها حتى يحافظ على الوزن الشعري للقصيدة . ومن أمثلة اقتباس بعض معاني القرآن الكريم قوله :

عجبا ! أجاء محمد بالسحـــــــر في آياته أم شابها بسُـــــــلاف ؟

أقسمت، ما كان النبي محمـــــــدٌ بمشعوذ ، كلا ، ولاعراف [3]

فالبيتان – كما هو واضح – فيهما إلمام بقوله تعالى :(وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) [4] وبقوله تعالى : (وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) [5]

---

(١) يوســـف أبو العدوس :البلاغة والأسلوبية . الطبعة الأولى . (الأردن، عمان : المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ م) ص١٦٨ .

(٢) القـــزويني ، الخطيب : الإيضاح في علوم البلاغة .الطبعة الثالثة . شرح وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجه (بيروت: دار الجيل ،١٤١٤ـــ١٩٩٣م) ٦/١٣٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ،صرخة في وادٍ ، ص ٨٨ .

(٤) سورة الحاقة ، آيه ٤٢ .

(٥) سورة الصافات ، آيه ١٥ .

ويـتأثر شـاعرنا كذلك بأسلوب القصص القرآني . انظر إليه وهو يستوحي صورة كلب أهل الكهف . في معرض حديثه عن الكلب البوليسي:

وسلبت كلب الكهف مـا　　بيديه من عزٍّ وجـاه

لم تقضِ في النوم الحيـا　　ة كما قضى فيه الحيـاه

لكن سهرت على السـلا　　م ، وبات ينعم في كـراه [1]

فهذه الأبيات مستوحاة من صورة كلب أصحاب الكهف في قوله تعالى : (وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) [2]

ومـن نمـاذج اقتباس الشاعر لآية قرآنية أولبنية لفظية فيها وتوظيفها في قصيدته توظيفاً حسناً قوله في الحديث عن أهمية العهود والمواثيق والشهادة :

واستشهدوا الرحمن فيه عليكـم　　وكفى بربك شاهداً ، وحسيباً [3]

فتركيب البيت مستمدٌ من قوله تعالى : (فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) [4]

وقوله أثناء حديثه عن وصف ليلة الإسكندرية وقت الغارات عليها :

أقوت مسارحه ، وأغطش ليلـه !　　لا راقصٌ فيه ولا متـرنم [5]

ففي بنية صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) [6]

وكذلك قولـه عند حديثه عن مظاهر العيش الجديدة والتي تجاوزت حد العرف والعادة فأصبحت كالأغلال في رقاب الناس :

تجاوز العرفُ والعادات حدهما　　فأصبحا في رقاب الناس أغلالا [7]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد، ص ١١٠ .

(٢) سورة الكهف ، آيه ١٨.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد، ص ٣٧ .

(٤) سورة النساء،آية ٦ .

(٥) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد، ص ٦٤ .

(٦) سورة النازعات ، آية ٢٩ .

(٧) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٤ .

فتركيب عجز البيت مأخوذٌ من قوله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) [1]

وأما قوله في وصف زلزال مدينة (أجادير) المغربية :

"أجادير"هل حان يوم النشـــور وزلزلزت الأرض زلزالـــها ؟

وهل بعث الله من في القبـــور وأخرجت الأرض أثقالـــها؟ [2]

فالبيـــتان يعـــودان إلى مطلع سورة الزلزلة : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) [3]

٢ - التضمين :

وهـــو أن يضمن الشاعر أو الكاتب كلامه أقوالاً مشهورة لغيره ، وهذا لا يتم إلا للحاذق المبدع حتى يكون ذلك التضمين حسناً في موضعه .ومن أمثلة التضمين عند غنيم تضمينه لبيت شعري كامل .كقوله في ذكرى الزعيم المصري (محمد فريد):

قالوا لهم (حزب الجلاء)وإنـــه لقب يزيد مقامهم تمجيـــــدا

"والله مادون الجلاء ويومـــــه يومٌ تسمِّيه الكنانةُ عيـــــدا "

الله يعلم، لست أبخس عامـــلاً حقاً،ولا أجزي الجميل جحودا [4]

فالشـــاعر قد أخذ البيت الثاني كاملاً من قصيدة لأحمد شوقي وهذا التضمين جاء حسناًفي موضعه ؛لأنه لم يخل بمعنى القصيدة ولا بقافيتها ووزنها .

وقد يضمن أبياته شطر بيت شعري كما جاء في قصيدته الرثائية (هرمٌ يهوى) التي أنشدها في رثاء المرحوم (أحمد ماهر باشا):

في بهو فرعون، بل في ساحة الحرمِ ترنحت،ثم مالت صفحة الهـــرم !

وأمسكت جنبها مصرُ،فقلت لها: "ياويحَ جنبك بالسَّهم المصيب رُمى"![5]

فالشـــاعر قـــد أخذ عجز البيت الثاني من قصيدة لشوقي وهذا التضمين جميلٌ من الشاعر،لأنه جاء مناسباً للمعنى والفكرة التي يريدها .

---

(١) سورة يس ، آية ٨ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة،ص ٣٥٩ .

(٣) سورة الزلزلة،آية ١، ٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص١٧٢، والبيت الثاني لأحمد شوقي ، في الموسوعة الشوقية ٣/١٤ .

(٥) السابق ، ص ١٧٧، ومصراع البيت الثاني لأحمد شوقي ، الموسوعة الشوقية ٥/٧٠ .

ولم يقتصر التضمين عند الشاعر على الشعر؛ بل ضمن شعره بعض الحكم المشهورة التي عرفت عن العرب،كقوله في قصيدة (جنازة السلام) :

قالوا الحصار؛فأذعنـــــــــــــــــت "والقول ما قالت حـــــــــــــذام" [(١)]

فمصراع البيت السابق يتضمن حكمة مشهورة ومعروفة عن العرب جاءت مناسبة لإتمام المعنى وتحسينه .

وأســـتطيع القول إن هذا التضمين الذي لجأ إليه الشاعر جاء نتيجةً لتأثره بالشعراء القدامى والمحدثين،كما جاء نتيجة اطلاع واسع على كتب التراث القديمة والحديثة .

٣- التكرار :

التكرار من أبرز الظواهر الأسلوبية في أدبنا العربي القديم . فهو "ظاهرة تصادفها في الشـــعر العـــربي القـــديم عند كثير من الشعراء ذوي الاتجاه الوجداني الذاتي وفي الشعر السياســـي الذي يصدر عن عقيدة صادقة تخلع عليه صفة الذاتية كشعر الكميت ، وشعر العذريين[(٢)] " فالشاعر يعمد إليه لتأكيد معانيه وتقويتها بالإضافة إلى تعريف المتلقي على الفكرة التي كانت تلح في فكره وتسيطر عليه في قصيدته .

واهـــتم النقد الحديث كذلك بهذا المظهر الأسلوبي وتحدث عنه وأصبح وسيلة لغوية تمتاز بها التجربة الشعرية الحديثة ولوناً من ألوان التجديد فيهـــــا . [(٣)]

ويأخذ التكرار مواضع مختلفة من القصيدة فله :"مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل "[(٤)]

والمتصفح لديوان غنيم يجد ذلك اللون الأسلوبي يأخذ مسارات متعددة ويمكن تقسيمه إلى (تكـــرار الحروف ، تكرار الكلمات ، تكرار العبارات) وقد يعمد إلى تكرار مطلع القصيدة بكامله في نهايتها كما هو معروف في أغلب الأناشيد .

وعموماً فإن الشاعر كان يعمد إلى التكرار في أغلب قصائده لتأكيد معانيه وتقويتها

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢) عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠١هـــ ، ١٩٨١ م) ص ٣٨ .

(٣) انظر : نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر . الطبعة السابعة . (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣) ص ٢٦٣ .

(٤) العمدة ، ٢/٧٣ .

خاصـــة عندما تسيطر على ذهنه فكرة معينة . ومن جميل التكرار عنده (تكرار الحروف) وهـــو كثيرٌ في ديوانه ، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قصيدة (صفاءُ النفس) حين كرر فيها حرف (الواو) عدة مرات يقول :

آلا،يا نفس،لو تصفين يومـــــــــــــاً	لكنـــــتِ أرقَّ من مرِّ النسيم
وطرت بخافياتٍ من ضـــــــــياء	و لم تمشي على ظهـــــر الأديم
وكدت تحلقين مع الثريـــــــــــــــا	وتتخذين برجاً في السَّـــديم
وأدركت الذي لا تحتويــــــــــــــــه	بطونُ الكتب من شتىّ العلوم
و لم تخف الحقائق عنك مهمـــــــــا	خفين عن المدارك والفهـــوم
و لم يصرفك عن أخراك شـــــــــيء	وغيرَ رضاء ربك لم ترومي (١)

فالتكرار هنا حسن غير متكلف يحاول الشاعر بواسطة حرف العطف (الواو) أن يؤكـــد على فكرته التي تسيطـــر على ذهنه وهي دعوة النفس إلى (الصفاء) حتى تكون أرق مـــن النســـيم ، فتسمو إلى الأفق مع الثريا و النجوم ، وتدرك ما خفي من العلوم ، وتفهم ما غاب عن المدارك ، وتنصرف إلى التفكير في الآخرة ، والعمل على إرضاء ربها.

كما أنه اختار هذا الحرف ليتنقل به بين تلك المعاني ويربطها بعضها بالبعض حتى يـــتحقق للنفس الصفاء والسمو . بالإضافة إلى ما يحدثـــــه حرف (الواو) من صوت موسيقى وإيقاع عذب ، نتج عن تكراره في تلك المقطوعة تسع مرات .

ومـــــن نماذج تكراره للحروف أيضاً ما جاء في قصيدتـــه (شعبٌ واحدٌ وربٌ واحدٌ) يقول :

سل العروبةَ في شتىَّ مرابعهـــــــا	عن مجد أوَّلها : هل عاد داثـــــره ؟
إني لألمحُ في آفاقها ألقـــــــــــاً	من فجر نهضتها لاحت بشائـــــره
ففي الكنانة:شعبٌ صان حوزتـــها	يوم القناة من الذؤبان كاســــــره
وفي الجزائر : شعبٌ شنَّ معركـــةً	على المظالم خاضتها حرائـــــــــره
وفي الشآم : وئام لا يزال – على	رغم الحوداث – ما انبتَّت أو اصره(٢)

فجاء تكرار الحرف (في) أكثر من مرة ليؤكد لنا على المواضع التي تعالت فيها

---

(١) الأعمال الكاملة، رجع الصدى ، ص٧٥٥ .

(٢) السابق ، ص٦٩٨ وتاليتها .

انتصارات الأمة العربية ضد المستعمرين . وليبين لنا قوة شعوبها وكرههم للضيّم والهوان . كمـــا كشف هذا الحرف عن مدى ما يحمله الشاعر من حب صادق وأكيد للعروبة في شتى مرابعها ، وعن مشاركته الفعالة لشعوبها في آمالهم وآلامهم .

وكمـــا كرر الشاعر الحروف نجده يكرر الألفاظ وتشمل (الأسماء ، والأفعال) . فمن قصائده التي عمد فيها الى تكرار الأسماء قصيدته (نيسان) حيث قال :

كل الطيورُ عصافيرُ مغـــــــردةٌ	فيه ، وكل مكان فيه بستـــــــانُ
قم ، نبه الطير في الأوكان من وسنٍ	طال الشتاء عليه وهو وسنـــــانُ
طال الشتاءُ ، فلاطيرٌ ، ولاشجـــرٌ	لا الطيرُ طيرٌ ،ولا الأغصان أغصان !
قم ، نبه الطير ينظر عز دولتـــــه	عرشُ الربيع عليه الطيرُ سلطـــان
هذي منابرُك العليا مهيـــــأةٌ	يا طير،فاصدح ؛ فكل الكـــون آذان
الطير يصدحُ، والغدران هامســـةٌ	المطربان هما : طيرٌ ، وغـــدران [١]

فالشـــاعر كرر لفظ (الطير) عشر مرات . ليؤكد على إعجابه بفصل الربيع دون غـــيره من الفصول . فجاء التكرار هنا معبراً عن شدة إعجاب الشاعر بجمال الربيع عن طريق تصوير فرحة الطيور وزقزقتها .

ومن تكراره للأسماء أيضاً ما جاء في قصيدته (أعياد النصر) التي أنشأها في ذكرى العدوان الثلاثي على مصر . واستحث فيها شخصية القائد والرئيس المصري (جمال عبد الناصر) راعي الإصلاح الإجتماعي في وطنه :

جمالُ ، جمالُ ، حقوقُ الضعيــــف	إذا سلبت كنت ردادهـــــا
جمالُ ، جمالُ ، قيودُ الشعـــــوب	إذا أحكمت كنت حدادهـــا
جمالُ ، جمالُ ، بنى[٢] الاحتـــــلال	إذا شُيِّدت كنت هدادهـــا [٣]

فالتكرار هنا جاء مؤكداً لإصرار الشاعر على السعي الدؤوب في تحقيق الإصلاح الاجتماعي في بلده ،ويكشف عن مدى تعلق الشاعر وإعجابه الشديد بالشخصية القيادية التي سوف تحقق ذلك الإصلاح والمتمثلة في جمال عبد الناصر . وتكرار اسم الممدوح هنا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧١٧ .

(٢) البنية : مابني ،وجمعه :بِني .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ،ص ٧٨١ .

" تـــنويه بـــه ، وإشارة بذكره ، وتفخيم له في القلوب والأسماع " [1] ، ولأنه الشخصية الأوحد في ذلك الوقت .

ومـــن النماذج على تكرار الأفعال عنده ما جاء في قصيدة (حرب الأعداء الثلاثة) التي يقول فيها :

يا جنود الحمى ، لقد أزف الوقـــ (م) ـــت ؛ فهيا بنا إلى الإصـــــلاح
كافحوا الجهل في ثبات وعـــــزم قهر هذا العدو نصف النجـــاح
كافحوا الفقر في الكنانة ؛ حـــتى تطردوه من مترل الفـــــلاح
كافحوا الداء ؛فهو ضيفٌ ثقيـــلٌ حل بالزاد والنمير القـــراح[2]

فالشاعر في الأبيات السابقة كرر فعل الأمر (كافحوا) ثلاث مرات ، ليحث أبناء مجتمعه على مكافحة ما سماه بالأعداء الثلاثة (الجهل ، والفقر ، والمرض) التي تعدُ شرخاً قويـــاً في جبين المجتمع . كما أن ذلك التكرار يدل دلالة صادقة على شدة انفعال الشاعر وغيرته على مجتمعه وتعلقه به .

أما تكراره للعبارات فكثيرٌ في شعره ومن ذلك قوله في قصيـــــــدة (بحرٌ وبحر) الـــتي استقبل بها المرحوم : دسوقي (باشا) أباظة عند عودته من بعض رحلاته الى أوربا بطريق البحر :

حملَ البحرُ دولـــــــــــــةً أكبرت شأنها الـــــــــدول
حملَ البـــــــــــــحرُ درةً زانت البحر من عطـــــــــل
حملَ البـــــــــــــحرُ منجزاً يشفعُ القول بالعمـــــــــل
حملَ البـــــــــــــحرُ مسمحاً يشبهُ البـــحـــــرَ إن بذل [3]

فمحمود غنيم في هذه الأبيات قد كرر عبارة (حمل البحرُ) أربع مرات ، ليؤكد على فكرته المسيطرة وهي الثناء الحسن على الممدوح وبيان فضله ، والتنويه به والإشارة إليه بذكر محاسنه وتعداد فضائله .

كمـــا أن التكرار يعكس مدى قوة العلاقة ومتانتها بين الشاعر والممدوح . وكان الشاعر يعمد أحيانًا إلى تكرار مطلع القصيدة كاملاً في ختامها كما نجده واضحاً في بعض

---

(١) العمدة ، ٢/٧٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ،في ظلال الثورة ،ص٤٤٦ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص٥٧٠ وتاليتها .

أناشيده ، ومن ذلك النشيد (الوطني) للجمهورية العربية المتحدة الذي يقول فيه :

ارفعي يا أمة العرب اللــــــــــواء　　　صاعداً في عزة نحو السمـــــــاء [١]

فـــنجده يكـــرر هذا المطلع في نهاية القصيدة لشدة انفعاله وارتباطه الوثيق بوطنه . وأناشيده (شباب الجامعة ، والطيران) خير دليل على ذلك .

٤ـــ الاستفهام :

الاســـتفهام " هو طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل بأداةٍ خاصـــــــة" [٢] . وهـــو من الصيغ الأسلوبية القديمة في أدبنا العربي . وقد أكثر الشعراء من استخدامها في أساليبهم الشعرية لأنها قد :" تضفي على القصائد جمالاً وبهاءً وجدَّة " [٣] .

وديـــوان غنيم مليءٌ بالصيغ الاستفهامية التي جاءت عفو الخاطر لجذب الأسماع وإثارة الانتباه .ومن خلال تتبعي للأساليب الاستفهامية عنده وجدتها قد جاءت على وجهين . الأول : عـــدم خروج تلك الأساليب عن معناها الحقيقي الذي وضعت له فجاءت تدل عـــلى المعـــنى الحقيقي مباشرة ،والثاني – وهو المهم هنا – خروجها عن معناها الحقيقي والأصـــلي الى معـــان أخـــرى كالدهشة والاستغراب ، والتعجب ، والاستنكار،والتمني حســـب ما يقتضيه المقام ويستدعيه سياق الكلام .[٤] والنماذج الشعرية على ذلك كثيرة فمـــثال الاستفهام الذي خرج عن معناه الى التعجب الذي يثير الدهشة والاستغراب قوله مخاطباً القمر :

أيأكل فيك أناسٌ طعامـــــــــاً ؟　　　ويلبس فيك أناسٌ ثيابـــــــــــــــا؟

وهل فيك يفري الشتـــاءُ الأديم　　　ويلتهبُ الصيفُ فيك التهابـــــا؟ [٥]

فهذه الاستفهامات المتكررة التي عقدها الشاعر مع القمر قد أثارت لديـــه الدهشة والاستغراب عن وضع الحياة على سطح القمر.

ومن قصائده التي كرر فيها الاستفهام وخرج عن معناه الأصلي إلى الإنكار قوله :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢) عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، د.ط .(بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥) ، ص ٨٨ .

(٣) شعر حسين عرب ، ص ١٩٢ .

(٤) انظـــر : الصـــعيدي ، عبد المتعال : بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح ، د.ط ، (مصر:المطبعة النموذجية ، د.ت) ٢/٤٤ وتاليتها.

(٥) الأعمال الكاملة ،رجع الصدى،ص٧١٥ .

من قسَّم الناس أجناساً: فذاك لـــه مجدٌ ،وذلك لا مجدٌ ولاجـــــاه ؟
من قسم الدم :هذا آسنٌ كـــــدرٌ وذاك من نفحات المسك ريّاه؟[1]

فالاســـتفهام هنا يفيد التوبيخ والإنكار على القوانين التي قسمت الناس الى أجناس مختلفة وعرقيات متنوعة جاهلة مبدأ المساواة والأخوة.

وقد يأتي الاستفهام في عدة أبيات متتالية تعبيراً عن الأمل والرجاء ، كقوله في قصيدة (آمال والآم) :

ياليت شعري ، يا هلال ، أعائـــــدٌ للمسلمين بنصر دين محمـــد ؟
أتعيدُ للجمعات سابق عهدهـــــــا أتعيد للإسلام مجد المسجد؟ [2]

فالشاعر هنا قلق لما حدث لأمته من ضعف وتخاذل فجاء متحسراً نادًما على ما أصابها . متمنياً في الوقت نفسه أن تعود أمجادها الماضية كما كانت عليه .

ومـــن الأساليب الاستفهامية عنده التي خرجت عن معناها لإفادة التقرير قوله في قصيدة (تسبيحٌ وابتهال) :

من علم النملة معنى العمـــــــل ؟ من ألهم النحلة صُنع العســـــل ؟
من سيّر الأفلاك في رقـــــــة ؟ من سخر البحر ، وأرسى الجبل ؟
من ملأ الدنيا بأســـــــــراره ؟ من كون الأكوان منذ الأزل ؟ [3]

فهذه الاستفهامات التي تكررت في أكثر من موضع تدل على إقرار الشاعر بعظمة الله في خلقه ،كما تدل تلك المخلوقات على قدرة خالقها فتباركت أسماؤهٌ وجل شأنه .

وقد يخرج الاستفهام عنده إلى معنى آخر يفيد الشجب والاستنكار ،فعندما أحاطت القوات الإنجليزية يكفر أحمد عبده ،ونسفوه بالقنابل والمدافع لم يسكت الشاعر عن تلك الفعلـــة فشـــجب ذلك العمل المشين واستنكره عن طريق تكرير الاستفهام الذي يوحي بالحركة والحيوية يقول:

فيم المدافع كالأبراج جاثيـــــــة يطير كالبرق من أفواهها الشرر؟
فيم القذائف فوق الحي هاميـــــة من حالق الجو ، لاتبقي ، ولاتذر؟

---

(١) الأعمال الكاملة ،صرخة في واد ، ص ١٠٠.

(٢) السابق ، ص١٠٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٠ وتاليتها .

فيم الحديد ؟ وفيم النار حاميـــــةً كأنما فتحت أبو اهما سقـــــر ؟[1]

٥ — النداء :

اســتخدم الشاعر أسلوبَ النداء بكثرة في محاولة ناجحة لاستنهاض الهمم وجذب الانتبـاه وإثارة الحركة والحيوية في النص . وقد أتت صيغ النداء عنده ضمن القصائد في أغلــب الأحيان كما أتت في أولها ولكن بقلة . كما أنها جاءت متنوعة بين (يا ، وأيها، ويــا أَيُّها) بالإضافة الى بعض أحرف النداءِ الأخرى . وربما يعمد الى النداء مباشرة دون حرف نداء إذا كان الموقف يستدعي ذلك ويتطلبه .

فمــن النماذج الشعرية على أساليب النداء الذي جاء بصيغة (يا) مباشرة وجاء في ثنايا النص قوله في حفل تكريم (عبد الرحمن البيلي) وزير المالية :

يا قريباً من القلوب ، بعيـــــدًا عن رياح الحزبية الهوجـــــــاء

يا ملاذ الموظفين جميعـــــــــاً يا وزيرًا أحنى من الآبــــــــاء

إنما أنت للموظف ظـــــــــل بعد ما ذاق لفحة الصحـــراء [2]

فالشاعر في هذه الأبيات يمدح ذلك الوزير باعتداله وابتعاده عن الأحزاب المتناحرة فهــو قريب من القلوب محببٌ إليها . كما أنه ملاذهم وقت المحن يغمرهم بعطفه وحنانه الأبوي . وهذه الصفات التي مدحه بها جاءت عن طريق أسلوب النداء الذي تكرر أكثر من مرة ليفيد الحث على التزام الشيء والزيادة فيه .

ويــأتي الشــاعر بصــيغةٍ أخرى للنداء تتمثل في (الياء و أيها) كقوله في قصيدة (عدس الوزير) :

يا أيها الداعي الكريم تحيـــــة لله درك من جواد مفضـــــل [3]

فالشاعر في هذا البيت يستحث ممدوحه على مواصلة العطاء والزيادة في كرمه على سبيل الإغراء .

وربما ينادي الاسم مباشرة دون حرف نداء . كقوله في مقطوعة تتألف من بيتين :

---

(١) المصدرُ السابق ، ص ٤٥٨ .

(٢) السابق ، ص ٥٦١ .

(٣) السابق ، ص ٥٧٧ .

صاح قد جعت ، فهـــــــــيِّء لي كباباً ورغيفـــــــــــــا
واسقني شاياً ثقيــــــــــلا قبح الله الخفيفـــــــــــا [1]

فالشاعر قد نادى صاحبه (محمود الخفيف) مباشرة دون حرف نداء مستغلاً بذلك تمكنه من الأساليب النحوية والبلاغية .

ولم يــأت الــنداء عنده عرضًا في ثنايا النص فقط ، بل جاء في مطلعه في كثير من قصائده وأناشيده . كقوله في نشيد (أغنية العِلْم) :

يا شباب النيل حيوا موكبـــــــاً لاح نور العلم فيه كوكبـــــــا
نشأ العلم بمصر، وحيـــــــا وهو طفلٌ في ظلال الهـــــرم [2]

فالشاعر في هذه الأبيات ينادي الشباب ويخصُّهم دون غيرهم بحمل رايات العلم ، ويحثهم على طلبه والأخذ به عن طريق التحميس وجذب الانتباه .

وربما خرج النداء عنده إلى معنى التنبيه إلى ضلال كقوله :

يا ويح قومي ! نسوا الله الكبير ؛ فلم يذكرهم الله ، نسيان بنسيان ![3]

فالشاعر في البيت السابق يتعجب من حال قومه وينبههم إلى ما وقعوا فيه من ضلال ، حيث نسوا الله فعاقبهـــم الله بنسيانه لهم مثلما نسوه .

ولم يكــتف الشاعر بمناداة العقلاء كما تقدم من أمثلة ؛ بل جَرَّد كثيراً من الـــرموز والجمادات وناداها . ومن ذلك نداؤه للمعنويات كنداء (العِلْم) مثلاً كما جاء في قوله :

أيها العلم ، قم أغــــــــث في حمى الريف معشـــــــــــرا
خيم الجهل فوقـــــــــــــه وجرى فيه أنهـــــــــــــرا [4]

فالشـــاعر يجـــرد من (العِلْم) شخصًا عاقلاً ويناديه على طريقة التشخيص بصيغة النداء (أيها) على أن ينهض لإصلاح ما حل بالريف من جهل وتخلف .

ويلجأ الشاعر أيضًا إلى نداء الماديات كنداء (نهر النيل) يقول :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٦٠٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٨٩ .

أيها النيل ، إنَّ شطك رمز الخلـــــد في ذلك الوجود الفـــــاني

أيها النيل ، حول شطك شعــــبٌ يتحلى بسمرة الأبـــــدان[1]

فالشـــاعر في الأبـــيات ينادي (النيل) وهو شيء مادي باعتباره رمزًا للحضارة والخلود في الحياة ، وينبهه بأن حوله شعب أسمر البشرة يتحلى بأجمل الصفات الحميدة .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٩ .

الموسيقى

الموسيقى

تشكل الموسيقى دوراً قويا ومهماً في عملية البناء الشعري ، فالشعر يتميز عن النثر بمـــا يحمله من أوزانٍ وقوافٍ تشكلان بدورهما أنغاماً موسيقية يتأجج صداها في النفوس " فتزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال ، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه " [1] .

ومـــن هـــنا جاءت العلاقة بين الموسيقى والشعر وهي علاقة قديمة وحميمة يلمسها القارئ الواعي عند قراءة الموروث الشعري .فيقف على الإيقاعات المسموعة وما يصاحبها مـــن أوزانٍ وأنغام موسيقية ، ولغة الشعر لا تقفُ عند نقل العواطف والأفكار والتجارب فقط ؛ بل تتعدى ذلك إلى ما تحدثه من أثر عميق في وجدان الناس وهذه ميزة لا تتحقق إلا في الموسيقى الشعرية "فهي التي تخلق الجو ، وهي التي توحي بالظلال الفكرية والعاطفية لكـــل معـــنى ، وقد تكون تلك الظلال أكثر فاعليه في النفس من المعنى المجرد بحيث يعتبر ضعف الموسيقى في الشعر إنقاصاً شديداً من قدرته على التعبير والإيحاء) [2] .

ولابد لنا ونحن نتحدث عن الموسيقى عند الشاعر أن نقسمها إلى قسمين بارزين هما :

١ – الموسيقى الخارجية :

تـــتكون الموســـيقى الخارجية من عنصرين بارزين هما الوزن والقافية . ولو عدنا لموســـيقى الشـــعر العربي لرأينا أنها قد نشأت عن " تفعيلات البحور وبناء القوافي ومدى الاعتناء بسلامة حروف القوافي من ردفٍ وتأسيس ووصـــــــــــل " [3] .

---

(١) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر . الطبعة السابعة . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧) ، ص ١٦ .

(٢) محمـــد مـــندور : الشـــعر المصـــري بعـــد شوقي . الحلقة الثالثة ، د.ط ، (مصر : نهضة مصر ، د.ت) ، ص ٩٨ وتاليتها .

(٣) ربـــيع عبد العزيز وآخرون : دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي . الطبعة الأولى ، (منشورات نادي جازان ، ١٤١١هـــ - ١٩٩١م) ، ص ٥٥ .

أ – الوزن :

يقصد به التفعيلات التي تتكون منها البحور ، فأوزان الشعر هي بحوره وإنما " سمي كـــل منها بحراً ، وذلك كما يقولون ، لأنه أشبه البحر الذي لا يتناهى بما يغترف منه في كونه يوزن به ما لا يتناهى من الشعر) [1] .

وعندما نعود إلى الوراء لنتعرف على ما قاله النقاد القدامى أمثال قدامة وابن رشيق يتضـــح لنا بجلاء أهمية الموسيقى الخارجية لديهما واتفاقهما على أن الشعر " قولٌ موزون مقفـــى يـــدل عـــلى معنى " [2] . وهذان العنصران هما اللذان يميزان الشعر عن النثر ولا تنحصر قيمتهما في الشكل الخارجـــي فقط ؛ بل تمتد إلى المحتوى والمضمون ليكون لهما تأثير على عواطف القراء والمتلقين .

وعـــندما ننتقل إلى دراسة الموسيقى الخارجية عند محمود غنيم يتبين لنا –من خلال دراســـة إحصائية دقيقة قمت بها بالإضافة إلى ما عمل في الديوان [3] – أنه قد استخدم الأوزان على نحو ما يوضحه لنا الجدول التالي :

الجدول رقم (١) يوضح الأوزان المستخدمة في شعر غنيم

المرتبة	البحور	عدد القصائد	عدد المقطوعات
الأولى	الكامل	٦٠	٢٣
الثانية	البسيط	٤٨	٨
الثالثة	الخفيف	٣٤	٩
الرابعة	المتقارب	١٥	٣
الخامسة	الرجز	١٢	–
السادسة	الرمل	١١	–
السابعة	الطويل	١٠	٦
الثامنة	الوافر	١٠	٣
التاسعة	السريع	٣	١
العاشرة	المنسرح	٢	–
الحادية عشرة	المجتث	١	١

(١) موسيقى الشعر ، ص ٥١ .

(٢) نقد الشعر ، ص ١٧ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٩٣٦ .

الجدول رقم (٢) يوضح القصائد التي نظمها في مجزواءات البحور

المرتبة	مجزوء البحر	عدد القصائد	المقطوعات
الأولى	الكامل	٢٨	٦
الثانية	الرجز	٧	–
الثالثة	الخفيف	٤	–
الرابعة	الوافر	٣	–
الخامسة	الرمل	٢	–

الجدول رقم (٣) يوضح الأوزان الشعرية للأناشيد

المرتبة	البحر	عدد الأناشيد
الأولى	الرمل	٥
الثانية	الرجز	٢
الثانية (م)	الوافر	٢
الثالثة	الكامل	١
الثالثة (م)	المتقارب	١
الثالثة (م)	مجزوء الكامل	١
الثالثة (م)	مجزوء الرمل	١

ومن خلال تلك الإحصائية السابقة نجد أن غنيماً قد نظـــم في (أحد عشر) وزنا من بحور الشعر العربي التي أكثر العرب من استخدامها .

فـــيأتي عـــنده في المرتبة الأولى بحر الكامل الذي استخدمه بكثرة ملحوظة وذلك لمناســبته للموضــوعات التي تتطلب نفساً طويلاً بالإضافة لكونه " يصلح لكل نوع من أنـــواع الشـــعر ، ولهذا كان في كلام المتقدمين والمتأخرين ، وهو أجود في الخبر منه في الإنشـــاء ، وأقرب إلى الشدة منه إلى الرقة . وإذا دخله الحذذ ، جاد نظمه ، وبات مطرباً مرقصاً ، وكانت له نبرة تهيج العاطفة " [(١)]. فتفعيلاته راقصة صالحة للغناء .

ويأتي البحر البسيط في المرتبة الثانية عنده وهو أقرب البحور إلى الطويل لكن "يفوقه رقة وجزالة ولهذا قل في شعر أبناء الجاهلية وكثر في شعر المولديـــــن " [(٢)] وهذه الرقة و الجزالة جعلته يتميز "بإيقاع متأرجح بين الرنين السريع والامتداد الهادئ الحزين" [(٣)]

ويأتي الخفيف في المرتبة الثالثة .قال عنه البستاني:"الخفيف أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع يشبه الوافر ليناً ولكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاماً،وإذا جاد نظمه رأيته ســـهلاً ممتنعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور . وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره يصح للتصرف بجميـــع المعاني" [(٤)].

ويحتل المتقارب المرتبة الرابعة ،يليه الرجز، فالرمل ، فالطويل الذي تأخرت مرتبته مع أنه كان أثيراً عند القدماء ، فالوافر ،فالسريع ، فالمنسرح ، فالمجتث .في حين أهمل ماعداها وهي الهزج ،والمديد ،والمتدارك والمضارع والمقتضب .على الرغم من أن محمد أحمد سلامة قد ذكر - أثناء حديثه عن الشاعر أن غنيماً قد نظـــــم في (الهزج ، والمديد ، والمتدارك ، والمضـــارع) بيـــنما لم ينظم في (المجتث والمنسرح والسريع) وهذا بخلاف ما ورد في الديـــوان ومـــا توصلت إليه من خلال الجداول الإحصائية. وعلى كل حال فالسبب في إهمـــال الشاعر لتلك البحور هو قلة استعمالها وورودها في الشعر العربي وغنيم كما هو معلوم قد انكب على التراث القديم فاستوعبه ووظفه في إبداعه ونظم على الأوزان الشائعة فيه وأهمل ما عداها . فالهزج مثلاً " تطورٌ لمجزوء الوافر فبين هذين البحرين علاقة كبيرة ،

---

(١) سليمان البستاني : إلياذة هو ميروس . (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ١/٩٢ .

(٢) السابق ١/٩٢ .

(٣) محمود الجارد : شعر أوس ورواته الجاهليين . د.ط .(بغداد : دار الرسالة للطبع ، ١٩٧٩م) ص٥١٦.

(٤) إلياذة هو ميروس . ١/٩٣ .

والأشـــعار الـــتي نظمت فيه في العصر العباسي قليلة جداً ، وقد استحسن شعراء العصر الحديث هذا الوزن في المسرحيات لأنهم وجدوه أطوع في بعض المواقف التمثيلية " [1] .

أمـــا بالنسبة للمديد فقد قل النظم فيه لما فيه من ثقل مما جعل الشعراء ينفرون منه على حد ما زعمه أهل العروض [2] . بينما عده بعض النقاد عكس ذلك فامتدح موسيقاه بأنها عذبة سلسة وليست ثقيلة نابية [3] .

ولو تأملنا البحور المجزوءة لوجدنا أن مجزوء الكامل يأتي في المرتبة الأولى في قصائد الشـــاعر وذلـــك لأن تفعيلاته تعد من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف [4] .

أمـــا قالب الأناشيد فتظهر لنا الإحصائية أن بحر الرمل ومجزوءه يأتيان في المرتبة الأولى وذلك لما فيه من خفةٍ على الأسماع وما يتمتع به من رقة وسلاســـة .

وحيـــنما نســـتعرض علاقة الوزن بالأغراض الشعرية نجد أن كثيراً من النقاد القدامى والمحدثين حاولوا عقد صلة بينهما ،ورأو أن لكل غرض من أغراض الشعر وزنا يناسبه . وهذا ما أشار إليه حازم القرطاجني في قوله : " لما كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها مـــا يقصـــد بـــه الجد والرصانة ،وما يقصد به الهزل والرشاقة ،ومنها ما يقصد به البهاء والتضخيم ،وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان الضـــخمة الباهـــية الرصينة ، وإذا قصد في موضع هزلياً واستخفافياً وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء وكذلك في كل مقصد " [5].

---

(١) موسيقى الشعر ، ص ١١١ .

(٢) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٩٨ .

(٣) انظر : صابر عبد الدايم : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور . الطبعة الثالثة . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ص ١١٤ .

(٤) انظر : عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب . الطبعة الثانية . (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٠ م) ١/٢٤٦ .

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٦ .

وقــد اهــتم الــنقاد المحدثون بالأوزان ، وسلك بعضهم مسلك القدامى في محاولة ربط الأوزان بالأغراض الشعرية ومن هؤلاء سليمان البستاني الذي حاول أن يذكر الخصائص المميزة لكــل بحــر والأغراض التي تناسبه فقال :" فالطويل بحر خضم يستوعب مالا يســتوعب غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والتشابيه والاستعارة وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ، ولهذا كثر في شعر المتقدمين على ما سواه من البحور . والبســيط يقرب من الطويل لكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ..." [1] وقد وافقه في هــذا الرأي مجموعة من النقاد أمثال عبد الله الطيب وذلك في كتابه المرشد ،كما أنه دعا إلى وجود أوزان متعددة ، وإلا فبالإمكان أن يغني بحرٌ واحد أووزنٌ واحد لكل غرض[2] .

وكما أن العلاقة بين الوزن والموضوع الشعري قد شغلت النقاد كذلك فإن البعض الآخــر مــنهم راح يدرس العلاقة بين الوزن وعاطفة الشاعر وما تحمله تجربته من أبعاد نفسية قوية .

فــبعض النقاد أيدها وناصرها مثل د/عبده بدوي، وبعضهم رفضها مثــــل د/عز الدين إسماعيل .وبعضهم ربط بينهما ربطاً علمياً نفسياً كما صنع د / إبراهيم أنيس الذي يــرى " أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادةً وزناً طويلاً كثير المقاطع يصبُّ فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه .فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي ،وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية " [3] .

فالرابط هنا كما هو واضح بين الحالة النفسية والوزن . وعلى ذلك فإننا نجد الرثاء مثلاً يأتي على البحور القصيرة والمجزوءة ، بينما نجد الغزل يأتي على البحور ذات المقاطع الطويلة .

ومــن خــلال دراستنا للأوزان عند غنيم تأكد لنا بجلاء أنه لم يخص أوزاناً معينة بأغــراض بعينها ؛ بل إنه نظم قصائده في أوزان متعددة دون النظر إلى طبيعة العلاقة بين الوزن والغرض فصاغ قصائده الدينية مثلاً على بحور مختلفة مثل الكامل ، البسيط ، الرمل ، الوافر ، كما أن قصائده الوطنية والاجتماعية جاءت على أوزان متباينة أيضا كالطويل

---

(١) الإلياذة للبستاني ، ٩١ ، ١/٩٣ .

(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب ، ١/٧٢ وتاليتها .

(٣) موسيقى الشعر ، ص١٧٧ وتاليها .

والكامل والبسيط فجاءت أغراضه الشعرية متنوعة البحور بيد أن اللافت للنظر في بعض قصـــائده هـــو وجود علاقة ظاهرة بين الوزن والعاطفة المتأججة عند الشاعر وكأن ذلك يؤكد ويعضد ما ذهب إليه النقاد من وجود علاقة قوية وكامنة بين الوزن والعاطفـــــة .

وهـــذا مـــا نلمحه حقيقة في قصائده الوطنية و القومية الاجتماعية وما تناقشه من قضـــايا وأحداث صيغت بنبرة انفعالية حادة أثرت على اختيار أوزانه ولجوئه إلى الأوزان القصـــيرة والمجزوءة في بعض الأحيان . وليس معنى ذلك أن نجعل ما لمسناه من توافق بين الـــوزن والعاطفة في بعض قصائد غنيم قاعدة عامة لدى الشعراء ؛ لأن لكل شاعر تجربته الخاصـــة وانفعالاته المتباينة وأفكاره المختلفة . وإنما هذه الظاهره خاصة فيما لوحظ عند الشاعر في بعض قصائده .

ب ـــ القافية :

تعـــتمد الموســـيقى الخارجـــية اعتمادًا قويًا على القافية فهي تمثل الركن الثاني من أركانها؛ حيث تشكل مع الوزن جسماً فنياً وبناًء كلياً متكاملاً لا يمكن أن ينفك أحدهما عـــن الآخر بأي حال ." فالقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ،ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية "[(١)].

وقـــد عُرِّفـــت القافية بعدة تعريفات منها على سبيل المثال "القافية ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية . فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردداها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذن في فترات زمنية منتظمة " [(٢)] .

ولكـــون القافية عنصرًا موسيقيًا مهمًا في الشعر فقد اختلف أهل العروض في تحديدها ولعـــل أرجـــح الأقوال ما جاء في العمدة بأن"القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن " [(٣)].

---

(١) العمدة ، ١/١٥١ .

(٢) موسيقى الشعر ، ص ٢٤٦ .

(٣) العمدة ، ١/١٥١ .

وهـــذه القافية التي ميزت الشعر بهذه الخاصية الموسيقية " ظلت وقفاً على الشعر العربي لعهود طويلة ،كما أشار إلى ذلك العلماء ، وكما تشهد عليه أشعار كثير من الأمم، حتى إن أوربا لم تعرف القافية إلا يوم اتصالها بالشعر العربي " (١).

وعـــندما نلقـــي الضوء على شعر غنيم نجد أنه قد جاء على شعر الشطرين الذي يلتزم حـــرف روي واحـــد ، عـــدا بعض القصائد القليلة التي جاءت على نظام شعري معين كالمربعات والمخمسات .

ومن خلال عملية إحصائية للحروف التي اتخذها روياً لقصائده اتضح أنه قد نظم على أغلب حروف المعجم الثمانية والعشرين فوصل مجموع ما استخدمه ثمانية عشرَ حرفاً تختلف نسبتها من حرف إلى آخر باستثناء القوافي المنوعة .فجاءت الإحصائية على النحو التالي :

الجدول رقم (٤) يوضح الحروف التي استخدمها رويّا

المرتبة	الحرف	عدد مرات التكرار
١	الرّاء	٤٩
٢	الميم	٣٨
٣	الياء	٣٣
٤	النون	٣٢
٤(م)	اللام	٣٢
٤(م)	الدال	٣٢
٥	الهاء	١٧
٦	الهمزة	١٥
٧	الحاء	١١
٨	الفاء	٩
٩	القاف	٨
١٠	العين	٧
١١	التاء	٥
١١(م)	الباء	٥
١٢	الكاف	٤
١٣	السين	٢
١٤	الجيم	١
١٤(م)	الزّاء	١

(١) مجلة الأدب الإسلامي ، المجلد الخامس ، العدد التاسع عشر ، ١٤١٩هـــ ، بقلم د . حسن الأمراني . ص١٢.

وتوضـــح الإحصائية السابقة أن حروف المعجم المستخدمة عند غنيم جاءت على أربعة أقسام :

١ — ما كثر مجيئه روياً ، وهـــو (الراء، الميم ، الياء ، النون ، اللام ، الدال)وهذه الحروف تجئ روياً بكثرة في الشعر العربي .

٢ – مـــا توسط مجيئه روياً ، وهو (الهاء ، الهمزة ، الحاء ، الفاء ، القاف ، العين). فهذه الحروف تدخل ضمن الحروف المتوسطة الشيوع في الشعر العربي عدا (الهاء) فتدخل ضمن الحروف قليلة الشيوع .

٣ – ما قل مجيئه روياً وهو (التاء ، الباء ، الكاف ، السين ، الجيم ، الزاي) .

٤ — ما لم يأت مطلقاً حرف روى ، وهو(الغين ، الصاد ، الضاد، الظاء ، الطاء ، الخـــاء ، الثاء) وذلك لندرة ورودها في الشعر العربي فالشعراء المتقدمون " قلما ينظمون بالروي حروف المعجم ، لأن ما روي من شعر امرئ القيس لا نعلم فيه شيئاً من الطاء ، ولا الظاء ، ولا الشين ، ولا الخاء، ونحو ذلك من حروف المعجم " [١] .

والواقـــع أن قلة مجيء بعض الحروف روياً عند غنيم لا يرجع الى كونه مقصراً أو ضـــعيفاً في إبداعـــه ؛ بل إنه قد سلك مسلك الشعراء قبله واتخذ ما كثر شيوعه روياً في الشعر العربي وهذا دليل على محافظته واستفادته من مخزونه الشعري .

وتـــأتي القوافي عند شاعرنا مطلقة [٢] ، ومقيدة [٣] ، ولكن ميله الى القافية المطلقة أكـــثر مـــن ميله إلى المقيدة . وعند رجوعنا الى الشعر العربي نجد أن معظمه قد أتى على القافية المطلقة . وإلى هذا أشار إبراهيم أنيس عند حديثه عن القافية المقيدة بقوله : " وهذا الـــنوع الثاني من القافية قليل الشيوع في الشعر العربي ، لا يكاد يجاوز ١٠ % ، وهو في شعر الجاهليين أقل منه في شعر العباسيين" [٤] .

---

(١) المعري ، أبو العلاء : اللزوميات . د.ط . (بيروت : مكتبة الهلال) ١/٢٢ .

(٢) القافية المطلقة ما كان رويها متحركاً .

(٣) القافية المقيدة ما كان رويها ساكناً .

(٤) موسيقى الشعر ، ص٢٦٠ .

وقد بلغ عدد القوافي المقيدة عند غنيم (إحدى وأربعين) قصيدة . وهي نسبة قليلة إذا ما قيست بالقوافي المطلقة في الديوان . ومن خلال الجدول التالي يتضح لنا عدد القوافي المقيدة وبحورها .

الجدول رقم (٥)

يوضح القوافي المقيدة بعد حرف مد ، وغير المسبوقة بحرف مد ، وبحورها .

م	البحر	عدد القوافي المقيدة المسبوق رويها بحرف مد	م	البحر	عدد القوافي المقيدة غير المسبوق رويها بمد
١	مجزوء الكامل	١٢	١	المتقارب	٥
٢	المتقارب	٤	٢	الخفيف	٣
٣	مجزوء الرمل	٤	٣	مجزوء الكامل	٢
٤	الخفيف	٢	٤	مجزوء الخفيف	٢
٥	الوافر	١	٥	مجزوء الرجز	٢
٦	الرجز	١	٦	الكامل	١
٧	الرمل	١	٧	الوافر	١
	المجموع	٢٥		المجموع	١٦

والملاحـــظ عـــلى ماسبق أن الشاعر قد جارى الشعراء السابقين في استخدام القوافي المقـــيدة بعـــد حـــرف مد . فبلغ عددها في ديوانه (خمساً وعشرين) قصيدة. وجاءت معظمها على البحور القصيرة كمجزوء الكامل ، ومجزوء الرمل ، وعلى وزن (المتقارب ، الخفيف ، ...) الخ كما هو واضح في الجدول .

أما القوافي المقيدة غير المسبوقة بحرف مد فقد بلغت (ست عشرة) قصيـــــــدة جاءت على وزن (المتقارب ،الخفيف ... أو على بحور قصيرة كمجزوء الوافر ، ومجزوء الرجز...) الخ كما هو واضح في الجدول . وهذا النهج الذي سار عليه الشاعر في قوافيه المقيدة. يؤكد لنا تأثر الشاعر بالشعر العربي القديم والسير على طريقة الأقدمين .

ولعـــل تمســـكه بالشعر العربي القديم والنهج على منواله قد ألزمه ما التزم به أولئك الشعراء . فتنبه إلى ما في بعض حروف الروي من ثقلٍ وصعوبة مراعيًا في استخدامها أن تسـبقها حـــروف أخــرى . ومن تلك الحروف (التاء ، والكاف والهاء) فالتاء عند اســتخدامها روياً "يحسن فيها ألاّ تكون تاء تأنيث ، بل تكون أصلاً من أصول الكلمة ، عـــلى أنَّ الشـــعراء قد استساغوا وقوع تاء التأنيث رويا حين تسبق بألف مد"[1]فراعى الشاعر ذلك الشرط وطبقه،وهذا واضح في مثل قصيدته (مدفع فوق مدفع) حيث يقول :

سار بين الدموع والزفـــــــــرات خير نعش يقل خير رفـــــــــات !

مدفع خامد على مدفعٍ ســـــــا (م) رَ من الوجد واريَ الجمـــرات [2]

وكذلك الحال بالنسبة لكاف الخطاب فإذا " اتخذت رويًا حسن فيها أحد أمرين : أن يســـبقها حرف مد ، أو أن يلتزم الحرف الذي قبلها ، وفي تلك الحالتين تتم الموسيقى وتحسن " [3] .

ومن القصائد الشعرية عند غنيم والتي اجتمع فيهـــا الشرطان قصيدة (ما نسيناك) يقول :

جل من بالبيان ، يا صاح ، زانـــكْ صانهُ اللهُ ذو الجلال ، وصانـــك !

كيف يشكو برد الشتاء ربيعـــاً ؟ أو ما شمَّ أنفه ريحانـــــك ؟ [4]

فالشاعر قد التزم مع حرف الروي (الكاف) حرف المدّ مع التزام حرف النون قبله .

كذلك يتجلى هذا الالتزام مع حرف الهاء فلا تحسن الهاء روياً إلا إذا كانت أصلاً من أصول الكلمة ، وهذا النوع قليل في الشعر العربي ، أو يسبقها حرف مد ، وهذا هو المشهور عند أهل العروض . [5] . وذلك كقول غنيم :

ربض الجيش على خط القنـــــــاة وعلى شطآها ألقى عصـــــاه

أيها الجيش ، أعدها للحمـــــــى فِلذَةً قد نزعوها من حشـــاه [6]

---

(١) موسيقى الشعر ، ص ٢٥١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٧٤ .

(٣) موسيقى الشعر ، ص ٢٤٩ وتاليتها .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٤ .

(٥) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٢٥٣ وتاليتها .

(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٩ .

فالهـــاء في البيتين السابقين هي "الروي" لأن ما قبلها حرف ساكن وهو "حرف المد" الألف .

وإذا مـــا حاولنا تطبيق فكرة ربط القافية بالأغراض الشعرية على قصائد غنيم نجد أن قوافـــيه جاءت متنوعة غير مقيدة بغرض شعري معين . وهذا يعني معارضة ما وضعه بعـــض الـــنقاد المعاصـــرين أمثال سليمان البستاني الذي أراد أن يثبت فكرة ربط القافية وتقييدها بأغراض شعرية بعينها إذ رأى " أن القاف توجد في الشدة والحرب ، والدال في الفخر والحماسة ، والميم واللام في الوصف والخبر ، والباء والراء في الغزل والنسيب" [(١)] .

وعند قراءة الديوان يتبين لنا أنَّ رأي البستاني لا ينطبق على قافية الشاعر (فالدال) مـــثلاً الـــتي تجـــود في الفخر والحماسة لا تتوقف عند هذا الحد ؛ بل له قصائد في الرثاء والاجتماعيات والفكاهيات رويها الدال ، وكذلك حرف (القاف) التي توجد في الشدة والحرب نراها تأتي عنده في أغراض وجدانية ومواضيع دينية وأخرى اجتماعية .

وإذا أدرنـــا واجهة الحديث حول عيوب القافية عند غنيم لتبين لنا أن شعره يكاد يخلو منها ؛ وذلك لعلمه بالشعر والعروض واهتمامه الفاعل بكل ما يتصل بالأدب واللغة فهـــو بالإضافة إلى كونه شاعراً كان معلماً للغة لا يشق له غبار . ولكن من العيوب التي لاحظـــتها في شـــعره طـــبقا لآراء العروضـــيين القدامـــى مـــا يسمى بـــ(التضمين) وهـــو أن تـــتعلق قافـــية البيـــت الأول بالبيـــت الـــثاني ، عـــلى الرغم من استحسان نقاد العصر الحديث له فيما بعد ، لأنه في نظرهم " يظهر تماسك أبيات القصيدة فتكون وحدة واحدة " [(٢)] ومن أمثلة هذا النوع ما جاء في قصيدته (بطل الجلاء) :

أمعلمي الوادي ، إذا حد ثتمـــــــو	نشء البلاد الغض عن أبطالـــــــه
فلتأخذوا لهمو جمالاً قـــــــــدوةً	ولتضربوا الأمثال باستبسالـــــه [(٣)]

فالبيـــت الثاني متصلٌ بالبيت الأول في معناه لأن جواب الشرط جاء في أول البيت الثاني .

---

(١) مقدمة الإلياذة ، ص ٩٧ .

(٢) فاطمة سالم عبد الجبار " أحمد قنديل حياته وشعره " ، (رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العلياالعربية ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة ، عام ١٤٠٩هـــ / ١٩٨٩م) ، ص ٤٣٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٤١ .

ومن أمثلة التضمين أيضاً ما جاء في قصيدة (راتبي)

فقل لشباب النيل قالة ناصـــــحٍ تعاف له أخلاقه أن يواربـــــا
إذا مصرُ لم ترفع قواعد مجدهـــــا بساعدها ، لم تقض منه المآربا [(١)]

لأن مقول القول جاء في البيت الثاني .

أما عيوب القافية التي تتعلق بالإسناد[(٢)] . فهي قليلة جداً ومن أبرزها سناد الحذو : وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المطلق ، ومن ذلك قولــه :

اليوم قد وضح النهار المـــــــدلج ومشى الدليلُ على السبيـــل الأقوَم
قل للشبيبة : أنت مصباحُ الحمـــــى وصباحه في كل داج مُظلِـــم [(٣)]

وإذا بحثنا عن سناد التوجيه نجده نادراً في قصائده كذلك و هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد ، ومن ذلك قوله :

قرار الذبائح لما صـــــــــدر بكى ابن الوكيل بدمع المطَـــــرْ
وأقسم ، ما شم ريح اللحـــــوم ولا ذاقها مرة في العمُـــــرْ [(٤)]

فنـــلحظ في القافية اختلاف حركة الحرف الذي يسبق الروى المقيد بالسكون من الفتح إلى الضم .

أما بقية عيوب الإسناد من إشباع وتأسيس فقد خلت منها قصائد الشاعر ، كذلك لا نجـــد شيئاً من تلك العيوب التي يذكرها العرضيون كالإقواء والإيطاء . وهذا يعود إلى مهـــارة الشـــاعر ومقدرته على توخي ما يعيب شعره ويضعفه بالإضافة إلى معرفته بعلم العروض واللغة فقد كان معلماً للغة العربية ثم مفتشاً لها .

التنويع في القوافي

التزم غنيم في أشعاره بوحدة القافية التي تعد شكلاً أساسياً للشعر العمودي ، لكنه في بعض الأحيان لجأ إلى التنويع في قافية القصيدة الواحدة رغبة منه في التجديد ومسايرة المجتمع الذي طغى عليه في ذلك العصر الجديد ما يعرف بالشعر الحر والمنثور . ولكن ذلك التنويع لم يكن خروجاً على الشعر العربي الموروث و لم يكن جديداً عند شعراء العصر

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢١ .

(٢) هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٣١ .

(٤) السابق ، ص ٥٨٥ .

الحديث ؛ بل إنه قد شاع عند العباسيين نظراً لشيوع فن الغناء الذي تناسبه القوافي المنوعة والـــبحور القصيرة وبقيت تلك الأشكال والمحاولات إلى عصرنا الحديث فاستخدمها أكثر الشعراء أمثال شوقي والعقاد وغنيم وغيرهم .

وهذه المحاولة " لا تعدوا أن تكون إضافة لقيد جديد لا تخففا من القيود القديمة ، لأنها أضافت لازمة جديدة هي تلك القافية الداخلية في البيت " [(١)]

وفيما يلي سنعرض أبرز الأشكال الشعرية التي طرقها الشاعر :

١ — المزدوج :

وفيه تختلف القافية مع كل بيت " ويراعي الناظم في المزدوج أن تكون الأبيات مصرعة ، فقافـــية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني " [(٢)] وخير ما يمثل المزدوج في ديوان الشـــاعر قصـــيدة (يـــومٌ عابس) التي يصف فيها يوما ماطراً وهذا المزدوج صالح لنظم القصص الطويلة وما يجول في خاطر الشاعـــر ، يقول :

يالصباحٍ حائـــــــــــل الأديم	قد طعن الربيع في الصميـــــــــم !
أمطاره قد شوهـــــــــت آذاره	وريحه قد صوحت أزهـــــــاره
قد يظفر الباحث بالعنقـــــــاء	فيه ، ولا يرى ابنة السمـــــاء [(٣)]

٢ — المربعات :

وفـــيه يقســـم الشاعر القصيدة إلى أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطـــر ، ويـــراعي الشـــاعر في هذه الأشطر الأربعة نظاماً معينا للقافية وهذه المربعات لها أشكال مختلفة ومتنوعة منها [(٤)] :

أ — أن يشترك الشطر الأول والثالث في قافية ، والثاني والرابع في قافية أخـــرى ، وقـــوافي كـــل مربعة تختلف عن الأخرى وإن اتفقت في الوزن . ومن ذلك قصيدة (في استانلي) التي جاء فيها :

---

(١) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار العودة ، ودار الثقافة ، ١٩٧٢م) . ص ٥٧ .

(٢) موسيقى الشعر . ص ٣٠٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٣١ .

(٤) موسيقى الشعر ، ص ٣٠٣ وتاليتها .

كل شيءٍ في الصيف يشكو الركودا	وأرى الثغر وحده في نشـــــاطِ
قذف البحر دره المنضـــــــــودا	أرأيت الجمال فوق الشاطــــي [1]

ب – أن تتفق الأشطر الثلاثة الأولى في حرف الروي ، أما الشطر الرابع فهو موحد القافية في جميع مقاطع القصيدة . ومثال ذلك نشيـــــــــــد (أغنية عيد العلم) :

يا شباب النيل ، حيوا موكبــــــا	لاح نور العلم فيه كوكبـــــــا
نشأ العلم بمصر ، وحبـــــــــا	وهو طفلٌ في ظـــــــلال الهرم

* * *

يا بناة النشء ، يا نعم البنـــــاه	مصر تحني للمربين الجبــــــاه
إن نور العلم من نور الإلــــــه	جل من عظمَّ شأن القلـــــم [2]

٣ – المخمسات :

وفـــيه تقســـم القصيدة إلى مقاطع كل مقطع عبارة عن خمسة أشطر وتكون قافية الشـــطر الخامس من كل قسم من أقسام المقطوعة مكررة في كل المخمسات الأخرى . وهـــذا المخمـــس قد استحسنه شعراء العصر الحديث لما له من موسيقى عذبة [3] . ومن الأمثلة على ذلك نشيـــــد (الكشاف العربي) :

بُوركت يا أرض العروبة موطنـــــا	الله أكبر! إن فجرك أذنـــــــــا
وأطلَّ في الآفاق لمّاح السنَّـــــــا	أمجادك الأولى سأحييها أنــــــا

أنا نسل من خط الحضارة وابتنى [4]

والملاحـــظ عـــلى أناشـــيد الشاعر التغّيير في أشكالها وصورها وأكثر أناشيده من الخماسيات كما مر معنا ولكن المجال لا يكفي لنستعرض كل أناشيده التي نوّع فيها وإنما ضربت على ذلك نماذج مختلفة للتمثيل ولبيان مكمن التجديد عند الشاعر .

ومن الأشكال الجديدة التي استخدمها الشاعر ما يطلق عليه (مجمع البحور) وهو

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ضلال الثورة ، ص ١٤٣ .

(٢) السابق ، ص ٦٠٤ .

(٣) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٣٠٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٦١ وتاليها .

شـــكل شعري جديد عرف عند شعراء العصر الحديث بكثرة ولجأ إليه أصحاب مدرسة الديـــوان رغبة منهم في التجديد واستمر الشعراء في النَّسج على منواله . ولعل غنيماً قد اقـــتدى في هذا التجديد بمدرسة الديوان إرضاء للجمهور الذي كان يميل إلى التجديد في عصــــره وتعاونا منه مع الصحف والمجلات الأدبية التي كانت تنشر هذا الشعر ؛ وخير ما يمثل ذلك النوع من قصائده (النشيد الوطني للجمهورية العربية المتحـــدة) [1] :

ارفعي يا أمة العرب اللواء   صاعدًا في عزة نحو السماء

ارفعــــيه رمز يمن ورخاء   حامـــلا منا إلى الله الدعاء

***

أنا العـــــربي الأبيّ   بربي وشعبي أدين

شعاري: سلام يرفُّ   ظلال على العالمين

حاضري مستبشرٌ يبسم لي   مشـــرق الوجه بنور الأمل

وبعـــزمي ابتني مستقـــبلي   لست من يعرب إن لم أفعل

فهو يتألف من ثلاثة أوزان الرمل والمتقارب ومجزوء الرمل ، وهذا الشكل الشعري يتميز بتلون الموسيقى والتنويع في الإيقاع الشعري .

ثانياً : الموسيقى الداخلية :

لم تقتصـــر الموسيقى في قصائد غنيم على الموسيقى الخارجية فقط ؛ بل أضاف إليها الموسيقى الداخلية التي تنشأ عن " قدرة الشاعر على اختيار الكلمات المناسبة ، وتعاقبها في انـــتظام إلى جانـــب ما في الكلمات ذاتها من تلاؤم بين حروفها وحركاتها " [2] فتعطي تشكيلاً رائعاً من الإيقاع الموسيقي الداخلي المنسجم مع الواقع النفسي الذي يعانيه الشاعر . فتكون تراكيبه جزلة وقوية في مواقف القوة كالحرب والفخر ، ورقيقة في مواقف اللين مثل الغزل والرثاء . وعلى العموم فإن غنيماً من شعراء العصر الحديث القلائل الذين جمعوا بـــين الفخامـــة والرقة في شعرهم . فعند المواقف الصعبة نجده يعتمد على الموسيقى ذات الألفـــاظ الجـــزلة والحروف المشددة . انظر إلى هذه الأبيات ذات الطابع الموسيقي المفعم بالإيقاعات الموسيقية الناتجة عن استخدام الألفاظ القوية والحروف المشددة في قول غنيم :

---

(١) السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢) شعر حسين عرب ، ص ٣٢٢ .

يا أمة الشهداء يــــــــــــا   عريسة الأسد الزوائــــــــــــــر
للحاملين على العـــــــــــدا   مثل السيول أو الأعاصـــــــــــر
الصاعدين على الهضــــــــــا   ب الهابطين إلى المغـــــــــــاور
المؤثرين لطعنـــــــــــــــــــةٍ   من قاتلٍ عن قيد آســـــــــــر [1]

بيـــنما تظهـــر الموســـيقى الداخلية الرقيقة في تكرار بعض الحروف المهموسة مثل (السين والنون و اللام) و " لا يخفى ما للمدود والتنوين المتوالية في البيت الواحد من أثرٍ في ظهور الموسيقى الداخلية " [2] كقوله :

حرٌّ ، كريمٌ ، عاش في الـــــــــدُّ (م)   نيـــــــــا غريبـــاً ، ثم آب [3]

كما اهتم غنيم بالمحسنات البديعية التي تزيد الكلام جرساً موسيقياً وجمالاً إيقاعياً .

ومـــن تلـــك المؤثرات الموسيقية أحد أنواع (التقسيم) وهو استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، كقوله :

فيا أيها الليث المكشر للــــــــورى   حنانيك ! إما الانصراف،أو الوثبُ [4]

وقوله :

ما شئت من عدلٍ ، وتسوية ، ومن   شورى ؛ فيا لثلاثة أحـــــلاف [5]

ويستخدم في إثراء موسيقاه الداخلية فناً آخر يسمى (حسن التعليل) وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف ، كقوله :

لو درى البحر ، لاحتفــــــــى   بالدسوقي ، واحتفــــــــــــل
علَّ أمواجه بـــــــــــــدت   راقصاتٍ من الجـــــــــذل [6]

وقوله :

حمل البحـــــــــــــــر درة   زانت البحر من عطـــــــــل

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٠٢ .

(٢) إبراهيم الشتوي : أدب عبد العزيز الرفاعي ، الطبعة الأولى (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٤٦٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٢٧ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٥٩ .

(٥) السابق ، ص ٨٩ .

(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٧٠ .

تركت كـــــــــــــــــل درة فيه غاصت من الخجـــــــل [1]

ومن المؤثرات الموسيقية التي استخدمها ما يعرف بـــ(التصريع) الذي كان يستهل به معظـــم قصائده وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب . ومن النادر أن تخلو مقدمات قصائده منه ، ومن أمثلة التصريع الذي استهلّ به قصائده . قوله :

ها هو العبد قد أطـــــــــــــلّ ما توارى من الخجــــــــل [2]

وقوله :

صاحب آويته خمسين عامـــــــــاً ماله في كنفي مل المقامـــــا ؟ [3]

ونـــراه يضيف إلى مؤثراته تلك لوناً آخر يُعرف (برد العجز على الصدر) وهو لون من ألوان التكرار الذي يثري الموسيقى الداخلية في القصيدة ، ومن ذلك قوله :

إخواننا في ظلال الكرخ ، ويحكمـــــو لقد أصبتم لنا في الكرخ إخوانا !

يا أهل بغدان ، راعوا الله في رحـــــم موصولة قطعت ، يا أهل بغدانا [4]

وتظهر عند غنيم محسنات أخرى تضفي على الموسيقى الداخلية ألوانا من الظلال وهي الطباق و المجانسة. وما يحدثانه من جرس موسيقي في القصيدة . فمن أمثلة الطباق قوله :

سألت عن الأرض : ماذا أقلـــــت ؟ فقالوا : مهود تغذّى لحـــودا [5]

تخفى عساكره في الحرب إن ، نشبت حتى إذا قُسِّمت أسلابها،ظهروا [6]

ومن الجناس قوله :

مدفع خامدٌ على مدفعٍ ســــــــــا (م) ر من الوجد وارى الجمـــرات [7]

وقوله :

سنسلك يوماً سبيل الجـــــــــدود فلسنا بأسعد منهم جـــــدودا [8]

---

(1) المصدر السابق ، ص ٥٧١ .

(2) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٥٥ .

(3) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٦٣ .

(4) السابق ، ص ٣٥٨ .

(5) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٨٤.

(6) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٥٩ .

(7) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٧٤ .

(8) السابق ، ص ١٨٤ .

الصـورة الفنـية

* مفهومها.
* مقوماتها.
* مصادرها.
* أنماطهـا.

أولاً : مفهوم الصورة الفنية

يُعَــدُّ التصــوير الأداة البارزة التي يتكئُ عليها الشاعر في التعبير عن أبعاد وجوانب تجربته الشعرية ، ولا يمكن أن تتحقق التجربة الشعرية تلك ولا يمكن أن يكون لها تأثير في نفــوس متلقيها إلا عن طريق الصورة الفنية الشعرية ، ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى القول بأنّ الصورة هي " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة " [(1)] .

وهــذا يقــترب من تعريف آخر للصورة الفنية مفاده أنها " الصورة التي يتوافر فيها عنصــر الخيال والتعبير الأدبي المؤثر الذي يحمل القارئ على الإعجاب " [(2)] . ومن خلال التعريفين السابقين للصورة يتضح لنا بجلاء أنْ لا غنى للشاعر والأديب عن الصورة الفنية إذ هي الوسيلة المساعدة على نقل فكرته وعاطفته معًا إلى قرّائه وسامعيه .

وعــلى هــذا فإن الصورة الشعرية هي جوهر التجربة والأداة الفذّة للتشكيل الجمالي والحــل الوحيد لأزمة اللغة التي تواجه الشاعر حين يحاول تصوير رؤيته الخاصة وإدراكه الخاص لواقعه .

ونظرًا لما للصورة الفنية من أهمية في العمل الأدبي بوجه عام والشعر بوجه خاص كان لزامًا علينا أن نبحث في مقومات تلك الصورة الفنية ، ومصادرها المتنوعة ، ومن ثمَّ نعرِّج لدراسة الصورة الفنية في شعر محمود غنيم – موضوع رسالتنا هذه – .

ثانياً : مقومات الصورة الفنية :

إنّ أيَّ عنصــر أدبي جميل لابد أن تتوافر فيه مقومات تبرزه وتتضافر في سبيل إقامته عــلى الوجه المطلوب . والصورة الفنية تمثل جماع تلك المقومات لأي عمل أدبي خاصة الشعر وتلك المقومات الفنية هي :

١. العاطفة

تعد العاطفة عماد الصورة الأدبية ولبها إذ لا معنى في الشعر إذا لم يصدر عن الوجدان ،

(١) النقد الأدبي الحديث ، ص٤١٧.

(٢) حمد بن ناصر الدخيل : يحي بن طالب الحنفي حياته وشعره ، الطبعة الأولى ، (الرياض : الإدارة العامة للنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠٠هـ م) ص٩٥.

ولا تعني الشاعرَ العواطفُ من حيث هي ؛ بل من ناحية تأثيرها في نفوس الناس وإدراكهم إياها بوجدانهم .

وتتجـــلى أهمية العاطفة في كونها تمثل نقطة البدء في العمل الأدبي ، فلو لم تتحرك مشاعر الشـــاعر نحـــو موقف معين لما أبدع فيه هذا الشعر . والعاطفة " ملكة في الإنسان تُدرك آثارهـــا ولا يُدرك كنهها . تلتقط الحقائق ــ الأفكار ــ فتنفعل بها وترسلها للخيال الذي يقوم بدوره في تكوين الصورة وإبداعها " [1] .

وبهذا يكون الخيال هو المقوِّم الثاني من مقومات الصورة الفنية .

٢. الخيال

يـــؤدي الخـــيال دورًا فاعلاً في الصورة الأدبية ، يستمد الشاعر موادها مما يقع أمام ناظريه من مواد حسية أو مما يقع في فكره من مواد معنوية ، لذلك " يقوم الخيال بالدور الأساسي في تشكيلها ، يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع وملابسات الحياة اليومية ، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدها من مناظر الطبيعة ومهابط الجمال الرفيعة ، ويمزج بين عناصرها المختلفة فتجئ خلقًا جديدًا ، يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التي تألف منها " [2] .

ومـــن هنا يتبين لنا ما للخيال من دور بارز في الأدب فهو وسيلة الأديب لتصوير مشاعره وتجاربه ونقلها إلى ذهن القارئ أو السامع . وتتجلى أهمية الخيال حينما نرى كيف يبدع الشـــاعر في تصوير مشاهد مألوفة في حياتنا قد اعتدنا على رؤيتها لكن الشاعر يبث فيها الحياة والحركة ، ويتخيلها على نحو فيه إثارة وطرافة ، ففي مشهد غروب الشمس نرى " النهار يتثاءب ، والليل يزحف ، والشمس تمد في الغروب ذراعيها إلى الأرض مودعة ... وشـــاعر يقف بجانب بحر فيراه يئن ويلهث من التعب ويتخيل صراعًا بين أمواجه ورمال الشاطئ ، وآخر يقف في نفس الموقف في حالة وجدانية أخرى فيرى البحر يتألق ويتلألأ

---

(١) طيب أحمد الحارثي : " علي الجندي حياته وشعره " . رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٠هـ ، ص٣٦٥.

(٢) الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته ، الطبعة الثالثة ، (دار المعارف ، ١٩٨٦م) ، ص٨٣.

ويضـــحك ويتخـــيل لقاءً مؤثرًا بين أمواجه وبين الرمال ، وسرعان ما تعود الأمواج من لقائها على استحياءٍ وقد انتشرت على وجهها حمرة الخجل " [1] .

ومن هنا يمكننا القول بأن الخيال هو : الملكة الفنية التي تصنع الصورة الأدبية . وقد عرفه ريتشـــاردز بقولـــه : " الخيال هو القدرة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحـــد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس (في القصيدة) فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر " [2] .

٣. الحقائق والأفكار

إنّ الحقائق والأفكار هي المادة الأساسية التي يستخدمها العقل في الإنتاج ، ولا تقتصر قـــيمة الحقائق والأفكار على تعليمنا أمرًا من أمور المعرفة ؛ بل تتعدى ذلك إلى أن تكون ذات تأثير قوي في نفوسنا،وهذا يمثل غاية الأدب الأولى - الشعر على وجه الخصوص - ولـــلحقائق والأفكار دورها في الصورة الأدبية كما يقول جيبيو :" لن يحيا بالنغمات ولا بالكلمات الجوفاء ولكن لابد من تمازج الفكرة بالعاطفة ، والشعر الذي تعوزه الفكرة ، أو الذي يضم فكرة سطحية لا يغنِّي للقلب أو العقل شيئًا ، وإن غنّى للأذن كثيرًا " [3] .

إنّ هذه الحقائق والأفكار ما هي إلا خبرات معرفية " تتشكل هذه الخبرات المعرفية داخل عبقرية الإبداع فتكون تجربة فنية إبداعية " [4] .

والشـــعر بما يحمله من هذه الحقائق والأفكار الممزوجة بالعواطف الإنسانية سيظل شيئا لا غـــنى عـــنه كما يقول العقاد : " فاعلم أنّ الشعر شيء لا غنى عنه ، وأنه باق ما بقيت الحـــياة، وإن تغـــيرت أساليبه وتناسخت أوزانه وأعاريضه ؛ لأنه موجود حيثما وجدت العاطفة الإنسانية ووجدت الحاجة إلى التعبير عنها في نسق جميل وأسلوب بليغ ، وإذا كان الـــناس في عهد من عهودهم الماضية في حاجة إلى الشعر فهم الآن أحوج ما يكونون إليه بعد أن باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها وخلا الجانب الذي كانت تعمره من

---

(١) شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، الطبعة السادسة ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م) ، ص١٧٢.

(٢) محمد زكي العشمـــــــاوي : قضايا النقد الأدبي ، الطبعة الثالثة ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د. ت) ، ص ٦١.

(٣) عبدالحميد حسين : الأصول الفنية للأدب ، (مكتبة الأنجلو المصرية) ، ص١٤١.

(٤) السعيد الورقي : في الأدب والنقد الأدبي ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، د. ت) ص٧٥.

القلـــوب ، فلابـــد أن يخلفها عليه خلف من خيالات الشعر وأحلام العواطف وإلا كسر اليأس القلوب وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيرة " [(١)] .

٤ . الأسلوب

أمـــا الأسلوب فإنه " الطريقة في إظهار العمل الفني إلى الوجود . وإذا كانت اللغة مادة الأدب ، فإن الأسلوب في الأدب هو كيفية استخدام اللغة " [(٢)] .

ومن هنا يكون الأسلوب طريقة معينة يسلكها الأديب لتوضيح ما يريد من معانٍ ونقل ما يريد من أفكار مما يعني أن الأسلوب هو " القالب الذي يصب فيه الشاعر فكره وعاطفته، وبواسطة الأسلوب ينقل الشاعر إلى ذهن القارئ أو السامع ما يجيش في نفسه من المعاني والخواطـــر والعواطف منظمًا إياها في شكلٍ خاص يطبع به إنتاجه " [(٣)] . وفي الأسلوب الشـــعري على ــ وجه الخصوص ــ تبرز العاطفة ويكون الشاعر فيه مالكًا زمام الوجدان فـــيعمل عـــلى إثارة العواطف وإيقاظ المشاعر حتى يشعر متلقوه بنفس شعوره ؛ بل إنه يسلك لذلك شتى المسالك الخيالية فيعتمد كثيرًا على عناصر مادية تشمل الكون بما يحتوي علـــيه مـــن مصادر طبيعية أو حيوانية أو بشرية فيستمد منها مادته التي يقدمها في صورة شعرية ، ومن ثمَّ يقدِّم لنا تلك الصورة الشعرية ويظهرها معتمدًا على الأساليب المجازية من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية فضلاً عن تجميل تلك الأساليب بمحسنات بديعية وموسيقى شعرية .

٥ . الموسيقى

تعـــدُ موســـيقى الشعر الخاصية البارزة فيه ، والعلامة الفارقة بينه وبين النثر ، وهي الـــنغم الشجي الذي تصاغ فيه المعاني فيحيلها إلى نشيد عذب . وتتألف موسيقى الشعر عادة من البحر العروضي الذي صيغت عليه القصيدة ، ومن القافية التي تعد الركن الثاني مـــن أركـــان النظم الشعري إلى درجة أن القصائد كانت تسمى بحروف قافيتها فيقال :

---

(١) عباس العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، د . ط (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د .ت) ، ٢٤٢

(٢) جودت فخر الدين : شكل القصيدة العربية في النقد العربي ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الحرف العربي ، ١٩٩٥م) ، ص٢٥١.

(٣) الأصول الفنية للأدب ، ص٩٣.

لامـــية الشـــنفرى وهمزية البوصيري . كما أن اختيار القافية وإيقاعها وحرفها المميز يمثل مستوىً إبداعيًا عاليًا لدى الشاعر .

وإلى جانـــب تلك الموسيقى الخارجية ينبثق لنا من النص موسيقى داخلية وهي نغم خاص تمتاز به القصيدة بسبب نجاح الشاعر في اختيار المفردات وترتيبها وفق نسق خاص ، وما يتبع ذلك من حركات الإعراب والمد والإمالة والتفخيم ... الخ ومن الأمثلة على ذلك ظاهرة المد المتآزر مع حرف الهاء مما يوجد إيقاعًا داخليًا شجيًا كما في قول محمود غنيم :

لي فيك ــ يا ليل ــ آهات أرددها   أوّاه لو أجدت المحزون أوّاهُ ! [1]

ومـــن هـــنا يتضح لنا أن " للموسيقى دورا كبيرا في إثارة العاطفة فمخارج الحروف وصـــفاتها وحـــركاتها وسكناتها ، تجعل للكلمة قوة موسيقية خاصة ورنينًا يطبعها بطابع متمـــيز يؤثر في النفس ، هذا بالنسبة للكلمة المفردة ، أما الكلمات فهي إذا اجتمعت في عبارات معينة فإنها تكتسب جرسًا موسيقيًا آخر بالإضافة إلى ما امتازت به من موسيقى فـــردية ولذلـــك كله وقعه على أذن السامع والقارئ ، فتهتز نفسه فرحًا أو أسىً حسب الموقف الذي صوره الشاعر أو الأديب " [2] .

<u>ثالثًا : مصادر الصورة الفنية عند محمود غنيم :</u>

إنّ دراســـة الصورة الشعرية عند أي شاعر تتطلب الوقوف على المصادر التي استقى مـــنها صـــوره وأخيلته ، وللصورة الفنية عند محمود غنيم عدة مصادر تستقي من معينها ،وتتشكل من خلال جزئياتها ، ومن أبرزها :

١. الطبيعية .
٢. الإنسان .
٣. الحيوان .
٤. الثقافة .

وفيما يلي سنحاول الوقوف عند كل مصدر منها على حدة لنرى إلى أي حد استفاد

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٩.

(٢) الأصول الفنية للأدب ، ص٢٠، وتاليتها (بتصرف)

شاعرنا من تلك المصادر المتنوعة في تشكيل صوره الفنية في شعره بمختلف أغراضه :

١ . **الطبيعية :**

تعدُّ الطبيعة بما تحتويه من نباتات وجمادات المصدر الأول لصور محمود غنيم ، ويبدو أنــه رأى في كــثير من مظاهر الطبيعة ما يشبع نفسه ويستوعب ظلال موهبته الشعرية وموضــوعاته المختلفة . فراح يجول بنظره وعاطفته معًا في آفاق الطبيعة ؛ بل إنه ــ رحمه الله ــ كما تحدث عن أقمار السماء تحدث أيضًا عن أقمار الفضاء ولعله كان أكثر شعراء العصر الحديث اهتمامًا بهذا الجانب . يقول في رحلة أبولوُّ إلى سطح القمر :

ليهنــك يا أبولــو الانتصــارُ ... بربك كيف طرت بهم وطاروا ؟

وكيــف حملت ركبك في سلام ... فقرَّ بهم على القمــر القــرار ؟ (١)

وفي سياق عرضه التصويري لهذا الجانب ينفث الشاعر إلى متلقيه من خلال قصيدته دعوى إلى الخــير وتــرك الحرب المدمرة التي ستعصف بجميع الأرض بما تحويه من طبيعة فريدة وخلابة :

تعالوا نبتكر عهدًا جديدًا ... يعمُّ الخــير فيــه واليسار

تعالوا نبتكر للحرب حلاًّ ... وإلاّ حاق بالأرض الدمار (٢)

ولعــل مــن أهم ما يتميز به غنيم وهو يتخذ من الطبيعة مسلكًا صالحًا إلى قلوب الناس الــتذكير بــأن وراء تلك الطبيعة ووراء ذلك الكون ربًّا له في جميع ما خلق أسرارٌ عظام وهذا ما ختم به الشاعر قصيدته التي منها الأبيات السابقة حيث يقول :

وأنّ وراء هذا الكون ربًّا ... له في الكون أسرارٌ كبارُ (٣)

ومن النسيم يجعل محمود غنيم رسولاً من الدهر إلى الزهر يُحَمِّله سر العبير فيقول :

مرّ النسيم على سطح الغدير ضحىً ... وماؤه مطبــق الجفنــين نعســان

فيــم التّجعُّد إذ مــرّ النسيم به ؟ ... سلوا الغدير ، سلوه : أهو غضبان ؟

إن النسيــم رســول الدهر حمّله ... ســر العبــير وللأســرار كتمان (٤)

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٧١١ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص٧١٢.

(٣) السابق ، ص٧١٢.

(٤) السابق ، ص٧١٨.

وهـــو عندما يصف ذلك النسيم فإنما يتخذ منه قناة صالحة ليوصل إلى الأذهان نسيمًا من نوع آخر إنه نسيم المحبين وما يجري بينهم من دعابات وأنّات وأشجان ومراسلات يحملها ساعٍ حثيث الخطا :

وكم رســـالة حبٍ جـــاء يحملـــها   كالبرق وهو حثيث الخطو عجلان
رســـالة حلـــوة الأنغـــام قـــرّ بها   قلـــب الحبيب قرارًا وهو حـــيران
قالوا : عليلٌ ، فقلنا : هل إليه سرى   من المحبـــين أنـــّات وأشجـــان ؟ (١)

ثم يجعـــل محمـــود من الربيع كتاب حب مقروء ويجعل من نوره وأزهاره عيونًا فاتكةً كالســـيف ، وكل قدٍّ به كالرمح ، وكل خد به تفاحة ، إنه يرى ظلال أوصاف أحبابه الجميلة ما بين عيون وقدٍّ وخد ونهد :

إنّ الربيع كتاب الحب نقرؤه   الحب حاشيـــة فيه وعنوان
فكل عين به كالسيف فاتكة   وكل قد به كالرمح طعّـــان
وكـــل خد به تفاحة نضجت   وكل نهد حواه الصدر رمان (٢)

وعـــلى الشاطئ يخاطب محمود غنيم البحر مخاطبة الإنسان متمنيًا منه أن يغرق همومه في بطون الحيتان :

يا بحر قد يئست نفسي الحياة على   وتيرة فأرح نفســـي من الســـأم
أغرقت فيك همومـــي ليتها وقعت   في بطن حوت من الحيتان ملتقم (٣)

وعـــندما يـــريد محمود غنيم أن يدعو الإنسان إلى التفكير في خلق نفسه أولاً ثم التفكير والبحث في الكون ثانيا فإنه يلجأ إلى تشخيص السماء التي تبتسم من صناعة البشر وعلى وجه الخصوص المراكب التي تسبح في الفضاء زاهية إلى سطح القمر فيقول :

لكـــأني بالسمـــوات العـــلا   باسمات الثغـــر من صنع البشر
ابحثو ــ من أين جئتم ــ أولاً   ثم والوا البحث عن أهل القمر (٤)

(١) المصدر السابق ، ص٧١٨.

(٢) السابق ، ص٧١٩.

(٣) السابق ، ص٧٢١.

(٤) السابق ، ص٧٣٥.

ومحمـــود غنـــيم شـــاعر من شعراء أدب الدعوة الإسلامية ولا غرو أن يتخذ من الطبيعة ومظاهـــرها المتنوعة ، وآيات الله الكثيرة في الأرض والسماء دعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يوقف الإنسان أمام نفسه الجامحة وأن يذكره بأنه مهما تعلم ومهما سعى فإنه سيظل غافلاً عن كثير من أسرار الحياة والوجود وفي ذلك يقول :

سبحان من صوّر الدنيا فأبدعـــها ! ... فقل لربك ــ رب العرش ــ : سبحان !

آيات ربك تترى في الوجود ؛ فهل ... للمـــرء عين ؟ وهل للمـــرء وِجْدان ؟

كل البقـــاع محـــاريبٌ له صُنِعَت ... وكـــل مـــا تسمـــع الآذان قـــرآن !

في كل ظاهرة تبـــدو يلـــوح لنـــا ... علـــى جـــلالة ربِّ العـــرش برهان !

كـــم ذرة في فضـــاء الله سابـــحةٍ ... فيها : عوالِمُ لا تُحصـــى ، وأكـــوان !

فيم الصعـــود إلى الأفـــلاك نكشفها ... والشمس تضحك والشِّعْري وكيـــوان ؟

إن ابن آدم عن سِّـــر الوجود ، وعن ... سر الحيـــاة ، وسر الـــموت غفـــلان

ضـــلَّ ابن آدم إذ رام الوصـــول إلى ... نهايـــة الكـــون ! والإنســـان إنسان ! [1]

ومن عجيب ما نراه في شعر محمود غنيم أنه جعل من الطبيعة صورًا شعرية جديدة تحمل الكـــثير من المعاني ذات الجدة والابتكار ، والشواهد من شعره على ذلك كثيرة إلى حد كـــبير ، ولكنـــنا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قصيدة " زورقٌ في الفضاء " التي صـــور فـــيها الجو كالخيل يسرج ويمتطى ، كما صور أصحاب الزوارق الفضائية بأنهم زاحموا النون في البحار وزاحموا العقاب وتحدوه في الهواء فيقول :

أسرجـــوا الجو وامتطـــوه ركابا ... ثم مروا فوق السحاب سحابا

زاحمـــوا النون في البحار وراحوا ... يتحـــدون في الـــهواء العقابا

ضيقـــوا رقعة البسيـــطة حـــتى ... لم يعد يشتـــكي بنوها اغترابا [2]

(١) المصدر السابق ، ص٧٢٠.

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص١٢٤.

٢. **الإنسان :**

الإنســـان ــ ذكرًا كان أو أنثى ــ من المصادر الأساسية التي يستقي منها الشاعر صوره في أي عصر من العصور ، وشاعرنا كان من أحد الشعراء الذين قدّموا لنا كثيرًا من صور الإنسان المختلفة والمتنوعة ، ومن تلك الصور صورة الإنسان وصراعه مع الحياة إما لتحقـيق بعـض أمانيه التي كثيرا ما يسعى إليها أو من أجل البقاء والاستمرار ، ومما قاله محمود في هذا الصّدد :

ذوائب من بعد الظـلام تضـيءُ ... لتعـلن : أنّ الموت سوف يجيءُ

فيزداد في الإحسان من كان محسنا ... ويقلـع عن سوء الصنيع مسيءُ

ألا أيها الشيـب الملـمُّ بلحيـتي ... لك الويل ! إني من سناك بريءُ [1]

فهو يرى في المشيب نذير الموت ويرى أن الموت جرس إنذار للمحسن ليزداد في إحسانه وللمسيء أن يقلع عن إساءته .

وأيُّ صورة أروع من صورة الصراع الذي يعانيه غنيم وهو يرى أنه غريب بين قومه :

إلى من أشتكي يا رب ضيمي ... أرى نفسي غريبًا بين قومي !

فكـم هتفوا بمحمود شكوكو ... وما شعروا بمحمـودٍ غنيم ! [2]

أما صراعه من أجل تحقيق أمانيه فتبدو فيها أيضًا روح الجماعة في تحقيق الأماني بحثًا عنها بشـتى الوسائل فهو لا يبحث عن أمانيه الفردية فحسب وإنما يحمل بين جنبيه هم العروبة وهمّ المسلمين عمومًا ومما قال في هذا الجانب :

لهفـي على الأحرار من ... أهـل العروبة والحرائر

سكـن العـراءَ رجالُهم ... ونسـاؤهم بعد العمائر

يا لاجئـين وجـرحكم ... متغلغـل في القلب غائر

لا تيئسـوا يا قـوم سـو ... ف تدق للنـصر البشائر [3]

ويتمثل صراعه من أجل البقاء في الحاجة إلى العيش فمن ذلك الصراع ما قد يلجئ بعض الناس إلى ما يغضب الشاعر كالجشع والطمع والاهتمام بالمادة ونسيان ما عداها ومـن

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٧٥٨.

(٢) السابق ، ص٧٥٧.

(٣) السابق ، ص٦٨٧.

الصور التي تمثل هذا الصراع المرفوض من قبل الناس قوله :

فتشت بين الناس عن زاهد ... فلم تقع عيني على واحد
ما أزهد المرءَ إذا لم يجـــد ... وأبعد الزهد عن الواجد
لا يُـــزه إنســـان بآدابـــه ... أو يفتخر بالسلف البائد
المجـــد : إما سطوة أو غنىً ... ما العاجز المعدم بالماجد
فقيـــمة الشعب إذا قستها ... بقيمة الصـــادر والوارد [1]

وكثيرًا ما يتناول شاعرنا في شعره صراع الإنسان مع أخيه الإنسان ويتجلى ذلك كثيرًا في شعره الذي ندد فيه بالاستعمار والمستعمرين ، ومن ذلك قوله مصورًا بسالة المصريين أمام العدوان الثلاثي :

وقى الله البسيطة من دمار ... وصان المشرقين من انفجارِ

إلى أن يقول :

وما أغنى عن الثالوث جيش ... كأن جيوشه رمل الصحظاري
ولا أغنـــاه أسطـــولٌ عريض ... يُصـــاب البحر منه بالـــــدوار
أتوا كالأســـد إقدامـــًا وفروا ... وهـــم مثل النعامة في الفـــــرار
دم الذؤبان دنّس أرض مصـــر ... وعطّرهم دم الأسد الضواري [2]

كما أن محمود غنيم شاعر إسلامي يؤلمه حال الأمة الإسلامية وما آلت إليه من ضعفٍ إلا أنه يُذكر المسلمين جميعا بما يجب أن يكونوا عليه منه تلاحم وتعاضد وتعاون فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر :

إني تذكرت والذكرى مؤرقة ... مجدًا تليـــدًا بأيدينـــا أضعنـــاه

إلى أن يقول :

كم بالعراق وكم بالهند ذو شجن ... شكا فرددت الأهرام شكواه
بني العمومة إنّ القـــرح مسكمو ... ومسنا نحن في الآلام أشباه [3]

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٧

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤٢.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩.

ولن تجد صورة للصراع كما تجدها بين اليأس والأمل في نفس محمود غنيم الذي يقدِّم لنا صـــورة واضـــحة من صور الصراع داخل النفس الإنسانية الواحدة . وكما يقول علماء النفس : " إنّ الألم يفجر العبقرية " [1] فإننا نراه إذا تذكّر ذنبه تملّك اليأس قلبه فما يُذهبه إلا تذكُّره بأن هناك ربًّا رحيمًا بعباده تُكسِّر رحمته جدار اليأس وقضبانه فتنشل من داخله القلب ليراود بصيص الأمل في الحياة والناس ، يقول :

إذا تذكـــرت ذنبي   تملّك اليـــأس قلبي

ويُذهب اليأس عني   ذكري لرحمة ربي [2]

٣. **الحيوان :**

كـــثرت صور محمود غنيم التي تدور حول الحيوان الطائر منه والسائر ويبدو لي أنه رأى في بعض مظاهر الطيور والسباع على وجه الخصوص ما يشبع نفسه التي تأبى الخنوع وحـــياة الـــذل والهوان وتعشق السمو في كل شيء ومن ذلك قوله في قصيدة استعطافٍ موجهة إلى سمو الأمير : زايد بن سلطان حاكم الإمارات بشأن قضية الأمير محمد بن صقر القـــاسمي الذي جعل اسمه (صقر) رمزًا للصقر الحر الذي يأبى الاستسلام و الذّلة فكان اسمًا على مسمىً :

لو طأطأ الرأسَ صقرٌ عاش في دعة   و لم يعش في فِجَاج الأرض مغتـــربا

ما دار في فلـــك المُحْتَـــلِّ إِمَّعـــَةً   بل كان يقضي ، ولا يَقْضِي له أربَا

ما كـــان شاهًا بِشِطْـــرَنْجٍ تحرِّكه   كف الدّخيل كما شاءت إذا لعبـــا

كانت جَـــرِيرتهُ أن سيم في نفـــر   من قومـــه ذلةً ، فاستسلموا ، وأبى [3]

ويـــرى محمـــود غنيم أن الإسلام أصبح كالطير المقصوص الجناحين نظرًا لما آل إليه حال المسلمين فيقول :

---

(١) عدنان الرشيد ، " مفهوم الجمال في الفن والأدب " ، كتاب الرياض ، العدد مائة وواحد ، إبريل ٢٠٠٢م ، ص ٨.

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٧٥٨.

(٣) السابق ، ص٨٦٦.

أنّى اتجهت إلى الإسلام في بلد　　تجده كالطير مقصوصًا جناحاه [١]

وقـــد اتخذ محمود غنيم من الحيوان على اختلاف نوعه وتنوع سلوكه وأنماط حياته صورًا حية حاول أن يخاطب من خلالها ضمير الإنسان آخذًا بيده إلى التفكير في جميع أنماط ســـلوكه الحيوية فنراه مرة يخاطب ديكًا وأخرى ذئبًا ومرات يقدم لنا صورًا من أقاصيص عـــلى ألســـنة الحيوان فيها من الحكم والعبر الشيء الكثير . ومن ذلك قوله مخاطبًا ديك الصباح :

قلت يومًا للديك ساعة صاحا　　هل تغني لنا نشيد الصبـــاح ؟

قـــال : لا بل نعيت يومًا راحا　　ومحاه من صفحة العمر ماح [٢]

و لم تقـــف صور الشاعر عند هذا الحد ، بل تعددت ذلك إلى الرمز بالحيوان أو الطائر . ومن ذلك صورة الضفدعة المغرورة التي أ كبرت شكل الثور فما كان منها إلا أن تصبّ ماء الغدير في جوفها الصغير علّها تصل حجمًا كحجم الثور أو يزيد :

وانطلقت تجـــري إلى الغدير　　تفرغـــه في جوفهـــا الصغير

لعلهـــا تبلغ مـــا تريـــــد　　حجمًا كحجم الثور أو يزيد

فما احتست كوبًا ولا إبريقا　　بل مزقـــت أحشاءَها تمزيقا

فأنشـــدت ضفـــادع الغدير:　　هذا جزاء الجـــاهل المغرور !

كم طالب بجهله مـــا ليس له　　أضـــاع وقتـــه وأدنى أجله [٣]

وأصبح بيت محمود غنيم الأخير حكمة تتناقلها الأجيال قي كل وقت وحين رمزاً للمغرور الذي يطلب في حياته ما ليس أهلاً له :

كم طالب بجهله ما ليس له　　أضاع وقته وأدنى أجله !

وهناك أيضا صورة القائد الغبي الجاهل الذي يسعى بقومه إلى هلاك بعد هلاك ، دون أمل في النجاة :

شاهدت في الغاب قطعانًا من البقـــر　　عيونها كعيون الغيد في الحـــــوَر

يقودهـــا الدُّبُّ لا كانت قيـــادته　　إلى المخاطر باسم الماء والثمـــــر

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٩.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٨٤.

(٣) السابق ، ص٢٨٥.

فضلَّت السُّبل . ما من حفرة نهضت　　إلا لتسقط في أخرى من الحفـــر

حتى انثنى الركب : لا ريٌّ ولا شبعٌ　　وكيف يهدي بصيرًا زائغُ البصـــر

آمنت بالله ! كـــم بين الورى نفـــر　　أمسى يقودهم دبٌّ من البشـــــر [1]

ولعلك بقراءتك البيت الأخير من الأبيات السابقة ترى أن غنيماً كشف الرمز الذي قدمه في سابق الأبيات ليضعك أمام الصورة المطابقة لتلك الصورة القيادية بين أســـراب البقـــر وأحزاب البشر !

وشاعرنا غنيم يحوم ويحوم ثم يعود إلى غصنه وأصله الإيماني الرحب فيرى في حمائم الحرم رؤية الحسان المتنسكات في الحرم الشريف فيقول :

حـــيِّ حـــمائم الـــحرم　　بالبيت سربها اعتصم

ســـرب مـــن الآرام مـــا　　حـــواه بان أو علـــم

من كل خود كسنا الصبـــ　　ـحِ إذا الصبح ابتسم [2]

وأخـــيرًا نقـــف مع صفاء النفس التي تتجه إلى بارئها وتسأله السعادة للعموم بل وتسأله سلامًا يعيش فيه القوي مع الضعيف والشجاع مع الخائف فيقول :

إلى الله اتجهت بكل قلبي　　وأساله السعادة للعمـــــوم

إلى أن يقول :

سألت الله للدنيا سلامًا　　يعيش الليث فيه مع الظليم [3]

٤ . الثقافة :

عندما نمعن النظر في شعر محمود غنيم نجد أنّ هناك مصادر ثقافية متنوعة كان لها الأثر الكبير والفعّال في تشكيل صوره الشعرية . ويمكننا أن نحدد تلك المصادر الثقافية في :

١. القرآن الكريم .
٢. الحديث الشريف .
٣. التاريخ الإسلامي .
٤. تراثنا الأدبي الكبير .

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٦١١.

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص٧٥١.

(٣) السابق ، ص ٧٥٦.

٥. الحاضر الثقافي والأحداث المعاصرة .

وفـــيما يـــلي سنحاول الوقوف عند غيض من فيض من الشواهد والنماذج الشعرية لكل مصدر من المصادر السابقة .

١. القرآن الكريم .

يأتي القرآن الكريم في مقدمة المصادر التي أثرت الصورة الشعرية لدى محمود غنيم من حيث الوفرة والعمق .

والقـــرآن الكـــريم كما هو معروف " كتاب ديني بالدرجة الأولى ، ولكن الهدف الديني والتربوي فيه لا يظهر عاريا مباشرا بل يلبس صورة فنية في أغلب الأحيان ، وإنك لا تعدم التصـــوير فـــيه حـــتى في التعبير الحقيقي الذي لا تجده ينـــدرج تحت الأنماط البلاغيـــة المعـــروفة " [١] وهذا يدل على أن الصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني وذلك ما أكده سد قطب حين قال : " إن التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن " [٢] .

والشـــاعر محمود غنيم استطاع أن يتعامل مع تلك الصور القرآنية ويتفاعل معها بكل فن واقـــتدار فهو لم يكن همه النقل الحرفي لها على سبيل الاقتباس وإنما أسبغ عليها كثيرا من شـــاعريته المـــتدفقة . وقد تنوعت طرائقه في التعامل مع الصور القرآنية وتباينت أشكالها فـــتارة يمـــيل إلى استخدام بعض المفردات القرآنية التي تشع بالحركة والحيوية لتدل على معانيها الموضوعة لها كما في استخدامه لكلمة " يتوارى " في قوله :

ويح العروبة كان الكون مسرحها   فأصبحت تتوارى في زواياه [٣]

وكلمة " عبس " في قوله :

---

(١) شلتاغ عبود شراد : أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، الطبعة الأولى ، (دار المعرفة ، ١٤٠٨هـــ ـــ ١٩٨٧م) ، ص١٠٩ وتاليتها .

(٢) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، الطبعة الثامنة ، (دار الشروق ، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م) ص٣٧.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٩.

عــــبس الوجـــــود فكـــــــان نــــــو   رُك بســــــمة بفــــم الوجـــــود [1]

ويظهـــر اســـتخدام محمود غنيم لكثير من التراكيب القرآنية ذات الصور الرائعة وهي في شعره كثيرةٌ جدا منها على سبيل المثال قوله :

واستشهدوا الرحمن فيه عليكمو   وكفى بربك شاهدًا وحسيبا [2]

فقد أخذها من قوله تعالى :(وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) [3] .

وقوله مصورًا تأثر المسلمين بجراح بعضهم بعضًا :

بني العمومةِ إن القرح مسكمو   ومسنا نحن في الآلام أشباه ! [4]

أخذها من قوله تعالى : (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) [5].

وســـأتركك أخـــيرًا تقف مع هذه الأبيات لترى بنفسك مدى تأثر محمود غنيم بالقرآن الكريم حيث يقول :

من لي بالعـــرافين أسألهم   عنها وبالنفاثات في العقـــد ؟

أسأت بالأصدقاء كلهمو   ظني ؛ ففتشتهم ، فلم أجـــد

شتان بيني وبين لاقطها :   بات قـــريرًا وبت في كمـــد

ليت الذي طُوِّقت بها يده   في جيده حبلٌ شُدّ من مسد ! [6]

فالصورة في البيت الأخير مأخوذة من قوله تعالى (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) [7] .

وقد يوظف غنيم في شعره الصورة القرآنية ضمنا كما في قوله وهو يصف بياض الرغيف:

عجبي عليه كأن موسى دسّه   في جيبه فابيض بعد سواده [8]

---

(١) السابق ، ص٥٢.

(٢) السابق ، ص ٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٣٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٩.

(٥) سورة آل عمرآن ، آية ١٤٠.

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٢٥٢.

(٧) سورة المسد ، آية ٥ .

(٨) السابق ، ص٢٨١.

أخذها من قوله تعالى مخاطبًا موسى عليه الســلام : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [1] .

وأما الاقتباس شكلاً ومضمونًا من التصوير القرآني فيظهر جليًا في مثل قوله :

أجادير هل حان يوم النشور "وزلزلت الأرض زلزالهـــا "
وهل بعث الله من في القبور " وأخرجت الأرض أثقالها " [2]

ولاحاجة بنا إلى تذكير القارىء بقوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [3]

٢. الحديث النبوي الشريف .

ويــأتي تأثر محمود غنيم في صوره الشعرية بالحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم . وليس أدل على ذلك من قوله :

كم بالعراق وكم بالهند ذو شجن شكا فرددت الأهرام شكواه [4]

فهذه الصورة التي تقدّم المسلمين متكاتفين متعاضدين كالبنيان المرصوص مستوحاة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، ثم شبك بين أصابعه " [5].

٣. التاريخ الإسلامي .

تأثرت الصورة عند غنيم بالتاريخ الإسلامي الحافل خاصة فيما يتصل بالموضوعات ذات الصلة العميقة بالرسالة الإسلامية وتاريخها المشرق ورجالها العظماء .

---

(١) سورة النمل ، آية ١٢.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٣٥٩.

(٣) سورة الزلزلة ، آية ١،٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٧٩.

(٥) العســقلاني ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر :فتح الباري ، أخرجه : محب الدين الخطيب ، (المطبعة السلفية) ، ١٠/٤٥٠ .

ومن الأمثلة على ذلك قصيدته " ذكرى محمد " في المولد النبوي مدح بها الرسول الكريم وتناول سيرته العطرة من مولده إلى بعثته ونشره للعدل والمساواة ومما قاله في ذلك :

هــزّ الوجود بكفه في مهده　　طفل يتيم من كنانةَ عاف

جادت به الفلواتُ أصفى طينة　　وطويةً من جوّهن الصافي (١)

ويقول في عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ :

راغبٌ في الله عفٌّ عن سواه　　ما سبت عينيه زيناتُ الحيــاه

لا ، ولا اعتزّ بسلطانٍ وجاه　　عمر الفاروق ! حدث عن عمر

موئلِ العدل ، إمامِ الزاهدين (٢)

كما أن غنيمًا حاول أن يحيي في نفوس أبناء الأمة حب القيادة والجهاد الإسلامي فلم يجد أروع من صورة القائد العظيم خالد بن الوليد يقول فيه :

خالدٌ في كل عصر خالدٌ　　ذكره لحنٌ على كل لســان

قائــدٌ لم يدن منه قائــدٌ　　سابَقَ النجم اسمه في الدَّوران

هو سيف الله ، فخرُ العرب (٣)

كما يحاول غنيم أن يذكي روح المجد والبطولة في نفوس شباب الإسلام وذلك بتذكيرهم بأشــهر الوقائع التاريخيــة التي سجل فيها المسلمون نصرًا مؤزرًا على أعدائهم ومن ذلك قوله :

في " عين جالوت " غضبنا غضبة　　كشفت عن الشرق البــلاءَ المحدقا

" حطين " تشهد أننا عربٌ ، إذا　　فَرِقَ الأسود من الردى ، لن نفرقا (٤)

وفي تصــويره للشريعة الإسلامية يعرض لدورها الكبير في بناء الحضارة والإنسان في كل زمان :

شرعــةٌ ، ظلّلت بأدواحــها مَنْ　　حلَّ بيدًا ، أو حلَّ قصرًا مشيدا

كلمــا مــرّت العهــودُ عليــها　　أثبتت أنهــا تجــاري العهــودا

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٨٧.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٤٤٠.

(٣) السابق ، ص٤٠٧.

(٤) السابق ، ص٣١٤.

الحضاراتُ ــ منذ قامت على الأر ض ــ تفيَّــأن ظِّلهـــا الممدودا [1]

٤. تراثنا الشعري الكبير .

تمـــثل محمود غنيم تراثنا الأدبي والشعري الضخم في عصور قوته وازدهاره فاستعرض معظـــم صوره واستوحى منها وتأثر بها التأثر المقبول والمحمود الذي يحسب لـــه في هذا المضمار لا عليه . و تلك الصور المستمدة من تراثنا الشعري الخالد في شعر شاعرنا كثيرة ومـــنها على سبيل المثال لا الحصر : صورة الأسد وما توحي به من قوة وشجاعة وهيمنة فقوة الحق عنده بما تحمله من معانٍ كقوة الليث الكاسر :

ويدبُّ في الصحراء ليثًا كاسرًا ويغوص تحت الماء كالتمساح [2]

وصـــورة السيف وما تشع به من معاني القوة والعزة والمجد استوحاها الشاعر في مواضع عديدة فهذا سيف خالد بن الوليد مخضب بدماء الأعداء :

عرف القيصرُ سيفَ ابنِ الوليد وهو رب التاج رب الصولجان

سائلوا اليرموك كم شاب وليد من بني الروم وكم فرّ جبان

فزعًا من سيفه المختضب ؟ [3]

وتلـــك الصور التراثية التي وظفها في سياق شعره إنما يريد منها استمالة نفوس أبناء الأمة إلى المجد ومعالي الأمور ويوقظهم من سباتهم وخنوعهم إلى ميدان الحركة والنشاط .

ويُحيِّي محمود غنيم علمه الذي يرفرف كالطير على متن الهواء قائلاً :

رفّ كالطير على متن الهواء وتحدّى نجمه نجـــم السماء

يا لواء العـــرب يا نِعم اللواء نحن من حولك جندٌ أوفياء [4]

فهذه الصورة مستوحاة من صورة رفرفة الطير وما توحي به من علو و رفعة .

وبطل الجلاء تسقي ضريحه ديمة هاطلٍ وكّاف :

بطل الجلاء سقت ضريحك ديمة تسقي الرياض بهاطلٍ وكّاف [5]

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٤وتاليتها .

(٢) السابق ، ص٤٣٤.

(٣) السابق ، ص ٤٠٧.

(٤) السابق ، ص ٤٢٥.

(٥) السابق ، ص٤٣٤.

ويتضح لنا مما سبق أن تأثر غنيم بالتراث يأتي من خلال ما اكتسبه من تلك الخبرات التي شــكلت صــوره ، أو من خلال ما أقامه من علاقات تقابل بين واقعه الحاضر وماضيه المشرق وهذا ما يعرف بالمفارقة التصويرية .

٥. الثقافة والأحداث المعاصرة .

كــان شاعرنا مثقفًا ثقافة واسعة استطاع أن يوظفها في صوره أحسن تمثيل وخير ما يمــثل ذلك هذه الأبيات التالية التي استمد صوره فيها من ثقافته الدينية واللغوية والتاريخية معًا ، يقول :

لما رأيت النيــل عبــأ جيشــه ... أتبعته التكبـــير والتهليـــلا

وذكرت ركن الدين في حملاته ... إذ كان يحدو الجيش والأسطولا

فلطالمــا دكّ القــلاع بعــزمه ... ولطالمــا ردّ الجيــوش فلــولا [1]

أمــا الأحــداث المعاصــرة لمحمود غنيم فلا تقل أهمية عن ثقافته في تكوين صوره الفنية والــنماذج عــلى ذلك تترى . فنراه يستمد صوره من الحروب والغارات التي وقعت في عصره . ومن ذلك قوله في وصف الحروب وأثرها :

غولٌ تغــول الطفــل من يد أمه ... بسعارها والكاعب الرّعبوبا

هوجاءُ ، تذرو الدّوح عند هبوبها ... وتُخلِّف البرج الأشمَّ كثيبا

لا يرتدي الأكفــان في ساحــاتها ... ميتٌ نضا برد الشباب قشيبا [2]

وقد يستمدها من مجتمعه الذي يعيش فيه كقوله ثائرًا على الحضارة الزائفة التي طغت على كل جميل وكادت تزيل ماهو قديم :

ابنُ الحضارة جسمٌ دون عاطفة ... يكاد يحسبهُ رائيه تمثــالا

وبرقُّهــا خُلّبٌ ، يغريك بارقهُ ... حتى إذا شمتهُ ، ألفيته آلا [3]

ولا ينســى الشــاعر أن يستمد صوره من معجزة بناء السد العالي آنذاك انظر إليه وهو يخاطبه على طريقة التشخيص :

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٧٤.

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٣٤.

(٣) السابق ، ص٧٥.

أيها السدُ ، ما عهدناك إلاّ مصدر اليُمن ، مصدر البركات [1]

وكانـــت أحداث فلسطين العظام مرتعا خصبا للشاعر يستمد منها صوره وأخيلته ، ومن ذلك قصيدته المشهورة " أخت عمورية " التي يستنهض فيها همم المسلمين ومما جاء فيها قوله :

يا أخت "عمـــورية" لبيـــك قد دقّت حماتُك للحروب طبولا

ناديت " معتصما " ؛ فكان غياثه جيشًا شروبًا للدماء ، أكولا [2]

ثم يصور ما ارتكبته إسرائيل من أبشع صور الذُل والهوان في فلسطين الصامدة ويتوعدهم بالردوالنّكال :

لن يغفر العربُ الأُباةُ لغادر هتك الحرائر والدّم المطلولا

إنّا لقوم ليس يُمحى عارهم حتى يُرى بدمائهم مغسولا

إنّا جعلنا أرضنا للمعتـــدي قبرًا ، وظلاً للتريل ظليـــلا [3]

والحديث عن تأثر غنيم بالأحداث المعاصرة واسع جدًا ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصّدى ، ص٧٦٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧٣ .

(٣) السابق ، ص ٣٧٣ .

رابعًا : أنماط الصورة الفنية عند محمود غنيم :

يعد الشاعر محمود غنيم كما قال عنه د/ مختار الوكيل : " من ذلك الرعيل الذي أشـــرب حب الشعر العربي الجزل الأصيل بديباجته الرائعة وصوره الدافئة ومعانيه المتألقة وأخيلـــته المجنحة وهو إلى ذلك شاعرٌ مصريٌ أصيلٌ عذب البيان سلس العبارة ، موسيقي اللفظ ، عميق النظرة ، صافي التأمل ، هادئ النفس ، مولعٌ بالريف المصري ؛ ومتفان في حب أهله ... " (١) .

ونحن بدورنا وقد طوفنا مع الشاعر في كثير من قصائده ودواوينه واستجلاء لقول الدكـــتور مختار الوكيل السابق يمكننا تحديد الأنماط الفنية التي كان غنيمٌ يعتمد عليها في تقـــديم أفكاره وتصوير تجاربه ، لاسيما إذا عرفنا أنه كان من شعراء المدرسة المحافظة التي أعـــادت إلى الشـــعر العربي نضارته ، دون إخلال بتقاليده الفنية المتوارثة ، ومع هذا فإن شاعرنا لم يقف مكتوف اليدين أمام تيارات التجديد من رمزية وأسطورية وقصصية فقد كـــــان من رواد المسرح الشعري بعد شوقي .

لقـــد " اقـــترب غنيم من الجمعيات الأدبية المعنية بأمور الشعر منذ ثلاثينات هذا القـــرن ؛ مثل مدرسة البعث ، والديوان ، وجماعة أبولو ، وجماعة أدباء العروبة ، ورابطة الأدب الحديث ، وغيرها . وقد اتخذ موقفاً مستقلاً من هذه الاتجاهات ؛ يعتمد على رؤيته الخاصة في أهمية التجديد ، وتطويع الشعر التقليدي لمقتضيات العصر والأفكار الجديدة في إطارٍ في المحافظة على الشكل الذي عرف به " (٢) .

وعـــند محاولتـــنا تتبع الصور التي رسمها محمود غنيم في قصائده والتي تشهد على قدرته في المواءمة بين فكره وعاطفته وخياله نجده يحاول استغلال ما يتضمنه اصطـــــلاح

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٩١٠ .

(٢) السابق ، ص ٥ .

الصورة الشعرية من " الطرق الممكنة لصناعة نوع التعبير الذي يُرى عليه الشيء مشابهاً أو مـــتفقاً مع آخر ويمكن أن يتركز ذلك في ثلاثة أصناف هي التشبيه والمجاز والرمز" [1] .
وبهذا نستطيع أن نؤطر الصورة الفنية الشعرية لدى محمود غنيم في الأنماط الثلاثة السابقة وهي :

١ – التشبيه .
٢ – المجاز .
٣ – الرمز .

١ – التشبيه :

التشبيه " علاقةٌ مقارنة تجمع بين طرفين ، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة ، أو مجموعة من الصفات والأحوال " [2] .

ولا يخفى على أحد ما للتشبيه وقيمته الفنية من دور كبير فهو يجسد ويشخص في صـــورة حسية الأفكار المجردة والمعاني المعنوية . فنتمثلها من خلاله وكأنها موجودة أمامنا ندركها بحواسنا ، فيكون لتلك الصور الحسية الأثر الكبير في النفس ، يقول ابن الأثير في ذلـــــك : " وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصـــورة المشبه به أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه ، أو التنفير عنه " [3] .

---

(١) عـــبد الفـــتــــاح صالح نافع : الصورة في شعر بشار بن برد ، د . ط (عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣م) ص ٧٨ .

(٢) جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م) ص ١٧٢ .

(٣) المثل السائر : ١/٣٧٨ .

والشاعر محمود غنيم أدرك بفطرته العربية وموهبته الشعرية ذلك الأثر العميق الذي يحدثـــه التشبيه في نفس المتلقي فوظفه في قصائده لاعلى سبيل التكلف ؛ بل بعفوية مطلقة حـــتى إننا لنجد الكثير من قصائده إن لم تكن جميعها حافلة بهذا الفن التصويري الرائع مما يستوجب بحثاً مستقلاً ولكن يكفينا في بحثنا هذا إيراد شواهد معدودة للغوص فيما تحمله من صور فنية رائعة جعلت المعاني تتراقص على فنن بحوره وقوافيه الشعرية .

انظـــر إلى براعـــته في الوصـــف ودقته البالغة في تصوير الحركة السريعة لإحدى الراقصات في قصيدته (راقصة) [1] ، حيث يقول :

مقبلـــــــــةٌ مدبـــــــــرةٌ		مائلـــــــــــــةٌ معتدلـــــــــة
كأن تحت أخمصيـــــــــــــــ	(م)	ـــــــــــها جمرةً مشتعلــــــه
باسمـــــــــــةٌ يحسبهـــــــــا		كل فتى تبسم لـــــــــــــــــه
تدور حول نفسهـــــــــــــــا		كما تدور العجلـــــــــــــــه
وتنثني كأنهـــــــــــــــــــا		عن نفسها منذهلـــــــــــــــه
أبدلها خالقهـــــــــــــــــــا		بكل عظم عضلـــــــــــــــه
ياحسنها إذ عركـــــــــــــت		أنملة بأنملـــــــــــــــــــه
أناملٌ من فضـــــــــــــــة		لينة مُنفتلـــــــــــــــــــه
جميعُ مافي جسمهـــــــــــا		يغريك أن تقبلـــــــــــــــه
والسحر كل السحر في الـــــــ	(م)	أُنوثة المكتملـــــــــــــــه
من ترمه بلحظهـــــــــــــا		أدنت إليه أجـــــــــــــله
كم ارتقت مسرحهـــــــــــا		فصيرته مقصلـــــــــــــــه

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٥٠ .

فهذه الراقصة وهي ترقصُ على خشبة المسرح تبدو في آن واحد مقبلةً مدبرةً مائلةً معتدلةً واقفةً على مشطي قدميها . وعندما أراد الشاعر أن يجسد هذه الصورة التي التقطها بعين بارعـــة ربما تغيب على أذهان الآخرين قدم هذه الصورة السريعة من خلال التشبيه حيث شبه وقفتها الفنية تلك وكأن تحت باطن قدمها جمرةً مشتعلة تجعلها تتحاشى وصول باطن القدمـــين إليها ولعل هذه الصورة التشبيهية الرائعة من الصور الفنية التي لم يسبق إليها . كما يشبهها وهي تدور حول نفسها بدوران العجلة ولعلك تلمس معي مالهذا التشبيه من دور كبير في تجسيد خفة الراقصة ورشاقتها . وقد ساعده على هذا التجسيد تلك الصورة المبتكرة التي قدمها في قوله :

أبدلها خالقهـــــــــــــــا بكل عظم عضلـــــــــــــــــــه

وذلـــك لما تتميز به العضلة من قدرة على التثني والالتواء على عكس العظم الذي يتسم بالصلابة . أما أنامل تلك الراقصة البيضاء اللينة المنفتلة فليس أوضح في تقديمها من صورة الفضة البيضاء اللامعة المتلدنة حيث يقول :

ياحسنها إذ عركـــــــــــــت أنملةً بأنملـــــــــــــــــه
أنامل من فضـــــــــــــــة لينة منفتلـــــــــــــــــه

إلا أن هـــذا التصوير لم يثن محمود غنيم عن تقديم بعض الصور بشكل تقريري إذ رأى في ذلك التقرير ما يغني عن التصوير ، كما في قوله :

جميع مافي جسمهـــــــــــــا يغريك أن تقبلـــــــــــــــه
والسحر كل السحر في الـــــــــ (م) أنوثة المكتملـــــــــــــــه

وفي قصيدته (مبايعة الفاروق) [1] يقدم لنا عظمة الملك فاروق عند توليه العرش فـــلا يجـــد أبلغ في التصوير من فن التشبيه ليقدم لنا في صورة حسية جلال الطلعة وهيبة العظمة وخشوع الرعية وهيمنة الملك وكل هذه المعاني يعرضها لنا من خلال قوله :

النيل تحملُ سبط إسماعيـــــــــــلا أرأيت نيلا جاء يحمل نيـــــــلاً ؟
لو كانت الأملاك تحدو مركبـــــا لرأيت بين حُداها جبريـــــــــلا

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ٢٠٣.

سارت فغض البحر من غلوائـــــــه ومشى كما يمشي الجواد ذلـــــــولا

هبت عواصفه فكن حيالهـــــــــا رهواً كما هب النسيم عليـــــــلا

مالاطمت أمواجه جنباتهـــــــا بل أوسعت جنباتها تقبيـــــــلا

لو أن زاحفة تفوه، لكــــــبَّرت نينانه وهللت تهليـــــــــــلا

يابحر فوقك درة هيهـــــــات أن تلقى لها فيما حويت مثيـــــــلا

والحقـيقة أن محمـود غنيم في الأبيات السابقة راوح بين صور فنية متنوعة ما بين تشبيه واسـتعارة ، ولـه الحق كل الحق في ذلك فالرجل يحتشد ليقدم لنا صورة معادلة للملك فاروق فلا يجد معادلاً مكافئاً إلا البحر الذي خفف من كبريائه ليمشي كما يمشي الجواد ذلولاً في يد فارسه ليكون رهواً أمام الملك وتصبح عواصفه العاتية نسيماً عليلاً ، وأمواجه تقـبل جنـباته ، وحيـتانه تكبر وتهلل ، كل ذلك لأن البحر يحمل فوقه درةً ثمينة هي (الفـاروق) لـيس لها مثيل فيما يحويه . ولو تتبعنا صور محمود غنيم التشبيهيه في هذه القصـيدة على وجه الخصوص لتبيّن لنا أن ممدوح الشاعر مثل عال لا يضاهيه مثال ولا يشابهه مشابه ، وها هو يخاطبه قائلاً :

قد كان ذو القرنين مثلك يافعـــــاً وأراكما تتشابهان ميـــــــــولا

هيهات أنت أجل منه حضـــــارةً وأعز أوطانا وأكرم جيـــــــلا [1]

وعـندما يحس محمود غنيم أنه قد أسرف في مثل هذه الصور لممدوحه فإنه يحاول تخفيف وطأتها على متلقيه بمثل قوله وهو يسند عظمة ممدوحه وجلال قدره إلى عناية الله التي حققت في الملك الفاروق العهد المأمول والأمل المنشود فيقول :

فاروق تلك عناية الله الـــــــتي قد حققت في عهدك المأمــــــولا

إن الكنانة ظنت استقلالهـــــــا حلماً فكنت لحلمها تأويــــــلا [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٥.

(٢) السابق ، ص ٢٠٥.

ونختـــتم حديثـــنا عن فن التشبيه وبراعة محمود غنيم فيه بمقطوعة من قصيدة له في الربيع بعنوان (نيسان) حيث اخترنا منها هذه اللوحة الفنية الجميلة التي تتآزر فيها ظلال الكـــلمة وإيقاعاتها مع فن التشبيه لتخرج لنا لوحة نراها رأى العين ونحن نقرأ أبيات هذه المقطوعة التي يقول فيها [1] :

إنَّ الربيع كتابُ الحب نقـــــــرؤهُ	الحب حاشية فيه ، وعنـــــــوان
فكلُ عين به كالسيف فاتكـــــــةٌ	وكل قد به كالرمح طعـــــــان
وكل خد به تفاحةٌ نضجــــــت	وكل نهد حواه الصدر رمـــــان
رجعت فيه إلى الدنيا ، أسائلهـــــا :	هل غيرت أهلها أم هُم كما كانوا ؟
ما أخطأت مقلةٌ فيه لها هدفـــــا	إن صوبت سهمها ، والسهمُ حرنان
صيدُ القلوب –كصيد الطير– معركة	لها : سهام ، وأقواس ، وأزمـــــان
بين الظباء وأسد الغاب دائـــــرة	سلاحها : أعين وسنى ، وأجفـــان
كم في الربيع لها فوق الشواطىء ، أو	تحت الظلال – ظلال الدوح – ميدان
تبسم البحر من بعد العبوس ؛ فهـــل	للبحر– أيضا – مسرات ، وأحـــزان

إنهـــا صورة متماسكة غنيةٌ بالحركة واللون والموسيقى فالربيعُ كتاب حب مقروء عـــنوانه وحاشـــيته الحب، والعيون كالسيف تأثيراً وفتكا ، والقدود كالرماح الطعانة ، والخدود كالتفاح الناضج والنهود كالرمان . وكل هذه الصور التشبيهية مجتمعة في جسم حبيب له عينٌ ذات مقلة نظرتها كالسهام لاتخطي صواباً لتجعل صيد القلوب كصيد الطير إذ العيون سفراء القلوب مما يجعل بين الظباء (النساء الجميلات) وأسد الغاب (العاشقين مـــن الـــرجال) حرباً دائرة ليس سلاحُها من الأسلحة المتعارف عليها بين الناس ، وإنما ســـلاحها من نوع خاص يتمثل في الأعين الوسنى ، والأجفان الناعسة المحركة للمشاعر . وكـــل جزيئات الصورة الفنية السابقة تجتمع في ميدان واحد وهو ظلال الدوح مما يجعل البحر في صورة الإنسان الذي يحمل المشاعر والأحاسيس يتبسم من بعد العبوس حتى كأنه

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٩.

يشارك الإنسان مسراته وأحزانه .

وما كانت هذه الصورة الجميلة لتتأتى لولا قدرة الشاعر البيانية وموهبته الشعرية التي جعلت من الكلمات والتراكيب والصور الجزئية والكلية لوحةً حيّة نقلها محمود غنيم إلى متلقيه في صورة فنية تكاد أن تكون أجمل مما هي عليه في الواقع .

٢ - المجاز :

عـــندما يحاول الشاعر أن ينقل معاني وأفكاراً إلى الملتقي ، فإنه يرى أن اللغة في استعمالها عـــلى وجه الحقيقة لا تفي بغرضه ولا بهدفه الذي يرمي إليه . ومن ثم يصير لزاماً عليه أن يتجاوز وينتقل بدلالات ألفاظ اللغة وتراكيبها إلى ماهو أبعد صورة وأبلغُ بياناً ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ، وليـــس يتأتى ذلك إلا عن طريق المجاز بكل أنواعه وصوره . من هنا " فإن دراسة العملية المجازية لا تتناول الألفاظ كمفردات مثبتة في المعجم ، وإنما كعناصـــر مـــتداخلة في تركيب لغوي مفيد . وفي إطار هذا التركيب ، نُظر إلى الكلام علـــــى أنه في وجهين " [(١)] . وقد تنبه علماء البلاغة الأوائل أمثال عبد القاهر الجرجاني إلى هـــذه العملية المجازية فقال : " الكلام على ضربين : ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدُلكَّ اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدارُ هذا الأمر على " الكناية" و" الاستعارة" و" التمثيل" " [(٢)] ، ممـــا يعني أن الشعر العربي يغُص بالكثير من طرق المجاز التي تطلق حرية الشاعر ، وتزيد من قدرته على التحليق في أجواء خيالية واسعة.

---

(١) صبحي البستاني : الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع ، الطبعة الأولى ، (بيروت – لبنان : دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م) ص٦٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٢ .

ومــن هــنا ينبغي أن تكون نظرة الناقد إلى العمل الشعري متسمة بسعة الأفق ، وذلك لأن " الشاعرَ لا يجب أن يُؤخذ عليه في كلامه التحقيق أو التحديد ، فإن ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه ، وكلام القوم مبنيٌّ على التجوز والتوسع والإشارات الخفية ، والإيمــاء على المعاني تارةً من بعد، وأخرى من قرب، لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق ، إنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم " [1] .

وبتطبيق ذلك على ديوان محمود غنيم يتبين لنا منه كيف اعتنى بصوره الفنية عناية كبيرة لينقل تجربته إلى الناس في لوحات فنية معبرة عن حياته وواقعه الذي يعيشه .

ولننظر مقطعا من قصيدته (وطنٌ ينادي أهله) يصور فيه مأساة فلسطين الجريحة . فيجعل من ماء غدرانها دمعاً ؛ بل إنه يشخصها في صورة امرأة فقدت أهلها فزاد حزنها عليهم ، كمــا جعــل كــل ما عليها من إنسان وحيوان ونبات وجماد متأثراً بهذه المأساة . فشبه واستعار وكنى كل هذا ليقدم لنا لوحة فنية معبرة . يقول :

أخي ، هذه الأرض ماشأنهــــا ؟ يكاد يُناجيك بنيانـــــــها !

تكادُ لفرط أساها تفيـــــــضُ من الدمع – لا الماءِ – غدرانُهـــا!

بربك : هل فقدت أهلهـــــا فزادت على الأهل أحزانُهــــا ؟

لقد حلها غيرُ سُكانهـــــــا وعنها ترحل سُكانهـــــــا

على بابها صاح طيرٌ غريـــــبٌ فناح على طيره بانهـــــا !

إذا ذُكر العرب ؛ حنَّت، وأنَّـــت وراحت تلوحُ أغصانهـــــا !

وصاحت تهيبُ بجيرانهـــــا فهل سمع الصوت جيرانهـــــا ؟

فلسطينُ ، أرضُ العروبة عـــــينٌ وأنت من العين إنسانُهـــــا

---

(١) المرتضي ، الشريف : أمالي المرتضي ، الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م) ٢/٩٥ .

فلا غمضت عنك عينُ فتـــــاك ولا ذاقت النوم أجفانهـــــــــا

إلى أن أقبل أرضك سبعــــــــا فتهدأ نفسي وأشجانهـــــــــا

فإن عشت، تخمد بقلبي حقـــــودٌ تسعَّرُ في القلب نيرانهـــــــــا

وإن متُ ، لم تُنسنيكِ الجنــــــان وحورُ الجنان وولدانُهـــــــــا

وخلفي لثأري وثأر بـــــــلادي أسود الحروب وفرسانهـــــــــا

إذا صفحات البطولة خُطّـــــت فإن العروبة عنوانهـــــــــا [1]

فالتشـــخيصُ يتجلى في مثل قوله : (هل فقدت أهلها ، تلوح أغصانها ، صاحت تهيـــب بجيرانهـــا) ، حيـــث جعـــل منها المرأة المفتقدة للأهل الصائحة في جيرانها ثكلى مســـتغيثـــة . وأما الاستعارة فتلمسها في مثل قوله : (يناجيك بنيانها ، ناح على طيره بانها) ، وفي تكنيته بقوله: (على بابها صاح طيرٌ غريب) مايدل على شؤم المنظر ولوعة الفـــراق ، وحـــرارة الـــبعد . ولك أن تتأمل دور تلك الأساليب المجازية التي يستعين بها الشعراء عادة في تجسيد حالاتهم النفسية المختلفة . في مثل قوله من قصيدة لـــــه بعنوان (فيلســـوف الشرق) ؛ حيث جعل الشرق يجزع ، وجعل من الأسفار أكفانا ، وجعل للألفاظ دولة كل لفظة منها خادمة طيعة لعباس العقاد :

جزع الشرق، وأجرى أدمعـــــه ! ليت شعري : أي خطب روعـــــه ؟

كفنوا العقاد في أسفـــــــــاره وادفنوا المرقم والطرس معـــــــــه

دولة الألفاظ في خدمتـــــــــه إن دعا اللفظة ، جاءت طيعـــــه [2]

وفي استنكاره عما قامت به محكمة السلام التابعة لعصبة الأمم والتي تتولى الفصل في المـــنازعات الدولية وظف محمود غنيم المجاز ليقدم لنا صورة حية لتلك العصبة الظالمة فـــروما تهز صفحة الحسام بينما جنيف تفتح شفتيها بابتسام وفي هاتين الصورتين توبيخ لعصبة الأمم التي صورها الشاعر بالقاضي الراضي عن الإجرام والأولى بالاتهام ، فيقول :

---

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٩١ .

(٢) السابق ، ص ٨٠٧ .

ويحي على محكمة السـلام

محكمةٌ لكن بلا أحكـام

للهو، لا للنقض والإبـرام

سابحة في عالم الأحـلام

والسيف يبري الهام كالأقـلام

ألم تر العصبة في المنـام

تحرش الذئاب بالأغنـام

" روما " تهز صفحة الحسـام

وشفتا " جنيف " في ابتسـام

إن رضىَ القاضى عن الإجـرام

فإنه أولى بالاتهـام

ويحٌ لحام من أخيه سـام !

ياسودُ ، ما أنتم من الأنـام (1)

٣ – الرمز :

مايجب أن نضعه في حسباننا أن الرمز الذي نقصده هنا ليس تلك الرمزية المنهجية المعدودة ضمن المذاهب الأدبية الحديثة والتي تقوم على " إذابة الحواجز بين الحواس فيصبح مـا يـرى مسموعاً وما يُشَّم ملموساً وهي مذهبٌ توغل فيه بعضٌ منهم لدرجةٍ يصعب إدراكها على العقل البشري فبعضها يصبح طلاسم دون حدٍ يحدها أو ضابطٍ يضبطها"(2)

ورغم أنَّ محمود غنيم من شعراء العصر الحديث الذي تأثر أغلب شعرائه بالرمزية الغربية إلا أنه كان امتداداً لشعراء مدرسة الإحياء المحافظين ولم يخض في جميع موضوعات الشعر الحديث وبقي بمعزل عن الرمزية الممنهجة في تعريفها السابق ، واستعاض عنها

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٦٥ .

(٢) محمـد الحسن علي الأمين : الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر العربي ، د.ط ، (مكة المكرمة ، مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥هـ) ، ص ٩٧ .

باستخدام الرمز الذي فيه إحياء للتراث العربي الإسلامي ، وربطٌ لحاضر الأمة بماضيها والإكثار من ذكر رموز البطولة والشجاعة في تاريخنا ، دون أن يسرف في ذلك ، على عكس ما عليه الحال عند بعض الشعراء المعاصرين الذين أصبحت القصيدة عندهم غابة من الرموز والإشارات التاريخية والأسطورية ؛ بل والطلاسم التي يقف المتلقي أمامها حيران لا يعرف مقاصد الشاعر فيبقى في ضبابية عمياء في عصر يتطلب اللب ويأبى القشرة .

وبعد إطالة تجوالٍ في الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم يمكننا تقسيم الرّمز في شعره إلى:

أ – الرمز المعجمي .

ب – الرمز التاريخي .

ج – الحكاية الرمزية .

١ – الرمز المعجمي :

ونقصد بذلك معجم اللغة " إذ إنَّ مفردات اللغة تشكل كلها مادة جديرة بأن تصبح رمزاً دون أي مفاضلة فيما بينها . ويعود الدور في ذلك للشاعر الذي ينتزع اللفظة من المعجم أي من معناها الاصطلاحي ، ويحولها إلى رمز تتحرر به من مدلولها الضيق لتكتسب معاني جديدة وتأويلات لا محدودة " [١]. والنماذج التي سنوردها في هذا المجال (مجال الرمز المعجمي) أقرب ما تكون إلى المجازات والكنايات التقليدية ، ولكنها – مع شيء من التوسع – يمكن أن تعتبر رموزاً لما تدل عليه . ومما ورد في شعر محمود غنيم من هذا النوع من الرمز قوله :

ليست الحرب في امتشاق السلاح ... بين سمر القنا وبيض الصّفاح

ونسور في الجو تعصف بالنا ... س وبالأرض عصف هُوج الرياح

إنما الحربُ جهل ، وفقر ... وسقام ، هذا مجالُ الكفاح

تلك حرب توطدٌ السِّلم بين النا ... س فيها صيانة الأرواح [٢]

(١) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، ص ١٩٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٦ .

حيث نرى أن الشاعر خرج بكلمة (الحرب) من معجمها اللغوي الممثل في امتشاق السلاح ومقابلة الأعداء والصولة والجولة بين سمر القنا وبيض الصفاح إلى حرب من نوع آخر هي عند الشاعر وعند من يقدّر للأمور حسابها أشرس بكثير من حرب العدو المحسوس ، ذلك أن حرب الجهل والفقر والمرض إنما هي الحرب الضّروس التي تمثل مجال الكفاح الحقيقي فتلك أعداءٌ ثلاثة أوصى الشاعر بشنّ الحرب عليها فقال :

تلك أعداؤنا الثلاثة – لاكـــا نت غزت مصر من جميع النواحي
فخذوا حذركم ، وشُنُّوا عليهـا الحرب؛في المدن،في القرى،في الضواحي [1]

وكلمة (الزعانف) في معناها اللغوي تعني (أجنحة السمك أو طرف الجلد كاليدين والرجلين) [2] إلاَّ أنّ محمود غنيم رمز بها إلى بعض الوصوليين الذين يتمسحون بالمرحوم دسوقي أباظة فيكدرون صفو مجالسه الأدبية الممتعة ، فيقول :

زعانف إبراهيم كدَّرن صفوه ومن مثلُ إبراهيم لولا زعانفه ؟
هو الروضة الغنَّاءُ ، طنَّ ذبابُها ففارق مغناها من الطير هاتفه
إذا اكتنف الزهر الذباب فإنني – وإن أنبتته جنَّةُ الخلد – عائفه [3]

كما نلاحظ في الأبيات رمزه لمجلس الأدب بالروضة الغناء ، والأدباء بالزهر ، والوصوليين بالذباب الذي يكتنف الزهر فيعافه الناس لقذارة الذباب .

وهاهو محمود غنيم يرمز لنفسه وقد طال مكثه ببلدة كوم حمادة مدرساً (بالأسد السجين) الذي طال سجنه . فإذا بالمرحوم (أنطون الجميل) يحطم قيد الأسد السجين ليعود إلى عرينه وبلده الأمين فيقول :

حطِّم قيد الأسد السجين
مُحطِّم الفولاذ باليمين
فليعد الأسد إلى العرين

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٢) المنجد في اللغة والأعلام ، الطبعة السابعة والثلاثون ، (بيروت – لبنان ، دار المشرق ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٩٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٨١ .

أهلا بمصر البلـــــد الأمين [1]

وأخـــيراً نقـــف بالرمز المعجمي لدى محمود غنيم عند رمز إسلامي تعطره نسمات الحرم المكـــي ونفحاته . فهاهو يرمز للحسان المتنسكات في الحرم الشريف بـــ (حمائم الحرم) حينا ، وسرب الآرام حينا آخر ، كما يرمز لنفسه وللرجال أشباهه بـــ (الليث) الهصور لكـــنه يكـــف هذه المرة عن افتراس المهات ، لأنه في مكان تقف عنده عزائم الرجال ، فيقول :

حيّ حمائم الحـــــــــــــــــرم — بالبيت سربُها اعتصـــــــــــــــــم

سربٌ من الآرام مـــــــــــــــا — حواه بانٌ أو علـــــــــــــــــم

من كل خود كسنا الصـــــــــــــ — ـــبح إذا الصبحُ ابتســـــــــــم [2]

٢ – الرمز التاريخي :

استخدم غنيم هذا النوع من الرمز في بعض تجاربه وقصائده بصورة عفوية ليس فـــيها غموض أو إبهام .وهو في الوقت ذاته _ وكما أشرت سالفاً _ لم يكن شعره شعراً رمـــزياً خالصـــاً ؛ بل فيه ملمح من ملامحه . وقد وفق الشاعر من خلال استدعائه لتلك الشخصـــيات التاريخـــية أن يجعلها وسيلة تعبير رمزية عن تجاربه الحالية والمعاصرة ، وأن يوظفها توظيفاً يتناسب مع ما يرمي إليه .

والنماذج الشعرية على ذلك كثيرة ، لكننا نكتفي منها بنموذج قصير من قصيدته (لانكسة) يستدعي فيها الشاعر شخصية خالد بن الوليد التي تحولت مع مرور الزمن إلى شخصـــية رمزية تردد ذكرها على ألسنة الكثيرين من الشعراء . فنراه يحاول الربط بينها وبـــين واقـــع عصره الأليم وما عليه المسلمون من تفكك وخنوع ليحرك المشاعر ويثير الضمائر حتى يهب العرب للجهاد ويقتحموا ميادين القتال ، فينتصروا على عدوهم :

شعب العروبة ، مافعلت بخالـــــــد — وتراثه ؟ أترى التراث تبعثـــــرا ؟

إني لألمح روحه من فوقنـــــــــــا — قد رفرفت ، مثل الخيال إذا ســـــرى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥١ .

ترنو إلى اليرموك وهي مُشيحـــــــةٌ وتقول : إني لا أصدق مـــــا أرى !

أين الفتوحات التي استخلصتهـــــــا من دولتي :كسرى العظيم ، وقيصرا ؟

بم كان يُنصر خالدٌ ؟ ألأنـــــــــه من جندل ، لا من تـــــــراب صُوِّرا

لكنه يغشى الوغى متقلـــــــــداً : بالصبر درعاً ، والعقيدة مغفـــــرا [1]

فخـــالد هنا رمز لروح الجهاد والتضحية التي اختفت من قاموس المسلمين ، و لم يعــودوا يكترثون بها ، واليرموك رمزٌ لمعركة نصر كبيرة مرتقبة تتطلع الأمة إليها لتعيد بها مجدها السليب وعزها المفتقد .

٣. الحكاية الرمزية :

اســتطاع غنيم أن يحقق في كثير من قصائده شكلاً من أشكال القصة التي تعرف بالقصـــة عـــلى لسان الحيوان وهي :" حكاية ذاتُ طابع خلقي وتعليمي في قالبها الأدبي الخاص بها . وهي تنحو منحى الرمز في معناها اللغوي العام ، لا في معناه المذهبي ؛ فالرمز فـــيها معناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وحوادث على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة " [2] .

ولهـــذه الحكايـــة الرمزية جانبان " جانب مباشر وحرفي وجانب آخر هو جانب الدلالـــة الأخلاقية أو النفسية أو الدينية " [3] . ويتمثل الجانب الأول في عالم الحيوان ،أما الثاني غير المباشر فهو المجتمع الإنساني الذي يعيشه الأديب .

وقد وفق غنيم حينما استخدم تلك العناصر المستمدة من عالم الحيوان للتعبير عن تجاربه المعاصرة ، ومن النماذج الشعرية التي تحقق فيها ذلك النوع من الرمز :

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٦٣ .

(٢) محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٢م) ص١٧٩ وتاليتها.

(٣) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الصول والفروع ن ص١٧٤.

القط :

عـــند تتـــبعي لذكر هذا الحيوان في ديوان الشاعر وجدتُ أن اسم القط قد جاء عرضـــاً في بعض القصائد والمقطوعات و لم يأت كموضوع أساسي بصفة مباشرة إلا في قصيدة (القطط) التي كتبها الشاعر لهدف سياسي اجتماعي محدد ، ومن هنا لم يهتم فيها بوصـــف شكل القطط الخارجي وهيئتها وأنواعها وفروها وذيلها وسرعتها . وإنما كانت القصـــيدة عبارة عن فكاهة ودعابة تمتزج بالسخرية والتهكم عن (قطين) رآهما الشاعر في مكـــان مـــا ، فوصف طريقة حياهما وعيشتهما ، فهما قطان تآلفا على سلب الطعام ، وافتضحا عند حضور القسمة ، وكل منهما يحمل معايب كثيرة ، ومشاكلهما لا تنتهي ، والـــتحدي بيـــنهما قـــائم ، ولكن مايلبثان إلا ويصطلحان خوفاً من صاحب البيت ، وصلحهما في الظاهر فقط أما في الباطن فهما عدوان ، ثم يصورهما وهما في صورة مزرية عـــندما يفران من كلب نابحٍ هجم عليهما ، وهذه القصيدة ماهي إلا رمزٌ وتنديد بالخونة من المواطنين الذين يتخاصمون ويتشاحنون فيما بينهم لسرقة ثروات الوطن ونهب خيراته ، ولكنهم يتظاهرون أمام الشعب بالوفاق والوئام ، حتى إذا جاء المستعمر الغاشم خضعوا له وأحنوا رءوسهم أمامه :

قطان ألف سلب الزاد بينهمـــــــا حَتى إذا اختصما في القسمة افتضحا

لكل قط مخازٍ لو قذفت بهـــــــــا في البحر ما راق ، أو في الروض مانفحا

كُلٌ تحدًى أخاه، غير أنهمـــــــــا لم يأمنا بطش رب البيت ، فاصطلحا

صلحٌ مريبٌ، وجُرح جف ظاهُـــره فكلما داعبته نسمة نضحـــــــــا

كأنني بهما فضا نزاعَهمـــــــــــا يوماً، وفراّ أمام الكلب إذنبحـــا [1]

الفأر :

يـــبدو أن غنـــيماً حينما تحدث عن الفأر كان يرمز بطريقة غير مباشرة إلى بعض الآفات الاجتماعية في عصره كصورة الفقر مثلاً ؛ لأن الفئران لا تسكن في الغالب إلا في بيوت الفقراء ، لاسيما الخربة منها ، و لم نسمع بأن قصور الأغنياء التي تحتشد بالخدم

(١) ا لأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٢٨٧ .

والحشـــم تســـكنها الفئران ويدل هذا الوصف أيضاً على أن غنيماً لم يترك شيئاً في الطبيعة إلا ووصفه وصوره ووظفه في قصائده أحسن توظيف .

فهـــذا الفـــأر مثلاً أغار على كتبه وفراشه وثيابه ومزقها أشد تمزيق ، كما أنه حول أرضية البيت إلى أسرابٍ وطرق ، وقرض أبوابه وأخشابه وجدرانه :

يا قارض الفراشِ والثيـــــاب

وفاجع القارئ في الكتـــاب

ومالي المترل بالأســـــــراب

ونافذاً من أحكم الأبـــــواب

بأي ظفر أم بأي نـــــاب

تعملُ في الجدران والأخشاب ؟

ثم يصف سنه الحادة وكأنها من أسنة الحراب :

سنك من أسنة الحـــــــراب

لا كُنت يا أحذر من غراب ! (1)

وكـــم هي معاناة غنيم من ذلك الفأر الحذر فمع تلك الوسائل التي أعدها لصيده مـــن وضع المصيدة على الباب ، ودس السُم في الطعام والشراب إلا أن البيت لم يخلُ من الخراب والدمار :

كم وُضع الفخُ علـــى الأعتاب

والسمُ في الطعـــام والشراب

فما نجا البيـــت من الخراب

ويســـخر غنيم من جلده الحالك في السواد ذي الرائحة الكريهة العفنة ، ويدعو عليه بقطٍ كبيرٍ كالليث المفترس يأكله ويريح البيت من شره :

رُميـــتَ يا مخلو لكَ الإهاب

بكل قط مثلِ ليـــث الغاب (2)

---

(1) المصدر السابق ص١٣٨ .

(2) السابق ، ص١٣٨.

الديك :

مـــن الوصف الساخر للحيوان عند غنيم وصف ديك هزيل أقام به للشاعر أحد أصـــدقائه مأدبـــة في سفح الهرم [1] . وفي هذا الوصف الساخر للديك إشارة إلى بعض السلوك الإنساني وهو البخل، فهذا الديك الهزيل ينم عن بخل صاحبه وشحه ، فهو ديك عسير الهضم ، هزيل الجسم لو تصارع مع الجرادة لرفسته بقدمها :

تباً لديكك يا أخـــــــــي هُضِـــــــم الحديدُ وما الهضم
ديكٌ هزيلُ الجسم تـــــــــر (م) كله الجـــــــــرادةُ بالقدم [2]

وهـــذا الديك ليس من الديوك المخدومة المنعمة ؛ بل إن حالته المتهالكة تدل على أنه كان خادماً وساعياً :

في دولة الأدياك كــــــــا (م) ن من السُعاةِ أو الـــــــخدم [3]

ولضـــعفه وهُـــزاله بان عظمه ، فالتصق بجلده والتحم ، فلا لحمَ فيه ولا دسم . وخشـــيت الأيادي من لمسه وأكله فكأنه حمام الحرم الممنوع صيده ، حتى في نسبه تبرأت منه العرب والعجم :

زعموه رومياً ، ومنـــــــــــــه العرب تبرأ والعجم

ويتعجـــب غنيم من خلقة ذلك الديك ويُقدس الله القدير الذي خلق الخلائق من عدم :

لما بدا قدستُ مـــــــــــن خَلَـــــــــقَ الخلائق من عدم [4]

ويرتـــبط صياح (الديك) عادة ببزوغ الفجر وطلوعه . و الشاعر هنا يناجي ذلك (الديك) ويسأله عندما صاح : هل هذا نشيد الصباح؟ فكأنّ الشاعر في حاجةٍ ماسة إلى شيءٍ يهدي من روعه، ويبعث في نفسه الأمل والسعادة . ولكن سرعان ما يجيبه الديك

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٥٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٥٧٥ .

(٣) السابق ، ص ٥٧٥ .

(٤) السابق ، ص ٥٧٥ .

بقوله : إنني أنعي يوماً قد مضى من صفحة حياتي وفي هذه الإجابة الصريحة من الديك يزداد ألم الشاعر في البعد عن الأمل والتفاؤُل :

قلتُ ، يوماً ، للديك ساعةَ صاحـــا　　　هل تغني لنا نشيـــــــــــد الصباح؟

قال : لا ، بل نعيتُ يوماً راحـــــا　　　ومحـــــــــاه من صفحةِ العمر ماحِ [1]

الأسد السجين :

أنشـــأ الشـــاعرُ هذه القطعة ، يناجي بها الأسد ، في بعض زوراته لحديقة الحيوان بالجيزة [2] . وهو هنا يخاطب ذلك الأسد السجين نظراً لما بينهما من تشابه ، إذ إن كلاً مـــنهما مسجون : هذا في قفص ، والآخر في تلك القرية النائية (كوم حمادة) . فالأسد هـــنا رمزٌ لشخصية الشاعر تلك الشخصية التي عاشت في عزلة تامة وغربة موحشة بعد ذلك الطموح الذي عاشه فترة دراسته في دار العلوم إلى أن تخرج معلماً .

انظر إليه وهو يخاطب الأسد المسجون وينعته بأحب الأوصاف إليه (الهزبر) ويقول لـــه لست وحدك حزيناً مسجوناً في هذه الدنيا فنحن أيضاً في سجن وحزن مثلك ولكن مع ذلك يعزُّ علينا أن نراك حزينا :

أعزز علينا أن نراك سجينــــــــــا !　　　عِش ،يا هِزَبرُ كمـــا نعيش حزيناً [3]

فحالةُ كلٍ من الأسد والشاعر متساوية ومتعادلة فهما في أسر السجن :

بك ، يا هزبرُ ، من الإسار كما بنـــا　　　قوسٌ رُميتَ بسهمهم ورُمينـــــا [4]

وهما يشكوان ذل الأسر ونقمته ، فلا يستجيب أحد لصراخهما وزئيرهما . فكأن السجن والأسر أصبح مصيرهما طول الحياة :

إن تشك من ذُل الأسار ، فكلنـــــا　　　أُسْدٌ تئنُ من الإسار أنينـــــــــــا

تركوك تزأر ، يا غضنفر ، كلمـــــا　　　رمت الزئير ، فليتهم تركونـــــا !

هل طاب عيشك بيننا ، ياابن الشرى　　　لك ، إن رضيت بذلةٍ ورضينـــا [5]

---

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٨٤ .

(٢) السابق ، ص٢٤٦ .

(٣) السابق ، ص٢٤٦ .

(٤) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٥) السابق ، ص ٢٤٦ .

ثم يخرج تلك الصرخات المتعالية التي فاضت نفسه بها ، حيث لم يعد يحتمل الذل والهــوان في ذلك السجن فإما أن يحلوا وثاقه ويطلقوا إساره ، أو يحطموا في داخله طبيعة الإباء ورفض الاستكانة :

حُلوا عن الأسد الهصور وثاقــهُ أو فاسلبوه إباءهُ ليهونـــــــا [1]

فصمته وسكوته ليس ضعفاً وتهاوناً ؛ بل إن في صدره نارا تتأجج بسبب ما وصل إلـــيه حاله ، وهو يتمنى رؤية الموت وطعمه عن أن يذوق الذل والمهانة ، ثم يستنكر على أولئك الناس أنهم يكلفون الأسد غير طباعها ، ويسعون إلى ترويضها لتلين لهم . ويريدون إذلال الأمة التي اتخذت من الكرامة دينا لها ، وكأنهم بذلك يريدون من الكون أن يتوقف عن الدوران ، وأن تتحول كواكبه إلى سواد دامس :

لا يخد عنكم الهزبر بصمتـــــــه فلعل في صدر الهزبر أُتُونـــــــــا

عيني ترى شبح الحمام ، ولا تـــرى حُراً أبي النفس بات مهينـــــــــا

أتكلفون الأسد غير طباعهـــــــا وتروضون جماحها لتلينـــــــا ؟

أو تحملون على المذلة أمـــــــةً عزلاء تعتبرُ الكرامة دينـــــــا ؟

حتى تكفَ الأرضُ عن دورانهـــــا وتحولَ أجرام الكواكب جُونـــا [2]

فصـــــــورة هذا الأسد السجين هي نفسُ صورة (الشاعر) المنفي في تلك القرية النائية . وإنما اختار الأسد هنا ليرمز به عن نفسه لما بينهما من تشابه في الحال . ولما يحمله ذلك الهزبر من معانٍ سامية نبيلة كالإباء ، وعزة النفس ، والكرامة، والقوة ، والطموح ، والحرية ، والصبر ، والجلد ، ورفض الضيم .

ولكـــن ذلك (الأسد) الأسير لم يتحمل رتابة القفص ؛ بل حطم القيد والفولاذ وعاد إلى عرينـــه . والشـــاعر في هذا يرمز إلى حالــــه عندما نُقـــــلَ إلى القاهرة سنـــــة (١٩٣٨م) [3] ".

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٢٨٢ .

وكـــان صاحب الفضل في نقله هو الأديب : " أنطون الجميل" على إثر مقالة " توفـــيق ضعون" التي سبقت الإشارة إليها ، وفيها ينعي " ضعون " على وزارة المعارف – اسم وزارة التربية والتعليم – على تركه بعيداً عن القاهرة " [1] يقول في أرجوزة له عن ذلك :

حطم قيد الأسد السجـــــين

محطم الفولاذ باليمـــــين

فليعد الليث إلى العريـــــن

أهلاً بمصر البلد الأمـــين

من بعد تسعة خلت تـــؤويني [2]

وعندما تنافرت الأحزاب الحاكمة في مجتمعه ، واختلفت رؤيتهم تجاه الرعية راح يرمز إلى تلك الصورة بـــ (ليثين) في غابة سارا على نهجين مختلفين في اقتناص الفريسة فـــالأول : همه اقتناص (النمور) والآخر : همه اقتناص (الغزلان) وفي هذا إشارة إلى حالة الأحـــزاب المتـــنازعة والاستعمار المرير . فالشعب إما نمرٌ صعب المنال . أو غزال سهل الافتراس :

غابٌ مررتُ به، به ليثـــــان ... سارا على نهجين يقتنصـــان

هذا يغير على النمـــور ، وذاك لا ... يُلوى على صيدٍ سوى الغـــزلان

فأخو النمور يكدُّ خلف نمـــوره ... كداً ، وليس له بهن يـــدان

فإذا أصاب ، أصاب مالا يُشتهـــى ... طعماً ، وعاد مضعضع الأركـــان

وأخو الظباء إذا أحسَّتَ بأســـه ... لاقته بالتسليم والأذعـــان

فيصيبُ منها الليثُ لحماً طيبـــاً ... ودماً يُروّى غُلةَّ الظمـــآن [3]

---

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٦١.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة، ص ٤٨٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص٢٨٨.

الذئب :

استطاع غنيم بفضل ما أوتي من شاعرية أن يجسد صورة الذئب ، ويتخاطب معه وينتهي الخطاب بمقارنة الذئب بالإنسان الذي عاث في الأرض فساداً فأصبح وحشاً ضارياً لا يطـــاق ، يأكل كل ما هو أصغر منه ، ويفزع المرء ويخيف الأطفال ، ويتقي شره كل من في البر والبحر :

قُلتُ للذئب : أنت وحشٌ ضـــــار ... قال : أظفاركم شأت أظفـــــاري

أفعارٌ أن يقنصَ الذئب سخــــــلاً ... واقتناصُ البعير ليس بعـــــــار؟

أفزعَ المرء كل شاءٍ وإبــــــــلٍ ... وأخافَ الطيور في الأوكـــــار

استغاث العُقابُ في الجو منــــــه ... واتقى النونُ شره في البحـــــار [1]

ثم يندد (بالمستعمر) الأجنبي على البلاد ، ويرمز له بصورة (الذئب) الذي يتصف بخبثه – كمـــا أسلفت – ويجعل القيادة المحلية على مصر في صـــــورة (كبشٍ) يطيع أمره ، ويـــنفذ ما يقوله الاستعمار أما (الشعب) فهم (القطيع) المتبقي من الغنم الضعيفة وفي هـــذا تـــنديدٌ وتأكيدٌ على ظلم المستعمر ، وسلبه حقوق الشعوب بطرق غير مشروعة ، واغتصاب الأرض والممتلكات ، بينما الشعب أعزل من السلاح ، لا يقاوم ولا يناهض ، نظراً لضعفه وقلة حيلته ، وهل تستطيع الشياة الضعيفة مقاومة خبث الذئب وقوته !

الكبشُ قام خطيباً فوق رابيـــــــةٍ ... ينعي على الذئب فتك الذئب بالغنمِ

فتمتمَ الذئبُ في أُذنيه: أنت علـــى ... رأس القطيع أميرٌ نافذ الكَلـــــــمِ

فقبل الكبش ناب الذئب معتـــذراً ... عما رماه به من سالف التهــــم

وقال للشاء ، خوضوا ، وارتعوا معهُ ... من لاذ بالذئب منكم ، لاذ بالحـــرم

فإن تصب أحداً منكم مخالبــــــــهُ ... فإنها بلسمٌ يشفي من السقـــم [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٨٨.

(٢) السابق ، ص ٢٨٨.

الكبش :

غالباً ما يرمز الشاعر إلى الشعب المظلوم من قبل الاستعمار الغاشم بـ(الشاة) أو (القطيع) ، ذلك لأنّ من شأن (الشياة) الضعف وعدم القدرة على الدفاع عن نفسها وامتلاك مصيرها .

و الكبش عند الشاعر رمزٌ للعميل الحاكم الموالي للاستعمار الأجنبي وفي قصيدة (الكبش شق العصا) يصور معاناة الشعب المصري الذي لا حول له ولا قوة في ذلك الوقت . ويوضح موقف (الحاكم) المتواطئ مع المستعمر الأجنبي الدخيل على البلاد بعدته وعتاده والذي منح الحاكم حكما صورياً فقط ، يستمد فيه إرادته من السلطة الاستعمارية ، ثم يبين الشاعر الأدوار المختلفة التي قام بها (الكبش) ضد الشعب ، والتصرفات المشينة التي مارسها حياله . وماهي إلا لحظات حتى يذوق ذلك الكبش طعم الموت من مخلب الذئب لعدم مقدرته على إقناع الشعب الأبي الذي رفض الظلم وبدد الاستعمار :

الكبش شق العصا يوماً على الراعي ... وقال للشاءِ : أنتم بعض أتباعي

حتى أحس عصَا الراعي تؤدبه ... كما يؤدَّبُ عبدٌ غير مطواع

فلاذ بالذئب ، يدعوه لنجدته ... ومن سواه يُلبي دعوة الداعي؟

تناولَ الذئبُ قرنيه، وقال له ... أقبل على الرحب ، ياريماً على القاع

وسخر الكبش في صيد الشياهِ له ... فجدَّ في السعي .ضلّ السعي والساعي!

حتى إذا الصيّدُ أعيا الكبش ، مزّقه ... بمخلبٍ مثل حد السيف قطاع

فلا القطيعُ بكاه يوم مصرعه ... ولا الذئابُ نعاه منهمو ناع

وهكذا راح ذو القرنين موعظةً ... وعبرةً ما وعى أمثالها واعِ [1]

وفي قصيدة أخرى بعنوان (الراعي والقطيع) يستمر غنيم في التنديد بالمستعمر الدخيل ويصور معاناة (الشعب) الذي رمز إليه بالقطيع وهو شعبٌ مقهور مكلوم ضيعت حقوقه بين السلطة المشرفة على شؤون البلاد ، والاستعمار الدخيل عليه . فكلاهما يريد أكل خيراته . فالغاية مشتركة والهدف واحد:

---

(١) المصدرُ السابق ، ص ٢٨٧ .

مر القطيعُ بأرضٍ طابَ منهلهــــــا وعُشبهاُ ، فاستقى من مائها ، ورعى
فصاح راعيه: هيا، ياقطيع ،بنــــــا نفلت من اللص ، إن اللص قد طلعا
فقالَ كبشٌ له : ما الفرق بينكمـــا ؟ كلاكما يبتغي من لحمنا شبعَـــــا
دعنا له،وانج - إن أحببت — منفرداً فلستَ أكثرَ زهداً منه أو ورعـــــا
نعم الفرارُ الذي أقبلت تنشـــــدُه لو كان ينقذنا منه ومنك معـــا ! [1]

الضفدعة المغرورة:

هـــذه القصيدة من أقاصيص (لافونتين) الفرنسي الذي نسب إليه الفن القصصي على لسان الحيوان ، وسار على منواله أو موازيا له الشاعر المصري أحمد شوقي . والقصة تـــدور أحداثهـــا حـــول (الغدير) إذ رأت ضفدعة مغرورة ثوراً كان يرتع حول الغدير فأعجبـــت بشكله وقوته وكبر جسمه . وتمنت أن تكون مثله تماماً ولكن ضفدعة أخرى نصـــحتها ألا تغتر وتقلد من هو أكبر منها حجما ، لأن في ذلك استحالة عليها فالفارق بيـــنهما كـــبير . ولكن الضفدعة المغرورة أرادت أن تكون من فصيلة الثيران وأن تعيش عيشـــتها وتفعـــل مثلها فانطلقت إلى الغدير لتفرغه في جوفها الصغير مما تسبب في تمزيق أحشائها أشد تمزيق فغدا فعلها مثلاً في عالم الضفادع (هذا جزاء الجاهل المغرور!) :

ثــــــــورٌ من الثيران كان يرتع حولَ غديرٍ نق فيه الضفـــــــدع
فأكــــــــبرَ الضفدعُ منه شكلهُ وقال : ليتني أكون مثلـــــــه !
قالت لها ثانيــــــةٌ : يا للعجب ! أين مضى عقلك أين ؟هل ذهـــب ؟
فقالت الأولى: غداً تـــــــراني عيناك من فصيلة الثـــــــيران
وتبصرينني أجرُ النورجـــــــا وتسمعين لي خواراً مُزعجـــــــا
وانطلقت تجري إلى الغديــــــر تفرغه في جوفها الصغـــــــير
فما احتست كوباً ولا إبريـــــقا بل مزقت أحشاءَها تمزيقـــــــا
فأنشدت ضفادع الغديــــــــر هذا جزاءُ الجاهل المغـــــــرور [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٨٦.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٨٦

فهـــذه القصة ترمز إلى بعض الصور الاجتماعية الفاسدة كالغرور ، والتباهي ، وتقليد الغرب في العادات والتقاليد الدخيلة .

الحدأة والعصفور :

اســـتمد غنيم هذان العنصران من الطبية المتحركة ليرمز بها كما أشرت إلى بعض الصور الاجتماعية الخاطئة في عصره . فهو يعلن من خلال استخدامه تلك الطيور ثورته عـــلى الحكم وأجهزته ، وعلى نفاق بعض الحكام الذين لا يخضعون إلا لسلطان القوة ، ويتظاهرون بالدفاع عن حقوق الضعفاء وحرياتهم وهم أول من يهضم تلك الحقوق :

مررتُ بحدأةٍ خارت قواهـــــــا — وهاض جناحها بعض النســـــــورِ
تصيحُ بملءِ شدقيها ، وتبكـــــــي — على حرية الطير الأســـــــــير
فلما أن بكت أبصرتُ فاهـــــــا — يلوكُ عظام عصفور صغـــــــير
فقلت لها : سلمتِ لكل طـــــــيرٍ — سجينٍ ، يا محررةَ الطيـــــــور ! [1]

الدب :

حـــيوان مشـــهور بالرّعونة وعدم صواب الرأي والفكر . وهو عند غنيم رمزٌ لذلك القـــائد الـــذي اهتم بمظهره ونسي مخبره فهو فارغ الوعاء لا يملك إبداعاً ولا رقيّاً ولكن لأسباب معينة أصبح قائداً مطاعاً . وفي هذه القصيدة إشارة مضيئة إلى تولي الرئاسة ممن لا يستحقها، فيتولاها من كان له وساطةٌ وعلاقة بغض النظر عن كونه صالحاً أو غير صالح مع أن هناك من هو أجدر منه وأصلح :

شاهدتُ في الغاب قطعاناً من البقـــــر — عيونها كعيون الغيد في الحـــــــوَرِ
يقودها الدبُ ، لا كانت قيادتـــــــهُ — إلى المخاطر باسم الماءِ والثمـــــــر
فضلت السبلَ . مامن حفـــــرة نهضت — إلا لتسقط في أخرى من الحُفـــــــر
حتى انثنى الركبُ : لاريٌّ ولا شبــــعٌ — وكيف يهدي بصيراً زائغ البصـــــر ؟

(١) المصدر السابق ، ص٢٨٨.

آمنتُ بالله !كم بين الورى نفـــــــرٌ   أمس يقودهمو دبٌّ من البشـــر ! [1]

فالشـــاعر يدعو إلى أن يتولى المناصب من يستحقها ويقدر عليها ، ويراعي فيها شـــؤون الرعـــية ، ويستطيع أن يقود غيره إلى بر الأمان بعيداً عن المدح والثناء والمصالح الشخصية ، ثم ينعي أولئك النفر الذين سلموا القيادة والسلطة لذلك الدب من البشر.

وفي آخـــر المطاف يتبين لنا أن الشاعر قد استخدم هذا اللون الأدبي - كما تقدم مـــن نمـــاذج - ليشـــير إلى بعض الصور الاجتماعية . في عصره كالاستعمار ،والظلم ،والاســـتبداد والجشـــع ..... فرأى أن نقل هذه الصور على لسان الحيوانات هي أفضل طريقة للنقد الاجتماعي اللاذع.

---

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص٦١١ .

الخاتمة

في ضـــوء هذه الدراسة الكاشفة لمصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم تأتي خاتمة البحث لتبين ما توصلت إليه من نتائج وتوضح ما أضافه الشاعر من جديد يحسب له في هذا الجانب من جوانب الأدب .

وبعـــد خطـــة مدروســـة جـــاءت هـــذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

وقد عرضت في **المقدمة** : أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث والنهج الذي سار عليه . كما أشرت فيها إلى ما قصدته من مصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم . وألمحت فيها كذلك إلى أنني قد قصرت دراستي هذه على شعره الغنائي دون المسرحي والمتمثل في دواوينه الثلاثة المجموعة في (الأعمال الكاملة) .

أمـــا **التمهـــيد:** فقد استعرضت فيه بصفة موجزه حياة الشاعر ونشأته ، وسيرته الشـــعرية ، ومـــراحل تعليمه ، وحياته العملية ، وأهم أعماله الأدبية التي خلفها للمكتبة العربية .

وجاءت فصول البحث الثلاثة كالتالي :

الفصل الأول : " مصادر الإبداع " وقد جعلته في مبحثين :

المبحث الأول: المصادر الذاتية   المبحث الثاني: المصادر الخارجية .

وقد تناولت في المبحث الأول " المصادر الذاتية" وهي كما يلي :

١ــ الاســـتعداد الفطـــري : وبينت المقصود من الاستعداد الفطري (الموهبة) ، ووضـــحت أنه قد جاء عنده على وجهين : استعدادٌ إبداعيٌ أدبي ، وملكةٌ نقدية واعية . ويتمثل ذلك الإبداع الأدبي عنده في نتاجه الشعري الغزير والمتميز.

أما استعداده النقدي فينعكس في العديد من المقالات النقدية والتحليلية التي شغلت حيزاً لا يستهان به من صفحات الصحف والمجلات .

وخلصـــت في نهايـــة الأمر إلى أن محموداً قد تكاملت فيه صفات الأديب الأصيل والناقد الفذّ . بفضل تلك الموهبة الأدبية والنقدية .

٢- الـــتكوين النفسي : وأوضحت فيه أنّ الشاعر كان معتدلاً في تكوينه النفسي عمومـــاً . فانفعالاتـــه وســـلوكياته وأفعاله وطبيعته كانت هادئة ومعتدلة منذ طفولته ، وأرجعت السبب في ذلك إلى نشأته الدينية المباركة وتعليمه الأدبي والديني .

أما المبحث الثاني " المصادر الخارجية " فقد ظهر على النحو الآتي :

أولاً : بيئة الطفولة . وتحدثت فيها عن :

❖ القرية : التي كانت ملتصقة به تماماً فلم ينفك منها أو ينقطع عنها حتى بعد أن هاجر منها إلى المدينة فقد كان يخصص لها جانبا من زياراته ويقضي فيها صيفه . فتغنى بها في أشـــعاره ووصف مظاهرها وطبيعتها ، ومجدّ أهلها ، ودافع عن فلاحيها ، وحنّ إليها وهرب إلى أحضانها حينما كان يتذكر مرح الصِّبا ، وعهود الحياة الأولى .

❖ الطبيعة :

و عنيـــت بهـــا مظاهر الطبيعة الساكنة وحاولت إرجاعها إلى عدة عناصر لتسهل الدراسة ويتضح المراد ، فجاءت عناصرها كالتالي :

١- الطبيعة النباتية : وتحدثت فيها عن الرياض المصرية وطبيعة الأرياف .

٢- الطبـــيعة الفصلية : وأشرت فيها إلى تفضيل الشاعر لفصل الربيع على فصلي الشتاء والصيف .

٣- الطبـــيعة المائية: وتناولت فيها ما ورد ذكره عند الشاعر من مطر وسحاب ، وجداول وغدران .

٤- الطبـــيعة الكونـــية : وقصـــدت بها عناصر الطبيعة الفلكية من شمس وقمر وليل ... الخ .

❖ في رحاب المدنية الحديثة :

وبينـــت من خلالها المخترعات الحديثة التي وردت في شعر الشاعر وتحدث عنها كالمذياع ، والإنسان الآلي ، وآلة التصوير ، والولاعة ، والساعة ، والباخرة . وأشرت إلى أن الشاعر قد ذكر تلك المخترعات باعتبارها جديدة في عصره ، وأوضحت أنه لم يقف منها موقف الإعجاب ؛ بل كان يعاتب قومه على وقوفهم عاجزين أمام تلك المخترعات

حاشا إياهم أن يتعلموا حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم وحضارة وكان للفضاء في ديوان غنيم نصيب كبير فكما أنه وصف القمر الطبيعي فقد وصف القمر الصناعي ، وأفاض في حديثه عن علم الفضاء والأدوات الحديثة التي استخدمت في الوصول إليه ، وقد استغل هذا الجانب في مخاطبة المغترين بعلمهم المادي الذي صرفوه في غزو الفضاء وتناسوا في غفلة عمياء ما حل بالبشرية جمعاء من حروب ودمار

❖ الأسرة : وأوضحت أن أسرته قد شكلت رافداً قوياً في شعره ، وقد تناولتها من زاويتين :

الأولى : الأسرة التي أنجبت الشاعر ، وتربىّ بين حناياها والممثلة في والده وأخوته .

والثانية : الأسرة التي أنشأها الشاعر وأسسها وتشمل الزوجة والأولاد .

وقد بينت أن أسرته الأولى أمدته بعاملين قويين في شعره أحدهما : تشجيعي ، والآخر : عاطفي .

ثم أوضحت أن شعر غنيم في أسرته الثانية وخاصة فيما يتعلق بأولاده يعد شعراً رومانسيا مفعما بالحب والعطف والحنان جسد من خلاله مشاعر الأبوة الحانية .

ثانياً التعليم الرسمي : وتحدثت فيه عن مصادر تعليمه وأثرها في شخصيته الثقافية والأدبية ، وهي :

١- الكُتّاب .　　٢- الأزهر .　　٣- مدرسة القضاء الشرعي .　　٤- دار العلوم .

ثم أوضحت بعد تجوال في سماء معاقل تعليمه أثرها الكبير في ثقافة الشاعر ، إذ مكنته من التّغذي بالثقافة العربية الأصيلة ، فجاءت عباراته عالية المترلة في البلاغة فصاحة وبيانا .

ثالثاً : الثقافة الشخصية : وأرجعتها إلى ثلاثة مصادر :

- أدبية .　　- تاريخية .　　- دينية.

وأوضحت أن هذه الثقافات المتعددة شكّلت منه شاعراً مبدعاً ، وكاتباً بارعاً، وناقداً فذّاً ، ومصلحاً اجتماعياً ، وداعياً قومياً ، ومنافحاً وطنياً ومعلماً تربوياً .

الفصل الثاني : " مثيرات الإبداع "

في هذا الفصل تحدثت عن المناسبات التي شكلت مثيراً لإبداعه ، وهي :

- المناسبات الدينية . - المناسبات الوطنية . - المناسبات القومية.
- المناسبات الاجتماعية . - المناسبات الثقافية .

ففي المناسبات الدينية : أوضحت أن شعره الإسلامي يظهر واضحا وجليا في كثير مـــن المناسبات الدينية ، فتحدثت عن المولد النبوي ، وحادثة الإسراء والمعراج ، والهجرة النـــبوية ، وعـــيد الفطر ، والحج ، ثم ذكرت بعض المتفرقات الإسلامية في شعره كأذان الفجـــر ، ونشيد الأنصار ، والتسبيحات والابتهالات ، كما أشرت إلى أنه قد استلهم في شعره التاريخ الإسلامي فاستدعى بعض الشخصيات الإسلامية كشخصية الفاروق وخالد ابن الوليد .واستعرض أمجاد أمته الماضية ليدفع عنها شعور الذل والانكسار .

وفي المناســبات الوطنية : قمت بتوضيح مفهوم الوطنية ، وأوضحت أن غنيماً لم يــترك أيّ حدث له صلة بوطنه الصغير (مصر) دون أن يسجله ويعلنه فجاء تعبيره صادقاً لأنـــه انبثق عن عاطفة وطنية صادقة ، ثم وقفت عند أبرز القضايا والأحداث المصرية التي تحـــدث عـــنها ، كذكرى حادثة (دنشواي) ، ومبايعة الملك فاروق ملكاً ، وقيام ثورة ١٩٥٢م ، وإعلان الجمهورية على أنقاض الملكية ، ومعاهدة الجلاء ، وحرب القناة، وبناء السّد العالي

أمـــا المناسبات القومية : فأوضحت فيها أن الشاعر لم يكن يعيش لوطنه الصغير فحســـب ، وإنما كان يعيش لمواطنيه في الوطن العربي الكبير ، وأشرت كذلك إلى أنني لا أعـــني بالقومية مفهومها الضيق الذي يقصرها على الإقليمية الضيقة ، وإنما قصدت منها التجربة الإنسانية التي تتجاوز الحدود والعقبات ، وترتكز على اللغة والتاريخ والعقيدة .

ثم وصـــلت إلى أن عناصـــر القومـــية العربية التي صدر عنها الشاعر هي نفسها الموجودة عند شعراء العصر الحديث في البلدان العربية ، وبينت أن شعر غنيم القومي كان صـــدى لكثير من المناسبات والأحداث التي وقعت في الوطن العربي الكبير . كالدعوة إلى الوحـــدة العربية ، وقضية فلسطين المحتلة ، وانتصار الجزائر ، ونكبة أجادير . فكان ينفعل بها ويصهرها في تجربته الواعية إلى مرحلة التصوير والإبداع .

أما المناسبات الاجتماعية : فقد قسمتها إلى :

أولاً : الشاعر و العلاقات الإنسانية ، و جعلت تلك العلاقة قائمة على :

أ – المدح : وبينت أن الشاعر قد مدح كل طبقات مجتمعه فرأيناه يمدح الحكام ، والــوزراء ، والرجال العظماء ، والأدباء والأصدقاء والزملاء . وأوضحت أن مدحه قد يكــون نابعا من محبة صادقة يكنّها للمدوح ، وقد يكون من طرف اللسان رغبة منه في تحقــيق مصــلحة خاصة أو منفعة عامة لصالح مجتمعه . فظهر عنده مايسمى بالمفارقة في المدح .

ب– الرثاء :الرثاء عند غنيم في عامته محرك للعواطف الإنسانية المتأججة وهو رثاء يمتزج بذكر فلسفة الموت والحياة . وقد تنوعت شخصيات غنيم في رثائه كما تنوعت في مدائحــه فنراه يرثي الحكام ، وينعي الزعماء الأبطال ، ويبكي الوزراء النبلاء ، والعظماء الفضــلاء ، والرّفاق الأوفياء من مديرين وأدباء وزملاء وأصدقاء ، وصحفيين وفنانيين . كمــا وجدنا لــه مراث إنسانية مؤثرة قالها في أناس لا تجمعه بهم علاقة إلا علاقة الدين والوطن كما مر معنا سابقًا.

ج – الدعابة والفكاهة : وقد أشرت إلى أن الفكاهة مظهر اجتماعي أحبها الناس وتداولوهــا فيما بينهم ، ثم أوضحت المقصود منها فهي كل ما يبعث على الضحك من فنون القول ، وتحدثت عن علاقة الفكاهة بالفرد والمجتمع في صورة موجزة ، ثم بينت أن غنيماً كان ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالروح الفكاهية الدعوبة ، وأشرت إلى أهم العوامل التي طبعت غنيما على حب الفكاهة وأرجعت ذلك إلى أثر البيئة المصرية، والتدين الذي كان له أثره في الرضا والسماحة واجتلاب المسرة والفكاهة ، وما أصابه من مكــدرات ومنغصات كان يهرب منها بين الحين والآخر إلى الفكاهة والدعابة . فكانت تلك المداعبات مع زملائه الشعراء رصيداً شعريا رائعاً أضيف إلى الشعر العربي فيما عرف بالأدب الفكاهي .

د– المهاداة : وأوضحت أنَّ الهدايا كانت مثيراً لإبداع الشاعر ودلالة أكيدة على علاقاته القوية مع أصدقائه وأصحابه سواء كانوا من داخل مصر أم من خارجها .

ثانياً : متفرقات اجتماعية في شعره: وقد بينت أن غنيما بفضل ما أوتي من شاعرية غزيرة استطاع أن يضمن شعره واقع ما يدور حوله من أمور الحياة . فحاول أن يعالج كل مـــا يتصل بواقع الشباب وما يواجهه من أخطار وتحديات ، ولشدة حبه لهم وتعلقه بهم راح يـــنظم لهـــم الكثير من الأناشيد الحماسية فهناك نشيد للرياضة ، ونشيد للجامعة ، ونشيد للصحة ، وغيرها من الأناشيد التي توقظ الهمم وتشعل الحماس .

كمـــا أنه نقد بعض الظواهر الاجتماعية الفاسدة كالحضارة الزائفة التي تقوم على تقليد الغرب ، والاهتمام بالمادة التي اعتبرها كثير من الناس أساس الحياة والأخلاق ، كما أنـــه كافح ما أسماه بالأعداء الثلاثة في مجتمعه الجهل ، والفقر ، والمرض . ووقف محارباً للرذيلة بجميع ألوانها ، ونادى بالتمسك بالأخلاق الفاضلة ، و حارب ما يسمى بالتبشير ، وندد ببعض البدع والخرافات التي تصاحب الموالد ، وعبرّ بكل جرأة وصدق عمَّا وقعت فيه الأحزاب السياسية من تفرق وخلاف .

وفي المناســـبات الثقافية : بينت أن ذلك البعد الثقافي الذي طغى على شعر غنيم جعله يشارك في أغلب المناسبات الثقافية التي كانت تعقد في مجتمعه ، وأوضحت أنَّ تلك المناســـبات الثقافية التي شارك فيها كانت مثيراً لعواطفه وإبداعه فخرج شعرٌ جميلٌ مليءٌ بالصور والتعبيرات ، وتتمثل تلك المناسبات الثقافية التي شارك فيها غنيم في :

١ ــ المهرجانات والندوات الأدبية .   ٢ــ تحايا الوفود الثقافية .

٣ــ الإشادة بالمجلات الأدبية والدواوين الشعرية .

الفصل الثالث : " آليات التشكيل " وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث :

المبحث الأول : البناء الفني للقصيدة :

وعنيت به الطريقة التي سلكها الشاعر في بناء قصيدته وتحدثت فيها عن :

- المطلع .   - الخاتمة .   - الوحدة العضوية .

وبينت أن القصيدة جاءت عنده ملتزمة بالوحدة العضوية في الغالب الأعم . فقد تحقق فيها عنصر الوحدة العضوية المشتملة على وحدة الموضوع ووحدة المشاعر . ولكنها تتجـــلى لنا واضحة في شعره ذي الطابع القصصي . وذلك الشعر الذي يتحدث فيه عن همومه وأحزانه ومعاناته .

المبحث الثاني : المعجم الشعري : وبينت فيه أبرز الروافد التي شكلت معجمه والتي ترجع إلى ثقافته الواسعة ، والائتناس بألفاظ القرآن الكريم . وتأثره بألفاظ الحضارة الجديدة .

المبحث الثالث : الأسلوب : وتناولت فيه مفهوم الأسلوب ، وتنوع أساليب الشاعر ، وناقشت فيه أبرز سماته كالاقتباس ، والتضمين ، والتكرار ، والاستفهام ،والنداء.

المبحث الرابع : الموسيقى : وتناولت فيه علاقة الشعر بالموسيقى فهي علاقة قديمة حميمة ، ثم قسمت الموسيقى عنده قسمين : موسيقى خارجية تتكون من عنصرين بارزين هما الوزن والقافية ، وموسيقى داخلية نشأت من مقدرته على اختيار الكلمات المناسبة وتعاقبها وانتظامها مع تلاؤم بين حروفها وحركاها . كما أشرت إلى التزام الشاعر بالقوافي الطيعة المألوفة في الشعر العربي ، وبينت أنَّ التنويع في القوافي كان يظهر بوضوح في قالب الأناشيد .

المبحث الخامس : الصورة : وتناولت فيه مفهومها ، ومقوماها من : عاطفة ، وخيال ، وحقائق وأفكار ، وأسلوب ، وموسيقى ، ثم تحدثت عن مصادر الصورة عند غنيم التي استقى منها صوره وأخيلته ومنها : الطبيعة ، والإنسان ، والحيوان ، والثقافة ، ثم تناولت أنماط الصورة عند غنيم بالشرح والتعليل ، وجعلتها تدور في أطرٍ ثلاثة هي : التشبيه ، والمجاز ، والرّمز ، وجاء الرمز عنده على ثلاثة أقسام : معجمي ، وتاريخي، وحكاية رمزية .

وبهذا فإن الشاعر حينما كان يستخدم التشبيهات والمجازات فكأنه يعلن أنه يستخدم الصورة القديمة مع تفعيلها في شعره ، أما حين كان يستخدم الرمز فكأنه يبرهن على أنه يستخدم الصورة الحديثة .

نتائج البحث :

أثبتت هذه الدراسة ما يلي :

١. إن مصـــادر الإبداع عند الشاعر لا تعني فقط المصدرين الحسي والذهني ، بـــل تعني مرجعية المادة الشعرية المخزونة في هذا الذهن والملتقطة من الخارج من مظاهر الكون المعرفية والمادية .

٢. إن مثيرات الإبداع البارزة عنده تمثلت في تلك المناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية والقومية والثقافية .

٣. التأكيد على أن غنيمًا كان معتدلاً وهادئًا في تكوينه النفسي فكان لذلك أثره الواضح في شعره .

٤. ظهور ملمح الرومانسية في شعره ويتجلى ذلك واضحًا فيما قاله من شعر في الطبـــيعة ومـــناجاتها ، ووصف مظاهر القرية وتذكر أيام الصِّبا ، وتلك القصائد المفعمة بالحب والحنان والعطف التي قالها في أولاده .

٥. ظهـــر عنده ما يسمى بالقصة على لسان الحيوان والتي تنحو منحى الرمز ليشير بها إلى بعض الصور السلبية الاجتماعية التي لم يستطع أن يُصرِّح بها .

٦. بـــروز الاتجـــاه الإسلامي في شعره شكلاً ومضمونًا . وهو موضوع بكر صالح للدراسة والبحث .

٧. إضافة إلى كون غنيم شاعرًا مبدعًا ، فقد كان ناقدًا يملك مقومات الناقد البصـــير ، وما كتبه من آراء نقدية تجعلنا نضعه من جملة النقاد المرموقين في العصر الحديث . وبهذا أهيب بزملائي من طلاب الدراسات العليا النهوض في الكتابة عن هذا الجانب النقدي عند غنيم .

٨. تنوع المعجم الشعري عند غنيم ووفرته ، ويرجع ذلك إلى الثقافة الواسعة و الأئتناس بألفاظ القرآن الكريم ، و تأثره بألفاظ الحضارة الجديدة .

٩. التأكـــيد على أن غنيمًا كان ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالـــروح الفكاهية الدعوبة ، فأسهم في تلوين هذا النوع من الشعر في الأدب العربي .

١٠. استخدامه للرمز المعجمي والتاريخي للتعبير عن تجاربه الشعرية .

هـــذه هي أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة المتواضعة ، وأرجو أن أكون قد وفقـــت فـــيها ، فـــإن حصل نقص أو زلل فما أنا إلا طالب علم في أول الطريق يخطئ ويصيب . وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل إنه على ما يشاء قدير .

الجمعة

١٩/٨/١٤٢٣هـــ

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانـــياً : الأعمـــال الكاملة ، محمود غنيم . الطبعة [بدون] . القاهرة : دار الغد العربي للكتاب ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

ثالثاً : المصادر القديمـــة :

١. ابن الأثير ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

الطبعة [بدون] . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت – صيدا : المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٢. ابن جعفر ، قدامة .

نقد الشعر .

الطبعة . الثالثة . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة : مكتبة الخانجي ، التاريخ [بدون] .

٣. ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .

الطبعة الخامسة . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الجيل ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٤. ابن طباطبا ، أبو الحسين محمد بن أحمد .

عيار الشعر .

الطبعة [بدون] . تحقيق : عبد العزيز المانع . القاهرة : مكتبة الخانجي ، التاريخ [بدون] .

٥. ابن قتيبة ، أبو عبد الله .

الشعر والشعراء .

الطبعة [بدون] . تحقيق : أحمد شاكر .القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٧م .

٦. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .

لسان العرب .

الطبعة . الأولى . بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٠ م .

٧. الجرجاني ، عبد القاهر .

دلائل الإعجاز .

الطبعة . الثالثة . تحقيق : محمود شاكر . القاهرة : مطبعة المدني ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .

٨. الجرجاني القاضي ، علي بن عبد العزيز .

الوساطة بين المتنبي وخصومه .

الطبعة . [بدون] . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي . بيروت : المكتبة العصرية ، التاريخ [بدون] .

٩. العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر .

الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٢ .

الطبعة . الأولى . دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨ هـ .

١٠. **فتح الباري** . ج١ .

الطبعة . [بدون] . أخرجه : محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ، التاريخ [بدون] .

١١. العسكري ، أبو هلال .

الصناعتين .

الطبعة . الأولى . تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ، ١٩٥٢ م .

١٢. القرطاجني ، أبو الحسن حازم .

منهاج البلغاء وسراج الأدباء .

الطبعة . الثانية . تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة . بيروت : دار الغرب الإسلامي ، التاريخ [بدون] .

١٣. القزويني ، الخطيب .

الإيضاح في علوم البلاغة .

الطبعة . الثالثة . شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجة . بيروت : دار الجيل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

١٤. المرتضي ، الشريف علي بن الحسين .

أمالي المرتضي . ج٢ .

الطبعة الثانية . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . لبنان - بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

١٥. المعري ، أبو العلاء .

اللزوميات . ج١ .

بيروت : مكتبة الهلال . التاريخ [بدون] .

ثانياً : المراجع الحديثة :

١. إبراهيم أنيـــــس .

موسيقى الشعر .

الطبعة . السابعة . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م .

٢. إبراهيم الحـــاوي .

حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي .

الطبعة . الأولى . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٣. إبراهيم الشتـــوي .

أدب عبد العزيز الرفاعي .

الطبعة . الأولى . الرياض : دار الرفاعي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٤. أحمد أحمد بدوي .

أسس النقد الأدبي عند العرب .

الطبعة [بدون] . القاهرة : نهضة مصر ، ١٩٩٦م .

٥. أحمد الشايـــــب .

الأسلوب .

الطبعة . التاسعة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٥م .

٦. أحمد شوقـــــــي .

الموسوعة الشوقية .

جمع وترتيب : إبراهيم الإبياري ، الطبعة . الأولى ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٥هـــ / ١٩٩٤م .

٧. أحمد محمد الحـــوفي .

الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها .

الطبعة [بدون] . القاهرة : نهضة مصر ، ٢٠٠١م .

٨. أحمد محمد عطيـــة .

أدبُ البحر .

الطبعة [بدون] . القاهرة : دار المعارف ، التاريخ [بدون] .

٩. أنور الجنـــــــدي .

الشعر المعاصر ، تطوره وأعلامه .

الطبعة [بدون] . معلومات النشر [بدون] .

١٠. أنيس المقدســـــــي .

الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث .

الطبعة . الثامنة لبنان – بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨م

١١. بدوي طبانـــــة .

قضايا النقد الأدبي .

الطبعة [بدون] . المطبعة الفنية الحديثة . التاريخ [بدون] .

١٢. بكري شيخ أمين .

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .

الطبعة . الرابعة . لبنان – بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .

١٣. جابر عصفـــــور

الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب .

الطبعة . الثالثة . بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م .

١٤. جودت فخر الدين .

شكل القصيدة العربية في النقد العربي .

الطبعة . الثانية . بيروت : دار الحرف العربي ، ١٩٩٥م .

١٥. حافظ إبراهيـــــم .

ديوانه .

الطبعة [بدون] . صححه وشرحه : أحمد أمين ، أحمد الزّين ، إبراهيم الإبياري . بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٨م .

١٦. حلمي القاعود .

محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث .

الطبعة . الأولى . المنصورة : دار الوفاء ، ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٧م .

١٧. حمد بن ناصر الدَّخيل .

يحي بن طالب الحنفي ، حياته وشعره .

الطبعة . الأولى . الرياض : الإدارة العامة للنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢١هـــ / ٢٠٠٠م .

١٨. ربيع عبد العزيز ، وآخرون .

دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي .

الطبعة . الأولى . جازان : منشورات نادي جيزان الأدبي ، ١٤١١هـــ / ١٩٩١م .

١٩. رياض قزيـــــحة .

الفكاهة في الأدب الأندلسي .

الطبعة . الأولى . صيدا - بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤١٨هـــ / ١٩٩٨م .

٢٠. زكي مبارك .

المدائحُ النبوية في الأدب العربي .

الطبعة [بدون] . منشورات المكتبة العصرية ، التاريخ [بدون] .

٢١. سارة محمد الراجحي.

شعر حسين عرب .

الطبعة . الأولى . مكة المكرمة . مطابع بهادر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٢. السّعيد الورقـــي .

في الأدب والنقد الأدبي .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، التاريخ [بدون]

٢٣. سليمان البستاني .

إلياذة هوميروس ، ج١ .

الطبعة [بدون] . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، التاريخ [بدون]

٢٤. سليمان عبد الرحمن الحقيل .

نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية .

الطبعة . التاسعة . الرياض : مطابع التّقنية للأوفست ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٢٥. سيّد قطـــب .

التصوير الفني في القرآن .

الطبعة . الثامنة . دار الشروق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢٦. شلتاغ عبود شراد .

أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث .

الطبعة . الأولى . دار المعرفة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٢٧. شوقي ضيف .

- **الفنُّ ومذاهبه في الشعر العربي .**

الطبعة . الحادية عشرة . القاهرة : دار المعارف ، التاريخ [بدون] .

٢٨ - **في النقد العربي .**

الطبعة . السادسة . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م .

٢٩. شيفيل مريان .

الطفل الموهوب في المدرسة العادية .

الطبعة [بدون] . ترجمة : عزيز حنّا ، وعماد الدين سلطان . مراجعة : عطية محمود هنا . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، التاريخ [بدون] .

٣٠. صابر عبد الدايم .

موسيقى الشعر العربي بين الثّبات والتطور .

الطبعة . الثالثة . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٣١. صبحي البستاني .

الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع .

الطبعة . الأولى . لبنان – بيروت : دار الفكر اللبناني ، ١٩٨٦ .

٣٢. الطاهر أحمد مكي .

الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخلٌ لقراءته .

الطبعة . الثالثة . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٦م .

٣٣. طلعت صبح السّيد .

التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث .

الطبعة . الأولى . الرياض : دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٣٤. طيب أحمد الحارثي .

" علي الجندي حياته وشعره "

رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٠هـ .

٣٥. عباس بيومي .

عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ، ١٩٨٥م .

٣٦. عباس العقّاد .

مطالعات في الكتب والحياة .

الطبعة [بدون] . بيروت : المكتبة العصرية ، التاريخ [بدون] .

٣٧. عباس العقاد ، وإبراهيم المازني .

الديوان في الأدب والنقد ، ج٢ .

الطبعة . الثالثة .

٣٨. عبد الحميد حسن .

الأصول الفنية للأدب .

الطبعة [بدون] . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، التاريخ [بدون] .

٣٩. عبد الحميد محمد الهاشمي .

علم النفس التكويني .

الطبعة . السابعة . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢م .

٤٠. عبد الرحمن رفعت الباشا .

نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد .

الطبعة [بدون] . الرياض : دار البردي للنشر والتوزيع ، التاريخ [بدون] .

٤١. عبد الرحمن عطية .

الصنوبري شاعر الطبيعة .

الطبعة [بدون] . ليبيا – تونس : الدار العربية للكتاب ، التاريخ [بدون] .

٤٢. عبد الرحمن الكيالي .

الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين .

الطبعة . الأولى . سوريا : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، التاريخ [بدون] .

٤٣. عبد الرحمن ياغي .

في الأدب الفلسطيني الحديث قبل النكبة وبعدها .

الطبعة . الأولى . الكويت : شركة كاظمة للنشر والترجمة ، ١٩٨٣م .

٤٤. عبد العزيز الرفاعي .

الحج في الأدب العربي لمحات عابرة .

الطبعة . الأولى . منشورات المكتبة الصغيرة ، ١٣٩٥هـ

٤٥. عبد العزيز عتيق .

علم المعاني .

الطبعة [بدون] . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ .

٤٦. عبد الفتاح صالح نافع .

الصورة في شعر بشار بن برد .

الطبعة [بدون] . عمان : دار الفكر ، ١٩٨٣م .

٤٧. عبد القادر القط .

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر .

الطبعة . الثانية . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٤٨. عبد الله الطيب .

المرشد إلى فهم أشعار العرب .

الطبعة . الثانية . بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٠م . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٤٩. عبد المتعال الصعيدي .

بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح ، ج٢ .

الطبعة [بدون] .

مصر : المطبعة النموذجية ، التاريخ [بدون] .

٥٠. عز الدين إسماعيل .

الشعر العربي المعاصر .

الطبعة . الثانية . بيروت : دار العودة ، ودار الثقافة ، ١٩٧٢م .

٥١. علاء فؤاد بيومي .

" المسرح الشعري عند محمود غنيم " .

رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، الزقازيق ، جامعة الأزهر ١٤١٧هـ .

٥٢. علي جواد الطاهر .

مقدمة في النقد الأدبي .

الطبعة . الأولى . المؤسسة العربية للراسات والنشر ، التاريخ [بدون] .

٥٣. عمر الدّقاق .

الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث .

الطبعة الرابعة . بيروت : دار الشرق العربي ، ١٩٨٥م .

٥٤. فاطمة سالم عبد الجبار .

" أحمد قنديل حياته وشعره "

رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٥٥ كمال أحمد غنيم .

عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر .

الطبعة . الأولى . القاهرة : مكتبة مدبولي ، التاريخ [بدون] .

٥٦. مجموعة من الأدباء .

دموع على الشاعر محمود غنيم .

الطبعة [بدون] . القاهرة : دار الهناء ، التاريخ [بدون] .

٥٧. مجموعة من الكُتّاب .

المنجد في اللغة والأعلام .

الطبعة السابعة والثلاثون . بيروت : دار المشرق ، ١٩٩٨م .

٥٨. محمد أحمد سلامة .

" محمود غنيم وشعره "

رسالة دكتوارة ، كلية اللغة العربية ، جامة الأزهر ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٥٩. محمد حسن بريغش .

الأدب الإسلامي أصوله وسماته .

الطبعة . الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٦٠. محمد الحسن علي الأمين .

الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر العربي

الطبعة [بدون] . مكة المكرمة : مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥هـ .

٦١. محمد زكي العشماوي .

قضايا النقد الأدبي .

الطبعة . الثالثة . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . التاريخ[بدون] .

٦٢. محمد بن سعد بن حسين .

من شعراء الإسلام .

الطبعة . الأولى . الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٦٣. محمد الصادق العفيفي .

- **الاتجاهات الوطنية في الشعر الحديث .**

الطبعة [بدون] . بيروت : دار الكشاف ، ١٩٦٤م .

٦٤- **التجربة الإبداعية عند محمود هاشم رشيد .**

الطبعة . الأولى . جدة : دار العلوم للطباعة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٦٥. محمد طه عصر .

سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة .

الطبعة . الأولى . القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

٦٦. محمد عبد الرحمن حسين .

نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦م) .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية منشأة المعارف ، التاريخ [بدون] .

٦٧. محمد عبد الفتاح أبو الفضل .

تأملّات في ثورات مصر ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢م . ج١ .

الطبعة [بدون] . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

٦٨. محمد عبد المنعم خفاجي .

- **دراسات في الأدب العربي الحديث ومدراسه .**

الطبعة . الأولى . بيروت : دار الجيل ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٦٩- **من تاريخنا المعاصر .**

الطبعة . الأولى . القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ،

١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

٧٠. محمد عمرو الطّمار .

تاريخ الأدب الجزائري .

الطبعة [بدون] . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر ، التاريخ [بدون] .

٧١. محمد غنيمي هلال .

الأدب المقارن

الطبعة . الثالثة . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٢م .

٧٢. محمد مندور .

– **الأدب وفنونه .**

الطبعة [بدون] . القاهرة : دار نهضة مصر ، ١٩٩٦م .

٧٣- **الشعر المصري بعد شوقي .**

الحلقة . الثالثة .

الطبعة [بدون] . مصر : نهضة مصر ، التاريخ [بدون] .

٧٤- **النقد والنقاد المعاصرون .**

الطبعة [بدون] . بيروت : دار القلم ، التاريخ [بدون] .

٧٥. محمود الجـــــادر .

شعر أوس ورواته الجاهليين .

الطبعة [بدون] . بغداد : دار الرسالة ، ١٩٧٩م .

٧٦. مصطفى عبد اللطيف السحراتي .

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث .

الطبعة . الثانية . جدة : مطبعة تهامة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٧٧. مفرح إدريس سيد .

الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي .

مكة المكرمة ، مطابع جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٧٨. منصور نصرة .

القرية في الشعر العربي المعاصر .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية : مركز اسكندرية للكتاب ، ١٩٩٦م .

٧٩.   نازك الملائكة .

قضايا الشعر المعاصر .

الطبعة . السابعة . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣م .

٨٠.   يوسف أبو العدوس .

البلاغة والأسلوبية .

الطبعة . الأولى . الأردن — عمان : المطبعة الأهلية ، ١٩٩٠م .

٨١.   يوسف بكار .

بناء القصيدة في النقد العربي القديم .

الطبعة . الثامنة . بيروت : دار الأندلس للطباعة ، ١٩٨٢م .

٨٢.   يوسف خليف .

في الشعر العباسي نحو منهج جديد .

الطبعة [بدون] . القاهرة : مكتبة غريب . التاريخ [بدون] .

رابعاً : المجلات والدوريات :

١ — الأدب الإسلامي ، (المجلد الخامس) ، عدد : ١٩ في ، ١٤١٩هـ .

٢ — البيان ، عدد : ١١٧ ، السنة الثانية عشرة ، جمادي الأولى ، ١٤١٨هـ .

٣ — التضامن الإسلامي ، عدد يونيو ، سنة ١٩٧٢م .

٤ — مجلة الرسالة ، العدد : ١١١٦ ، السنة الثانية والعشرون ، صفر ، ١٣٨٥هـ .

والعدد : ١١١١ ، السنة الثانية والعشرون ، ذو الحجة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

٦ — كتاب الرياض ، العدد : ١٠١ ، إبريل ٢٠٠٢م .

Thesis Abstract

Praise be to Allah Lord of the Worlds, blessing and peace be upon the noblest of all Prophets and Messengers.

This study, which reveals sources of creativity and mechanisms of variety in the poetry of Mahmoud Ghonaim is summarized in the following points:

1. In the introduction, a preface, three chapters and a conclusion.
2. In the introduction, I have presented the importance of the topic, the reason for choosing it, the research proposal and methods. Moreover, I have indicated what I have meant by sources of creativity and mechanisms of variety in the poetry of Mahmoud Ghonaim, besides stating that I have confined my study to his lyric poetry without dealing with his theoretical one, which is represented in his three collections that are grouped in the (complete works).
3. In the preface, I have narrated briefly the life of the poet, his poetic biography and the most important poetic works with which he has enriched the Arabic library.
4. The three chapters are as follows:

The first chapter: "Sources of Creativity", which consists of two themes:

The first theme: Personal sources. The second theme: External sources.

In the first theme (personal sources), I have expounded on: 1.Natural aptitude 2.Psychological setup.

In the second theme (external sources), I covered the following:

First : Childhood environment, in which I have dealt with the village, nature, modern civilization and the family.

Second : Formal education: I have covered his educational sources and their impact on his cultural and literal character. Those were: 1.Primary school 2.Azhar Institute 3.Islamic Judicial School 4. Dar Al-Uloom

Third : Personal culture : I have attributed this to three sources: Literal – Historical – Religious.

The second chapter : "Heritage of Creativity": In this chapter, I have tackled the events that formed a stimulant to his creativity, these are:

Religious events – national events – social events – cultural events.

The third chapter: Mechanisms of Variety: This chapter consists of five themes as follows:

The first theme : The artistic structure of the poem: I meant with this the style followed by the poet in composing his poem, where I have dealt with:

The opening verse – the conclusion – the structural unity.

I have explained that his poem mostly abides by the structural unity, where it chieves the structural unity comprising unity of the topic and unity of the poet. However, that unity is well pronounced in his narrative poetry, in which he has explained his concerns and his sufferings.

The second theme: The poetic lexion: Here, I have detailed the variety of Ghonaim and demonstrated the most outstanding aids that formed his lexion.

The third theme: the style: I have dealt with the concept of the style, the variety of techniques used by the poet, his most important features, like quotations, incorporation, repetition … etc.

The fourth theme : the music: I have discussed the relationship of poetry with music. Then, I have divided his music into two types: external music compose of two distinct elements, which are the measure and the rhyme; and internal music attributed to his ability to choose words, their sequence arrangement and harmony among their letters and vowels. I have also indicated the commitment of the poet with easy rhymes and explained that the variation in those rhymes was most pronounced in the hymns form.

The fifth theme: the image: I have discussed the concept of the image, its constituents and talked about the sources of such image as addressed by Ghonaim, which include: nature, man, animals and culture. I have also detailed and explained his image patterns and made them revolve in three forms: simile, metaphor and symbol, which, in turn come in three types: lexical, historical and symbolic tale. Thus, when the poet uses simile and metaphor, it appears as if he is using the old image in his poetry. However, when he uses the symbol, it appears as if he is trying to prove that he is using the modern image.

5. In the conclusion, I have summarized the most important results and pointed to some of the issues that should be tackled and investigated by research workers. Then I have concluded the research with indices of sources, references and topics.
6. finally, this study proved the following:

1. Sources of creativity in the work of this poet don't mean only the physical and the mental sources, but also the referential poetic stuff collected from external material and cognitive universal phenomena and stored in his mind.
2. The outstanding creative stimuli for our poet are represented in those religious, national, social, political and cultural events.
3. The emphasis that the poet was moderate and peaceful in his psychological setup, the fact that made clear impact on his poetry.
4. Presence of romantic features in his poetry, especially that poetry dealing with nature, description of the village atmosphere and reminders of his childhood days, as well as those poems abound with love and affection he composed to his childhood.
5. He tackled the symbolic stories that are attributed to animals, whereas they were directed to criticizing the negative social image that he was unable to deal with explicitly.
6. Presence of an Islamic tendency, formwise and contentwise, which is a novel topic suitable for more research and study.
7. In addition to the fact that Ghonaim was a creative poet, he was also a leading gifted critic among critics of our modern era. Therefore, I call upon our graduate students to tackle his aspect of Ghonaim.
8. His competent usage of the lexical and historical symbol in expressing his poetic experiences.
9. Emphasis that Ghonaim was one of those Egyptian poets, who were characterized with humorous comical souls.